الذّكاء الاصطناعيّ

الجُمْهُورِيَّة الجَزَائِرِيَّة الدِّيمُقْرَاطِيَّة الشَّعْبِيَّة

رئاسة الجمهوريّة

المَجلِس الأعلى للغة العربيّة

الكتاتيب ودورها في الرّفاه اللغوي 3

الجزء الثّاني 3

الملتقى الوطنيّ حول:

يوميّ 19 و20 فبراير 2020، بمناسبة اليوم العالميّ للغة الأمّ. المكتبة الوطنيّة بالحامّة.

الكتاتيب ودورها في الرّفاه اللغويّ

الجزء الثّاني

منشورات المجلس
2020

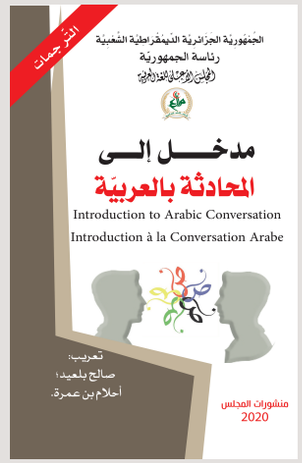

ISBN : 978-9931-681-47-2

المجلس الأعلى للغة العربية
52، شارع فرانكلين روزفلت
ص.ب 575 ، ديدوش مراد، الجزائر
الهاتف : 16/17 07 23 21 213+
النّاسوخ : 07 07 23 21 213+
الموقع الإلكتروني : www.hcla.dz

الذّكاء الاصطناعيّ

الجُمْهُورِيَّة الجَزَائِرِيَّة الدِّيمُقْرَاطِيَّة الشَّعْبِيَّة

رئاسة الجمهوريّة

المجلس الأعلى للغة العربية

الكتاتيب ودورها في الرّفاه اللغويّ

الملتقى الوطنيّ حول :

يوميّ 19 و20 فبراير 2020، بمناسبة اليوم العالميّ للغة الأمّ. المكتبة الوطنيّة بالحامّة.

الجزء الثّاني

منشورات المجلس
2020

كـتاب: الملتقى الوطنيّ

(الكتاتيب ودورها في الرّفاه اللّغويّ)

الجزء الثّانيّ

- **إعداد : المجلس الأعلى للّغة العربيّة**
- **قياس الصفحة:** 23/15.5
- **عدد الصفحات: 520**

منشورات المجلس

الإيداع القانوني: السداسي الثّانيّ 2020

ردمك: 978-9931-681-47-2

المجلس الأعلى للّغة العربيّة

العنوان: 52، شارع فرانكلين روزفلت

ص.ب 525، ديدوش مراد، الجزائر.

الهاتف: 16/17 07 23 21 213+

النّاسوخ: 07 07 23 21 213+

الموقع الإلكتروني: www.hcla.dz

الفهرس

الفهرس	3- 8
دور جمعية العلماء المسلمين في إحياء التعاليم الدينية ..... د. فيروز بن رمضان جامعة المدية	9- 26
الكتاتيب في عصرنا: بين الهجر المطلق وإعادة إحياء التقليد..... داه. سوسن ابرادشة جامعة آكلي محند أولحاج، البويرة ـ	27- 42
المجتمع بين اصالة دور الكتاتيب وحداثة دور الحضانة..... داه. معنصر مسعودة جامعة وهران 02	43- 64
الكتاتيب ودورها في التربية على الوسطية والاعتدال ..... د. مختار قديري جامعة الشهيد حمّه لخضر، الوادي	65- 90
الكتاتيب القرآنية ودورها في تعزيز منظومة القيم في الجزائر ..... د. نعيمة شلغوم د. جمعة مصاص جامعة عباس لغرور، خنشلة	91- 102
الأبعاد الوظيفية للكتاتيب القرآنية بالجزائر في ظل التحولات المعاصرة..... أ. نفيسة دويدة المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة	103- 114

التعليم بالكتاتيب القرآنية بالجزائر ودورها في تعليم اللغة العربية من خلال تحفيظ القران الكريم..... أ. بلعريبي نورالدين جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة	115- 130
الكتاتيب ودورها في ثبات الهوية الإسلامية العربية والوطنية..... داه. أم هاني حبيطة. جامعة، غرداية	131- 144
دور البرامج الحاسوبية في تصحيح تلاوة القرآن الكريم لدى طلاب المدارس القرآنية: برنامج Praat أنموذجا ..... داه. إيمان بلحداد جامعة الحاج لخضر، باتنة	145- 164
أثر التعليم في الكتاتيب في إحداث التفوق اللغوي في مادة اللغة العربية - دراسة ميدانية- ..... أ. بسمة سيليني جامعة محمد الصديق بن يحي، جيجل أ. إيمان بوشارب جامعة باجي مختار، عنابة	165- 182
طرق تعليم الأطفال في الكتاتيب ودورها في التنشئة..... د. جميلة قماز جامعة محمد الصّديق بن يحيي، جيجل	183- 192
دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في ترسيخ مبادئ الدين الإسلامي وتعليم العربية من خلال الكتاتيب ..... داه. حورية درني مؤسسة مصطفى اسطمبولي، معسكر	193- 206
دور الكتاتيب في الحفاظ على الموروث الديني واللّغوي..... داه. سارة مسعوداني جامعة عبد الحفيظ بو الصوف، ميلة	207- 224

دور مدرسة البيان لتحفيظ القرآن في تعليم اللغة العربية..... مأمون جامعة قاصدي مرباح، ورقلة	225- 250
دور الكتاتيب في إثراء الزاد اللغوي لدى الأطفال من حيث الالفاظ والمعاني خلال العهد العثماني "دراسة إحصائية لكتاب تحفة الأطفال للجمزوري"..... داه. سمية بن حليمة جامعة الجزائر 2	251- 274
إسهام الكتاتيب في تلقين الأبعاد الدينية واللغوية للناشئة وترسيخ سمة الانتماء..... داه. سهيلة ناجوي جامعة محمد بوضياف، المسيلة	275- 288
خصوصية نظام التدريس في الزوايا والكتاتيب (زاوية اسماعيل جوامع في البويرة أنموذجا)..... داه. سوهة رومي جامعة البويرة.	289- 308
المتون العلمية وأثرها في التكوين المعرفي عند روّاد الكتاتيب: المتون النحوية أنموذجا..... عبد الناصر درغوم جامعة باجي مختار، عنابة	309- 328
رهانات النهضة الروحية في الفكر العربي بين الأصالة والمعاصر . دراسة في أسس التنمية اللغوية والعقدية من منظور الكتاتيب..... داه. حواء بيطام محمد الصديق بن يحي، جيجل	329- 344

دور الكتاتيب القرآنية في تكوين الأجيال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين انموذجا..... داه. مريم بن الاحرش جامعة زيان عاشور، الجلفة	345- 354
الكتاتيب وتصديها للمخططات الاستعمارية في تدمير الانتماء الحضاري للفرد الجزائري..... أ. بوخاري مليكة: المدرسة الوطنية ع.ع.إ. والصحافة، الجزائر	355- 366
عَوَامِلُ النُّهُوضِ بِالْكَتَاتِيبِ وَالارْتِقَاءِ بِهَا..... داه. وليد خنِّيش جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة	367- 384
زاوية عبد الرّحمن اليلولي، قرون من العطاء...من زاوية لتحفيظ القرآن وتجويده إلى صرح إسلاميّ لنهل العلوم والمعارف..... أ. حنيسة كاسحي المجلس الأعلى للّغة العربيّة	385- 406
فاعلية الكتاتيب الرقمية في تنمية الملكة اللسانية للطفل..... داه. حيزية كروش جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف	407- 424
الإشعاع المعرفي والتربوي للمدرسة القرآنية في تعليم اللُّغة العربيَّة وترسيخ القيم الإسلاميّة - دراسة ميدانية وصفية- ..... أ. هدى عماري جامعة أمحمد بوقرة، بومرداس	425- 436
الكتاتيب والمكتبات: أي دور، أي علاقة، وأي أهداف؟..... د. محمد بوقاسم داه. فريزة لعزيزي جامعة الجزائر 02 أبوالقاسم سعد الله	437- 448

التكوين الأخلاقي واللغوي للكتاتيب في العالم الإسلامي..... أ. سعد لخذاري جامعة أكلي محند أولحاج بالبويرة	449- 462
دور الكتاتيب في حفظ الهوية العربية والجزائرية إبان الحقبة الاستعمارية..... الباحثة. إلهام شافعي جامعة، باتنة	463- 484
دور الكتاتيب في صون اللسان العربي وتعاليم الدين الإسلامي ندرومة "انموذجا"..... داه. تراس عائشة جامعة أحمد بن بلة 1، وهران	485- 510
تقرير الورشة العلميّة الأولى للملتقى الوطنيّ الموسوم: الكتاتيب ودورها في الرَّفاه اللغويّ..... أ. راشدة بورابة المجلس الأعلى للغة العربيّة	511- 514
تقرير الورشة العلميّة الثّنيّة للملتقى الوطنيّ الموسوم:الكتاتيب ودورها في الرَّفاه اللغويّ..... أ. مريم تواتي المجلس الأعلى للغة العربيّة	515- 516

دور جمعية العلماء المسلمين في إحياء التعاليم الدينية

د. فيروز بن رمضان
جامعة المدية

لقد تردّت أوضاع الجزائر إبّان حقبة الاحتلال الفرنسي إلى درجة دنيا من الانحطاط الذي شمل جوانب دينية وسياسية واجتماعية وثقافية وفكرية، وبسببه أوشكت مقومات المجتمع الجزائري على الفناء والاندثار بسبب ما ألحقه الاستعمار الفرنسي الغاشم بهم كسياسة المسخ للشخصية الجزائرية المسلمة، وإرساء قواعد التخلف والجمود، وتجهيل المجتمع وتفقيره وتفكيكه، ومحاولتهم لإماتة اللغة العربية ومحوها وتشويه التاريخ الجزائري.

واقع الجزائر قبل ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: ويمكن حصر أهم مواصفات واقع الجزائر في مختلف الميادين قبل ظهور الجمعية فيما يلي:

* **الاستعمار:** ابتلاء الجزائر بأخبث أنواع الاستعمار الذي عمل على تثبيت جذوره وتأصيلها في البلاد، فحارب الإسلام واللغة العربية، وشكك الناس في أوطانهم وانتمائهم إليها، محاولة منه على طمس الشخصية الجزائرية ومحو أصالتها، في خطة محكمة تقوم على ثلاثة أمور خطيرة:

1) **التنصير:** استغل شظف العيش وبدأ في حركة التبشير في الجزائر عامة وفي منطقة القبائل خاصة، مدعما الحركة بوسائل مادية هائلة للإغراء وفتنة الطبقة الفقيرة والمحرومة في محاولة لإخراجهم من الدين الإسلامي الذي يحرم أشياء كثيرة وأنه سبب فقرهم؛

2) **فرنسة المجتمعات:** وهو ما يسمى بالتجنيس، لمحو صبغة الاسلام والعروبة على السكان؛

3) **طمس الوطنية الجزائرية:** وذلك بالعمل على إقناع الشعب قهرا واختيارا على أن الجزائر فرنسية، فلقد اعتبرت الدوائر المسيحية المستعمرة احتلال فرنسا للجزائر نصرا صليبيا جديدا في العصر الحديث يذكرهم بانتصاراتهم في احتلال الأندلس واحتفالهم المئوي الصارخ شاهد على ذلك، حيث أعلن القساوسة فيما بينهم أن الإسلام قد انتهى تماما[1].

* **المساجد:** امتدت يد الاستعمار إلى منارة العلم والمعرفة ومدرسة الأخلاق الفاضلة، وعمدت إلى إفسادها بأبشع الوسائل ومختلف الطرق، فعطلوا وظيفته المقدسة وأغلقوا أبوابه في وجه الناس، والبعض منه حُول إلى كنائس نكاية في المسلمين، وقاموا بتشويه رسالة الإسلام بتمكينهم للطرقيين بنشر البدع والخرافات من منابره ومنع الأحرار والمصلحين من التدريس فيه.

* **<u>اللغة:</u>** إصدارهم لقوانين تحد من انتشار اللغة العربية والتضييق على استعمالها وحاربوها حتى صار المجتمع يتكلم العربية كلغة أجنبية ثانوية هامشية ليسهل عليهم زرع ما شاؤوا في ذاكرة الأمة، فأصبحت الفرنسية هي اللغة الرسمية الوحيدة.

* **الثقافة الإسلامية والتعليم:** بعد أن اغلقت المدارس الإسلامية ومنعوا تدريس مقررات التاريخ الإسلامي، عُلِّم المجتمع الجزائري تعليما يخضعهم لفرنسا شكلا ومضمونا وموضوعا، وعملوا على إيجاد الفجوة بين العرب والأمازيغ وزرع الأحقاد والضغائن بينهم، بغية إضعافهم والتحكم فيهم بعد ذلك، فنشطت الحركات التبشيرية وساد التنصير معظم القرى والمداشر.

* **الأراضي والممتلكات:** شنت السلطات الفرنسية حرب إبادة مطلقة على الأراضي والأوقاف والممتلكات، فحرقت الغابات والمحاصيل وخططت للمجاعة وإبادة مناطق المقاومة، واستولت على كافة الأوقاف المحبوسة على التعليم وغيره.

وفي خضم هذه الظروف العصيبة من تاريخ الأمة الجزائرية، ظهرت الحركة الإصلاحية التي قادها مجموعة من العلماء المسلمين والتي تمثلت في جمعية العلماء

المسلمين الجزائريين، لتقيم توازنا على المستوى الثقافي والحضاري الذي يؤدي بدوره إلى توازن على المستوى السياسي.

تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

إن فكرة تأسيس الجمعية تعود إلى فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى حين فكر عبد الحميد بن باديس سنة 1924 وعمل على تأسيس جمعية تجمع شملهم، بعد الوضع المزري الذي آل إليه المجتمع الجزائري، مما حتم عليهم ضرورة التكتل للخروج منه وقد جاء تأسيسها ردا على الاحتفالات المئوية التي أقامتها فرنسا في الجزائر يوم 05 جويلية 1930، والتي دعت إليها رجال الدين الأوروبيين الذين عملوا على استفزاز مشاعر الجزائريين بإعادة استعراض القوات الفرنسية بأزيائها وأسلحتها التي دخلت بها إلى الجزائر سنة 1830، ودامت هذه الاحتفالات ستة أشهر.

كما جاء تأسيسها أيضا ردا على الادعاءات الاستعمارية بأن عهد الإسلام قد انتهى وولّى في الجزائر، وأنّ الثقافة العربية الإسلامية قد اندثرت ولم يعد لها وجود، وهذا ما عبّر عنه البشير الإبراهيمي حين قال: لوتأخر ظهور جمعية العلماء عشرين سنة أخرى، لما وجدنا في الجزائر من يسمع صوتنا[2].

وخرجت إلى الوجود رسميا يوم 05 ماي 1931، حيث اجتمع بنادي الترقي بعاصمة الجزائر، على الساعة الثامنة صباحا من صباح يوم الثلاثاء 17 من ذي الحجة عام 1349، الموافق ل 05 ماي 1931، اثنان وسبعون من علماء القطر الجزائري وطلبة العلم فيه، إستجابة لدعوة خاصة من لجنة تأسيسية متألفة من جماعة من فضلاء العاصمة، عميدها السيد عمر إسماعيل –أحسن الله جزاء الجميع– وغرض الدعوة هو تحقيق فكرة طالما فكر فيها علماء القطر فرادى، وهي تأسيس جمعية العلماء المسلمين[3]. وكان هذا بعد دعوة وُجّهت في جريدة الشهاب عدد مارس 1931 إلى تكوين جمعية العلماء، ولم تتضمن الدعوة اسم عالم معين، بل كانت باسم الأمة كلها لاحتواء أكبر عدد ممكن من العلماء على اختلاف مشاربهم ومناهجهم والتي من شأنها أن تحقق الهدف المرجو من تأسيس الجمعية، والمتمثل في توحيد جهود العلماء

والانعكاسات الإيجابية في ميدان التضحية والمقاومة الفكرية العلمية ثم الميدانية الجهادية[4]، و أثناء الاجتماع لم تلجأ لا للاقتراع السري و لا العلني في اختيار أعضائها، بل عمدت إلى طريقة الاقتراع و ذلك بعرض أسماء معينة على الحاضرين وهم: عبد الحميد بن باديس محمد البشير الإبراهيمي، الطيب العقبي، محمد الأمين العمودي، مبارك الميلي، إبراهيم بيوض، المولود الحافظي، مولاي بن شريف، الطيب المهاجي، السعيد اليجري، حسن الطرابلسي، عبد القادر القاسمي، ومحمد الفضيل الورثلاني[5].

ويقال أن الإمام ابن باديس و الحسن الطرابلسي لم يحضرا اجتماع الهيئة الإدارية التي انتخبت ابن باديس رئيسا بالإجماع غيابيا، والذي ظل يرأسها إلى غاية 1940 كما تم في هذه الجلسة وضع القانون الأساسي للجمعية، وقاموا بترجمة نصه إلى العربية، و إرساله إلى الإدارة الفرنسية للمصادقة عليه، وفعلا تمت المصادقة على القانون من طرف الإدارة بعد خمسة عشر يوما من طلب الاعتماد، وذلك لأنها كانت ترى ابن باديس لن يكون له تأثير سياسي ولن يتعدى عمله الإطار النظري[6].

وقد خابت معتقداتهم كلها، إذ حملت الجمعية على عاتقها مهمة الإصلاح الديني والاجتماعي والفكري والثقافي والاجتماعي، وحاربت الزوايا والطرق الصوفية المتواطئة مع الاستعمار الفرنسي، وكوّنت إطارات مثقفة ثقافة عربية إسلامية[7].

التعريف بالجمعية: تولت الجمعية التعريف بنفسها في منشور صدر في جريدة البصائر ، جاء فيه: إن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين جمعية إسلامية في سيرها و أعمالها، جزائرية في مدارها و أوضاعها، علمية في مبدئها و غاياتها، أُسست لغرض شريف، تستدعيه ضرورة هذا الوطن و طبيعة أهله، ويستلزمه تاريخهم الممتد في القدم إلى قرون و أجيال، وهذا الغرض هو تعليم الدين و لغة العرب التي هي لسانه المعبر عن حقائقه الكبار في المساجد، التي هي بيوت الله، و للصغار في المدارس على وفق أنظمة لا تصادم قانونا جاريا ولا تزاحم نظاما رسميا ولا تضر مصلحة أحد ولا تسيء إلى سمعة أحد، فجميع أعمالها دائرة على الدين، والدين عقيدة

اتفقت جميع أمم الحضارة على حمايتها، وعلى التعليم، والتعليم مهنة اتفقت جميع قوانين الحضارة على احترامها و إكبار أهلها[8].

فمن خلال هذا التعريف نستنتج أن عمل الجمعية وجبهات نضالها وغايات تأسيسها توسعت ونمت بتطور أحداث البلاد وأوضاع المستعمر وسياساته، كما ارتبط ارتباطا وثيقا باستجابة الناس لها، وذيوع صيتها في الداخل والخارج، فكانت راعية الدين واللغة العربية في الجزائر.

وجاء في الفصل الأول من القسم الأول من القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، بقلم رئيسها الإمام عبد الحميد ابن باديس أنها: جمعية إرشادية تهذيبية تحت اسم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مركزها الاجتماعي بنادي التّرقي الكائن ببطحاء الحكومة عدد 09، مدينة الجزائر[9].

كما جاء في المادة الأولى من قانونها الداخلي في الفصل الأول، أنّ الاسم الرسمي القانوني للجمعية هو: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين[10]، ولها ثلاثة اجتماعات إدارية في السنة عند نهاية كل أربعة أشهر قمرية، يختص بأعضاء مجلس الإدارة وجوبا و لغيرهم اختيارا، و اجتماع عمومي و احد في غرة محرم من كل سنة قمرية، إلا في حالة الضرورة، فيعقد رئيسها أكثر من اجتماع إذا أقنع الأعضاء بتلك الحاجة والضرورة وفقا للمادة الأولى والثانية من اللائحة الداخلية للجمعية المعلن عنها سنة 1933 [11].

وكان المجلس الإداري على النحو التالي:

* عبد الحميد بن باديس رئيسا.
* محمد البشير الإبراهيمي نائبا للرئيس.
* محمد الأمين العمودي الكاتب العام.
* الطيب العقبي نائبا للكاتب العام.
* مبارك الميلي أمين المال.
* إبراهيم بيوض نائبا لأمين المال.

* المولود الحافظي عضوا مستشار.
* السعيد اليجري عضوا مستشار.
* حسن الطرابلسي عضوا مستشار.
* محمد الفضيل الورثلاني عضوا مستشار.
* الطيب المهاجي عضوا مستشار.
* مولاي بن شريف عضوا مستشار.
* عبد القادر القاسمي عضوا مستشار.

وقد اعتمدت الجمعية على وسائل مختلفة لتحقيق الأهداف المسطرة في برامجها تضمن وصول مبادئها إلى جميع شرائح المجتمع.

أهداف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في إصلاح ما أفسده الاستعمار:

ارتبطت أهداف جمعية العلماء المسلمين بشكل مباشر بالظروف التي كان عليها المجتمع الجزائري الخاضع للإستعمار الفرنسي، ومن ثَمَّ فقد جاءت على شكل رد فعل معاكس للسياسات التي كانت تفرضها السلطات المستعمرة على الشعب الجزائري ومن أهم أهدافها مايلي:

* المحافظة على الدين الإسلامي في الأمة الجزائرية وذلك بمحاربة الخرافات والبدع والضلالات وإصلاح عقيدة الشعب، وتحصين المسلمين من خطر التبشير والتنصير، وتذكير المسلمين ودعوتهم إلى العلم والعمل بكتاب الله وسنة نبيهم وذلك من خلال المحاضرات والمواعظ والدروس، وواجهت موجة الإلحاد الذي نخر جسد شباب الأمة، وحاربت التجنس ودعاته أشياع فرنسا الهلوعين بماديتها، المبهورين بحضارتها[12].

* إحياء اللغة العربية في الأمة بعد أن تلاشت وانحطت مكانتها في المجتمع وجَهِلَ المسلمون أصولها، وحلت العامية مكانها في الألسنة لدى العوام والخطباء والمفتين.

ويظهر هذا جليا في الخطاب الذي ألقاه الشيخ البشير الإبراهيمي في اجتماع الجمعية العام، حيث يقول: إنّ جمعيتكم هذه أُسست لغايتين شريفتين، لهما في قلب كل عربي مسلم بهذا الوطن مكانة لا تساويها مكانة، وهما إحياء مجد الدين الإسلامي وإحياء مجد اللغة العربية[13]. فلا غرابة أن تُحصر أهداف الجمعية في هاتين الغايتين لأن بهما تصبوالأمة إلى كل الغايات.

* تمجيدهم للتاريخ الإسلامي.
* محاربة الجهل بتثقيف العقول.
* التربية الإيمانية السليمة للناشئة والجيل الصاعد.
* تسليم الأوقاف والمساجد لأهاليها.
* استقلال وأسلمة القضاة.
* الدفاع عن الهوية الجزائرية.
* توحيد كلمة المسلمين في الدين والدنيا على مبدإ الأخوة.
* دعوة الأغنياء للتكتل وخلق مؤسسات اقتصادية يعود نفعها على الأمة في الحاضر والمستقبل بعد الاستقلال[14].

وقد اتخذت الجمعية لتحقيق تلك الأهداف النبيلة مجموعة من الوسائل[15] المتنوعة نلخصها فيما يلي:

01- **المدارس:** فتحت الجمعية العديد من المدارس في ربوع الوطن لتُكوِّن طبقة مثقفة ثقافة عربية إسلامية حديثة تمكنها من مواجهة المشاكل التي تستجد في المجتمع ولتنافس بذلك المدارس الفرنسية، وقد بلغ عددها اكثر من 150 مدرسة نذكر منها: مدرسة الحديث بتلمسان، ومدرسة التربية والتعليم بقسنطينة، ومدرسة الشبيبة الإسلامية بالعاصمة، ومدرسة تهذيب البنين في تبسة[16].

02- **المساجد:** استغلت الجمعية المساجد كمدارس لتعليم وتكوين التلاميذ والكبار حيث كانت تقوم فيه بدروس الوعظ والإرشاد والجواب والسؤال أثناء الدروس، وقد قال عبد الحميد بن باديس: المسجد والتعليم صنوان في الإسلام، ومن يوم ظهر الإسلام

فما بنى الرسول صلى الله عليه وسلم يوم استقر في دار الإسلام بيته، حتى بنى المسجد، ولما بنى المسجد كان يقيم الصلاة فيه ويجلس لتعليم أصحابه، فارتبط المسجد بالتعليم كارتباطه بالصلاة، فكما لا مسجد بدون صلاة، كذلك لا مسجد بدون تعليم وحاجة الإسلام إليه كحاجته إلى الصلاة، فلا إسلام بدون تعليم[17].

وقد حاولت السلطات الفرنسية تجريد المساجد من هذه المهام، إلاّ أنّ الجمعية كانت لها بالمرصاد، فكانت حريصة على استعادتها وبناء مساجد كثيرة منها: مسجد الجامع الأخضر، مسجد سيدي لموش، مسجد سيدي عبد المؤمن، والمسجد الكبير.

03- **الصحافة:** جعلت الجمعية من الصحافة مدارس متنقلة غير محصورة في مكان واحد من أجل تبليغ الناس وتوعية الرأي العام، وأنشأت العديد من الصحف منها: المنتقد، وقد أصدرها عبد الحميد بن باديس قبل تأسيس الجمعية، وهي تمثل لسان نخبة الشباب، فكانت تُحارِب الطرق الصوفية من خلالها، فعطلتها السلطات الفرنسية، وأنشأ ابن باديس مجلة الشهاب التي استمرت في الصدور حتى الحرب العالمية الثانية وواصل فيها محاربته للطرق الصوفية، وكانت ميدانا لكل من يهتم بالإصلاح الفكري والثقافي والاجتماعي، وتوالت الجمعية في إصدار الصحف منها: صحيفة السنة النبوية الشريفة المحمدية، وصحيفة الصراط المستقيم، وصحيفة البصائر.

وكان ابن باديس قد سعى في تحقيق أهدافه المرسومة من خلال نشاطه الصحفي ومن أهم نشاطاته[18]:

* المشاركة في الحركة الصحفية بالكتابة في القضايا التي تهمّ الشعب الجزائري.

* تأكيد الشخصية العربية الإسلامية للجزائريين، وذلك بنشر الوعي الديني والدفاع عن العقيدة الإسلامية مما خالطها من المعتقدات الباطلة.

* جعل الصحافة منبرا لتبادل الآراء والأفكار، وفتح المجال أمام الناشئة وتعويدهم على الكتابة السليمة الهادفة.

04- **النوادي التقافية:** وكانت وظيفتها تثقيف كل الطبقات الشعبية ، إذ أنها كانت تعتبر وسطا جامعا بين المدرسة والجامع، فمن خلالها كانت الجمعية تقوم بنشر الوعي

السياسي والثقافي بين الشباب، وتسهم في تكوين علاقات جديدة بينهم، وتُلقي الدروس والمحاضرات والندوات والاجتماعات وتعالج قضايا دينية وثقافية وفكرية واجتماعية وأشهر هذه النوادي نادي التّرقّي، ونادي التّقدّم، ونادي الاتحاد، ونادي صالح باي، كما انتشرت العديد من النوادي في المدن منها: النادي الإسلامي في ميلة، ونادي النجاح في سيدي بلعباس، ونادي العمل بسكيكدة، ونادي الشباب المسلم في قالمة، وكلها تهدف إلى حماية الشباب من عوامل الانحراف والفساد الخلقي والاجتماعي، واستغلالهم فيما يعود على الأمة بالفائدة، وتربيتهم تربية قومية ووطنية[19].

05- **الكشافة الإسلامية:** واهتم ابن باديس إضافة لما سبق بالكشافة الإسلامية خاصة فَوْجَيْ: الرجاء والصباح، الذي رأى فيهما تطلعا إلى معركة التحرير.

06- **الجمعيات الفنية والرياضية:** واهتمت الجمعية بالجمعيات، منها جمعية الشباب الفني، وهدفها إحياء الفنون الإسلامية والاقتباس من الغرب كالفن التمثيلي لخدمة الفكر الاسلامي، وكذلك جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونة، التي تأسست في تونس سنة 1934، وقد أشرف على تكوين مجلسها الإداري الشيخ محمد البشير الإبراهيمي والتي كانت من أهدافها تقوية الروابط بين الطلبة الجزائريين بتونس، ومساعدة الفقراء والمحتاجين منهم، والإشراف على سير الطلبة من النواحي العلمية والأخلاقية، كما أسس طلبة الجزائر جمعية طلاب شمال إفريقيا في الجزائر سنة 1930، ومثلها في فرنسا حتى تُقَوَّى أواصر الوحدة بين الطلاب المغاربة، وكذلك جمعية التجار والجمعيات الخيرية، فكانت جمعية تجار قسنطينة سنة 1934 برئاسة بلقاسم بوشحة وجمعية أمال التي ضمت التجار الجزائريين من مختلف أنحاء الوطن بعد الحرب العالمية الثانية[20].

وبالإضافة إلى هذه الوسائل التي اتخذت منها الجمعية طريقا لنشر الوعي الثقافي والفكري، نجد الوسائل الظرفية التي كانت تنتج من ظروف مؤقتة كالمشاركة في الاحتجاجات وإرسال الوفود والرسائل والمشاركات في التجمعات، وجاءت كرد فعل

على الإجراءات التعسفية التي تصدرها الإدارة الفرنسية ضد نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين[21].

دور جمعية العلماء المسلمين في إحياء التعاليم الدينية: شهدت الجزائر في العشرينات فراغا ثقافيا، أدى إلى تقهقر الثقافة العربية الإسلامية وتراجعها، الشيئ الذي دفع العلماء إلى القيام بنهضة عربية إسلامية شاملة، كما جاء في قول الشيخ الإبراهيمي: الحداثة وكل ثقافة عصرنا بواسطة اللغة العربية، فبذلت الجمعية جهودا جبارة في نشر التعليم العربي الحر في الجزائر بهدف المحافظة على مقومات الشخصية الوطنية الجزائرية[22]، فقد انصبت جهودها على التربية الأسلامية والتعليم العربي الحر والذي يشمل مبادئ اللغة العربية وآدابها ومبادئ التاريخ الإسلامي والتربية الإسلامية الصالحة وعلوم العصر.

ومرت جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بثلاث مراحل من أجل الإصلاح الثقافي والفكري، فكانت **المرحلة الأولى** انطلاقا من تأسيسها سنة 1931 إلى الحرب العالمية الثانية 1939، وفي هذه المرحلة ركزت على التعريف بمبادئها، ففتحت مدارس حرة، وقد شجع الإمام ابن باديس العلماء على رخصة فتح المدارس الحرة في كامل ربوع الوطن العربي، وتولى بنفسه التعليم في المسجد الأخضر بقسنطينة، وتوجّه محمد الميلي إلى التعليم في المدارس الفرنسية بميلة، أما إبراهيم بيوض فقد حل بالقرارة في وادي مزاب ينشر التعليم العربي هناك[23].

وقامت الجمعية بإنشاء جمعيات إصلاحية محلية تتولى فتح المدارس كما تقوم بدفع رواتب المعلمين وتأمين السكن لهم، وقد بلغ عدد مدارسها سنة 1935، 70 مدرسة استقبلت 30.000 تلميذ من ذكور وإناث، أما في سنة 1938، فقد بلغ عدد مدارسها في قسنطينة 85 مدرسة تضم 4047 تلميذ، أما في الجزائر فقد تزايد عدد المدارس على النحو التالي:

في سنة 1935 بلغ عددها 28 مدرسة، وفي سنة 1937 وصل إلى 33 مدرسة ليبلغ سنة 1938، 68 مدرسة ضمت 9063 تلميذ[24].

كما اعتمدت الجمعية أيضا على التعليم المسجدي، لما يحتويه من مواعظ وتذكير وهي طريقة السلف السابق تذكّر بكتاب من أمهات الكتب وتشرحه وتتجلى عبره وبالصحيح من السنة، فتبينها وتشرحها، وبسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم العلمية تجلوها للناس وتدلهم على مواضع التأسي منها، وسير الصحابة وهديهم ومن جاء بعدهم من السلف الصالح[25].

ومن بين المساجد التي انطلقت منها حركة التعليم الإصلاحي المسجدي، مسجد الجامع الأخضر الذي يقوم بالتدريس فيه عبد الحميد بن باديس، وقد كان يدرس فيه التفسير والحديث والفقه والفرائض والأدب والمواعظ والتجويد والأصول والمنطق والنحو والصرف والبلاغة والتاريخ، معتمدين على أمهات الكتب، كالموطإ وأقرب المسالك الرسالة، المفتاح، التنقيح، أمالي القالي، مقدمة ابن خلدون، وغيرها، ومن أهم الشيوخ الذين رافقوا الإمام ابن باديس في الجامع الأخضر، عبد الحميد بن الحيرش حمزة بكوشة، اللذان تخرجا من جامع الزيتونة، وكان أسلوبهم في التعليم، إطلاق العناية بالمعنى والنفوذ إلى صميمه من أقرب طريق يؤدي إليه[26].

وتنحصر **المرحلة الثانية** في فترة الحرب العالمية الثانية (1939-1944)، فتوقف نشاط الجمعية بسبب الحرب، وبسبب مساومة الاستعمار للعلماء على التعاون معهم مقابل الإبقاء على صحفهم بنشرهم لما يؤيد المستعمر، فرفض العلماء وأوقفوا نشر صحفهم حتى لا يُجبروا بنشر ما لا يريدون، وبسبب رفضهم تم اعتقال الشيخ البشير الإبراهيمي في منطقة آفلو بالأغواط، وبينما هو في معتقله، توفي عبد الحميد بن باديس، فتم انتخابه خلفا لرئيس الجمعية الراحل تحديا للمستعمر الفرنسي[27].

وامتدت **المرحلة الثالثة** من سنة 1944، وهي فترة الانطلاقة الواسعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في نشر التعليم العربي الحر، فبعد الحرب أعيد فتح المدارس المغلقة بأمر من الشيخ الإبراهيمي. وقام بجولات في سائر ربوع الوطن يزكي الروح الوطنية ويؤسس المدارس والنوادي والمساجد، ففي سنة 1948، وصل عدد المدارس إلى حوالي 140 مدرسة موزعة في معظم مدن الجزائر وقُرَاهَا، أما في

سنة 1954، فقد وصل عدد المدارس إلى 150 مدرسة ابتدائية حرة، كان يتردد عليها أكثر من 50.000 تلميذ، بين بنين وبنات يدرسون مبادئ اللغة العربية وآدابها وأصول دينهم، وتاريخ قومهم، ليبلغ عدد المدارس القرآنية في سنة 1955، 400 مدرسة، وبلغ عدد تلاميذها 75.000 من ذكور وإناث و700 مُدرّس[28].

أما فيما يخص تسيير هذه المدارس ونظامها الداخلي، فقد كانت الجمعية تشرف عليها بمساعدة الجمعيات المحلية التي أوجدتها خلال المرحلة الأولى، فقد تركّز اهتمام جمعية العلماء المسلمين على اختيار المعلمين لمدارسها على أساس قوة شخصية المعلم من ناحية وحسن أخلاقه، وكفاءته العلمية، نظرا للدور الكبير الذي يقوم به المعلم واعتماده على الخبرة الشخصية في مجال التعليم، إذ لم يكن للمعلم الحر معاهد خاصة لتكوينهم، ولم تشترط عليهم الجمعية أية شهادة علمية مقابل تعليمهم الحر حتى سنة 1951، حين أصبح اعتبار الشهادات العلمية شرطا أساسيا، وذلك بقرارٍ من لجنة التعليم العليا، لتصبح في سنة 1953 عملية قبول المعلمين تخضع –إضافة للشهادة– لامتحان خاص، وهوأهلية التعليم، وأصبحت الجمعية تُجري مسابقة كل عام، وقد بلغ عدد المعلمين في عام 1951، 275 معلما ومعلمة[29].

كما قامت الجمعية بالإشراف على سلوك ونشاط المعلمين، والإشراف الفني على المدارس واختيار البرامج التعليمية وتأمين الكتب اللازمة، والتفتيش التربوي، والمراقبة الدورية، وبهذا قامت بتوحيد التعليم بإنشاء لجنة التعليم العليا، التي كانت تشرف على كل ما يتعلق بشؤون التعليم في سائر أنحاء البلاد.

وفي عام 1952، قررت الجمعية منح شهادة انتهاء دروس التعليم الابتدائي العربي التي لم تكن موجودة من قبل.

كما أسست الجمعية معهد عبد الحميد بن باديس الثانوي في قسنطينة ليتابع فيه تلاميذ المدارس الابتدائية دراستهم، ووضعوا شروطا لالتحاق الطلبة بهذا المعهد أهمها أن يكون الطالب حافظا للقرآن الكريم، وأن يكون في حالة صحية ومالية تسمح له بمتابعة الدراسة، وأن يكون مستواه لا يقل عن السنة الخامسة، وأن تحصل الجمعية

على موافقة أولياء الأمور عن طريق مديري المدارس، كما أنشأت معاهد أخرى في ربوع الوطن[30].

وقامت الجمعية أيضا بعد اتباع الحركة التعليمية، بتوجيه بعثات علمية إلى المعاهد والجامعات العربية، فكانت أول بعثة في السنة الدراسية 1951-1952، تضمنت 17 طالبا وطالبة واحدة، إلى مصر، وفي الموسم الدراسي 1952-1953، أرسلت بعثة أخرى إلى العراق عددها 11 طالبا، وفي نفس السنة أرسلت بعثة إلى سوريا تتكون من 10 طلاب، وفي سنة 1953، أرسلت بعثة تكونت من 14 طالبا إلى ثانويات الكويت، هذا بالإضافة إلى الطلبة الذين أرسلوا إلى المغرب العربي[31].

نتائج أعمال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الإصلاح الثقافي والفكري:

قامت جمعية العلماء المسلمين بناءً على أهدافها ووسائل تحقيقها بثورة فكرية هيّأت بها الرأي العام وغيّرت فكره وعقليته في كثير من عاداته، وأعمال الجمعية كثيرة جدا قد وقف أعلامها على بعض نتائجها في حياتهم، ولم يشاهدوا النتائج الأخرى التي جنتها وحققتها، يصف أحد أبناء أعلامها تلك الإنجازات البطولية بقوله: إنّ جمعية العلماء قد أحيت الجزائر وبعثت فيها عربيتها التي كادت أن تغيب، وإسلامها الذي كاد يقضى عليه[32]، ونقل الدكتور أبوالقاسم سعد الله تقريرا سريا كتبه مسؤولون فرنسيون في الخمسينات مفاده: أنّ علماء الجمعية كانوا يمثلون أكبر خطر على الفكرة الفرنسية في الجزائر، فشعبُ مدارسهم عبارة عن خلايا سياسية، فالإسلام الذي يمارسونه مدرسة حقيقية للوطنية[33].

وهذه شهادة أحد من خَبِرَ عمل الجمعية عن قرب، التجاني الفولي قائلا: إن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قوة كبيرة في الإسلام لا يستهان بها، ومن العجيب أن يدرك أعداء الإسلام هذه الحقيقة ويحسَبوا لها ألف حساب، ثم يغفل عنها أبناء الإسلام الذين تعمل لهم الجمعية وتذود عن عقائدهم وودينهم ودسائس الاستعمار ومكر الماكرين[34].

ونختصر هذه النتائج والأعمال التي أسهمت في الإصلاح الثقافي والفكري:

– كوّنت جيلا آمن بدينه، وأنه منبع عزّه ومخلّصه من مشكلاته، فاتخذه شعارا لـــه في كل أعماله؛

– أحيت دين الأمة الذي كان على وشك الضياع، حيث التصقت به شوائب ليســت منه، فشوهت صورته وأبطلت فعاليته، وعطلت مقاصده، وتولى كبر الجريمة الشــنيعة بعض الطرق الصوفية التي اتخذته وسيلة للتكسب، فأعادت له الجمعية ســلطانه فــي النفوس، وخلصته من قبضة الاستعمار؛

– جاهدت بالقول والعمل على فتح باب الاجتهاد في الدين بضــوابطه وشــروطه إيمانا منها أنه ضرورة حتمية لمواكبة تطورات العصر والمكان وإيجاد الحلول للقضايا المستجدّة؛

– اقامت توازنا على المستوى الثقافي الحضاري الذي يؤدي بدوره إلــى التــوازن على المستوى السياسي، وذلك من خلال نشاطاتها الكثيرة والمتنوعة في ســائر الــبلاد وخارجها؛

– أحيت اللغة العربية في الأقلام والألسنة، وفضلها فــي ذلــك لا يُنْكَــرُ، وتُــوّج بعضوية رئيسها الثاني في مجمع اللغة العربية، أكبر هيئة تُعنى بشؤون لغــة القــرآن الكريم؛

– غيّرت مجريات الأحداث في الساحة الدينية بأن أضحت مرجعية غالب القطــر الجزائري؛

– وقفت سدا منيعا ضد الإلحاد بأن أظهرت محاسن الــدين ومقاصــد الشــريعة وامتثلت لها؛

– حافظت على دين الأمة حفظا أمينا بما أصدرته من فتاوى زاجرة عن التجنس وزواج الكتابيات، حيث خشيت من خلالهما تمهيد الطريق لرِدَّة المسلمين وأولادهم عن دينهم بقوة القانون الفرنسي الأجنبي، ولقد أبلت بلاءً عظيما في صدّ عدوان المبشــرين الانتهازيين[35]؛

- أنشأت نهضة علمية تعليمية في النوادي لا يُعلم لها مثيل في التاريخ المعاصر من بناء المدارس الحرة والمساجد والنوادي؛
- أعادت التربية الإسلامية إلى عملها المنتظر منها في النشء؛
- حرّكت التاريخ الإسلامي في نفوس المثقفين بعد أن ظل راكدا ساكنا قرونا وأبانت عن طرق الاستفادة منه ليخدم قضايا الأمة الجوهرية؛
- هدمت صرح الجهل وبنت حاضرة العلم في العقول والنفوس على نطاق واسع في طبقات الأمة، ما جعل الحياة الفكرية تنتعش في الساحة تمهيدا للاستقلال العلمي الذي يبنى عليه الإستقلال الأرضي الوطني، فالأول استقلال سيادي، وهو دعامة كل تحرر.
- مهدت للحضارة والنهضة الجديدة المعاصرة، وغرست نواتها في الأمة، فما جنته الجزائر من أعمال وثمرات بعد الاستقلال، إنْ هوإلاّ أثر ونتيجة بعيدة المدى من أعمال الجمعية.
- خدمة القرآن والسنة بالدعوة إليهما، وتفهمهما، والعمل بهما والتّحاكم إليهما.
- لقد أسهمت بنضالها مع غيرها من الجمعيات في التمهيد للكفاح المسلح، ولعل أبلغ وصف لهذه الجهود ما قاله شاعر الثورة مفدي زكريا:

وفي الدار جمعية العلماء تغذي العقول بوحي السماء
وتهدي النفوس الصراط السوي وتغرس فيها معاني الإباء[36]

خاتمة: وفي الأخير، لا بد وأن نُنوه بالنجاح الذي حققته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، رغم المضايقات الشديدة التي تعرضت لها من طرف الاستدمار الفرنسي في إصلاح المجتمع وتوعيته، بفضل إسهامها في تحرير العقول والأبدان، والفكر المنحرف الذي يدعوإلى الاستكانة والرضا بالحكم الرامي إلى طمس الهوية الوطنية وأيضا بمحاولتها تصحيح عقائد الجزائريين، وتطهيرها من شوائب الشرك، والرجوع بهم إلى منابع الإسلام الأصيلة.

الاحالات:

[1] مذكرات الشيخ محمد خير الدين، مؤسسة الضحى، الجزائر، 58/1.

[2] رابح تركي، الشيخ عبد الحميد ابن باديس: فلسفته وجهوده في التربية والتعليم(1900-1940)،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،1969،ص67

[3] محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي(1929-1940)،جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي،الجزء 1، ص 71.

[4] محمد زرمان، معالم الفكر السياسي و الاجتماعي عند الشيخ البشير الإبراهيمي، منشورات جامعة باتنة، الجزائر، ص 15.

[5]عبد الرحمن بن إبراهيم بن العقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر الفترة الأولى 1920-1936، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزء الأول، الجزائر، 1984، ص 84.

[6] عبد الرحمن بن إبراهيم بن العقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر الفترة الأولى 1920-1936، ص 85.

[7] فرحات عباس، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و أثرها الإصلاحي في الجزائر، المدرسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، 1985، ص 113.

[8]جريدة البصائر، العدد 160، 07/أفريل 1939.

[9] من وثيقة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، جمع و إعداد: قسم إحياء تراث الجمعية، دار المعرفة، الجزائر، 2008، ص 21.

[10] المرجع نفسه، ص 37.

[11]من وثيقة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، جمع و إعداد: قسم إحياء تراث الجمعية ص 28.

[12] أهداف وغايات الجمعية بتفصيل في قانونها الأساسي، من وثائق جمعية العلماء المسلمين ص 22-23. و قانونها الداخلي منه، ص 58-72.

[13] محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي(1929-1940)، ص 133.

[14] أهداف وغايات الجمعية بتفصيل في قانونها الأساسي، من وثائق جمعية العلماء المسلمين ص 23. و قانونها الداخلي منه، ص72.

[15]ينظر: تركي رابح عمامرة، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية، موفم للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر،2004،ص 107-108.

[16] عبد الكريم بو الصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطـــور الحركـــة الوطنية الجزائرية، ص 125.

[17] مازن صلاح مطبقاني، عبد الحميد بن باديس،العالم الرباني والزعيم السياسي، دار القلـــم ط2 دمشق، 1999، ص 52.

[18] مازن صلاح مطبقاني، عبد الحميد بن باديس،العالم الرباني والزعيم السياسي، دار القلـــم ط2 دمشق، 1999، ص 68.

[19] تركي رابح عمامرة، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية، ص 366.

[20] مازن صلاح مطبقاني، عبد الحميد بن باديس،العالم الرباني والـــزعيم السياســـي، ص 116-118.

[21] عبد الكريم بو الصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطـــور الحركـــة الوطنية الجزائرية، ص 168

[22] رابح تركي، التعليم القومي والشخصية الوطنية(1931-1956)، الشـــركة الوطنيـــة للنشـــر والتوزيع، الجزائر، 1975،ص 256.

[23] محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر من عام 1931-1975، مطبعة البعث،الجزء 3 قسنطينة،الجزائر،1975، ص 57-79

[24] عبد الكريم بو الصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطـــور الحركـــة الوطنية الجزائرية، ص 135.

[25] المرجع نفسه، ص 209.

[26] عبد الكريم بو الصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطـــور الحركـــة الوطنية الجزائرية، ص 209.

[27] محمد الطاهر فضلاء،الإمام الرائد الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، نشر و طبع وتوزيع مكتبة ومطبعة البعث، قسنطينة،الجزائر،1967،ص27

[28]محمد الطاهر فضلاء،الإمام الرائد الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ، ص 28.

[29] المرجع نفسه، ص 28.

[30]محمد الطاهر فضلاء،الإمام الرائد الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ، ص 29.

[31] رابح تركي، التعليم القومي والشخصية الوطنية(1931-1956)، ص 122-123.

[32]مجلة حضارة الإسلام، عدد خاص بمناسبة وفاة الشيخ الإبراهيمي، نقلا عن الشيخ شـــيبان فـــي مقدمته لمجلة الشهاب، عدد 16، أوت 1965، ص 57.

[33] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ط 3، الجزء الثالـــث، الجزائـــر 1986، ص 101.

[34] مذكرات الشيخ محمد خير الدين، 118/2.

[35]أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي(1830–1954)، دار البصائر، طبعة خاصة عـــن النشاط التبشيري في الجزائر منذ 1830، الجزائر،2007 ، ص 137–140.

[36] مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، المعهد التربوي الوطني، الجزائر، ص 46.

الكتاتيب في عصرنا:
بين الهجر المطلق وإعادة إحياء التقليد

داه. سوسن ابرادشة
جامعة آكلي محند أولحاج، البويرة.

الملخص: تهدف هذه الدراسة للكشف عن الواقع الحقيقي الذي تعيشه الكتاتيب في زمننا الحالي، في ظل تأثر الطفل بالمستجدات التكنولوجية الحديثة، وتوفرها له وإمكانية استغلاله لها وسهولتها في كل الأوقات.

إذ أننا نلحظ أنَّ الكتاتيب باتت مهجورة بصفة كبيرة وواضحة مقارنة بالسنوات الفارطة، وهو ما يدعونا للبحث أيضا في دور الأولياء وقناعتهم بأهمية الكتاب في تنشئة الطفل تنشئةً سويةً وسليمةً، وتفريطهم في هذا الموروث الذي يكاد يندثر في بعض المناطق الكبرى، مع احتفاظ المناطق النائية والمنعزلة على هذا التقليد.

فأين يكمنُ الإشكال الحقيقي من وراء هجر الأطفال الكتاتيب وتفضيلهم للوسائل التكنولوجية الأخرى، على غرار شاشات التلفاز والهواتف المحمولة والألواح الإلكترونية، ونفورهم من الالتحاق بالمساجد والكتاتيب، لتعلم اللغة العربية وحفظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، والاستماع إلى قصص الرسل والأنبياء والصحابة؟

وهل يمكننا تحميل المشايخ والأولياء ذنبا في هذا الابتعاد، ذلك أنّ الحثّ الذي يَبدرُ من الأولياء والمعاملة الحسنة التي يتلقاها الأطفال والتلاميذ من مشايخهم تُقربهم أكثر وتحببهم في الكتاتيب، وتجعلهم أكثر إقبالا عليها؟

الكلمات المفاتيح: الكُتَّاب؛ الطفل؛ المشايخ؛ الأولياء؛ التكنولوجيا.

Summary: This study aims to reveal the real reality experienced by the writers in our present time, in light of the child's being affected by the latest technological developments, their availability, and the possibility of using them and their ease at all times.

As we note that the katibas have become largely abandoned and clear compared to the previous years, which invites us to search also in the role of parents and their conviction of the importance of the book in bringing up the child in a normal and proper way, and their neglect in this heritage that is almost extinct in some major areas, while keeping the remote and isolated areas on This tradition.

Where does the real problem lie behind the abandonment of the katiba children and their preference for other technological means, such as TV screens, mobile phones and electronic tablets, and their aversion to joining mosques and katibas, to learn the Arabic language, memorize the Holy Qur'an and honorable hadiths, and listen to the stories of the messengers, prophets and companions?

Can we hold the Sheikhs and the sins guilty of this guilt away from this, because the urges that are initiated by the saints and the good treatment that children and students receive from their sheikhs, bring them closer and love them in the schools, and make them more popular with them?

Key words: mosques; child; sheikhs; parents; technology.

1- مقدمة: تعتبر الكتاتيب والمدارس القرآنية في مجتمعاتنا الجزائرية مؤسسات لتربية الأطفال وإرشادهم وتعليمهم تعاليم الدين الإسلامي الحنيث، وتحفيظهم القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وأركان الإيمان وعقائده، وكل ما له علاقة وطيدة بالدين الإسلامي، وكل ما يدعو إلى تربية الطفل تربية سوية وسليمة.

فقد عرف المجتمع الجزائري الكتاتيب منذ القديم، وارتبط انتشارها بانتشار الإسلام وعمّرت بتعمير المساجد والجوامع، فكان في كل مسجد وأمام كل جامع ملحق إضافي يسمى "كُتَّاب" يزاول أطفال الحي الدراسة فيه، تحت إشراف شيخهم أو مؤدبهم أو سيدهم أو معلمهم، كما يطيب للأطفال مناداته مع اختلاف كل منطقة، وحسب سن الأطفال المزاولين للكتاتيب.

وبما أنَّ موضوع دراستنا ينطلق في الأساس من واقع الكتاتيب في عصرنا الحالي فإننا ارتأينا إلى الدراسة الميدانية التطبيقية التي عمدنا من خلالها إلى لقاءات عديدة مع مجموعة من المشايخ أو معلمي القرآن، واستجوابهم عن الوضع الحالي الذي تعيشه الكتاتيب، دون نسيان الأطفال موضوع الدراسة، والذين راحوا يبوحون بكل ما يختلج في صدورهم إزاء كتاتيبهم ومشايخهم، ولعلنا بهذا الاستجواب حاولنا كشف الواقع الحقيقي لهذه المؤسسات التربوية التعليمية والدينية، والتي تهدف إلى إبراز مفهوم التربية التي يتلقاها الناشئة في الكتاتيب، كما تُظهر دور معلم الكُتاب في تربية الأطفال ومراعاته الفروق الفردية الموجودة بين الأطفال، ودوره في النصح والإرشاد، إضافة إلى واجباته وعلاقته مع تلاميذه التي باتت منحصرة ومعقدة في حين كان معلم القرآن في القديم من أحبّ الشخصيات التي يتقرب إليها الأطفال ويُقربّها منه، ذلك أنّه النواة الأولى والأهم في المجتمع، لأنّه هو من يلقن الناشئة مبادئ الدين وفق هدي القرآن الكريم وسنة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، وما هي أسباب هجر الأطفال الكتاتيب ولماذا نلحظ هذه الاهتمامات الزائدة بالأجهزة التكنولوجية؟

2- مفهوم التربية: إنّ كلمة التربية من الكلمات الشائعة التداول بين الناس في الحياة العامة، وهي كثيرة الاستعمال فيقال فلان قليل التربية أو فلان حسن التربية كما يقال فلان ربّى أولاده تربية حسنة، وفلان أهمل تربية أولاده، أو معلم أهمل تربية تلاميذه، وفلان أرسل أولاده إلى المدرسة ليتعلموا ويتربوا تربية حسنة...

وإنّ هذا الاستعمال الشائع لكلمة التربية لا يعني بالضرورة أن كل من يستعملها يدرك مدلولها إدراكا جيدا، فقد يكون فهمهم لمعنى التربية فهما سطحيا يقتصر في الغالب على الجانب الأخلاقي فقط.

ويلاحظ أنّ التربية لا تقتصر على الجانب الأخلاقي وحده كما أنها لا تقتصر على المدرسة وحدها أو المجتمع أو المسجد، بل توجد في مجالات عدّة منها:

1. في الأسرة التي تعتبر المدرسة الأولى للولد؛
2. في الكُتاب ومن ثَم المدرسة، حيث يتلقى الطفل التربية والتعليم الأول؛

3. في المجتمع الكبير بكل مؤسساته الدينية، والثقافية، والاجتماعية وغيرها.

ومعنى التربية لغة مأخوذ من فعل "ربّى" الرباعي، أي غذى الولد وجعله ينمو وربى الولد هذّبه فأصلها ربا يربو أي زاد ونما. ويقال: "ورب الولد رباه حتى أدرك وكان العرب يقولون عن الذي ينشئ الولد ويرعاه "المؤدب" والمهذب والمربي والمعلم، غير أنّ لفظة المؤدب أشيع لأنها تفيد الرياضة وتدل على العلم والأخلاق معا والتربية هي عبارة عن طريقة يتوصل بها إلى نمو قوى الإنسان الطبيعية والعقلية والأدبية، فين+

وي تحتها جميع ضروب التعليم والتهذيب التي من شأنها إنارة العقل، وتقويم الطبع"[1]

أما معناها اصطلاحا، فهي تفيد معنى التنمية وهي تتعلق بكل كائن حي، ولكل منها طرائق خاصة لتربيته، وتربية الإنسان تبدأ في الحقيقة قبل ولادته ولا تنتهي إلا بموته وهي تعني باختصار "أن نهيئ الظروف المساعدة لنمو الشخص نموا متكاملا من جميع النواحي لشخصيته العقلية، والخلقية، والجسمية، والروحية، أي أنّ التربية ما هي إلا تهيئة ظروف تتاح فيها الفرص لأن نوجه كل مقومات التربية التي تجعلنا ننشئ الأشخاص صغارا وكبارا تنشئة سليمة من كل النواحي الخلقية، والجسمية والعقلية والروحية."[2]

وقد اختلف العلماء والمربون والنفسانيون والفلاسفة في تعريف التربية منذ القديم وحاول جمع منهم أن يضعوا تعريفا جامعا ومانعا للتربية، ولكنهم اختلفوا في ذلك اختلافات كبيرة نظرا لاختلافهم في تحديد الغرض من التربية وأهدافها في المجتمع.

3- تربية الأولياء والمشايخ "معلمي الكتاتيب" للأطفال: التربية نوعان: "تربية عقلية يشترك فيها الأولياء مع المشايخ وكل ما له تأثير على النمو العقلي للطفل وتربية نفسية يتحكم فيها الآباء بصفة خاصة"[3]، ومن ثَم يظهر دور المعلمين والمربين بصفة عامة، ولأننا بصدد الحديث عن علاقة الأطفال الناشئة بالكتاتيب والمشايخ وأسباب هجرهم ونفورهم فإننا سنسلط الضوء على مفهوم التربية العقلية لما لها من

علاقة وطيدة بعقل الأطفال المرتبط لا إراديا بأمور متغيرة حسب الزمن وحسب كل جيل، ولأنها المتحكمة في رغباته ومزاجياته.

أولا: المقصود بالتربية العقلية هو تكوين فكر الطفل بكل ما هو نافع من العلوم الشرعية، والثقافة العلمية والعصرية، والتوعية الفكرية والحضارية، حتى ينضج الناشئ فكريا، ويتكون علميا وثقافيا، وتعتبر التربية العقلية تربية تثقيف وتعليم وتوعية وإذا كان لابد من بيان المراحل التي يجب أن يسلكها المربون في كل مسؤولية يقومون بها نحو الناشئ، فيظهر لنا أنّ مسؤوليتهم في التربية العقلية تتركز في الأمور التالية:

ا- الواجب التعليمي ب- التوعية الفكرية ج- الصحة العقلية

ا- مسؤولية الواجب التعليمي: لقد حمل الإسلام الآباء والمربين مسؤولية كبرى في تعليم الأطفال، وتنشئتهم على الاغتراف من منبع الثقافة والعلم، وتركيز أذهانهم على الفهم والاستيعاب والمعرفة المجردة، والإدراك الناضج الصحيح، وبهذا تتفتح المواهب ويبرز النبوغ، وتنضج العقول، وتظهر العبقرية.

ومن المعلوم تاريخيا أنّ أول آية نزلت على قلب الرسول الأعظم صلوات ربي وسلامه عليه، في الآيات الأولى من سورة "العلق" قوله تعالى: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴾ [4]

وإذا أردنا أن نستعرض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحض على العلم وترفع من منزلة العلماء نجدها كثيرة ومستفيضة يستظهرها الصغير والكبير ويرويها العالم والمتعلم.

فمن الآيات قوله تعالى: ﴿ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [5]

وقوله تعالى ﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾ [6]

ومن الأحاديث روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنّ رسول الله ﷺ قال: ".. ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة."[7]

وروى الترمذي عن أبي أمامه رضي الله عنه أنّ رسول الله عليه الصلاة والسلام قال: "فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم... إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض وحتى النملة في حجرها، وحتى الحوت ليصلون على معلمي الناس الخير.."[8]

إذا فإنّ دور الأولياء والمشايخ يبدو من هذه النقطة تحديدا، أي من خلال تحديد مفهوم العلم والتعلم للطفل وتحبيبه فيه وترغيبه أكثر من كل الأشياء التي يمكنها أن تشغله عن حبه للتعلم والمعرفة بشتى أنواعها وعلى اختلاف مشاربها.

ب- **مسؤولية التوعية الفكرية:** ومن المسؤوليات الكبرى التي جعلها الإسلام أمانة في عنق الآباء والمربين جميعا توعية الناشئ فكريا منذ حداثة سنه، ونعومة أظافره بالتاريخ الإسلامي عزا ومجدا وبالثقافة الإسلامية العامة روحا وفكرا...

إذ على المربين أن يعرفوا الناشئ منذ أن يعي ويميز الحقائق التالية:

- أن الدين الإسلامي دين خالد وصالح لكل زمان ومكان، لما يمتاز به من مقومات الشمول والتجدد والاستمرار؛
- يجب على المربين أن يعرفوا للناشئ أنّ أمة الإسلام دخلت التاريخ الإسلامي بنبيها الكريم محمد "عليه الصلاة والسلام"، ورجالها العظماء صحابة الرسول، من أمثال: أبي بكر وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وغيرهم جميعا رضي الله عنهم وأرضاهم؛
- على المربين أن يؤدبوا الأطفال على الخصال التي أمرنا بها الله عزّ وجلّ ورسوله الكريم كما ورد في الحديث الذي رواه الطبراني عن علي كرّم الله وجهه قال: "أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب آل بيته، وتلاوة القرآن.."

ج- **مسؤولية الصحة العقلية:** ومن المسؤوليات التي جعلها الله أمانة في عنق الآباء والمربين جميعا:

الاعتناء بصحة عقول أبنائهم وتلامذتهم، فما عليهم إلا أن يقدروها حق تقدير ويرعوها حق رعايتها، حتى يبقى تفكيرهم سليما، وذاكرتهم قوية، وأذهانهم صافية وعقولهم ناضجة.

ومسؤولية الآباء والمربين في صحة الأطفال العقلية تتركز في تجنيبهم المفاسد المنتشرة في المجتمع هنا وهناك، لما لها من تأثير على العقل والذاكرة والجسم الإنساني بشكل عام.

ومما أجمع عليه الأطباء وحذر علماء الصحة منه أنّ المفاسد التي تؤثر على العقل والذاكرة، وتخمل الذهن، وتشل عملية التفكير لدى الطفل، وتحدث أضرارا بالغة لديه هي كما يلي:

1- مفسدة الإنترنت والتطور التكنولوجي: فهي تؤثر على الصحة العقلية للطفل وتعطل وظائف العقل وتسبب الشرود وتقضي على ملكة الاستذكار الذهني، وتضيع أوقات الطفل التي يجب أن تقضى في أمور تفيده أكثر مما تضره؛

2- مفسدة التدخين والمخدرات: فهي بشتى أنواعها ضارة، تقتل الصحة وتذهب العقل وتورث الجنون، وتهيج الأعصاب، وتؤثر على الذاكرة وتضعف ملكة إحضار الذهن والتفكير.

والذي نستخلصه مما تقدّم من بحوث في شأن التربية العقلية، أنّ الواجب التعليمي والتوعية الفكرية والصحة العقلية هي أبرز المسؤوليات في تربية الأطفال العقلية، فإن قصّر الأولياء والمربون والمعلمون في القيام بهذه الواجبات فإنّ الله سبحانه وتعالى سيحاسبهم على تقصيرهم ويسألهم عن نتائج إهمالهم وضياع أولادهم، طبقا لقول رسول الله "صلى الله عليه وسلم" فيما رواه ابن حبان: "إنّ الله سائل كل راع عما استرعاه: حفظ أم ضيع"[9]

ثانيا: التربية النفسية: المقصود بالتربية النفسية هو تربية الناشئة منذ أن يعقلوا على الجرأة والصراحة والشجاعة والشعور بالكمال، وحب الخير للآخرين والانضباط عند الغضب، والتحلي بكل الفضائل النفسية والخلقية على الإطلاق.

والهدف من هذه التربية تكوين شخصية الطفل وتكاملها واتزانها، حتى يستطيع عند بلوغه سن التكليف أن يقوم بالواجبات المكلف بها على أحسن وجه، وأنبل معنى، وأن يكون إنسانا ذا عقل ناضج وتفكير سليم، وتصرف متزن.

وهناك ظواهر يجب على المربين أن يحرروا أولادهم وتلامذتهم منها، ومنها:

ظاهرة الخجل، ظاهرة الخوف، ظاهرة الشعور بالنقص

فمن المعلوم أنّ **ظاهرة الخجل** من طبيعة الأطفال، ولعل أولى إماراته تبدأ في سن الأربعة أشهر، وأما بعد السنة فيصبح الخجل واضحا في الطفل، إذ يدير وجهه أو يغمض عينيه أو يغطي وجهه بكفيه إذا تحدث معه شخص غريب إليه"[10]، وتلعب الوراثة دورها في شدة الخجل عند الأطفال، ولا ينكر ما للبيئة من أثر كبير في ازدياد الخجل أو تعديله، لذلك فإن الأطفال الذين يخالطون غيرهم ويجتمعون مع الناس ويفضلون اللعب مع الأطفال والناس وينفرون من وسائل التكنولوجيا يكونون أكثر الأطفال اجتماعا وسلوكياتهم تكون عادية ومقبولة جدا، ولذلك فإنّ معالجة ظاهرة الخجل تكون من خلال ترك مساحة واسعة للأطفال من أجل اللعب والاختلاط مع أبناء جيلهم وتعريفهم بالخارج ودمجهم فيه.

أما بالنسبة **لظاهرة الخوف**، فهي حالة نفسية تعتري الصغار والكبار، وقد تكون هذه الظاهرة مستحبة إن كانت ضمن الحدود الطبيعية لدى الناشئة لأنها تكون وسيلة لحمايتهم من الحوادث، ولكن إذا ازداد الخوف عن الحد المعتاد وتجاوز حدوده الطبيعية فإنه يسبب قلقا نفسيا، ويمكن أن نعتبرها مشكلة نفسية يجب معالجتها والنظر فيها، ولعلاجها يجب مراعاة الأمور التالية:

– عدم إخافة الطفل ولاسيما عند البكاء بالأمور والأشياء التي تجعله يخاف

– معاملة المعلم لتلاميذه معاملة حسنة، تتصف بالرفق واللين وعدم الصراخ عليهم ومعاقبتهم بالقسوة[11]؛

– تمكين الناشئ منذ أن يعقل بالمخالطة العملية مع الآخرين، وإتاحة المجال له للالتقاء بهم والتعرف عليهم، ليشعر الولد في قرار وجدانه أنه محل عطف ومحبة واحترام مع كل من يجتمع به.

ظاهرة الشعور بالنقص، وتعد هذه الظاهرة من أخطر الظواهر النفسية لتعقيد الطفل وانحرافه وتحويله إلى حياة الرذيلة والشقاء والإجرام، وهناك عوامل تسبب هذه الظاهرة في حياة الطفل نذكر منها:

– التحقير والاهانة اللذين يتعرض لهما الطفل وهو صغير.

– الدلال المفرط الذي يشعره في كثير من الأحيان بالنقص من حوله.

– المفاضلة بين الأولاد، وتعتبر من أكثر العوامل التي تؤدي إلى الشعور بالنقص لدى الطفل.

4– فوائد الكتاتيب للأطفال: إنَّ خصائص التربية التي يتلقاها الطفل في الكتاتيب والزوايا، لها صلة وطيدة بالدين الإسلامي الحنيف وبالتربية الربانية السليمة، ومن أهم مزاياها نذكر:

1– ينشأ الطفل في الكُتّاب تنشئة إسلامية ربانية بحتة، فهي تستمد قواعدها وأصولها من القرآن والسنة اللذان هما من وحي الله، فالتربية الإسلامية ربانية من حيث البداية، فهي تبدأ بتعريف الطفل على قدرة الرب جلّ جلاله، وصفة كمال نعمه عن طريق تأمل الكون وقوى الطبيعة وجميع الكائنات من حوله، والتربية الإسلامية ربانية من حيث الهدف والغاية، فهي باعتمادها على فترة الطفولة تبرهن له إذا التفت نظره إلى ظاهرتي الموت والحياة، وأنه لم يكن يملك أن يوجد نفسه بالشكل الذي يريد ولا أن يرحل عنها برغبته؛

2– الكُتّاب يربي الأطفال تربية شاملة كاملة، والشمول يعني اعتماد المعلمين والمشايخ لقواعد الدين الإسلامي الشامل من كل النواحي، والصالح لكل الأزمان والأمكنة، مصداقا لقوله تعالى: "ما فرطنا في الكتاب من شيء (39)"[12]؛

3- المداومة على الذهاب للكُتّاب والاختلاط بالمعلمين والأطفال منهج وحياة وسلوك: فمن خصائص التربية الإسلامية أنها حياة وسلوك، فالإسلام كمنهج حياة يختلف عن الأديان الأخرى كليا وجزئيا، ويختلف عن الفلسفات الاجتماعية الأخرى من حيث نظرته الكلية إلى الطبيعة الإنسانية، وما ينبغي أن تكون عليه حياة الإنسان وفقا للفطرة التي خلقه الله عليها، ووفقا للغاية التي خلق من أجلها، وتشمل الحياة في الكتاتيب جميع الميول والطاقات والدوافع الفطرية ووجهتها، فمن أعظم ميزات القرآن الكريم أنّه يثير هذه الانفعالات ويربيها، فالتربية الإسلامية التي تعتمد في الكتاتيب فاعلة تشمل الطفل والإنسان بكل جوانبه وتشمل المجتمع بكل نظمه وأوضاعه؛

4- التربية عملية مستمرة مدى الحياة، وأساسها علاقة الطفل بزملائه في الكتاب أو المدرسة بعد ذلك، وما يتعلمه من محيطه الخارجي الأولي، فهي لا تنتهي بزمن معين من عمر الإنسان ولا بمرحلة دراسية معينة.

5- أهداف الكُتّاب: يقصد بالأهداف التربوية للكتاتيب الأغراض والغايات التي تسعى الكتاتيب إلى تحقيقها والوصول إليها، قريبة كانت أم بعيدة، وتحديد الأهداف لأي عمل أمر أساسي قبل الشروع في هذا العمل وتنفيذه، لأن هذا التحديد يؤثر تأثيرا كبيرا في تكييف وتحديد مجال الدراسة وطرقها، ووسائلها وأساليبها التي تحقق هذه الأهداف ومن بين أهم أهداف الكُتّاب نذكر:

1. تكوين الطفل الصحيح جسميا وبدنيا، بحيث يستطيع القيام بدوره وواجبه في عمارة الأرض واستثمار خيراتها، والقيام بأعباء الاستخلاف في الأرض ومهامه، التي جعله الله خليفته فيها؛

2. أن يكون الطفل صاحب خلق حسن، يحبه الله ورسوله الكريم والناس أجمعين وخير مثال على ذلك أنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان ذا خلق عظيم، فلابد من الاقتداء به تأسيا في الدنيا والآخرة؛

3. أن ينشأ الطفل في ظل الكُتّاب، وهو حامل لأخلاق الإسلام العظيم، مثل: الصدق والأمانة والإخلاص وطاعة الوالدين مقتديا برسول الله، الذي يشهد له ربّه حين

قال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[13]، وعملا بقوله ﷺ: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"[14]؛

4. تكوين الطفل المتزن نفسيا وعاطفيا، وذلك بحسن التوجيه وحسن الحوار بين الأطفال ومعلمهم أو مؤدبهم ومعالجته لمشاكلهم النفسية، مما يساعد على تكوين فاعل وعضو نافع لمجتمعه؛

5. صقل مواهب الأطفال ورعايتها، لتكوين الفرد المبدع الذي يتمتع بالمواهب والملكات التي باتت ضرورية وملحة لتقدم المجتمعات في الوقت الحاضر، وذلك بتنمية قدرات الأطفال على التفكير ألابتكاري ووضع الحلول للمشكلات المختلفة واستثارة الذهن بالأسئلة والمناقشات وتوجيه الأطفال إلى الأمور التي قد تكون أكبر من سنهم ورفع همتهم وتنظيم فكرهم؛

6. أنّ في المداومة على الذهاب للكتاب والتمسك بقيمه وقوانينه وقاية للأبناء والبنات من مهاوي الشياطين، والانحرافات المهلكة التي تؤدي بأصحابها إلى الهاوية وتدعوهم إلى التمسك بالفضيلة والقيم النبيلة؛

7. المتمسكون بكتاب الله والعاملون بما يقول هم عند الله من خيار الناس.[15]

6- أسباب هجر الأطفال للكتاتيب: من الواضح جدا، أنَّ الكتاتيب باتت تقليدا لا عادة وأن الأطفال باتوا يفضلون اللعب بوسائل التكنولوجيا عوضا عن الالتحاق بالكتاتيب المجاورة لبيوتهم، وربما في ذلك أسباب عديدة، حاولنا أن نسأل الأطفال في حدّ ذاتهم عنها، وكان من أكثر الأمور التي قوبلنا بها، نذكر:

- الكتاتيب صارت مملة: هذه الجملة التي ترددت كثيرا من طرف الأطفال أنفسهم، حيث أنهم اعتبروا أنّ الكُتاب مملٌّ وهو من الأمكنة التي لا روح فيها، وهو الأمر الذي لا يحثهم على الذهاب إليه.
- التعليم بالكتاتيب باهت لا روح فيه: فنفس المواضيع التي نتعلمها من التلفزيون أو المدرسة أو حتى نسمعها من أهالينا نرددها في الكتاب.

- اللعب بوسائل التكنولوجيا أفضل وأريح: اتفق كل الأطفال المستجوبين على أنّ التمدد ومتابعة فيديوهات اليوتيوب أفضل بكثير من الذهاب للكتاب، وحفظ ما تيسر من القرآن أو الأحاديث، وذلك لما في الإنترنت من متعة ذهنية وراحة جسدية
- المشايخ باتوا لا يحبون تصرفاتنا ويقومون بالنهر أكثر من الشكر: من بين أكثر الأمور التي أشاروا إليها هو تصرفات المعلمين معهم وطريقة تعاملهم معهم والتي اختلفت عن القديم بشكل كبير جدا.
- الأولياء يفضلون بقاءنا بالمنزل خوفا علينا من الشارع، ومن الاختلاط: معظم الأطفال أشاروا إلى أنّ أولياءهم والأمهات خاصة، صرن لا يحبذن فكرة التحاق أطفالهم بالكتاتيب وذلك خوفا عليهم من الشارع والاختلاط، وما يمكنه أن يسبب لهم من حوادث مفاجئة.
- التلفاز وسيلة مسلية، ومشاهدة قنواته أمرا ممتعا: من الواضح أنّ التلفاز هو الوسيلة الأكثر توفرا واستغلالا لدى جميع الأطفال، وهو الموجود في كل البيوت دون استثناء، على عكس الهواتف والألواح الإلكترونية التي قد تندر لدى البعض، لذلك فإنّ جلّ الأطفال صرحوا أنهم يفضلون متابعة برامجهم التلفزيونية والاستمتاع بها عوضا عن المداومة والذهاب للكتاب الذي لا يجدون فيه متعة ولا راحة.

وهو ما يجعلنا نبحث عن دور الشيخ، أو معلم القرآن كما يقال وما هو دوره في إعادة إحياء هذا التقليد الذي يكاد يزول ويندثر.

7- معلم القرآن الناجح ودوره في إعادة إحياء تقليد الكتاتيب: لم تعد رسالة معلم القرآن، أو الشيخ قاصرة على تلقين بعض الحقائق والمعلومات كما كان الحال مع المعلم القديم، وإنما أصبحت رسالة معلم القرآن في الوقت الحالي أعم وأشمل فهو يعنى بأجسام الأطفال قدر عنايته بعقولهم، وهو يعنى بوجدانهم وأخلاقهم أكثر مما يعنى بغرض تحفيظ القرآن والحصول على النجاح بأقرب السبل بل إن معلم القرآن الجديد الذي ننشده فيلسوف اجتماعي يدرك بأحق أهداف الجماعة والطريق الذي تسير فيه ويعمل جاهدا على أن يحقق في أبنائها تلك المواصفات التي تتطلبها النهضة في من

يحملون أمانة المستقبل، فهو يعمل على تزويد الناشئة بالمهارات العملية والاتجاهات العاطفية والعادات العقلية السليمة، وهو مع ذلك يزودهم بالمعلومات والخبرات اللازمة لهم في حاضرهم ومستقبلهم، ولذلك يحق لنا أن نطلق على معلم القرآن أو الشيخ لقب "المعلم المربي" أو "المؤدب" والمهذب كما قلنا منذ البداية.

فمهمته باختصار تكمن في كلمتين هما: التربية والتعليم، وهو من ينوب عن الأولياء في غيابهما في تربية أبنائهم وتعليمهم، وأما عن دوره فهو مسؤول عن توجيه نمو الطفل من الوجهة الصحيحة بحيث يكون منهم المواطنين الصالحين المنتجين فهو يرعى نشأة الأطفال ويحافظ على صحتهم وسلامة أبصارهم وأبدانهم وعقولهم قبل أن يعمد إلى تحفيظهم القرآن الكريم أو يعلمهم بآدابه وفضله.[16]

ومن صفات المعلم الناجح التي ذكرها لنا مجموعة من المعلمين أنفسهم بعد أن تم استجوابهم عن دورهم في تحبيب الأطفال بالكتاتيب، ومحاولتهم النهوض بهذا التقليد نحو الأفضل والأحسن للكتاتيب كدور رعاية وتربية وللأطفال كأكبر المستفيدين من الكتاتيب، نذكر:

- أن يكون بهم رحيما ورفيقا: حيث أنّ الله يرحم من عباده الرحماء، فعلى المعلم وهو البديل عن الأب أن يكون رحيما بأطفاله وأن ينصحهم لكل ما فيه نفعهم وخيرهم وكذلك فليس له أن يكون عابسا، لأن العبوس من الفضاضة، ويطلب منه أن يستعملها عند الحاجة فقط ليدرك الأطفال ان ذلك من باب العقوبة والتأديب.
- أن يكون معهم عادلا: قد يتأثر المعلم بما يقدمه له بعض الأطفال من هدايا أو قد يتقاضى منهم أجورا تخص الحالة المادية للأهل، أو قد يميل لأحد دون آخر لعلم الطفل أو أدبه الزائد، وهنا يحذر المعلم من أن يتخذ مثل تلك المواقف أو أن يلجأ إلى الاعتناء بأحدهم دون الآخر، لأن مثل هذه المعاملة ليست من العدل بشيء.[17]
- النظر في إصلاحهم وأدبهم: من حسن إصلاحهم أن لا يخلط بين الذكر والأنثى، خوفا من أن يشيع الفساد بينهم، كما أن المعلم يجب أن يكون يقظا وحريصا وفطنا لكل تصرفات تلاميذه.

- السهر على إقامة علاقات حسنة فيما بينهم، فلا يدعهم يؤذون بعضهم بعضا أو يعتدي أحد على الآخر، ويؤدبهم في ذلك، كما ينبغي له أن لا يأخذ بشكوى بعضهم على بعض، إلا إذا تأكد من صدق ما قالوا.
- من الناحية التحصيلية، يجب أن يضع المعلم برنامجا يتفقد فيه دراستهم، كما عليه أن يوزع الأعمال بالتساوي بينهم، محاولا إثارة الحماسة والمناقشة وروح التنافس بين أطفاله وتلاميذه، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [18]

8- خاتمة: ختامًا يمكننا تحميل المشايخ والأولياء ذنبا كبيرا في هذا الابتعاد والهجر الذي حصل بين الكتاتيب والأطفال، ذلك أنهما السببين الرئيسين والعاملين المباشرين في التأثير على الطفل من كل النواحي، ذلك أنّ عقل الطفل طري مثل العجينة، يلين كما تلين العجينة، فنَصنع منه ما نشاء.

لذا فإننا خلصنا أنّ هناك واجبات على المشايخ والأولياء، تحبيب الأطفال في الكتاتيب وتقربهم أكثر إليها، فمن واجبات المشايخ نحو الأطفال نذكر:

- معلم القرآن أو الشيخ ينوب على الآباء والأمهات في تربية أبنائهم خارج المنزل، وحين يكونون داخل الكتاب، فالعلاقة بينه وبينهم ينبغي أن تكون ضمن هذا الإطار، وأن تتبني العلاقة بينهما على المحبة والعطف والتوجيه مما يجعلهم يأنسون له، ويبوحون له بكل أسرارهم ومشاكلهم، وخير المعلمين من يستطيع كسب صداقة الأطفال والتقرب منهم لإفضائهم له بمشاكلهم ومحاولته إيجاد الحلول لها والترفيه عنهم.
- إنّ معلم الكتاب الناجح كما يجب أن يكون صالحا في علاقته مع ربه وخالقه فيتعامل معه على أساس من الإيمان والصدق واليقين القوي الذي يدفعه إلى الامتثال إلى الطاعات والعبادات واجتناب النواهي والمنكرات، فإنّه من الواجب عليه أيضا أن يكون صالحا في خلقه وعاداته وسجاياه التي يتعامل بها مع طلابه أو أطفاله.
- كما أنّه يجب أن يكون رحيما ورفيقا بهم، عادلا بينهم، ينظر في صلاحهم وأدبهم، ويسهر على إقامة العلاقات الحسنة فيما بينهم.

أما بالنسبة للأولياء، فمن المسؤوليات التي جعلها الله أمانة في أعناقهم هي متابعة أبنائهم والحفاظ على صلاحهم وراحتهم، والاعتناء بصحة عقول أبنائهم حتى يبقى تفكيرهم سليما، وذاكرتهم قوية وأذهانهم صافية وعقولهم ناضجة.

ومسؤولية الآباء في صحة الأطفال العقلية، تتركز من الأساس في تجنيبهم المفاسد المنتشرة في المجتمع، لما لها من تأثير ضار على العقل والذاكرة والجسم الإنساني بشكل عام، مثل وسائل التكنولوجيا ومواقع الإنترنت غير المفيدة، ولكن أين المفر من كل هذه المغريات والأولياء ذاتهم قد انجروا وتبعوا هذه المفاسد؟

فالإصلاح لابد له أن يشمل الجميع، وأن يبدأ من الأولياء أنفسهم علّ وعسى ينتقل منهم نحو أطفالهم الذين ضاعوا بسبب الغزو التكنولوجي، وهجروا كل ما قد يصلحهم ويريح بالهم وعقولهم وينفعهم لما فيه صلاحهم وهدايتهم وتقواهم.

الاحالات:

[1]تركي رابح: أصول التربية والتعليم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م، ص: 32.

[2] مجموعة مؤلفين: وزارة التربية والتعليم المصرية، المكتبة المدرسية الحديثة، مطبعة وزارة التربية والتعليم، القاهرة، 1962م، ص: 13.

[3] عبد الله ناصح علوان: تربية الأولاد في الإسلام، دار السلام، ط32، 1999م، ص: 195

[4] سورة العلق الآية 1-5

[5]سورة الزمر: الآية 10

[6]سورة المجادلة: الآية 11

[7]نقلا عن عبد الله ناصح علوان: تربية الأولاد في الإسلام، ص: 221

[8]المرجع السابق، ص: 223

[9]كتاب صحيح ابن حبان: سنن الترمذي والنسائي، باب في الخلافة والإمارة، ج10، ص: 344

[10]نبيه الغبرة: المشكلات السلوكية عند الأطفال، مكتبة التوحيد، الأردن، ط3، 1996م ص: 153.

[11] عبد الله ناصح علوان: المرجع السابق، ص: 233

[12]سورة الأنعام: الآية 39

[13]سورة القلم: الآية 04

[14]رواه الترمذي، ص: 223

[15] فيصل أحمد منصوري: تربية الأبناء في الإسلام، دار الفكر، بيروت، 2006م، ص: 46

[16]محمد السرغيني، محمد علي الهمشري، محمد عبد الحميد الدميري، محمد العالم: علم النفس وآداب المهنة، منشورات مكتبة الرشاد، الدار البيضاء، المغرب، فبراير 1971م، ص: 179

[17]ابن سحنون والقابسي: الفكر التربوي، دار اقرأ، بيروت، د ط، 1985م، ص:73

[18]سورة المطففين: الآية 26

المجتمع بين اصالة دور الكتاتيب وحداثة دور الحضانة

داه. معنصر مسعودة

جامعة وهران 02

الملخص: لقد انشغل الأب في توفير سبل العيش، فأصبح لا يجالس أطفاله لتعليمهم حسن التربية. كما انشغلت الأم بما حل عليها من ضغوط للقيام بخدمة أفراد أسرتها، فضاعت تربية الأم التي كانت تجالس أطفالها لتعلمهم إياها.

وفقد الإخوة الكبار القدوة، فأصبحوا في حالة من التيه التربوي وعدم معرفة الطريق، فضاعوا وأضاعوا إخوتهم الصغار الذين يقلدونهم. ولذا لا بد أن تدق كل أسرة ناقوس الخطر داخلها حتى لا يضيع أبناؤها. فالحياة ليست توفير مأكل أو مشرب أو مسكن أو توفير سبل العيش الجيدة فقط، فلا تجد من يعرف حقيقة نبيّه ولا سيرة علمائه ولا يحدد هويته. مثلت الكتاتيب المتخصصة في تحفيظ القرآن الكريم دورًا متميزًا في تكوين الخلفية القرآنية في عقول كثير من أبناء المجتمع لفترة من الزمان ليست بالقصيرة، بل كانت نموذجًا تربويًا فريدًا لم يتوقف دورها عند تحفيظ القرآن فحسب، بل كانت واحة تربوية.ومع مرور الأيام بدأت روض الأطفال تزحف لتحل محل هذه الكتاتيب، وحصرت دور وحصص القرآن في ساعات قليلة، مع العناية بمجالات أخرى كاللغة الإنجليزية والرياضة وغيرها، ومع سعادة الأب والأم بأن طفلهم نطق الكلمات الفرنسية وتناسوا القرآن ومفردات الأخلاق.

المقدمة: انطلاقا من أهمية مرحلة الطفولة في حياة الفرد، ودورها في صقل مواهبه وتنمية شخصيته وتكوينها من الجوانب كافة، العقلية الجسمية، والانفعالية والاجتماعية. أصبح الاهتمام بالطفل وتربيته في الوقت الحاضر يحتل مكانة خاصة وأهمية بارزة لدى مختلف بلدان العالم. وهذا من شأنه أن يجعل العناية به وتربيته ومتابعته أمرا في غاية الأهمية. وقد أظهرت نتائج الدراسات التي

*أجراها "**بلوم**" (1964) أهمية خبرات الطفولة في بناء شخصية الطفل، وأثر هذه الخبرات في النمو العقلي للطفل. فقد استنبط "**بلوم**" مقدار النمو* الذي يحدث في مرحلة الطفولة المبكرة مقارنا" بمقدار النمو العقلي الذي يحدث في مرحلة العمر التالية: فقد ظهر أنه منذ الميلاد وحتى سن أربع سنوات يتكون ما يقارب 50% وإنه في سن أربع سنوات يتكون ما يقارب (30%) من الذكاء، و إنه في مرحلة النمو التالية فإن الذكاء لا ينمو إلا بمقدار (20%) الباقية [1].

إلى جانب ذلك أكدت نتائج الأبحاث التي أجراها" **جان بياجه**" أهمية التعليم قبل المدرسي وتأثيرها في مقدرة الأطفال العقلية وتنشيط نموهم الفكري[2] .

ومن هنا تبرز أهمية فضاءات –**ما قبل المدرسة** – وعلى رأسها رياض الأطفال باعتبارها تؤدي دورا مهّما وبارزا في تربية الطفل ورعايته والاهتمام به وتوجيهه ومساعدته على حل مشكلاته والانتقال به من طفل يعتمد على غيره إلى طفل أكثر استقلالية وقدرة على الاعتماد على نفسه، مع مراعاة كل ما من شأنه ضمان نمو الطفل بشكل متوازن من الجوانب كافة.

لكن رغم ذلك فإن رياض الأطفال جاءت لتلبية حاجة مجتمعية ونتيجة ثقافة عمت خصوصا عندما خرجت المرأة إلى سوق العمل و بالتالي أصبحت هذه الفضاءات ضرورية لا لتلبية حاجات الطفل وحده ،بل لتلبية حاجيات الأسرة العاملة التي أضحت علاقتها عقلانية مجردة و"**تعاقدية** "نفعية محضة، وعلى العكس من ذلك فإن المجتمعات التقليدية ومنها المجتمع الجزائري الذي يمتلك ثقافته الخاصة "**هوية**" التي تتميز "**بالتراحمية** " أي وجود أبعاد غير مادية في العلاقات بين الأفراد إلى حد ما، أي علاقات بين البشر ذات طبيعة إنسانية لا تتأسس على المنفعة الشخصية وحدها. والتراحم المطروح هنا هو مبدأ ينظم مجموعة من المفاهيم الأخلاقية كالترابط والتعاون والإيثار. كما أن هذه القيم تمكننا من التمييز ومعرفة الخط الفاصل بين "**التقليدية**" التي تتسم بدرجة عالية من الإيمانية والإنسانية و"**الحداثية**" باعتبارها قيما تقوم على البرجماتية.

ومن هنا سوف تعمل هذه المجتمعات التقليدية "المجتمعات الإسلامية" على خلق لنفسها مؤسسات اجتماعية وتربوية وثقافية تتماشى وإستراتيجيتها المحلية وكإستراتيجية لتعزيز هويتها أولا ثم إنتاج قيم وتسويقها[3].

لقد تعرضت الهوية والأخلاق والثقافة الإسلامية في السنوات الأخيرة إلى غزو ممنهج اتجاه جميع المجتمعات، سواء بوسائل الإلهاء أم الأغراء أم التخويف أم التنفير أم القمع، وأصبحت الحرب على المربين الذين كان جُلّ اهتمامهم بتربية الأطفال في حلقات تربوية في المساجد، عوضًا عن الكتاتيب التي أخذت في التلاشي، فلا تجدها إلا في بعض الأماكن القليلة من وطننا. حيث انشغل الأب في توفير سبل العيش، فأصبح لا يجالس أطفاله لتعليمهم حسن التربية. كما انشغلت الأم بما حل عليها من ضغوط للقيام بخدمة أفراد أسرتها، فضاعت تربية الأم التي كانت تجالس أطفالها لتعلمهم إياها.

وفقد الإخوة الكبار القدوة، فأصبحوا في حالة من التيه التربوي وعدم معرفة الطريق، فضاعوا وأضاعوا إخوتهم الصغار الذين يقلدونهم. ولذا لا بد أن تدق كل أسرة ناقوس الخطر داخلها حتى لا يضيع أبناؤها.

فالحياة ليست توفير مأكل أو مشرب أو مسكن أو توفير سبل العيش الجيدة فقط فلا تجد من يعرف حقيقة نبيّه ولا سيرة علمائه ولا يحدد هويته.

مثلت الكتاتيب المتخصصة في تحفيظ القرآن الكريم دورًا متميزًا في تكوين الخلفية القرآنية في عقول كثير من أبناء المجتمع في الدول الإسلامية لفترة من الزمان ليست بالقصيرة، بل كانت نموذجًا تربويًا فريدًا لم يتوقف دورها عند تحفيظ القرآن فحسب بل كانت واحة تربوية. ومع مرور الأيام بدأت الحضانات تزحف لتحل محل هذه الكتاتيب، وحصرت دور وحصص القرآن في ساعات قليلة، مع العناية بمجالات أخرى كاللغة الفرنسية والرياضة وغيرها، ومع سعادة الأب والأم بأن طفلهم نطق الكلمات الفرنسية وتناسوا القرآن ومفردات الأخلاق[4].

1-التعليم بالكتاتيب القرآنية في الجزائر في منظور الدراسات النفسية والتربوية المعاصرة: التربية هي الأداة التي تضع الإنسان في بداية طريق النمو والاستفادة من الوسط الاجتماعي القائم، وهي التي تقوم بتكوين الوعي لدى الناشئين، وتغرس في أنفسهم ضرورة التطلع إلى المثل العليا والأهداف الكبرى، حيث يستل المربي من مجموع ما تفيض به ثقافة الأمة، ومما هو متوفر من معرفة، يعتقد أنه أساسي في تكوين من يشرف على تربيته، وقد جاء القرآن الكريم ليربي أمة، وينشئ مجتمعا ويقيم نظاما والتربية تحتاج إلى زمن وإلى تأثير وانفعال بالكلمة، وإلى حركة تترجم التأثير والانفعال إلى واقع، ومن هنا يظهر جليا ذلك الدور التربوي الذي تتحمله الكتاتيب من حيث الأهداف والغايات التربوية، والأطراف اللازم توافرها وتظافرها لإنجاح هذا الدور المهم، وما هي الأساليب والبرامج التربوية في المدارس القرآنية أو الكتاتيب.

لكي نصل إلى الثمرة المرجوة، ونستطيع أن نحقق أهدافنا التربوية في المدارس القرانية، لا بد أن تتكاتف وتتظافر أربعة أطراف يسند بعضها بعضا، ويأخذ بعضها برقاب بعض: "إدارة المدرسة، والمعلم، والطالب، ووالده "أربعة أطراف لها بصماتها المؤثرة في إنجاح الدور التربوي للمدرسة القرآنية او الكتاب، فلا بد أن تسعى إدارة المدارس القرانية –أولا– إلى اختيار المعلم الناجح الذي يجمع بين الكم العلمي والحس التربوي، وأن يكون الإشراف على الكتاتيب متكاملا في كل النواحي، من الناحية الفنية والشكلية، وأيضا من الناحية التربوية والعلمية التي كثيرا ما تتجاهلها إدارة الحلقة.

وفي علاقة الإدارة مع المعلم ينبغي أن يراعى جانب التربية والكيف بالإضافة إلى الكم، وأيضا يكون الذي يتابع المعلم أعلى رتبة علمية وتربوية من المعلم، فيكون صاحب تجربة معروفة وطويلة قدر الإمكان، ويأتي بعد ذلك دور المعلم التربوي المباشر في علاقته مع الطالب –الطرف الثالث– بأن يسعى إلى غرس القيم القرآنية في الطالب، يشعره فيها بالأخوة الصادقة والسعي من أجل مصلحته، ويأتي في الأخير دور الطرف الرابع في إتمام المسيرة التربوية، وهو "أب الطالب" حيث يسعى الأب

إلى إتمام علاقته مع جميع من سبق بدءا من ابنه الذي استودعه في هذه الحلقة، وأيضا مع معلمه وإدارته.

حيث يراقب تطور ابنه التربوي، ويسعى إلى تعزيز القيم والأخلاق الفاضلة التي تلقاها في الحلقة، حتى تتكامل الثمرة وتتضح، وينبغي أن تسعى الإدارة والمعلم إلى التواصل المستمر مع ولي أمر الطالب لمناقشة حال الطالب واطلاع الأب على المستوى الذي وصل إليه، حين تتكامل هذه الأطراف، ويؤدي كل طرف دوره المناط به فإنه أدعى لإنضاج الثمرة.

بداية من الأساليب التي يستخدمها المدرس مع تلاميذه في حلقة التحفيظ ومن أول الناس الذين يقتدي بهم الطالب هم المدرسون إذ أنهم المعلم الأول والشخص المباشر للتربية، فينبغي عليه أن يكون قدوة صالحة حسنة لطلابه، فلا تظهر منه مظاهر ينكرها عليه الطلاب، ثم ربما عملها، فيتعلمون من قوله شيئا ومن فعله شيئا آخر فالمعلم لا يستطيع أن يربي تلاميذه على الفضائل إلا إذا كان هو فاضلا، ولا يستطيع إصلاحهم إلا إذا كان هو نفسه صالحا لأنهم يأخذون عنه بالقدوة أكثر مما يأخذون عنه بالتلقين، ومن الأساليب التربوية التي يسلكها المدرس مع طلابه في حلقة التحفيظ أسلوب الترهيب والترغيب بحيث يغرس في قلوب الطلاب الخوف من الله -تعالى- فأن الله شديد العقاب على العاصين لأمره التاركين لفرائضه، كما أنه يغرس في قلوبهم حب الله تعالى إذ أنه الرؤوف الرحيم، المنعم العظيم، الذي وعد عباده المؤمنين الطائعين المؤدين لحقوق الله بالجنة الواسعة التي فيها الأنهار والأشجار... إلى غيره مما يساعد في بناء الخوف والرجاء منه -سبحانه- و من أهم الأساليب في التربية في الحلقات القصة بالقصص الهادفة، فالقصة لها تأثير على النفس، فعلى المعنيين بهذا الشأن أن يكثروا من القصص النافعة لطلابهم فهو خير عون لهم على تربية الأجيال.

وقام (جلبرت دي لاندشير) بدراسة ميدانية وملاحظات دامت خمسة وعشرين عاما في البلدان النامية. وقد أصدر تقريرا جاء فيه: "آمنت إيمانا عميقا بأنه كلما شرعت مراكز للتعليم قبل الابتدائي مزودة بالمعلمين الأكفاء في العمل بالبلاد النامية، فإنها

تكون مراكز لتنمية المواهب، أقترح تطوير دورها لدى الأطفال وفتح أبوابها لجميع الناس ويقيني أن للسنوات الأولى من الحياة تأثيرا كبيرا على نمو الرجال والأمم لو كنت وزيرا للتعليم بإحدى الدول النامية لما هدأ لي بال حتى أرى بجانبي فريقا يؤمن حقا بأهمية التعليم قبل الابتدائي".[5]

كانت كتاتيب القرآن الكريم في العصور الإسلامية بمنزلة المدارس الابتدائيّة في عصرنا الحاضر، وكان لها أكبر الأثر في الحفاظ على اللغة العربية وانتشارها بين جميع الأعراق المسلمة، إذ كان التلاميذ يتعلّمون فيها القراءة والكتابة العربية والقراءة الصحيحة للقرآن الكريم، كما كان الأطفال المسلمون يتلقّون في هذه الكتاتيب تعاليم الدين الأساسيّة، فيتعرفون على أركان الإسلام ومعنى الإيمان، ويتعلّمون كيفيّة الوضوء والصلاة، إضافة إلى ذلك كان الأطفال يستمعون فيها لجملةٍ من مغازي الرسول ﷺ وحياة أصحابه الكرام.

وفي العصر الحديث حلّت المدرسة العامّة محلّ الكتاتيب، ولكنها أخذت جانبًا علمانيًّا بحتًا على الأغلب، ووصل الأمر ببعض البرامج التعليميّة في الدول العربيّة والإسلاميّة إلى إهمال العربيّة مقابل الاهتمام المبالغ به باللغات الأجنبيّة، ممّا هدّد العربيّة بالضياع.

مع الانتشار الواسع للمدارس بقيت جملةٌ من المجتمعات الإسلاميّة تحافظ على كتاتيب القرآن الكريم وتحرص على إرسال أبنائها إليها بعد العودة من المدارس الرسميّة أو في الصيف في العطلة المدرسيّة الطويلة، وقد كان للكتاتيب دور كبير في الحفاظ على اللغة العربيّة وتعليم القرآن ومبادئ الدين والسيرة النبويّة في ظلّ الإهمال الحكوميّ للعلوم العربيّة والإسلاميّة في برامجها التعليميّة. ارتبطت حركية التعليم بالجزائر منذ عهد قديم بتعليمية اللغة العربية وحفظ القرآن الكريم في مؤسسات خاصة تشرف عليها السلطة الحاكمة أحيانا ويتولى تسييرها وتمويلها في أحيان كثيرة خواص من أهل الخير والصلاح، وتنسب أحيانا أخرى إلى الزوايا ورجال الدين. وقد مثّلت

هذه المؤسسات بنظمات وبرامجها البيداغوجية والمعرفية تراثا علميا ما يـزال جـزء كبير منه في طي النسيان.[6]

1-1- نشأة المؤسسات التربوية القديمة للمدرسة القرآنية: ظهر هذا التعليم فـي أواخر القرن الأول الهجري في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز حيث قام هذا الأخيـر ببعث عشرة فقهاء أهل علم و فضل، فقاموا بنشر تعاليم الإسلام أحسن قيام.و يقول ابن خلدون في هذا الموضوع : و كان هؤلاء الصحابة والتابعون هم أول المعلمـين فـي القيروان الذين نشروا القرآن و السنة.

1-**المساجد:** المسجد هو مكان للعبادة ومدرسة لتعلـيم النـاس القـرآن والكتابـة وتحفيظهم كتاب الله، وهو جامعة مفتوحة تعقد فيها حلقات المسـتويات، فهـي مركـز إعلامي للإسلام، وملجأ لمن لا ملجأ له.

2-**الزوايا:** لقد ظهرت المؤسسة نتيجة التخلف والجهل، وانتشار ظاهرة الزهد عـن الدنيا، والإنشغال بالآخرة، وظهرت الزوايا على نطاق واسـع فـي المـدن والقـرى وخاصة في العهد التركي، والزاوية بيت أو مجموعة من بيوت بناها بعض الفضـلاء لإيواء الضيوف، وقراءة القرآن، وذكر الله. وأهم أعمال الزوايا التربية والتعليم، زيـادة عن أعمالها الثقافية فإنها كانت مركزا للغرباء والفقراء، وملاجئ للمجاهدين والفـدائيين أيام الثورة التحريرية الكبرى ضد فرنسا.

3- **الرباط:** الرباط اسم من رابطة مرابطة إذا لازم ثغر العدو وأطلق هـذا اللفـظ أيضا على بعض التكنات العسكرية التي تقام في الثغور، يحـرس المجاهـدون فيهـا الحدود الإسلامية، والرابطات هي مراكز تشبه إلى حد بعيـد الزوايـا فـي وظائفهـا الاجتماعية والثقافية إلا أن مكان تواجدها يكون قريبا من مواقع الأعداء "الحـدود"، ولا تقتصر الرابطات على مهمة الدفاع عن المواطن والحفاظ على تراثه الإسلامي بل تقوم أيضا بوظيفة التعليم.[7]

4- **الكتاتيب القرآنية:** الكتاب بضم الكاف وتشديد التاء: موضـع تعلـيم الكتـاب والجمع الكتاتيب، واستعمل أحيانا ابن سحنون كلمة "مكتـب" عـوض لفظـة "كتـاب"

ويظهر أن كلمة كتاب يقابلها في مناطق أخرى كلمات "كالمسيد" في الجزائر العاصمة...الخ، الكتاتيب مراكز صغيرة نسبيا، غالبا ما تتضمن حجرة أو حجرتين مهمتهما الأساسية تتمثل في تحفيظ وتعليم القرآن الكريم للصبيان، وقد تكون ملحقة بمسجد كبير.

وقال (ابن باديس) في هذا الشأن: "إن التعليم المسجدي في قسنطينة كان قاصرا على الكبار ولم يكن للصغار إلى الكتاتيب القرآنية، فلما يسر لي الله الإنتساب للتعليم سنة (1913) جعلت من حملة دروسي تعليم صغار الكتاتيب القرآنية بعد خروجهم فكان ذلك أول عهد للناس بتعليم الصغار".

1-2- مساحة الكتاتيب القرآنية:

تختلف هذه المساحة من كتاب إلى آخر وغالبا ما يشتمل الكتاب على أربع حجرات، واحدة لتعليم الصبيان والثانية سكن للطلبة الأفاقين، والثالثة للصلاة والرابعة للمؤونة والأدوات الضرورية، زد على ذلك أن هناك مرافق للوضوء، والوقود والطبخ وغيرها ومثل هذه الكتاتيب توجد بكثرة بنواحي ندرومة منها كتاب أولاد العباس الحوانات، مسيردة،. والتي لا زالت قائمة لحد الآن، يمكن للزائر ان يشاهدها عن كثب.

ويوجد الكتاب على العموم ضمن أحد المنازل بالحي، أو ملحقا بأحد المساجد وكان يبني الكتاب شخص احتسابا لمرضاة الله، أو قد يكتريه معلم عن صاحبه ليعلم فيه بأجرة يتقاضاها من أولياء التلاميذ، وفيما يخص تجهيز الكتاب، فعادة ما يجلس التلميذ على حصائر مصنوعة من الديس، أو على مقاعد خشبية هي عبارة عن لوحات من الخشب المتصل والمستطيلة الشكل والتي لا تكاد ترتفع إلا بسنتمترات على سطح الأرض. إلى أن متطلبات التطور المستمر أدى إلى تغيير طرأ على الكتاب يتعلق الأمر باستخدام مواد البناء الحديثة والتي بدأت تشق طريقها للتأثير بشكل أو بآخر على تخطيط وبناء الكتاب.[8]

1-3- **وظيفة الكتاب:** الكتاب مؤسسة من المؤسسات القديمة في المجتمع الجزائري حيث كانت تقوم بدور هام في خدمة النسق العام خلال فترة زمنية طويلة. ويمكن تلخيص أهم أدوار الكتاب في القيام بالوظائف التالية:

1. تحفيظ القرآن وتعليم مبادئ وأسس الدين الإسلامي؛

2. المحافظة على الإطار العام للشخصية الوطنية، وذلك بالحفاظ على أهم مقومات البقاء والاستمرارية للثقافة والشخصية الوطنية الجزائرية؛

3. ضمان اكتساب المجتمع الحد الأدنى من الثقافة العامة والموحدة والتي لها تأثير مباشر على بقاء واستمرارية مختلف النظم الاجتماعية الأصلية؛

4. تعليم اللغة العربية التي تعتبر إحدى ثوابت الأمة الجزائرية؛

5. كما عملت هذه المؤسسة على تحصين المجتمع من الإستيلاب إبان فترة (132) سنة من الاستعمار الفرنسي.[9]

1-4- **خصائص التعليم الكتابي:** يتميز التعليم الكتابي بعدة خصائص تميزه عن بقية المؤسسات التعليمية الحديثة، ويمكن إيجاز أهمها فيما يلي:

1. إمكانية التعليم الكتابي لجميع أفراد الفئات الاجتماعية بما فيها الغنية والفقيرة

2. شعبية التعليم الكتابي، معناه أن هذا التعليم مرتبط بمناطق ظهور التجمعات السكانية مهما كان مستواها الاقتصادي؛

3. التعليم الكتابي لا يتطلب نفقات تسيير هامة، فهو بذلك اقتصادي من ناحية التكاليف المادية ومن حيث التجهيز والتخطيط؛

4. إن التعليم الكتابي عاش برفقة الجماعات الرعوية، وهذه ميزة فريدة من نوعها؛

5. ارتكاز هذا النوع من التعليم على اتجاهات نفسية دينية لدى المعلم وهذه الاتجاهات توفر جوا خالصا للعمل والفعالية؛

6. إن التعليم الكتابي نابع من حاجات المجتمع المحلي، فهو بذلك نتاج مبادرات شعبية؛

7. ارتباط التعليم الكتابي في نشأته وتطوره بالمجتمعات العربية الإسلامية حيث كان الكتاب وسيلة حيوية من أهم وسائل تحفيظ القرآن الكريم؛

8. إن الوسائل التربوية المستخدمة كاللوحة، والحبر المحلي وأدوات المحو... الخ هي أدوات زهيدة التكاليف، يمكن العثور عليها في البيئة المحلية؛

9. إن الكتاب مؤسسة متواضعة من حيث المظهر الخارجي، إلا أن الطريقة التربوية التعليمية بها عرفت نجاحا كبيرا، وخير دليل على ذلك ظهور العلماء الإجلاء وحماة وحفظة القرآن الكريم، قد تلقوا تعليما بهذه المؤسسة الدينية.

1-5- **الطريقة التربوية بالكتاتيب القرآنية:** يشير الدكتور "تركي رابح" إلى الطرق المستعملة قائلا: "تسود في الزوايا والمساجد طريقة الحفظ والتلقين. فالمعلم هو الذي يشرح، وهو الذي يحلل ما يحتاج إلى تحليل، والمتعلمون عليهم أن يتقبلوا ما يقوله المعلم في معظم الأوقات". وفي هذا الصدد يشير ابن خلدون قائلا: فأما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاختصار على تعليم القرآن فقط، وأخذهم أثناء المدرسة بالرسم ومسائله.

وكان مظهر التربية الإسلامية التدريسية سواء في المساجد أم الكتاتيب هو حلقة الدرس، حيث يجلس المعلم ويتجمع حوله مجموعة من التلاميذ، ولم يكن المعلم يستند إلى نص مكتوب، بل يعتمد هو الآخر على ذاكرته في إلقاء دروسه، وسرعان ما بدأ في استخدام المذكرات حاليا، ومن هذا المنطلق صار الإملاء والإستملاء أسلوبا له قواعده المحددة من طرف المعلمين.

وكانت مدة الدراسة في الكتاب تستمر إلى خمس سنوات تقريبا إلا أن نظام التعليم الإسلامي لا يضمن للتلميذ مرحلة متوسطة أو مرحلة سابقة لمرحلة لمرحلة التعليم بالمسجد، وعلى التلميذ الراغب بعد تخرجه من الكتاب الاستمرار في التعليم أن يبحث لنفسه حلقة بالمسجد أو مقعدا بالمدارس تعده للدراسات المتقدمة غير أن أغلب التلاميذ يقع اختيارهم على حرفة أو صنعة.

وبمجرد الانتهاء من هذه الطريقة السابقة الذكر تكون الحروف قد رسخت في أذهان التلاميذ طبقا لشخصية كل مجموعة من المجموعات، يشرع المعلم في تدريسها مرتبطة بموضوعات وصور محسوسة من بيئة التلميذ، وهذا يمكنه من ايجاد علاقة بين الصور الحسية التي يعرفها خلال اللعب والحياة اليومية العادية وصور الحرف المطلوب منه تعلمه.[10]

1-6- **عرض الطريقة العلمية في التعليم بالكتاب** : جاء تعريف الكتاتيب (Katatib)القرآنية في العديد من المراجع على أنها هي " :الأمكنة التي يتعلم فيها الأطفال القرآن الكريم ومبادئ التربية الإسلامية . والكتّاب بناء بسيط لا يتعدى، في معظم الأحيان، حجرة واحدة متسعة ملحقة بمسجد ليستفاد من مرافقه وتجهيزاته تفرش أرضيتها بحصير يجلس فوقه المعلم ويتحلق حوله المتعلمون، ويستخدم فيه من الأدوات لوح خشبي صغير وأداة للكتابة حسب ما توفره البيئة، ويقوم المتعلم بكتابة الدرس على اللوح، ثم يمحوه بعد أن يتأكد من حفظه ليكتب مكانه درساً جديداً."

ويعتبر الكتاب القرآني في حد ذاته مدرسة فريدة من نوعها لها خصوصياتها ومكوناتها وأسلوبها الفريد من نوعه، ويجب المحافظة على طابعه التقليدي العريق، إذ يتبع التعليم في الكتّاب طرقاً متنوعة من أهمها:

ـ طريقة التعلم الذاتي:(Self –Learning)

أي أن كل متعلم يتولى حفظ الحصة التي حددها له معلمه، ثم يقدم حصيلة عمله في اليوم التالي ليقوّمها المعلم، فيشجعه إن هو أحسن ويشير عليه بالمرور إلى الدرس التالي، أو فيعاقبه إن هو أهمل شيئاً من الحصة الفارطة.

ـ طريقة التعلم الفردي:(Individual–Learning)

أي أن لكل متعلم برنامجه الخاص يسير فيه بحسب قدراته وطاقته ولكن تحت مراقبة وأعين الفقيه وحسب تعليماتها.

ــ طريقة التعلم المتبادل:(Mutual-Learning)

فيقوم المتفوقون من المتعلمين في الكتاب بعد انتهاء واجباتهم بتعليم زملائهم الصغار (وتلكم طريقة رائعة لغرس مبدأ الإحسان والتضامن والتكافل الاجتماعي في نفوس الصغار).

طريقة الحلقة في التعلم:(Circle-shape Learning)

هي الطريقة المتعارف عليها اليوم بمصطلح "المحاضرة"، إذ يتولى الفقيه دور المحاضر ليلقي درساً في الأخلاق أو العبادة أو غيرها، ويسمح للحضور بالمداخلة وإبداء الرأي أو المشاركة في المستويات المتقدمة أو مرحلة النضج[11] .

عندما يحضر التلميذ لأول مرة إلى الكتاب يقدم له الفقيه لوحة ويسجل فيها حروف الهجاء العربية في جهة واحدة، أما الجهة الثانية فيسجل عليها سورة الفاتحة ثم يبدأ المعلم في تلقين التلميذ هذه السورة جملة ليحفظها سماعا بدون تهجية وبدون فهم، فإذا ما حفظها في أسبوع مثلا يمحوها بماء طاهر ثم يدهنها بمادة الصلصال ويتركها في الشمس أو قرب النار لتنشف، ثم تسطر بقلم الرصاص، ويكتب المعلم سورة الناس للحفظ بالتلقين وبالسماع وهكذا صعدا مع المصحف.

أما حروف الهجاء فتبقى مسجلة في تلك الجهة من اللوحة لمدة أشهر حتى يحفظها التلميذ عن ظهر قلب، يحفظها أولا بأسمائها: ألف، باء، تاء... ياء، همزة. ثم ينتقل التلميذ إلى نطقها هكذا باللغة العامية: "ألف ما ينطقش"، الباء وحدة من تحت... الخ.ثم ينتقل التلميذ إلى معرفة صور الحروف وأشكالها، و معرفة وجه الشبه بينها و بين بعض الأدوات المحسوسة التي يشاهدها التلميذ كل يوم و ينطق بها هكذا : الألف كالعصا، الجيم كالمخطاف، و هكذا حتى آخر حرف.

وبعد هذا كله ينتقل التلميذ إلى معرفة كيفية النطق بالحروف وللطفل سور من القرآن الكريم في جهة من اللوح، ثم تأتي مرحلة ثانية تتمثل في كتابة المعلم سطورا من القرآن في جهة من اللوح وعلى التلميذ أن يمر بقلمه الغليظ على ما كتبه المعلم.

ثم تأتي المرحلة الثالثة: يكتب المعلم سطرا ويترك سطرا فارغا فيأتي التلميذ لينقل ما كتبه معلمه في السطر الأعلى محاكيا إياه والقصد من هذه المرحلة الأولية يتمثل في تدريب التلميذ على حسن إمساك القلم والتحكم فيه صعودا ونزولا ومشيا به إلى الأمام وإلى الخلف ورفعه للتنقيط وهكذا.

أما المرحلة الرابعة فيأتي دور التهجي يهجي التلميذ الكلمة التي يمليها عليه المعلم فيعدد حروفها، ويرجع عند كل حرف يريد كتابته إلى حروف الهجاء المرسومة في اللوحة، ويسجل الحرف المعني بصورته وحركته وينقطه إن كان يحمل نقطة وهكذا.

وكخلاصة نقول إن الطريقة التربوية التعليمية التي كانت متبعة في الكتاتيب هي قديمة وجدت مع وجود هذه المؤسسات، وبالرغم من أن هذه الطريقة لها ما يعاب عليها إلا أننا لا يجب أن ننكر مدى فعاليتها في شتى المجالات: الخلقية الاجتماعية التحفيظية ومحو الأمية... الخ.

والنقد القائل بأن الطريقة المتبعة في هذه المؤسسات الدينية قد أهملت بصفة كاملة نفسية الطفل من حيث قدراته العقلية واستعداداته وميولاته لا تجد له الآن مبررا قاطعا في ذلك لأن معظم الكتاتيب الحالية وخاصة بعد ظهور علم النفس واستقلاله عن الفلسفة، أصبحت تنظر إلى الطفل على أنه ينفرد بشخصيته التي تميزه عن الآخر، وإن أهملت الحقبة الزمنية القديمة التي عاشتها الكتاتيب نفسية الطفل فذلك عيب العصر كله.[12]

1-7- واقعُ الكتاتيب اليوم: لقد ضَعُفَ دورُ الكتاتيب في عصرنا الحالي نظرًا لحلول المدرسة والتعليم الرسميّ محلّها، ولكنها ما زالت مستمرّة في معظم المجتمعات الإسلاميّة في فترة الإجازة الصيفيّة أو بعد العودة من المدرسة، ومع كلّ التهميش والمضايقات التي تُحاصِرُها فما زالت قائمةً بفضل الله، وقد اتخذت بعض القوى المتنفذة في العالم من هجمات الحادي عشر من سبتمبر عام (2001) حجة للضغط على الدول الإسلامية لإجبارها على إغلاق كثير من كتاتيب تعليم القرآن الكريم، كما حدث في باكستان وأفغانستان وغيرها من الدول بحجة أن هذه الكتاتيب تخرِّج

"المتطرفين "، وقد وجدت بعض الحكومات في ذلك الوقت في التوجه الأمريكي حجة للتضييق على الكتاتيب والمدارس الإسلامية من خلال إغلاقها أو التدخل في شؤونها وبرامجها الداخلية.

إن عدم إدراكِ أهمّيّة الكتاتيب القرآنية ودورِها في الحفاظ على الدين واللغة من قبل بعض المجتمعات يُهدّدُ مستقبلَها، ممّا يوجِبُ علينا التعريفَ الدائمَ بدورها في المجتمع والحرصَ على دعم مسيرتها.

رغم ما هو معلومٌ للجميع من إيجابياتِ هذه الكتاتيبِ فإنّها لا تخلو من بعض المآخذ، منها:

– أنّ بعضَ المعلمينَ لا يهتمّ بمن تحت يدِهِ بمقدار ما يهتمّ بما يجني منهم من رزقٍ زهيدٍ سواء من أئمّة مساجد أم سواهم، وبعضهم متطوّعون لا ينالون مقابل عملهم أجرًا ممّا يُشغلهم عن التفرّغ التامّ للتعليم؛

– ضعفُ التكوينِ العلميّ والمنهجيّ للشيخ المعلّم، فأغلبهم لا يزيدون على حفظ القرآن الكريم، دون إلمامٍ بعلومِ اللغة أو التفسير، ممّا يقيم قطيعة بين تلاوة القرآن الكريم وفهمِهِ، وبين الحفظِ والسلوكِ؛

– قصورُ البرنامج التعليميّ فيها عن الحِفاظ على شخصيّة اليافعين في مواجهة دعوات التطرّف والغلوّ التي تستغلّ حماس طلّاب القرآن لخدمة الإسلام، إذ تقوم بتوجيه بعضهم إلى خدمة أهدافها الشريرة؛

– ومن سلبيات الكتاتيب قديمًا وحديثًا الاهتمام بتحفيظ الذكور دون الإناث في أغلب الأحيان؛

– عدم الاهتمام بطرق التعليم الحديثة –التي تتناسب أكثر مع تركيبة الطفل في عصرنا– وما فيها من وسائل التحفيز التي تحبّب الطالب بكتاب الله، وتجعله يتردّد على الكُتّاب بفرحٍ وشَغَفٍ.

2– دور روضة الأطفال في تنمية شخصية الطفل: *انطلاقا من أهمية مرحلة الطفولة في حياة الفرد، ودورها في صقل مواهبه وتنمية شخصيته وتكوينها من*

الجوانب كافة، العقلية، الجسمية، والانفعالية، والاجتماعية... أصبح الاهتمام بالطفل وتربيته في الوقت الحاضر يحتل مكانة خاصة وأهمية بارزة لدى مختلف بلدان العالم.[13]

إلى جانب ذلك أكدت نتائج الأبحاث أهمية التعليم قبل المدرسي وتأثيرها في مقدرة الأطفال العقلية وتنشيط نموهم الفكري. ومن هنا تبرز أهمية فضاءات –**ما قبل المدرسة** – وعلى رأسها رياض الأطفال باعتبارها تؤدي دورا مهّما وبارزا في تربية الطفل ورعايته و الاهتمام به وتوجيهه ومساعدته على حل مشكلاته و الانتقال به من طفل يعتمد على غيره إلى طفل أكثر استقلالية وقدرة على الاعتماد على نفسه، مع مراعاة كل ما من شأنه ضمان نمو الطفل بشكل متوازن من الجوانب كافة[14].

2-1-مفهوم روضة الأطفال: هي المدرسة التي تستقبل الأطفال من سن (4 إلى 6) حسب تقسيم مراحل النمو .وهي المدرسة التي تعد للفترة الثانية من المرحلة الأولى للنمو. وهي مرحلة فائقة الأهمية لأنها تلبي مطالب النمو فيما قبل السن المدرسي، ولما تمتاز به هذه الفترة من خصائص. إذ إن الصغير في هذه الفترة يكون قد اجتاز مرحلة الطفولة العاجزة، واكتسبت بعض أعضائه نضجا مما يشعر الصغير بقدرته على الاستقلال عن أسرته بعض الوقت. وينزع به إلى تحقيق هذه القدرة وتأكيدها عن طريق الاتصال بمجتمعات أخرى. ويتجاوز نشاط طفل هذه المرحلة المظهر الحركي إلى المظاهر العقلية واللغوية والاجتماعية، والثقافية.

والمقصود بروضة الأطفال تلك المؤسسة التربوية التي تقع بين البيت ودار الحضانة، وبين المدرسة، والتي تعنى بتربية الأطفال الصغار فيما قبل المرحلة المدرسية. والعمل على استمرارية تنشئتهم الاجتماعية وتهذيب سلوكهم ورعايتهم صحيا ونفسيا وعقليا وروحيا وخلقيا، واجتماعيا. والتي تقوم أساليب التربية والتعليم فيها على أساس من النشاط، واللعب المنظم، والخبرة العملية، والاستجابة لخصائص وحاجات وميول الطفل فيما بين الثالثة والسادسة من عمره، على أساس من العقوبة والتسامح، والمرونة في العلاقات السائدة فيها وعلى معاملة الطفل فيها كطفل.

وحسب هذا ، فإن روضة الأطفال تعتبر إحدى مؤسسات المجتمع التي تعنى بتنشئة وتربية ورعاية أطفاله وتهيئتهم وتأهيلهم لحياة دراسية، واجتماعية مقبلة أكثر فاعلية ونجاحا. وتعتبر جهودها في جميع المجالات تدعيما لجهود البيت، ولجهود دار الحضانة إن كانت، وتمهيدا وتأهيلا وتيسيرا لعمل المدرسة الابتدائية وما بعدها. فإن المرحلة العمرية التي تقابل مرحلة رياض الاطفال هي مرحلة الطفولة المبكرة (3-5).[15]

من توصيات المؤتمر الدولي للتربية المنعقد في سويسرا سنة (1961) في دورته (17)، بأن تعمل السلطات المسؤولة على تشجيع استحداث مؤسسات ما قبل المدرسة والتوسع فيها، وتنميتها. وهو ما يعبر عنه الآن بالروضة. وأحيانا باسم مدرسة اللعب نظرا لما للعب من أهمية في بناء منهاج الروضة، والدور الذي تلعبه في تحقيق أهدافها، وازدياد الإقبال على الروضة، والدور الذي تلعبه في تحقيق أهدافها.

وازدياد الإقبال على الروضات في بلادنا والاهتمام بالطفل والعناية به في المراحل الأولى من حياته هو نتيجة اعتبار الطفل محور العملية التربوية وتزويده بمهارات تساعده على تكامل شخصيته، وبنائها بشكل متماسك، وإبراز ميوله. تاريخيا : أكد (أفلاطون) على فوائد التربية للصغار، تربيتهم خارج البيوت، وتدريبهم وتصنيفهم بعد ذلك لتوزيعهم وفق مفهومه الطبقي على أساس درجات ذكائهم وقدراتهم. وكانت أولى الإشارات التربوية التي نبهت الأذهان إلى أهمية التربية في إحداث التغيير الاجتماعي، وفي إعادة بناء المجتمع. وقد أشار أفلاطون إلى أن الجمهورية المثالية لا يمكن أن تستقر إلا إذا وجد لها نظام تربوي يحافظ على طبيعتها وتراثها. وهذه حقيقة من حقائق أصول التربية لا يمكن أن نغفلها. وكانت الخطوة الأولى هي انتزاع الأطفال من آبائهم الحاليين كنقطة بداية لتكافؤ الفرص التعليمية التي هي في نظره قمة الديمقراطية.

في العصور الحديثة بين (1810) و(1830) أنشئت دور للحضانة في بريطانيا وألمانيا، وإيطاليا. وأصبحت مألوفة في ألمانيا على يد فروبل. وتأسست أول روضة

في لندن (1909)، أسستها الأختان: (ماجريت وراشيل مكمـــلان) للعنايـــة بالأطفـــال المهملين، الفقراء، مع التغذية والرعاية الصحية، واعتماد الشدة والصرامة في التربية.

وفي إيطاليا أخذت (منتسوري) تعنى بالأطفال الذين تعمل أمهاتهم خـــارج البيـــوت فأنشأت الرياض التي تشجع الأطفال على استخدام مواد مختلفة لتنمية المهارات العقليـــة والحركية عندهم. وشعارها: " الطفل الذي يملأ وقته هو الطفل السعيد". وأخذت بتعلـــيم الأمهات طرقا خاصة في العناية بالأطفال، ثم أصبح التعاون مع الآباء جزءا هاما مـــن برنامج الروضة.

ولم يكن المشرفون على هذه الرياض أول الأمر أكثر مـــن مدرســـين عـــاديين، أو ممرضين، أو إحدى الأمهات التي ترغب في أن تبقى في المؤسسة إلى جانب أولادها. وكانت تنقصهم الخبرة والتدريب.

وفي الروضة يعد الطفل لدخول المدرسة الابتدائية. وللنشاط الذي يقوم به الطفـــل عن طريق اللعب دور هام. وتقوم الفلسفة التربوية الحديثة بإشراك الأهل فـــي مرحلـــة الروضة وذلك بإمدادهم بالثقافة اللازمة لهذه المرحلة. بعض الأمهات كـــن يشـــاركن فعليا في إعداد بعض الواجبات والأشغال اليدوية، والفنية في مدارس الروضـــة التـــي تضم أبناءهن. والروضة تهيئ للطفل فرصا كثيرة منهـــا :زيـــادة النشـــاط الحركـــي وممارسة المهارات اليدوية بما يتناسب مع قدراته وحجمه :"والروضـــة تعمـــل علـــى مساعدة الطفل في إنارة تفكيره، وتوفر له الفرصة للتجربة، وحل المشكلات، واستخدام الخيال بواسطة ما فيها من مواد وتجهيزات، وما تعده من تخطيط جيد. فكل هذا يعمـــل على تنمية تفكيره ويثير فيه الفضول للمعرفة وحب الاستطلاع".[16]

والروضة تحل محل البيت لان الطفل لا يقضي ســـوى ســـاعات محـــدودة فـــي الروضة، والبيـــت هـــو المكـــان الـــذي يجـــب أن يتلقـــى فيـــه أســـاليب الحيـــاة. إن الروضة مكملة للبيت، وليست بديلا عنه. غير أنها تختلف عن البيت في أنها تـــوفر أول فرصة للولد للاختلاط بغيره ممن هم خارج نطاق الأســـرة بعيـــدا عـــن مراقبـــة الأمهات. وتضع الروضة للطفل أسس التعامل مع الكبار، وكيف يتقبل الصغير ســـلطة

الكبير. ومن أولى أهداف التربية لمرحلة الروضة تعزيز ثقة الأولاد بأنفسهم وبالآخرين. فهذا ما يجعلهم يرتاحون إلى واجباتهم في المستقبل، ولا يعتبرون العمل إرهاقا لهم. والطفل في سنواته الأولى يثق بكل من يرعاه ويقدم له العناية. ويتأثر بنوع خاص بالجو العائلي الأسري الذي يسود عائلته، وينعكس ذلك على سلوكه مع الآخرين. وتلعب معلمة الروضة دورا بارزا في حياة الطفل، فهو يراقب ويسمع ويقلد. وإذا بنى الطفل علاقات سليمة مع الكبار ساعده ذلك على بناء علاقاته الإنسانية مع الناس، فيحبهم ويحترمهم، ويشعر بكثير من الثقة بالنفس عندما يقوم وحده بعمل وهو يعبر عن هذا الحماس بقوله "دعني أعمل كذا..." وإذا كلف بعمل ما أسرع في إنجازه، وذلك كله بتأثير المناخ العاطفي، والقدر الذي يمنحه إياه الكبار من هذه العاطفة.

إن من المهام الرئيسية لروضة الأطفال أنها تعمل على استمرارية تنشئة الأطفال اجتماعيا واستمرارية تربيتهم ورعايتهم الشاملة، وعلى تيسير وتوجيه عمليات نموهم الجسمي والعاطفي، والوجداني والعقلي، والروحي، والخلقي والاجتماعي. وعلى تهذيب سلوكهم وتعليمهم مبادئ القراءة والكتابة والحساب، وإعدادهم للمدرسة، ونقل تراث أمتهم إليهم.

والمعاملة المستخدمة أو التي ينبغي أن تستخدم، هي التربية القائمة على العفوية في العلاقات، وعلى الحب، والعطف، والتقدير والتسامح.

3- ما الفرق بين روض الأطفال والكتاب القرآني؟:

لسنا في حاجة للتطرق إلى الجوانب البديهية المتباينة من حيث وجه المقارنة بين روض الأطفال والكتاب القرآني، فلكل خصوصيته ومكوناته العمرانية من حيث الشكل الهندسي والتصميم وعدد حجرات الدرس وغير ذلك. وكما قلنا، فالفرق بينهما من ناحية الشكل والتصميم متباين وبشكل واضح، ولكن ما يهمنا هي الأهداف وطرق التدريس ومدى مستوى الاستيعاب والتلقي عند الصغار في كل من هاتين المؤسستين :

1- التعليم في الروضة: يمكن الجزم بأن خصوصية روض الأطفال وفكرة تبنيه هي وليدة الليبيرالية الحديثة، وكذلك عصر النهضة الأوروبية حيث دفعت الحاجة الاقتصادية إلى تضافر جهود الوالدين معاً وولوجهما سوق الشغل لسد حاجياتهما المعاشية وإمكانية توفير قوت أطفالهما. ولا شك أن الهدف من إرسال الصغار إلى روض الأطفال لم يكن موضعاً اختيارياً بقدر ما هو قدرٌ محتوم وليد إكراهات خارجة عن إرادة الأبوين أحياناً .

وبما أن الأمر أصبح اقتصادياً تحكمه الربحية والتنافس والضرائب وغيرها، فلا شك أن التعليم بروض الأطفال أصبح بدوره سلعة كباقي السلع معرض للربح والخسارة. وبما أن الأمر كذلك، فقد أصبح التركيز على الكم لا الكيف، وأصبح التعليم في الروض يقتصر على الأبجديات والتلوين والقدرة على تصفيف وترتيب الحروف واللعب في معظم الأوقات فحسب .

وهكذا، يقضي الصغار "وفي سن جد مبكرة أحيانا، بل حتى قبل الفطام" في حجرات ضيقة لا تتوفر أحياناً على أبسط شروط التعلم أو التربية أو السلامة، ناهيك عن عدم وجود مناهج مجربة ولا حتى طاقم تدريس مؤهل ومتخصص. وبذلك يفتقر روض الأطفال أحياناً إلى وجود خطة تربوية وتعليمية واضحة ويبقى هدفه الأسمى هي القدرة على حجز الصغار وتكديسهم في أماكن ضيقة لا تليق بنفوسهم التواقة إلى الركض والتحرك بكل أريحية وبراءة.

وللإشارة، هنالك أسر جرفتها أمواج الموضة وتقفي آثار الغير، فزجت بصغارها إلى الروض، وأسر أخرى زجت بالصغار إلى الروض ليس من أجل التربية والتعليم بل للتخلص منهم ومن إزعاجهم، أو لتوفير الوقت للدردشة أو ضياع الوقت مع الجيران أو الغير، ناهيك عن أن تركيز المربين والمربيات قد لا يكون على غرس الأخلاق الحميدة، بل يكون على القدرة على ابتكار طرق اللعب أو غيرها .

2- التعليم في الكتاب القرآني : قد تكون المقارنة بين أهداف العملية التربوية والتعليمية بين روض الأطفال والكتاب القرآني كمن يحاول جزافاً المقارنة بين "الجبنة والطباشير" كما يقال (Chalk & Cheese)نظراً لتباين الأهداف والغاية لدى كل منهما .

وللوقوف على أهداف الكتاب القرآني يمكن القول أن الغاية السامية من تلقين الصغار الكتابة والقراءة عبر مراحل وبتدريج، ثم عملية حفظ ما تيسر من القرآن الكريم يحقق العديد من الجوانب الإيجابية فيما يخص صقل مواهب الطفل وتنمية مهاراته اللغوية والحسية. كما أن الكتاب القرآني يعمل على تعليم الصغار كيفية الوضوء والنظافة والصلاة وكذلك الحث على الأخلاق الفاضلة والتعاون والإخاء[17].

خلاصة: لقد أصبح جلياً أن الوضع الاقتصادي والاجتماعي -خاصة في المدن- قد دفع بالكثير من الناس إلى الزج بأبنائهم إلى ما يسمى بروض الأطفال والذي هو في بعض الأحيان إلا سجن مصغر يًحرم فيه الطفل من سمات ومكونات طفولته الطبيعية. وقد انتشرت مؤسسات روض الأطفال وغزت أحياء الأغنياء والفقراء على حد سواء وأصبحت تزاحم الكتاتيب القرآنية، بل حولت بعضها إلى روض أطفال واكتست بصبغة تجارية محضة همها الربح وإغراء أكبر عدد ممكن من الزبناء .

وفي زمن غير بعيد، كان للكتاتيب القرآنية-رغم بساطتها وتواضعها- شأن كبير في المجتمع، إذ ربّت أجيالاً كثيرة على حسن الخلق والانضباط وعن الفضيلة والتسامح وحب الوطن. ومنذ أمد غير بعيد، كانت الكتاتيب القرآنية سنداً فعلياً وعوناً للمدرسة العمومية، إذ تبث أن من ختم القرآن في مرحلة مبكرة تكون حصيلته اللغوية ما يقارب خمسين ألف (50000) كلمة، بينما حصيلته في تعلم لغته العامية لا تتجاوز ثلاثة آلاف (3000) كلمة .

وقد كانت مرحلة الكتاب القرآني في زمن غير بعيد هي المرحلة الأولى التي يمر بها الطفل قبل بلوغ سن التمدرس في المدارس العصرية، فكان تركيزها بالدرجة الأولى على التربية الحقة والتعليم من خلال التركيز على تلك الأهداف السامية وتحفيظ

القرآن الكريم والتركيز على الأخلاق الفاضلة سنداً فعلياً وحقيقياً للمدرسة العمومية عجزت عنه حتى أرقى مؤسسات روض الأطفال الحالية التي أخرجت لنا جيلا تقزّم في كل شيء وتقاعس عن المثابرة والاجتهاد وتعلُّم مكارم الأخلاق والإحسان والتسابق في فعل الخيرات.

المراجع:

-بن *أحمد التيجاني، الكتاتيب القرآنية بندرومة من197-1900* ، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1983.

-بوفلجة، غياث : التربية و متطلباتها.- الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية 1984.

-بن سحنون، محمد : آداب المعلمين.- الجزائر، مطبعة ش. و. ن. ت، 1972.

-تركي، رابح، *أصول التربية و التعليم*، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.

-روث، بيرد، *جان بياجه وسيكولوجية نمو الأطفال*، ترجمة فيولا الببلاوي، القاهرة، - مكتبة الأنجلو المصرية، 1976.

-زايد، مصطفى : المؤسسات التربوية القديمة في الجلفة.- الجزائر، مجلة الثقافية، العدد 93، وزارة الثقافة،1993.

-زكريا مومني ومحمد بنعبود، فروبل ورياض الأطفال، النصوص التربوية، مطبعة النجاح الجديد، ط1 ، 1992.

-محمد الإمام الفكيكي، خصوصيات مؤسسة التعليم الأولي، مجلة آفاق تربوية، العدد 7 السنة 1993.

- عمر محمد التومي الشيباني، أسس رعاية الطفولة العربية، منشورات جامعة الفاتح 1992.

الاحالات:

[1]-De Landsheere, Gilbert, Pre-scool education in developing countries, Prospects, vol .VIII, no, 4, Paris.p15

[2]– روث، بيرد، *جان بياجه وسيكولوجية نمو الأطفال*، ترجمة فيولا الببلاوي، القاهرة، –مكتبة الأنجلو المصرية، 1976، ص83.

[3]– *طالب، عبد الرحمن بن أحمد التيجاني، الكتاتيب القرآنية بندرومة من1977–1900 ، الجزائر ديوان المطبوعات الجامعية، 1983، ص15.*

[4]– *طالب، عبد الرحمن بن أحمد التيجاني، 1983، نفس المرجع السابق، ص ص 16–18.*

[5]–تركي، رابح، *أصول التربية و التعليم*، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص 133–144.

[6]–بوفلجة، غياث ، 1993،التربية و متطلباتها، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية ، ص ص 34–38.

[7]– بن سحنون، محمد : آداب المعلمين.– الجزائر، مطبعة ش. و. ن. ت، 1972– ص64.

[8]– بن أحمد التيجاني، عبد الرحمن : المرجع السابق.– ص.ص 19–20.

[9]–زايد، مصطفى : المؤسسات التربوية القديمة في الجلفة.– الجزائر، مجلة الثقافية، العدد 93، وزارة الثقافة،ص 13 .

[10]– تركي، رابح، *أصول التربية و التعليم*، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982 ص ص 140–149.

[11]– محمد الإمام الفكيكي، خصوصيات مؤسسة التعليم الأولي، مجلة آفاق تربوية، العدد 7، السنة 1993، ص ص 73–77.

[12]– بن أحمد التيجاني، عبد الرحمن ، نفس المرجع السابق، ص.ص.37–38.

[13]– زكريا مومني ومحمد بنعبود، فروبل ورياض الأطفال، النصوص التربوية، مطبعة النجاح الجديد، ط1 ، 1992، ص 55.

[14]– زكريا مومني ومحمد بنعبود، نفس المرجع السابق، 1992، ص 56.

[15]– عمر محمد التومي الشيباني، أسس رعاية الطفولة العربية، منشورات جامعة الفاتح 1992،ص ص 153–157.

[16]– سيد صبحي، النمو النفسي للإنسان، مكتبة إبراهيم حلبي، المدينة المنورة، (د– ت) ص 70–76.

[17]– محمد الإمام الفكيكي، نفس المرجع السابق، 1993، ص ص88 – 111.

الكتاتيب ودورها في التربية على الوسطية والاعتدال

د. مختار قديري
جامعة الشهيد حمّه لخضر، الوادي

ملخص البحث: يدور هذا البحث حول إبراز دور الكتاتيب في تربية النشء على الوسطية والاعتدال، والمحافظة على الثوابت الوطنية للشعب الجزائري، والإشكالية التي يحاول الإجابة عنها: ما أثر الكتاتيب في تربية النشء على الوسطية والاعتدال؟ وما دورها في المحافظة على الثوابت الوطنية للشعب الجزائري؟

وسنحاول الإجابة على هذه الإشكالية من خلال: التعريف بمفهوم الكتاتيب ومصطلحي التربية والوسطية، وإعطاء نبذة مختصرة عن التعليم القرآني في الكتّاب وإبراز معالم الوحدة والوسطية في تعليم الكتّاب، وأخيرًا بيان دورها في المحافظة على الثوابت الوطنية للمجتمع الجزائري.

ومن أهم النتائج التي خلص إليها هذا البحث: الدور الكبير الذي تلعبه الكتاتيب في تربية النشء على الوسطية والاعتدال، ونبذ العنف والتطرف والغلو، وذلك من خلال: تحفيظ القرآن الكريم والتعاليم الصحيحة للدين الإسلامي واللغة العربية، ونشر العلم والثقافة، والمحافظة على الهوية الوطنية للشعب الجزائري.

المقدمة: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين:

فهذه مشاركتي في الملتقى الوطني الموسوم بـ: "الكتاتيب ودورها في الرّفاه اللغوي"، المنظّم من طرف: المجلس الأعلى للغة العربية، والمزمع عقده إن شاء الله يوم: 23 فيفري 2020م بالمكتبة الوطنية بالحامّة.

وكان اختياري المشاركة بالبحث الموسوم بـ: " الكتاتيب ودورها في التربية على الوسطية والاعتدال"، فأسأل الله أن يبارك في جهود جميع القائمين على هذا

المجلس المبارك، وأن تكلل أعمال هذا الملتقى بالتوفيق والسداد والنفع العميم.

إشكالية البحث: يهدف البحث للإجابة عن السؤال الرئيس: ما دور الكتاتيب في المحافظة على الهوية في بلادنا؟ **ويتفرع عنه الأسئلة التالية:**

- ما مفهوم كل من: الكتاتيب، التربية، الوسطية، الغلو؟
- ما هي الطريقة التقليدية للتعليم القرآني في بلادنا؟
- ما هي معالم الوسطية والاعتدال للتعليم القرآني في الكتاتيب؟
- وما هو أثر تعليم الكتّاب على العمق التربوي الوسطي لدى الناشئة؟
- ما هي التوصيات المقترحة لتفعيل دور الكتاتيب؟

أهمية البحث:

- بيان عناية القرآن الكريم بالفكر الذي هو محل العقل، واستخدامه منهج الوسطية والاعتدال.
- بيان أن القرآن الكريم هو كتاب تربية وتزكية للنفوس.
- إبراز دور الكتاتيب في تربية النشء وتحصينه من التطرف والغلو.

أهداف البحث:

- بيان مفهوم الكتاتيب، والتربية، والوسطية.
- التعريف بطرق التعليم القرآني التقليدية في الكتاتيب القرآنية.
- التعرف على معالم الوسطية في تعليم الكتاتيب.

الدراسات السابقة.

البحث الأول بعنوان: "تربية القرآن الكريم على الوسطية، ودور المؤسسات القرآنية في تحقيقها" للدكتور عثمان بن محمد الصديقي المقدم لملتقى التربية بالقرآن الكريم مناهج وتجارب الذي عقدته جمعية تبيان بالتعاون مع جامعة أم القرى، يومي: 22-23 ربيع الثاني لعام 1436ه، فهذا البحث ركّز فيه الباحث على بيان مواطن تربية القرآن الكريم كطاعة ولي الأمر وحرمة الدماء، والمجادلة والحوار، ... والوسائل الكفيلة بتحقيق التربية على الوسطية في المؤسسات القرآنية.

والبحث الثاني "معوقات التربية بالقرآن "للدكتور العباس بن حسين الحازمي المقدم لنفس الملتقى السابق، والذي ركّز فيه الباحث على مدى تأثير آيات القرآن الكريم على الجوانب العقدية والسلوكية والأخلاقية والعلمية والفكرية والثقافية، وغيرها ومعوقات التربية بالقرآن عموما.

أما بحثي فقد تميز عن البحثين السابقين بكونه حاول إبراز معالم تأثير التعليم القرآني في الكتاتيب على غرس وتعميق معاني الوسطية والاعتدال ومجانبة الغلو والتطرف والانحراف لدى الناشئة.

منهج البحث: تسير الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي حيث يستفيد منه الباحث في الوقوف على دور الكتاتيب في تربية النشء على الوسطية والاعتدال.

خطة البحث: تتمثل في مقدمة وأربعة مطالب، شرحت في المطلب الأول مصطلحات البحث، وفي الثاني أعطيت نبذة مختصرة عن التعليم القرآني في الكتاتيب القرآنية، ثم بينت معالم الوسطية والاعتدال في التعليم القرآني للكتاتيب في المطلب الثالث، وجعلت المطلب الرابع لبيان دور الكتاتيب في المحافظة على الثوابت الوطنية وخصصت المطلب الأخير لبيان أثر الكتاتيب القرآنية على العمق التربوي الوسطي لدى الناشئة، ثم الخاتمة التي تضمنت أهم النتائج والتوصيات والفهارس.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المطلب الأول: شرح مصطلحات البحث: قبل البدء في صلب الموضوع سنحاول في هذا المطلب التطرق لشرح أهم المفاهيم والمصطلحات التي استخدمت في هذه الدراسة، وهي كالآتي:

أولا: مفهوم الكتاتيب: الكتّاب (الكتاتيب): لغة: الكُتَّاب بضم الكاف وتشديد التاء المكان الذي يتعلم فيه الطفل القرآن الكريم قراءة وكتابة، وجمعها كتاتيب[1]، وهي من الألفاظ التي كانت تستعملها العرب في العهود الأولى للإسلام.

اصطلاحا: الكتّاب هي أحد المؤسسات التعليمية التي كان لها دور كبير في نشر القرآن الكريم في القرى والمدن، وبين الطبقات المختلفة للمجتمع، خاصة في القرون

الأولى، ولم يقف دور الكتّاب عند هذا الحد من تحفيظ القرآن الكريم، بل تجاوزه لتعليم القراءة والكتابة، واللغة العربية، وتلقي مبادئ الدين الإسلامي[2]، وعادة ما تكون هذه الكتاتيب تابعة للزوايا أو ملحقة بالمساجد.

حواضن التعليم القرآني الأخرى: تتمثل في:

- **المسجد:**

لغة: الموضع الذي يسجد فيه وتوضع فيه الجبهة، ثم أطلق هذا الاسم على الأماكن التي يتعبد فيها كمحراب البيت والمصلى الذي يجتمع فيه المسلمون لأداء الصلاة[3].

اصطلاحا: المسجد هو كل مكان من الأرض أعد لإقامة الصلاة فيه على الدوام[4].

- **الزوايا:**

لغة: الزاوية الركن من البناء، وهي تطلق على المسجد غير الجامع الذي ليس فيه منبر، والذي يكون مأوى للمتصوفين والفقراء[5].

اصطلاحا: الزاوية عبارة عن مؤسسة دينية إسلامية، ظهرت في الغرب الإسلامي خلال القرن الخامسة للهجرة، لها عدد من البنايات التي تستخدمها في الجوانب الدينية والتعليمية والاجتماعية، ولها دور كبير في تربية الناشئة وفي نشر القرآن الكريم وحفظه ومدارسته، ونشاطاتها ووظائفها تختلف باختلاف البلدان والقائمين عليها[6].

- **الرباط:**

لغة: الرباط "ملازمة ثغر العدو وأصله أن يربط كل واحد من الفريقين خيله ثم صار لزوم الثغر رباطا"[7].

اصطلاحا: الرباط يشبه كثيرا الزوايا التي كانت منتشرة في البلاد الإسلامية من ناحية الوظائف والنشاطات التي يقوم بها، ويختلف عنها في كونه يقوم بالإضافة إلى مهمة التربية والتعليم بمهمة الدفاع عن الوطن[8].

ثانيا: مصطلح التربية:

1. **التربية لغة:** تدور معاني مادة ربى في كتب اللغة على الزيادة والنماء والنشأة والعلو، قال صاحب المعجم الوسيط "رباه: نماه وفلانا غذاه ونشأه ونمى قواه الجسدية

والعقلية والخلقية"[9]، وقال الزبيدي: "ورَبَّ ولَدَهُ والصَّبِيَّ يَرُبُّهُ رَبًّا "رَبَّاهُ": أَي أَحْسَنَ القِيام عليه وَوَلِيَهُ "حَتَّى أَدْرَكَ": أَي فارَقَ الطُّفُولِيَّةَ"[10].

وعليه فإن معنى التربية تدل على حسن القيام على الطفل وغيره حتى ينشأ ويترعرع ويصل إلى التمام.

2. **التربية اصطلاحا:** قد عرفت التربية بعدة تعاريف، منها: تعريف الراغب الأصفهاني للتربية بصفة إجمالية بأنها: "إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام"[11] وعرفها النحلاوي من الجانب الشرعي بأنها: "النظام التربوي والتعليمي الذي يستهدف إيجاد إنسان القرآن والسنة أخلاقا وسلوكا مهما كانت حرفته أو مهنته"[12].

ثالثا: مصطلح الوسطية:

1. **الوسطية لغة:** ورد مصطلح الوسطية في كتب اللغة تحت مادة "وسط" بعدة معان نذكر منها: الرفعة والفضل، والعدل، والتوسط والنّصف، والخيار، والتمكن والكرم، والتوسط بين طرفين، وتطلق كذلك كلمة "واسط" على المدينة المشهورة الواقعة في العراق، وعلى عدد من مدن البلدان الإسلامية[13].

ويبدو أن مصطلح الوسطية من الألفاظ المشتركة التي يجب الاهتداء إلى المعنى المقصود من خلال النظر في الدلائل والقرائن.

2. **الوسطية اصطلاحا:** كل التعاريف التي وقفت عليها في المعنى الاصطلاحي للوسطية لا تخرج عن المعنى اللغوي، ومنها:

ما عرفه ابن جرير الطبري: الوسط هو الجزء الذي بين الطرفين، مثل وسط الدار، وقد وصف الله هذه الأمة بالوسط؛ لتوسطها في الدين"[14].

وعُرفت كذلك بأنها "الاعتدال بين الإفراط والتفريط، فلم يغلوا ولم يقصروا في أي مسألة من مسائل الدين، وذلك لاعتصامهم بالكتاب والسنة وإتباعهم طرق السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار"[15].

وعرفها يسري محمد بأنها: "التوازن بين الأمور المتقابلة، والتوسط بين الأطراف المتباعدة على ما تقتضيه النصوص الشرعية"[16].

ومن خلال التعريفات السابقة يمكن الخروج بالنتائج الآتية:

- إن الوسطية تكون بين شيئين متقابلين من الأمور الدينية أو الدنيوية.
- إن الوسطية تكون بإتباع النصوص الشرعية لا باختيار الناس وأرائهم وأهوائهم.
- إن اتباع الطريق المستقيم هو الموصل للوسطية.

رابعا: مصطلح الغلو:

1. **الغلو: لغة:** قال المناوي: " الغلو تجاوز الحد "[17] وتكون المجاوزة بمدح الشيء أو ذمه.

2. **الغلو اصطلاحا:** عرفه ابن تيمية بأنه: " مجاوزة الحد بأن يزاد في الشيء في حمده أو ذمه على ما يستحق ونحو ذلك"[18]، وعرفه ابن حجر بقوله: "وأما الغلو فهو المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد"[19].

والتعريف الاصطلاحي للغلو يوافق التعريف اللغوي، وكلها تدور على المجاوزة والمبالغة في الشيء بالمدح أو الذم، سواء كان ذلك في العقيدة أو العبادة وغيرها.

- **الألفاظ المرادفة للغلو:**

الألفاظ المرادفة للغلو كثيرة، منها ما مصدره الكتاب والسنة، ومنها ما هو وليد يرجع مصدره إلى الصراع الحضاري بين الإسلام وأعدائه، ومن ذلك: الغلظة والفضاضة، والتشدد، والتعسير، والعنف، والرجعية، والتخلف، والإرهاب...، وغيرها من المصطلحات التي تدور حول مجاوزة الحد، أو التي يطلقها الغرب في محاولة لتشويه الإسلام وأهله، وذلك بصرف هذه الألفاظ عن معناها الحقيقي.

المطلب الثاني: نبذة مختصرة عن التعليم القرآني في الكتّاب:

سنعرج في هذا المطلب على طريقة التعليم القرآني المعتمدة في الكتاتيب، من خلال النقاط الآتية:

أولا: سن ابتداء التعليم في الكتّاب: كان المغاربة إذا بلغ الصبي الخامسة أو السادسة من العمر يسوقه أبوه إلى الكتاب، ويوصي عليه المعلم، ويتفق معه على الأجرة، وعلى من يرافق الصبي في الذهاب والإياب[20].

وكان التعليم القرآني شاملا للجنسين البنين والبنات، لا سيما عند ميسوري الحال وأرباب المناصب العالية[21].

وكان يعاب ويعاتب الذي لا يدخل ابنه للكتّاب، بل قد يضطر إلى نفيه وطرده إذا أبى قال أبي عمران الفاسي: "ومن أبى طرد ونُفي إن قُدر عليه، لهدمه ركنا من أركان الدين ولا تجوز شهادته، ويؤدب أدبا وجيعا"[22]. وإن كان في كلام أبي عمران شيء من الشدّة إلا أنه يبين مدى عناية المغاربة بتعليم القرآن الكريم لأبنائهم في سن مبكرة.

ثانيا: طريقة التعليم القرآني في الكتّاب

- **حفظ الحروف الهجائية(ألفبا):** فيبدأ التلميذ في سن مبكرة بحفظ حروف الهجاء مفردة حسب الترتيب المعتمد عند المغاربة' وبعدها ينتقل إلى تعلم الحركات، وبعد إتقانه للحروف وعوارضها ينتقل التلميذ إلى مرحلة ثانية وهي تعلم قراءة الحروف مركبة، ويكون عن طريق الكتابة والقراءة في اللوح ويتدرج من البسملة ثم الفاتحة فالناس، وهكذا حتى يتعلم ويتقن قراءة الحروف مركبة[23].
- **حفظ بعض السور القصار:** وكانوا يبدؤون القراءة بسورة الناس ثم يصعدون بخلاف ما هو واقع اليوم من البدء بالفاتحة ثم النزول إلى سورة الناس، قال ابن جزي: "فضلاً على أنه قد أجمع المسلمون على تعليم القرآن في الكتاتيب بالبدء بسورة الناس ثم يصعد الطالب بعكس السور، ولم يخالف في هذا أحد"[24].
- **مرحلة الإملاء:** وبعد تمكن الطفل من كتابة وقراءة الحروف ينتقل إلى مرحلة الإملاء، حيث كان المؤدب يجلس في صدر الكتّاب، وكان التلاميذ يتحلقون حوله في نصف دائرة، وإذا كثروا تتعدد الدائرة، وكان بيد كل واحد من التلاميذ لوحة كبيرة أو صغيرة من الخشب، وعندما يحين موعد الإملاء يستملون المؤدب بالنطق برأس اللوح القديم فيكمل لهم، ويواصل الإملاء تلقائيا إلى أن يشير إلى التلميذ بالتوقف عندما يدرك أن ما كتبه يكفيه وبعد الانتهاء يقوم المؤدب بتصحيح رسمه وضبطه.

وبعد التصحيح يتراجع التلميذ ويأخذ مكانه في الحلقة ويشرع في حفظ اللوح القديم متحركا بجسمه ورأسه أماما وخلفا وأحيانا يمينا وشمالا، وهو يقرأ بصوت عال، فإذا

حفظ التلميذ اللوح يستظهره على المؤدب وإذا أجازه فإنه يقوم بمحوه بالطين والماء وبعد تجفيفه بالشمس أو الهواء أو المدفأة يكتب اللوح الجديد وهكذا حتى يأتي على القرآن الكريم كله كتابة وحفظا[25] حتى ينهي الختمة، ثم ينتقل إلى مرحلة السلكة.

• **السلكة:** فإذا ختم الطالب القرآن الكريم(الختمة)، يبدأ السلكة من سورة البقرة (ألم) بالربع أو النصف حسب قدرة الطالب، ويعيد الختمات والسلكات عدّة مرات إلى أن يجيد حفظ القرآن الكريم جيدا[26].

• **المواد المدرسة:** كان المغاربة يقتصرون في الولدان على تحفيظ القرآن مع إعرابه ورسمه وشكله دون سائر العلوم الأخرى، قال ابن خلدون: "فأما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط، وأخذهم أثناء المدارسة بالرسم ومسائله واختلاف حملة القرآن فيه، لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم، لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب، إلى أن يحذق فيه أو ينقطع دونه، فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعاً عن العلم بالجملة"[27].

ولقد كان لهجرة أهل الأندلس إلى بلاد المغرب تأثير كبير في إدخال العلوم الأخرى كالفقه والحديث واللغة إلى جانب حفظ القرآن الكريم، كما علموا روايات القرآن وأنواع قراءاته [28].

• **تعليم القراءات: والسنة المتبعة بالمغرب أن الطالب** بعد إجادة لقراءة الإمام نافع برواية ورش ثم قالون(التحنيش)، يمكنه بعد ذلك الانتقال إلى أخذ قراءة ابن كثير(مكي) وأبي عمرو البصري(سما)، ثم السبع حمزة[29].

وقال محمد بن سحنون في بيان القراءة التي ينبغي أن تعلم للصبيان في الكتاتيب فقال: "والأنسب أن تكون بقراءة نافع لحسن طريقتها وأيضا لأن مالكا أخذ عن نافع"[30].

ثالثا: أوقات التعليم في الكتّاب: كان التعليم القرآني في الكتّاب طيلة أيام الأسبوع إلى زوال يوم الخميس، ويوم الجمعة عطلة، وكانت لهم عطل أخرى كعطلة عيد الفطر يوم أو ثلاثة أيام، والأضحى ثلاثة أيام أو خمسة، وعطلة ختم القرآن الكريم

وسواه من المناسبات التي يختلف تقدير مدته من بلد لأخر [31].

أما عن وقت جلوس المعلم وقيامه من التعليم فيكون من الصبح إلى المغرب، أو من طلوع الشمس إلى عند الإسفار، حسب العرف، وحسب ما تعاهده أهل التعليم في كل بلد[32].

ومن البرامج الدراسية اليومية التي كانت سائدة في الكتاب عندنا في الجزائر أن التلاميذ يذهبون مرتين إلى الكتاب، ويبقون مدة ساعتين في كل مرة، فيكون في جلسة الصباح الاستظهار، والمحو والكتابة من جديد، أما الفترة المسائية فهي مخصصة في الغالب لحفظ اللوح القديم استعدادا لعرضه في صباح اليوم التالي وهكذا، أما العطل فكانت يومي الاثنين والخميس[33].

رابعا: نظام العقوبة في الكتّاب: فالمؤدب كان يجلس عادة في صدر الكتاب متربعا على حصير أو نحوه، مسندا ظهره إلى الجدار، مرتديا عمامة وجبة وفوقها أحيانا برنس، وبيده عصا طويلة تصل إلى أبعد تلميذ عند الحاجة، وكان يلتفت يمنة ويسرة يراقب حركات التلاميذ وأداءهم لواجبهم. . . . وأحيانا ينهر تلميذا آخر يراه عابثا أو ضاحكا، وهو يحرك رأسه آذنا لمن يسأله الدخول أو الخروج.

وكان المؤدب يقوم بمعاقبة التلاميذ عندما يقومون بتصرفات أو سلوكيات تستحق التأديب، ومن اخف العقوبات التي يلجأ إليها المؤدب التأنيب والنهر بكلمات جافة وشديدة، أو الضرب بالعصا على اليد، ومن أقساها الضرب بالفلاقة[34] على الرجل وفي كل الأحوال كان الآباء يرضون بهذه العقوبات، ولا يصدر منهم أي رد فعل تجاه المؤدب، بل يشكرونه ويحثونه على زيادة العقوبة وتشديدها ويوجهون اللوم كله على التلميذ[35].

المطلب الثالث: معالم الوسطية والاعتدال في التعليم القرآني للكتاتيب

هي كثيرة نذكر منها:

أولا: المذهب الواحد:

1.المذهب الفقهي الواحد: المذهب الذي استقر في بلادنا وبلاد الغرب الإسلامي

إلى يوم الناس هذا هو المذهب المالكي، الذي غمر بلاد الأندلس وشمال إفريقيا بواسطة تلامذة الإمام مالك الذين رحلوا إليه من أجل طلب العلم، ومن أبرزهم عليّ بن زياد والبهلول بن راشد، وعبد الرحيم بن أشرس، وعبد الله بن غانم،. . . وعلى هؤلاء وغيرهم بنيت النواة الأولى لصرح الفقه المالكي بالغرب الإسلامي، ثم تفرعت وأينعت وأتت أكلها.

وقد عرفت المدرسة المغربية فترات من الازدهار أيام الإمام سحنون وفترات من الضعف أيام تلاميذ تلاميذه، ثم ازدهرت من جديد على يد ابن زيتون، وكذلك الحال في المدرسة الأندلسية التي قويت أيام يحي بن يحي ثم بتلميذه الإمام العتيبي، ثم تراجعت وضعفت لفترة من الزمن إلى أن جاء الباجي الذي بث فيها الروح من جديد هو وتلاميذه من بعده[36].

2. **أسباب اختيار المغاربة للمذهب المالكي:** يمكن حصر أسباب اختيار المغاربة للمذهب المالكي في النقاط الآتية:

- **أسباب ترجع إلى شخصية صاحب المذهب الإمام مالك رحمه الله:** لكونه عالم المدينة وفقيهها ولما عرف به من الورع والتقوى لله عز وجل ولاجتماع أهل المدينة عليه، ولطول إقرائه وإفتائه، وكثرة إملاءاته ومؤلفاته، ولاشتهار شيوخه به،... ولحمل بعض العلماء الأثر الوارد في عالم أهل المدينة عليه[37] وهذا ما دفع المغاربة يلتفون حوله وحول مذهبه
- **أسباب ترجع إلى المذهب:** قد وافق هذا المذهب طبيعة المغاربة لعدة أسباب من أهمها: أنه مذهب عملي يعتد بالواقع، ويأخذ بعادات الناس وأعرافهم، واعتماده على الجانب العملي أكثر من الجانب النظري، وقيامه على فقه خيار الصحابة والتابعين ولبساطته ووضوحه، وبعده عن التكلف والتعقيد، فكل هذه العوامل وغيرها دفعت المغاربة الذين يميلون بفطرتهم إلى البساطة والوضوح للالتفاف حول هذا المذهب [38].
- **أسباب ترجع إلى طبيعة الحكم:** حيث أجبر بعض السلاطين الناس على الالتزام بالمذهب المالكي والتشبث به في القضاء والفتيا، وفي كل شيء، ومن ذلك قيام الخليفة

الأندلسي هشام بن عبد الرحمان بأمر الناس باتباع المذهب المالكي في شؤون القضاء والفتيا، فتحول الناس بسبب ذلك[39].

- **أسباب ترجع إلى النقل:** كحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل يطلبون العلم فلا يجدون أحدا أعلم من عالم المدينة » [40]، وحديث سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله ﷺ: « لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة» [41].

ولعلّ من أهم الأسباب التي دفعت المغاربة الالتزام بالمذهب المالكي والتأثر به هجرة العلماء إلى المدينة النبوية لتلقي العلم على الإمام مالك وتلاميذه من بعده ثم عودتهم إلى ديارهم وتقليده في مذهبه[42].

3.**معالم الوسطية في اختيار المذهب المالكي:** تظهر معالم الوسطية في اختيار المذهب المالكي في التعليم القرآني جلية من خلال المذهب المالكي نفسه وحرص أئمته وعلى رأسهم الإمام مالك على التزام الوسطية والاعتدال وترك التعصب والغلو والتطرف، ويظهر ذلك من خلال:

- **الوسطية والاعتدال في أصول المذهب وفروعه وأحكامه:** يقول الدكتور محمد الروكي: "فالتوسط والاعتدال مرعي في أصول المذهب وفروعه، لا إفراط ولا تفريط ولا ضرر ولا ضرار، ولا إسراف ولا إجحاف، وإذا كانت قد بنيت فيه أحكام على الاحتياط الشرعي، وسد الذريعة، ونحوهما، فإن أحكاما أخرى قد بنيت فيه على الاستصلاح ومراعاة العرف ومراعاة الخلاف ونحوها. فالاعتدال والتوسط حاضر ملحوظ في نسق المذهب ومنظومته العامة وبنائه الكلي"[43].

نعم فالمذهب المالكي بعيد عن التطرف والتكفير ويدعو إلى الاعتدال والتيسير ورفع الحرج، والأمثلة على ذلك كثيرة، نذكر منها: مسألة مس الذكر فعند أبي حنيفة لا ينقض الوضوء، وعند الشافعي وأحمد ينقضه، فيأتي المذهب المالكي وسطا بين المذهبين فينتقض عند وجود الشهوة، ولا ينتقض إذا انعدمت، وهذا جمعا بين الأدلة.

• **حرص أئمة المذهب على الوسطية والاعتدال:** ويظهر ذلك جليا من فتاويهم وأرائهم وأقوالهم، ومن ذلك قول الإمام مالك بن أنس رحمه الله:" لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها فما لم يكن يومئذ دينا لا يكون اليوم دينا"[44]، ففيه دلالة واضحة على أن هذه الأمة لن تصلح إلا بالوسطية والاعتدال واتباع الطريق المستقيم الذي التزمه السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم.

كل ذلك كان له تأثير فعّال على أبناء المدارس القرآنية الذين تربوا على هذا المذهب وعلى شيوخ المذهب الذي يدعو للسير على الطريق المستقيم طريق الوسطية والاعتدال في كل شيء.

هذه الوحدة الفقهية لدول الغرب الإسلامي كان لها الدور الكبير والفعال في بث روح التعاون والاتحاد والتماسك بين الدول.

ثانيا: القراءة القرآنية الواحدة: وكان للوحدة القرآنية الدور الكبير في وحدة وتماسك بلدان، ويمكن بيان ذلك من خلال النقاط الآتية:

1. **القراءة المعتمدة في الجزائر وبلاد المغرب العربي:** كان أهل المغرب يقرؤون بقراءة حمزة، ولم يكن يقرأ بقراءة نافع إلا الخواص من الناس، وكان أول من أدخل رواية ورش إلى المغرب وأسهم في نشرها أبو عبد الله بن خيرون القيرواني، واستمر الأمر على هذا الحال إلى يوم الناس هذا[45]، إلا أن بعضا من البلاد اختاروا رواية قالون، وبعضهم اختار رواية ورش من طريق الأزرق وهي على هذا إلى اليوم.

2. **عوامل اختيار المغاربة قراءة الإمام نافع:** وأشار الدكتور عبد الهادي حميتو إلى أن الدوافع التي أدت بالمغاربة لاختيار قراءة نافع ترجع إلى عدة عوامل، منها:

العلاقة الوثقى بين نافع ومالك، أو بين القراءة والمذهب المدنيين، إيثار مذهب أهل المدينة على غيرها، النقل المزدوج للقراءة والمذهب على أيدي الرواد الأولين، الرغبة في الاستقلال الفكري والسياسي عن السلطة في المشرق، ميل المغاربة إلى الوحدة السياسية والفكرية والمذهبية، الحرص على توحيد القراءة وانعكاساته ودواعيه[46].

3. **معالم الوسطية في اختيار قراءة الإمام نافع:** إن إطباق دول الغرب الإسلامي على قراءة واحدة كان له كذلك الفضل في المحافظة على وحدتها وتماسكها، ويظهر معالم وسطية الوحدة القرآئية في عدة صور، نذكر منها:

الصورة الأولى: قيام سيدنا عثمان رضي الله تعالى عنه بجمع الأمة على حرف واحد: وحرق ما سواه من الحروف حماية لهذه الأمة من التفرق والتشتت كما تفرقت اليهود والنصارى، وذلك يُعد صورة واضحة لدور الوحدة القرائية في الحفاظ على وحدة هذه الأمة وأمنها.

ويدل عليه حديث البخاري عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان ــ وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق ــ فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: "يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى"[47].

الصورة الثانية: قيام ابن مجاهد بتسبيع السبع: وحسم مسألة القراءات المتواترة من الشاذة، صورة من الصور التي تبين دور الوحدة القرائية في المحافظة على وحدة الأمة وحمايتها من النزاع والتفرق والاضطراب.

فتكاثر القراءات وازديادها يوما بعد يوم في عهد ابن مجاهد حتى أوصلها بعضهم إلى خمسين قراءة، وخوفا من أن يفتح بذلك بابا للاضطراب والتحريف والتنازع بين القراء واتباعهم، قام ابن مجاهد بتسبيع السبع وتجنيب الأمة الفتنة والوقوع في الخلاف الذي فر منه سيدنا عثمان رضي الله تعالى عنه.

الصورة الثالثة:التزام كل دولة بقراءة رسمية واحدة: تتمثل في التزام أغلب البلدان الإسلامية القراءة أو الرواية الرسمية للدولة، والتي تطبع على وفقها مصاحف الدولة ويقرأ بها في المساجد وخاصة في صلاة التراويح، وذلك كله حماية لأركان الدولة وحفاظا على تماسكها، فنجد رواية حفص غطت أغلب دول العالم الإسلامي، ثم تأتي في المرتبة الثانية رواية ورش ثم رواية قالون.

ثالثا: مكانة معلم القرآن في الكتاتيب: لا يخفى أن لمعلم القرآن في المدارس القرآنية الدور الكبير في تنشئة طلابه على الوسطية والاعتدال ونبذ التطرف والغلو والانحراف، وذلك من خلال احتكاكه المباشر بهم، باعتباره القدوة والنموذج المثالي الذي سرعان ما يتأثر به الطلاب بأفعاله وتصرفاته، وحتى أفكاره وأرائه، وميولاته.

1. القدوة الحسنة: حتى يكون معلم القرآن قدوة حسنة لطلابه ويستطيع أن يغرس فيهم جانب الوسطية والاعتدال، لا بد له أن يكون هو أولا متشبعا ومستوعبا لمفهوم الوسطية وتأصيلاتها من الكتاب والسنة، ولتطبيقاتها العملية[48].

2. التفقه في الدين: فمعلم القرآن لابد له أن يجمع بين حفظه للقرآن الكريم والتفقه في العلوم الأخرى كالتفسير والفقه والعقيدة واللغة العربية وغيرها من العلوم النافعة المفيدة.

فالتفقه في مثل هذه العلوم يمكنه من إفادة الطلاب إما بطريقة مباشرة عن طريق مدّهم بالتوجيهات والنصائح المتعلقة بوسطية وسماحة هذا الدين وبعده عن التطرف والغلو والانحراف وضرب الأمثلة حول معاني الوسطية وتطبيقاتها في حياتنا اليومية أو بطريقة غير مباشرة عن طريق سرد القصص والتلميح لمواطن الخلل وبيان العلاج المناسب.

3. الفطنة واليقظة والمتابعة: فمن الأمور المهمة التي يستحسن على المدرس في المدارس القرآنية الالتزام بها الفطنة واليقظة الدائمة للسلوكيات أو التصرفات أو الأفكار التي قد يتداولها الطلبة فيما بينهم، والتي قد يكون فيها نوع من الغلو والتطرف والانحراف، وبالتالي محاولة معالجتها في حينها حتى لا تنمو، ويسري خطرها بين طلاب المدرسة القرآنية.

وعلى المدرس أن يستغل الفترات التي يكون فيها الاحتكاك بالطلبة كفترة المخيمات الصيفية أو الرحلات الموسمية ومخالطة الطلبة ومحاولة جس نبضهم لاستخراج ما فهموه أو ما قد يعلق بهم من شبهات خارجية تحتاج إلى العلاج والتقويم.

4. فقه الواقع: ومعلم القرآن يستحب له أن يكون على اطلاع دائم بما يدور حوله من حوادث وأخبار خاصة ما تعلق منها بأحوال الأمة الإسلامية، وذلك حتى يتمكن من الرد على الأسئلة التي قد ترد من الطلبة الذين يستقون هذه الأخبار من مصادر مختلفة من قنوات فضائية، وانترنت، ...

المطلب الرابع :

دور الكتاتيب في المحافظة على الثوابت الوطنية: يظهر دور الكتاتيب القرآنية في المحافظة على الثوابت والهوية الوطنية للطالب من خلال المناهج والمقررات التي يتلقاها الطالب في الكتّاب، والتي يأتي في مقدمتها القرآن الكريم والأحاديث النبوية والعلوم الأخرى كالفقه واللغة، والأشعار،...، ومن الثوابت التي حفظها التعليم القرآني:

أولا: الإسلام: يظهر دور التعليم القرآني في بلاد الغرب الإسلامي في المحافظة على الدين الإسلامي لهذه الأمة، والمحافظة على وحدتها العقدية والفقهية والقرائية وذلك من خلال المقررات والمناهج التي كان المعلمون يدرسونها للصبيان، ومن ذلك:

مقرر القرآن الكريم: (الحفظ، التفسير، الرسم والضبط القرآني، أحكام قراءة نافع ...).

مقرر الفقه: وذلك عن طريق قيام المؤدب بتعليم الصبيان أحكام الطهارة والصلاة وتحفيظهم بعض المتون الفقهية، كمتن المرشد المعين على الضروري من علوم الدين لابن عاشر، ومتن الرسالة لأبي زيد القيرواني،. . .

ثانيا: اللغة العربية: يظهر دور التعليم القرآني في المحافظة على اللغة العربية لغة القرآن، والقضاء على الجهل والأمية، ونشر العلم والثقافة في بلادنا الحبيبة، وذلك من خلال:

- **تعليم الحروف العربية للصبيان:** فالتعليم القرآني اهتم بتعليم الحروف للصبيان منذ نعومة أظافرهم، كما تم الإشارة إليه في الطريقة التقليدية للتعليم القرآني في الكتّاب، وذلك من خلال: التلقين، الإملاء، الكتابة، الحفظ، بالإضافة إلى التصحيح يسهم بدور كبير في تعلم الرسم والضبط القرآني.

• **تدريس اللغة العربية:** حافظ التعليم القرآني على هذه اللغة من الضياع والنسيان وذلك من خلال المدارسة والتعليم للمتون العلمية في اللغة كمتن الآجرومية، والألفية، وملحة الإعراب،...، يقول الدكتور سلمان نصر: "حافظت المدارس القرآنية على كيان اللغة العربية وصرحها الشامخ منذ دخول المستعمر الفرنسي وطيلة تواجده بالجزائر ولولا تلك المدارس لذهب ريح اللغة العربية في الجزائر، وهوت في قعر سحيق ولخرّجت المدارس أجسادا جزائرية بعقول فرنسية"[49].

ثالثا: حب الوطن: أسهمت الكتاتيب في تكوين جيل قرآني مشبّع بحب وطنه والمحافظة عليه والعمل لخدمته، والاستعداد للتضحية من أجله، وذلك من خلال تدريس وتحفيظ : القصص، والأناشيد والأشعار التي تدعو إلى حب الوطن، ومن ذلك أرجوزة "هدية الألباب في جواهر الآداب" للشيخ حسين أفندي الجسر رحمه الله التي كانت تحفظ للصبيان في المدارس القرآنية، والتي تكلم فيها عن محبة الوطن والدفاع عنه ومعنى التمدن المحمود فقال:

"**محبة الوطن والدفاع عنه ومعنى التمدن المحمود:**

وكن محب الوطن المُعَظَّمِ ذا غيرة عليه للتقدمِ
فحبه عُدَّ من الإيمان وبُغْضُه من أعظمِ الخسرانِ
وابذل لهذا الخلق المجهودا حتى يكون طبعك المحمودا
فلا ينال المرء من فلاحِ حتى تُرى الأوطانُ في نجاحِ
فخيرها خير لكل وآحدٍ من أهلِها من وآجدٍ أو فآقدِ
ولا يكون حبها صحيحًا حتى ينالَ حقَّها الترجيحا
على حقوق النفس والأهلينا والصحب والآباء والبنينا
فما نجاح الأمم الغربية إلا بهذي الخصلة السَنِية[50]

أسهمت هذه الأرجوزة وأمثالها التي كانت تحفظ للصبيان في المدارس القرآنية بدور كبير في غرس حب الوطن والمحافظة عليه وخدمته، والدفاع عن الثوابت الوطنية.

رابعا: المحافظة على العادات والتقاليد: لقد كان للكتاتيب الدور الكبير في المحافظة على العادات والتقاليد الموروثة من الآباء والأجداد، ونبذ العادات والتقاليد الدخيلة عن ديننا ومجتمعنا، ومن ذلك:

- **المحافظة على الهندام المحترم:** الذي كان سائدا ومنتشرا في مجتمعنا والمتمثل في القميص والقلنسوة، وكان المؤدب يعزر ويؤنب من يأتي بدون قميص أو حاسر الرأس، ويرجعه لارتدائهما، بخلاف ما هو حاصل في بعض المدارس الحديثة من ارتداء الطلبة لملابس لا تليق بأهل القرآن.
- **العناية بالنظافة:** كان المؤدب في الكتّاب يربي تلاميذه على النظافة، ومن ذلك التزامهم بقص الأظافر وحلاقة الشعر المحترمة التي تتمشى مع ديننا وأعرافنا وتقاليدنا، بخلاف ما هو حاصل اليوم في بعض المدارس من عدم اهتمام المعلم بحلاقات الشعر الغريبة عن ديننا وعرفنا وتقاليدنا.
- **متانة الحفظ:** المحافظة على الطريقة التقليدية القديمة في الحفظ باستخدام الألواح كان لها الأثر الكبير في ترسيخ حفظ الناشئة والتمكن من الرسم والضبط بخلاف الطرق الحديثة التي تعتمد على المصاحف، فتتميز غالبا بضعف الحفظ وعدم إتقان الرسم والضبط والكتابة لاعتمادهم الدائم على المصحف.

ودور الكتّاب في المحافظة على الثوابت الوطنية كثيرة، وهناك أدوار أخرى تستحق الدراسة والبيان كالمحافظة على المرجعية، والقضاء على الأمية، ... واقتصرنا في هذا المبحث على ذلك احتراما لعدد الصفحات.

المطلب الخامس: الكتاتيب القرآنية وأثرها على العمق التربوي لدى الناشئة:

إن من أكبر مزايا التعليم القرآني في الكتاتيب، أنه رسّخ مبادئ التربية للمتعلم ولم يكن قاصرا على التحفيظ فقط، ويظهر ذلك من خلال:

أولا: مكانة المربي (معلم القرآن): فهو شخصية مهيبة ومحترمة وكلمته مسموعة ونافذة من طرف الآباء والأبناء على حد سواء فهو من يحدد مستوى الولد ويختار له طريقة الدراسة والتوقيت وحتى العقوبة، ولا يقف في وجهه أحد، خلافا لما هو سائد في زماننا إذ تثور العائلة كلها أحيانا لأن معلم القرآن أدّب ابنهم لعدم حفظه أو لجرم ارتكبه... وهو ما أنقص من قيمة المعلم عما كان عليه في السابق فلا يعدو أن يكون أجيرا على مهنة في كثير من المدارس القرآنية.

كما أن المربي قديما كان يسأل في أمور الدين كالفقه والحديث وهو ما أدخلته المدرسة الأندلسية على مدرسة المغرب العربي، فكان المربي متكامل المعارف مهيب الجانب، له قدسية يحترمها الجميع.

ثانيا: الإملاء الجماعي: فيه من الأدب ما فيه، ويتجسد ذلك في:

- يتعلم الولد عدم مقاطعة غيره، ويعرف مكانة الشيخ العلمية وقدرته على الحفظ والإملاء فيزداد تعظيمه وتبجيله في النفس.
- تضفي طريقة التحلّق حول المربي مهابة للمجلس وأدبا ونظاما بين الجالسين... عكس ما هو موجود في الطريقة الحديثة والتي يأخذ فيها المتعلم الجزء المراد حفظه من المصحف.

ثالثا: الشعور بالانتماء للكتّاب والزاوية: هو أمر موجود في الكتّاب، لكن معالمه خفت في طريقة التعليم الحديثة فكلما كثرت المدارس القرآنية أو جمعيات التحفيظ فتَجد الوالدين يغيرون أبناءهم من مدرسة إلى أخرى لأتفه الأسباب فلا يكون له ارتباط نفسي ولا علمي ولا مرجعي مع مدرسة قرآنية أو معهد علمي ولا ارتباط وثيق مع معلمه ومربيه.

الخاتمة:

أولا: النتائج: وفي الختام يمكن تلخيص النتائج في النقاط الآتية:

- ضرورة تعريف الطلبة بمفهوم الوسطية والاعتدال والمصطلحات المضادة لها كالغلو والتطرف؛
- على المعلم أن يعلم أن تعليم القرآن يتضمن حفظ حروفه والقيام بحدوده المتمثلة في الجانب التربوي، فلا يحاول تغليب جانب على آخر؛
- المرجعية الفقهية والقرائية لها دور كبير في تعميق الأمن الفكري لدى الناشئة
- من معالم الوسطية والاعتدال في تعليم الكتّاتيب: الالتزام بالمذهب المالكي والتقيد بالقراءة الواحدة، والحفاظ على الثوابت؛
- الطابع المغاربي في الكتاتيب كان له تأثير كبير على العمق التربوي الوسطي لدى الناشئة.

ثانيا: التوصيات: ومنها:

- استمرار عقد مثل هذا الملتقى الوطني المبارك، والدورات العلمية، والمسابقات العلمية التي تدعو إلى الوسطية والاعتدال وتعزيز الأمن الفكري خاصة لدى طلاب المرحلة الجامعية؛
- محاولة إتاحة الفرصة للكتاتيب لعرض التجارب الناجحة في مجال نشر الأمن الفكري؛
- تفعيل دور الكتاتيب في العمل على تعميق معاني الوسطية وتعزيز الأمن الفكري وذلك بالتنسيق والتعاون مع جميع الجهات المختصة؛
- على السلطات دعم الكتاتيب بكل الوسائل والإمكانيات اللازمة، حتى تقوم بدورها الحضاري في غرس معاني الاعتدال والأمن الفكري لدى الناشئة على أكمل وجه.

العمل على إعداد المناهج والبرامج التي تساعد الكتاتيب على زرع معاني الوسطية والاعتدال لدى الناشئة، وتجنيبهم الوقوع في التطرف والغلو.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع:

- آداب المعلمين، محمد بن سحنون، تحقيق محمد العروسي المطوي، دار الكتب الشرقية، تونس الطبعة الثانية.
- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري الدرعي الجعفري السلاوي، تحقيق: جعفر الناصري/ محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء.
- أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، عبد الرحمان النحلاوي، دار الفكر، الطبعة الخامسة والعشرون، 2007م.
- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ابن تيمية، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة: السابعة، 1419هـ.
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، تحقيق مجموعة من المحققين، الناشر، دار الهداية.
- تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر الطبعة: طبعة خاصة، 2007م.
- التربية و متطلباتها، بوقلجة غياب، ديوان المطبوعات الجامعية، 1984م.
- التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية دار الفكر المعاصر , دار الفكر، بيروت , دمشق، الطبعة الأولى، 1410ه.
- جامع البيان في تأويل القرآن، بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، 1420هـ.
- الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين للقابسي، تحقيق: أحمد خالد الشركة التونسية للتوزيع، تونس، الطبعة الأولى، 1986م.
- زوايا العلم والقرآن في الجزائر، محمد النسيب، دار الفكر، الجزائر، دت.
- سنن الترمذي، للإمام محمد بن عيسى الترمذي،تحقيق : بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، 1998م.
- شرح مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي، د مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار اعتنى بها: بدر بن ناصر بن صالح الجبر، دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، 1431 هـ.

- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الرابعة 1987 م.
- صحيح البخاري للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، دار الشعب، القاهرة، الطبعة : الأولى 1407ه/1987م.
- صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج القشيري، دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة ــ بيروت.
- طريق الهداية مبادئ ومقدمات علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة، محمد يسري الطبعة: الثانية 1427ه.
- عناية المسلمين بالوقف خدمة للقرآن الكريم، عبد الوهاب بن إبراهيم أبو سليمان مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، دت.
- فتح الباري، ابن حجر، دار المعرفة، بيروت، 1379ه.
- الفوائد الجميلة على الآيات الجميلة، حسين بن علي الشوشاوي، تحقيق عزوزي إدريس، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دت.
- القراء والقراءات في المغرب، سعيد أعراب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى 1410ه.
- قراءة الإمام نافع عند المغاربة من رواية أبي سعيد ورش، عبد الهادي حميتو منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1424ه.
- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثالثة، 1414 هـ.
- مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، عمر الجيدي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط الطبعة الأولى، 1993م.
- مجلة البحوث الإسلامية، المؤلف: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، العدد 72.
- المدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد بن محمد أبو شُهبة، مكتبه السنة – القاهرة الطبعة: الثانية 1423 هـ.
- المدرسة القرآنية وأثرها في تقوية النظام التربوي، سلمان نصر، جريدة الفجر 17جوان 2001م.

- المذهب المالكي مدارسه ومؤلفاته خصائصه وسماته، محمد المختار محمد المامي مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات، الطبعة الأولى، 2002م.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار)، دار الدعوة، مصر.
- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون دار الفكر الطبعة: 1399هـ.
- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي تحقيق: بشار عواد معروف, شعيب الأرناؤوط , صالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الأولى، 1404ه.
- المغرب مالكي، لماذا؟ ، الدكتور محمد الروكي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية 2003م..
- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهانى، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، الطبعة: الأولى، 1412 هـ.
- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الدكتور جواد علي، دار الساقي، الطبعة الرابعة 1422هـ.
- مقال بعنوان الشيخ الحسين حمادي ومنهجه في التعليم القرآني، أ. د عبد الكريم بوغزالة الصادق ذهب، مجلة المنهل، مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية مطبعة سامي للطباعة والنشر والتوزيع، الوادي، العدد: 3، السنة: 02، جوان: 2016.
- مقال بعنوان: "حكم مصليات الأعياد وهل تأخذ حكم المساجد"، مجلة البحوث الإسلامية الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، العدد79، الإصدار: من رجب إلى شوال لسنة 1427هـ.
- مقدمة ابن خلدون ، عبد الرحمان ابن خلدون، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب دمشق، الطبعة الأولى، 1425ه/2004م.
- مناسك الحج والعمرة، ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الطبعة: الأولى.
- هدية الألباب في جواهر الأدب، الشيخ حسين أفندي الجسر، لا ط، د ت.

الاحالات:

[1] المعجم الوسيط، (775/2).

[2] ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (15/ 295)، وعناية المسلمين بالوقف (ص: 15)، والمدخل لدراسة القرآن الكريم، (ص: 421).

[3] ينظر: تاج العروس، (8/ 174).

[4] مقال بعنوان: "حكم مصليات الأعياد وهل تأخذ حكم المساجد"، مجلة البحوث الإسلامية الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، العدد79، الإصدار: من رجب إلى شوال لسنة 1427هـ (232/79).

[5] المعجم الوسيط، (408/1).

[6] عناية المسلمين بالوقف، (ص: 9، 10).

[7] لسان العرب، (302/7).

[8] ينظر: التربية ومتطلباتها، (ص: 27).

[9] المعجم الوسيط، (1/ 326).

[10] تاج العروس من جواهر القاموس، (2/ 464).

[11] المفردات في غريب القرآن، (ص: 336).

[12] أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، (ص:21).

[13] ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (1167/3)، و معجم مقاييس اللغة لابن فارس (6/ 108)، و لسان العرب، (426/7-432).

[14] جامع البيان في تأويل القرآن، (142/3).

[15] مجلة البحوث الإسلامية، (72/ 161).

[16] طريق الهداية مبادئ ومقدمات علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة، (ص: 225).

[17] التعاريف، (ص: 540).

[18] اقتضاء الصراط المستقيم، (1/ 328).

[19] فتح الباري، (13/ 278).

[20] آداب المعلمين،(ص: 50).

[21] ينظر: آداب المعلمين، (ص: 38).

[22] الفوائد الجميلة على الآيات الجميلة، (ص: 291، 292).

[23] ينظر: مقال بعنوان الشيخ الحسين حمادي ومنهجه في التعليم القرآني، أ. د عبد الكريم بوغزالة، والصادق ذهب، مجلة المنهل، مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية، مطبعة سامي للطباعة والنشر والتوزيع، الوادي، العدد: 3، السنة: 02 جوان:2016 (ص:171، 172).

[24] شرح مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل، (ص: 54).

[25] ينظر: تاريخ الجزائر الثقافي، (ص: 339، 340).

[26] ينظر: القراء والقراءات بالمغرب، (ص: 11).

[27] مقدمة ابن خلدون، (353/2)

[28] ينظر: تاريخ الجزائر الثقافي، (1/ 47)

[29] ينظر: القراء والقراءات في المغرب، (ص: 11).

[30] آداب المعلمين، (ص: 42).

[31] ينظر: الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين، (ص:135، 136).

[32] ينظر: آداب المعلمين،(ص:46)

[33]ينظر: تاريخ الجزائر الثقافي (1/ 340)

[34] ويضرب المؤدب الطالب بالفلاقة إذا قام بمخالفة كبيرة كالسرقة وغيرها.

[35] ينظر: تاريخ الجزائر الثقافي (1/ 340، 341)

[36] ينظر: المذهب المالكي مدارسه ومؤلفاته خصائصه وسماته، (ص:95-107).

[37] ينظر: مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، (ص:35).

[38] ينظر: مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، (ص:36).

[39] ينظر: مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، (ص:36).

[40] أخرجه الترمذي في سننه، باب ما جاء في عالم المدينة، (344/4، حديث رقم: 2680)،قال أبو عيسى:"هذا حديث حسن وهو حديث ابن عيينة".

[41] أخرجه مسلم في صحيحه، باب قوله ﷺ: " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم"، (54/6، رقم: 5067).

[42] ينظر: مقدمة ابن خلدون، (ص: 254).

[43] المغرب مالكي، لماذا؟، (ص: 47).

[44] ينظر: مناسك الحج والعمرة للألباني، (ص: 45).

(45) ينظر: آداب المعلمين، (ص: 102)، ومعرفة القراء الكبار، (181/1)، والقراء والقراءات بالمغرب، (ص:13).

(46) للاستزادة أكثر في هذا الموضوع ينظر كتاب: قراءة الإمام نافع عند المغاربة (151/1 وما بعدها).

(47) أخرجه البخاري في صحيحه، باب كتاب بدء الوحي، (222/6، رقم: 4987).

(48) ينظر: آداب المتعلمين،(ص: 49).

(49) المدرسة القرآنية وأثرها في تقوية النظام التربوي، سلمان نصر، جريدة الفجر17جوان 2001، (ص:19).

(50) هدية الألباب في جواهر الأدب، (ص:07، 08).

الكتاتيب القرآنية ودورها في تعزيز منظومة القيم في الجزائر

د. نعيمة شلغوم

د. جمعة مصاص

جامعة عباس لغرور، خنشلة

ملخص المداخلة: مثلت الكتاتيب القرآنية في الجزائر؛ في فترة ما بعد الاستقلال أفقا رحبا وبداية أصيلة لتعلم القراءة والكتابة من خلال حفظ سور من القرآن الكريم.

هذا الحفظ لكتاب الله فتق مواهب الطفل القرائية وفجر طاقته الاستيعابية وعزز ملكة الحفظ لديه.

إن المتأمل فيما قدمته الكتاتيب القرآنية في الجزائر لمنظومة القيم في الجزائر يدرك مدى إسهامها في تأديب وتأهيل الطفل والناشئة قبل المدرسة وحتى ملازمته أثناء مساره الدراسي، وهو دور هام اضطلعت به هذه الفضاءات الدينية وأسهمت بشكل جلي في تربية الأجيال و إعدادها من أجل خوض مختلف مراحل الحياة والمحافظة على طابع الهوية الإسلامية و اللغة العربية وترقية الفرد ثقافيا وتعليميا وأخلاقيا من خلال تشبعه بالقيم والمبادئ الواردة في القرآن الكريم، وهو ما تطمح إليه المداخلة الموسومة "**الكتاتيب القرآنية ودورها في تعزيز منظومة القيم في الجزائر**" عبر الإجابة عن سؤال جوهري مفاده: ما مدى إسهام الكتاتيب القرآنية في تعزيز منظومة المبادئ والقيم الأخلاقية في الجزائر؟.

الكلمات المفتاحية: الكتاتيب القرآنية، التعليم، منظومة، النشء، الجزائر.

مقدمة: ارتبطت حركية التعليم بالجزائر –منذ زمن– بعيد بتعليمية اللغة العربية وحفظ القرآن الكريم في أماكن خاصة تسمى «الكتاتيب». حيث تمثل هذه الفضاءات الدينية النموذج الأول لنظام التعليم في الجزائر قديما، وإليها يرجع الفضل في نشر العلم

بين الناس وتربية الأجيال وإعدادها من أجل خوض مختلف مراحل الحياة والمحافظة على طابع الهوية الإسلامية واللغة العربية وتعزيز منظومة القيم في المجتمع الجزائري رغم بدائية طرق التعليم بهذه المدارس في ذلك الوقت، حيث أسهمت على مدى عقود طويلة في تأديب وتأهيل الطفل والناشئة قبل الدخول إلى المدرسة.

وسيتم من خلال هذه المداخلة، إلقاء نظرة على التعريف بالكتاتيب، وبدايات ظهورها وانتشارها في الجزائر، ودورها في تثبيت مقومات الشخصية الجزائرية، خاصة في فترة الاستعمار الفرنسي بالتركيز على مجهودات جمعية العلماء المسلمين التي سعت لنشر هذا النمط من التعليم ورعايته من أجل مواجهة كل مظاهر التغريب ومن ثم تتبع واقع هذه الكتاتيب بعد الاستعمار حيث عرفت تهميشا واضحا تحت راية الإصلاح والتحديث، مما أفرز أجيالا ضعيفة لغويا وثقافيا ودينيا، وهذا ما يستدعي إعادة النظر في دور الكتاتيب وتفعيلها كجهة مساندة للمؤسسات التعليمية الحديثة .

1ـ تعريف الكتاتيب: الكتاتيب "جمع كُتَّاب، وهو مكان للتعليم الأساسي، كان يقام غالبا بجوار المسجد لتعليم القراءة والكتابة والقرآن الكريم وشيء من علوم الشريعة واللغة العربية والتاريخ والرياضيات،... وهو أشبه بالمدرسة الابتدائية اليوم "[1]، حيث يشرف فيه شيخ الحي أو إمام المسجد، على تعليم الأطفال أساسيّات القراءة والكتابة العربيّة والقرآن الكريم.

ويعرف **ابن سحنون** الكُتاب بضم الكاف وتشديد التاء بأنه: "موضع تعليم الكتاب والجمع الكتاتيب"[2]، مما يدل على أن المهمة الأساسية للكتاب هي تحفيظ وتعليم القرآن الكريم للصبيان، وأنه غالبا ما يكون ملحقا بالمسجد.

وقد ذكر **ابن خلدون** أن تعليم القرآن الكريم شعيرة من شعائر الدين أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم، لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث، وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعده من الملكات. يقول في مقدمته: "اعلم أن تعليم الولدان شعار الدين أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ

الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الحديث... وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعد من المكان.. وسبب ذلك أن التعليم في الصغر أشد رسوخاً وهو أصل لما بعده لأن السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات وعلى حسب الأساس وأساليبه يكون حال من ينبني عليه"[3].

إنّ حفظ القرآن الكريم، وتعلم مبادئ القراءة والكتابة في الكُتاب للطفل الصغير الغض يفتق موهبته، ويدفعه إلى السعي للاستزادة من علوم الدين ومعارفه، ويحببه في الحفظ وإدراك الأمور والإحاطة باستشكالاتها، وهو الأمر الذي أولته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الأهمية القصوى فرأت في تعليم النشء، وتحصينه بمبادئ اللغة السليمة والقيم الأخلاقية الفاضلة، دعامة هامة لتشييد البنية التحتية للمجتمع وفق آليات داعمة تنشد تكوين جيل متعلم، مدرك لواجباته نحو أمته ووطنه..

إن إعمار نفس الصغار بالفضائل والقيم الدينية يدفعهم إلى التشبث بالقرآن الكريم وبنفحاته الروحية، فيتعودون عليه ويتناغمون معه، فينشأون بالتالي على حب العلم وعلى حفظ القرآن، فتتفتح آفاقهم وتمتد طموحاتهم إلى ابتغاء العلم النافع، من خلال المواظبة على المسجد، وهو ما يؤكده **العلامة ابن باديس** في هذا الشأن، فيقول : "إن التعليم المسجدي في قسنطينة كان قاصرا على الكبار و لم يكن للصغار إلا الكتاتيب القرآنية فلما يسر لي الله الانتساب للتعليم سنة 1913 جعلت من حملة دروسي، تعليم صغار الكتاتيب القرآنية بعد خروجهم؛ فكان ذلك أول عهد للناس بتعليم الصغار"[4] .

ومن المؤكد أن في سبق القرآن إلى قلب الصبي من المعاني الروحية والنفسية إيحاء عظيم، حيث يجعله يألف ألفاظه وعباراته، وتذوق أسلوبه مما ينشئ فيه الاستعداد للتأثر به والانقياد لأوامره ونواهيه.

خصائص التعليم في الكتاتيب: إن الطريقة التربوية التي اعتمدتها الكتاتيب بوصفها مؤسسة من مؤسسات التنشئة الاجتماعية قد لاقت نجاحا كبيرا، وحظيت بقبول واضح من المجتمع بفضل ما تتميز به من خصائص يمكن إيجازها فيما يلي:

1- طابعها الشعبي، نظرا لارتباطها بمناطق تجمع السكان مما يجعلها متاحة لجميع أفراد الفئات الاجتماعية بما فيها الغنية والفقيرة، كما أنه منبثق نتيجة مبادرات شعبية ناتجة عن حاجيات محلية؛

2- لا يتطلب التعليم والتعلم في الكتاتيب تكاليف مادية مهمة من حيث التجهيز والوسائل المستعملة كاللوحة والحبر وأدوات المحو، إذ يمكن العثور عليها في البيئة المحلية؛

3- تقوم في أغلبها على مبدأ التطوع، حيث لا يكاد العاملون بها يأخذون مقابل عملهم شيئا يذكر؛

4- تركيزها على الجانب الديني، فقد كانت أهم وسائل تحفيظ القرآن الكريم وتعليم أساسيات اللغة العربية؛

5- انفصالها التام عن التعليم النظامي أو الرسمي، وهذا ما أثر على وجودها وصيرورتها مع مرور الزمن.

الكتاتيب في الجزائر بين الماضي والحاضر: إن ظهور الكتاتيب ليس وليد اليوم أو الأمس ، فقد ارتبط وجودها بفجر الإسلام، فإذا عدنا إلى تاريخنا الإسلامي، لألفينا أن الرسول ﷺ قد كان المعلم الأول لأصحابه، حيث كان يحثهم على طلب العلم وحفظ القرآن الكريم ، و تعلم القراءة و الكتابة، " وقد استمر نظام تعليم القراءة والكتابة بأمر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ثمّ الخلفاء من بعده، روي عن عبد الله بن سعيد بن العاص رضي الله عنه؛ أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أمره أن يُعلّم الناس الكتابة بالمدينة، وكان كاتبا محسناً "[5]، بل كان يطلق سراح الأسير إذا علم عشرة صبيان.

ثم استمرّ التعليمُ بالكتاتيب على مدى الأزمنة والعصور في كلّ المجتمعات الإسلاميَّةِ وقد تم دخول القرآن الكريم إلى القطر الجزائري مع الفاتحين الأولين وتلقاه الناس بالقول و الحفظ، وأخذه الخلف عن السلف كاملا غير منقوص بسوره وآياته، وحروفه بل بخطه العثماني الخاص به، فتعلمه الصبيان حسب الطريقة التي تلقوه بها.

وفي تمييزه بين طريقة التعليم في مختلف الأمصار يرى ابن خلدون أن أهل المغرب " اقتصروا على تعليم القرآن فقط، مع بعض الإشارات إلى الرسم ومسائله واختلاف حملة القرآن فيه، فلا يقدمون للمتعلمين شيئا عن الحديث، أو الفقه ولا الشعر ولا حتى بعض نماذج من كلام العرب، حتى يتم تعلم القرآن ويتقنه، يقول:" وهذا مذهب أهل الأمصار بالمغرب ومن تبعهم من قرى البربر أمم المغرب ... فهم لذلك أقوم على رسم القرآن وحفظه من سواهم"[6].

وتجدر الإشارة إلى أن الكتاب بوصفه مؤسسة من المؤسسات القديمة في المجتمع الجزائري، تقوم بدور هام في خدمة النسق العام للمنظومة الاجتماعية وتدعيم دورها الإصلاحي التربوي، خلال فترة زمنية طويلة، وكانت جد فاعلة في فترة الاستعمار الفرنسي، ومثلت رافدا من روافد العلم والمعرفة التي أسهمت في حماية و صقل المجتمع الجزائري قديما وحديثا، وقد دعت الحاجة إلى تأسيسها من أجل " تجنيب المساجد أوساخ الأطفال وضوضاءهم والاحتفاظ بنقاوتها و طهارتها ووقارها، وهذه الكتاتيب أحيانا بيوت منفردة، وأحيانا مجموعات من البيوت، وقد تكثفت في عهد الاستعمار الفرنسي خلال القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين كأسلوب لمواجهة سياسة التنصير والتمسيح والفرنسة وحماية الشخصية الجزائرية ومقاومة سياسة التجهيل الفرنسية "[7].

ولعل أكبر خطأ وقع فيه الاستعمار الفرنسي إبان وجوده بالجزائر، هو السماح للكتاتيب القرآنية والزوايا بالتعليم القرآني، إذ أنه لم يقدرها حق قدرها؛ لأن عدم تمكن الثقافة الفرنسية من التغلغل والنفوذ إلى عمق المجتمع الجزائري وتوقف العملية الاستعمارية في الجزائر مردها إلى الكتاتيب القرآنية التي رسخت مفاهيم أساسية ورؤى كونية في نفوس وعقول الصغار لم تتمكن البرامج الاستعمارية من القضاء عليها.

وقد مرت الكتاتيب في الجزائر بثلاثة أدوار[8]:

1- دور النشأة والفتوة، ويبدأ من النصف الثاني من القرن 19 إلى غاية قيام الحرب العالمية الأولى؛

2- دور التوسع الذي يمتد إلى عام 1931م ويمثل مرحلة ما قبل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين؛

3- دور ما بعد إنشاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والتي رفعت شعار: "الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا"، فتمكنت توحيد توجه المدارس الحرة عبر التراب الجزائري والمناهج مما مكن لتهيئ ظروف اندلاع ثورة التحرير الجزائرية وشحن قلوب الثوار إلى الحرية والانعتاق من الاستدمار الفرنسي وبالتالي التطلع إلى الاستقلال.

كانت غاية جهود جمعية العلماء المسلمين هي خدمة هذا الشعب المحروم من كل حقوقه، حيث ركزت على "نشر الأخلاق الفاضلة والمعارف الدينية والعربية والصنائع اليدوية بين أبناء وبنات المسلمين"[9]. فكان محتوى مناهجها يقوم على ثلاث أسس و هي:[10]

1. تربية إسلامية متينة منظمة؛
2. ثقافة عربية ابتدائية؛
3. مبادئ أولية للمعارف العلمية.

وقد كان لها بالغ الأثر في خدمة الأمة، وذلك بالمحافظة على مقوماتها و وحدتها الاجتماعية و نفخ الروح في المقاومة، حيث سعت عبر مختلف قنواتها من زوايا ومساجد وكتاتيب على المحافظة على وحدة وعروبة الشعب الجزائري واستمر الحفاظ على الطابع الديني و الثقافي.

ولا تزال الكتاتيب قائمةً بفضلِ الله في معظم الولايات الجزائرية، حيث تعد إرثا حضاريا هاما للمجتمع الجزائري، وهو ما تؤكده ملاحظة انتشار حفظ القرآن في الكتاتيب القرآنيّة بتقاليدها القديمة، ورغم ذلك فقد خرَّجت تلك الكتاتيب حُفَّاظًا وقُراء وعلماء كبار في الماضي، ولا زالت إلى يومنا هذا تخرج طلابا متميّزين في المدارس لحذق فهمهم وتوقّد ذاكرتهم بسبب أخذهم القرآن الكريم منذ نعومة أظفارهم.

إن استمرار تعليم الصغار في الكتاتيب –في العديد من المناطق، هو وعي من البالغين وأولياء الأمور بالأهمية التي تضطلع بها الكتاتيب في تعليم الناشئة مبادئ القراءة والكتابة للغة العربية على قواعد صحيحة وأصيلة، وهو الأمر الذي زاد من حرص بعض الأسر على إرسال أبنائها إليها بعد العودة من المدارس الرسميّة أو في الصيف في العطلة المدرسيّة الطويلة، نظرا لدورها الكبير، في الحفاظ على اللغة العربيّة وتعليم القرآن ومبادئ الدين والسيرة النبويّة في ظلّ الإهمال الحكوميّ المتعمّد للعلوم العربيّة والإسلاميّة في برامجها التعليميّة .

ومع تسارع التقدم التكنولوجي الذي اقتحم الأسر، ومع موجة العولمة التي باتت قدرا محتوما، تشهد الكتاتيب تراجعا رهيبا في عصرنا الحالي، لأنها لم تحظ باهتمام من طرف الجهات الرسمية، فقد حلّت المدرسة العامّة محلّها، وعرفت منافسة شديدة من الوسائل التعليمية الأخرى كالفضائيات والشبكة العنكبوتية ودور رياض الأطفال بالإضافة إلى المدارس الخاصة مما قلص دورها التربوي، خاصة مع ضعف المتخصصين وعدم مواكبتهم للطرق الحديثة وللتطور التقني والعلمي المعاصر.

دور الكتاتيب في تعزيز منظومة القيم في المجتمع الجزائري: تعد المنظومة القيمية للمجتمع " أهم وسيلة لحمايته من التشتت والاندثار وتضمن له الاستمرار دون فوضى ودون وصي، والتربية ليست مجرد تعليم معلومات وإنما هي بالدرجة الأولى عملية تنمية بشرية، وكيف لنا أن نطمئن على تنمية بشرية إذا افتقدنا الشراع الموجه أو إذا افتقدنا بنية متماسكة من القيم السوية "[11].

وتمثل القيم عنصرا من عناصر الثقافة في كل مجتمع " فكلما كانت القيم موحدة وثابتة، كلما أدى ذلك إلى تماسك المجتمع، ومن ثم فإن وجود أنساق مشتركة من القيم داخل المجتمع تعمل بوصفها إطارا مرجعيا سائدا لكل أفراد المجتمع " [12]

وقد تعددت المجتمعات وتعددت مصادر قيمهم، ونحن كمسلمين فإن مرجع قيمنا هو مرجع إسلامي يستند إلى تعاليم القرآن الكريم، وقد أسهمت الكتاتيب في تواتر وتوارث هذه القيم الدينية والأخلاقية منذ ظهورها في الجزائر إلى يومنا هذا.

ويمكن حصر أهم القيم الاجتماعية التي تسهم الكتاتيب القرآنية في ترسيخها فيمايلي:

1ــ **المحافظة على اللغة العربية:** إن المتتبع لتاريخ الجزائر تظهر أمامه مكانة العلم في نفوس أهلها، وهذا ما يشي به الاطلاع على مخططات الاستعمار الفرنسي للنيل من هذا التعليم والإصرار على القضاء عليه، فبالإضافة إلى التدهور في الميادين الاقتصادية والاجتماعية، عمل الكيان المستدمر على تحطيم الجانب الثقافي وما يتصل به من رموز الهوية الجزائرية كالدين واللغة العربية، حيث تمت محاصرتها وتضييق الخناق عليها.

ومن المعروف أن الاستعمار الفرنسي قد قام بشن هجوم عنيف على اللغة العربية باعتبارها إحدى مقومات الشعب الجزائري، وهذا من خلال سياسته القائمة على ترسيم اللغة الفرنسية وتهميش اللغة العربية بل أنه كان " يعتبر اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر وكان من نتائج ذلك أيضا تعرض مدارس التعليم العربي الحر ورجاله للاضطهاد ومختلف المضايقات الإدارية "[13].

غير أن الكتاتيب كانت إحدى الوسائل الأضمن لمحاربة مخططات الاستعمار ضد اللغة العربية خاصة مع التفاف الشعب وتأييده وتكاتفه سواء من خلال المساعدة الطوعية أم الانخراط المكثف للتلاميذ في هذه الكتاتيب، وفي ذلك يقول البشير الإبراهيمي " إن هذه الأمة تعتقد وتموت على اعتقادها أن لغتها جزء من كيانها السياسي و الديني وشرط بقائها "[14].

من هنا تظهر لنا مدى أهمية اللغة في قيام المجتمعات، ومدى إدراك الاستعمار لذلك منطلقا من أن الأمة التي تفقد لغتها تفقد هويتها وشخصيتها، يقول الإبراهيمي أيضا " فليقع الاستعمار أو ليطر، فإننا نتعلم لغتنا وديننا ولو في سم الخياط أو على حد مثل الصراط "[15].

2ــ الكتاتيب رمز استمرارية التعليم القرآني وتعليم مبادئ وأسس الدين الإسلامي:

تعرض الدين بدوره إلى حملة شرسة حيث تظافرت جهود رجال الكنيسة مع رجال السياسة في معركة واضحة ضد الدين الإسلامي، غير أن الكتاتيب أسهمت في الوقوف

في وجه هذا التيار المرعب من خلال نشر التعليم الديني و تحفيظ القرآن الكريم لقوله تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[16] وكذا قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ ﴾[17].

إن الدور الأساسي للكتاتيب يتمثل في إعانة النشء على التمسك بالقرآن الكريم من خلال حفظه، وتلاوته وتدبر معانيه وأحكامه.

وتأتي أهمية الكتاتيب دون غيرها من المؤسسات التعليمية الأخرى كونها قائمة على تحفيظ القرآن الكريم بشكل جماعي يساعد على سرعة الحفظ والاستيعاب، ويؤكد علماء التربية أن حفظ القرآن في المرحلة العمرية الصغيرة يظل ثابتا في الذاكرة ويقوّم منذ البداية اللسان العربي ويقوي مخارج الحروف.

بالإضافة إلى تعويد الأطفال على الالتزام بالعبادات وأدائها الشيء الذي يقيهم من الوقوع في شرك الجريمة والسلوكات المنحرفة التي يسعى المجتمع بشتى مؤسساته إلى الوقاية منها من أجل بناء مجتمع سليم ومتماسك "إذ لا يستقيم النظام الاجتماعي القاعدي لولا وجود منظومة أخلاقية إلى جانبه؛ مغروسة في وعي الإنسان قابلة للتطبيق، تلعب دور البوصلة توجه السلوك الفردي والاجتماعي" [18].

3 ــ حماية الثقافة والشخصية الوطنية: اضطلعت الكتاتيب بعدة أدوار تؤكد مدى رفض الشعب الجزائري الانسلاخ عن هويته العربية الإسلامية وعدم قبولهم للذوبان في أتون حضارة المستعمر، فساهمت على بعث مقومات الأمة وزرع روح الوطنية وساهمت في انتشال أبناء الجزائر من ظلام الجهل والأمية، وغرست فيهم مبادئ الوحدة وبذور العقيدة الإسلامية.

كما عملت هذه المؤسسة على تحصين المجتمع من الاستلاب إبان فترة 130 سنة من الاستعمار الفرنسي، وقد كانت ولا تزال رمزا للصمود الثقافي من خلال المحافظة على الإطار العام للشخصية الوطنية، التي تمثل مقوما من مقومات البقاء والاستمرارية للثقافة والشخصية الوطنية الجزائرية ضمانا لاكتساب المجتمع الحد الأدنى من الثقافة

العامة والموحدة والتي لها تأثير مباشر على بقاء واستمرارية مختلف النظم الاجتماعية الأصلية.

4ــ الحفاظ على منظومة القيم في المجتمع الجزائري: تلعب الكتاتيب دورا هاما في:

- تحديد مسار حياة الأطفال، بالإضافة إلى اعتبارها خطوة أولى نحو تجسيد كفاءتي القراءة والكتابة، وفي هذا يقول **ابن خلدون:**" إن الخط والكتابة من عداد الصنائع الإنسانية، وهي رسوم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس، فهي ثاني رتبة من الدلالة اللغوية، وهي صناعة شريفة، إذ الكتابة من خواص الإنسان التي يتميز بها عن الحيوان "[19].
- توسع مدارك الأطفال وتعلمهم تعاليم دينهم.
- تجعل منهم مواطنين صالحين، يعرفون حق الله ويحترمون حقوق الناس ويرعونها، وهذا ما يسهم بشكل فعال في القضاء على تفاقم ظاهرة العنف لدى المراهقين من خلال. تهذيب سلوكهم وإبعادهم عن الرذيلة والصفات المنبوذة في المجتمع كالغش والغيبة والنميمة والكذب وعقوق الوالدين وغيرها ...
- تنمية المحبة بين الأطفال وتقوية الروابط الأخوية.
- مبادئ الإحسان والتضامن والتكافل الاجتماعي في نفوس الصغار.
- تعميق الشعور بالانتماء الاجتماعي للمجتمع المسلم.

خاتمة: ختاما يمكن التأكيد على أن الكتاتيبَ القرآنيّةَ إرث ثقافي تاريخي، وتعبير عن هوية المجتمع المسلم فهي تُسهِمُ في الحفاظِ على اللغة العربيّة ونشر العلم وتكوين ملكة الحفظ لدى الأطفال، كما أنها أسهمت على مدى عقود من الزمن في تلقين المضمون الديني الذي يقوم على مبدأ الوسطية والاعتدال في المنهج الدعوي وتحفيظ كتاب الله تعالى للأجيال الناشئة، والحفاظ على نقل وتواتر النص القرآني من التلف والتحوير.

وفي هذا الصدد ندعو إلى أهمية إيجاد آليات للتنسيق بين المدرسة التربوية والكتاتيب القرآنية، وضرورة الاعتناء بها وتحديثها بما يتوافق مع مستجدات الواقع التربوي، مع التأكيد على أهمية التكوين المنهجي و العلمي لمعلمي الكتاتيب لأنها تعتبر صمام الأمان في المحافظة على الهوية العربية والمرجعية الدينية لدى المجتمع الجزائري،لأن عدم إدراكِ أهمّيّة الكتاتيب القرآنية ودورِها في الحفاظ على الدين واللغة من قبل بعض المجتمعات يُهدّدُ مستقبلَها، ممّا يوجِبُ علينا التعريفَ الدائمَ بدورها في المجتمع والحرصَ على دعم مسيرتها.

الهوامش والإحالات:

[1] ــ المعجم الوسيط، إعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار المعارف، ط1400،2 ه، مادة (كتب).

[2] ــ محمد بن سحنون ، آداب المعلمين ، مطبعة الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، 1972 ص64.

[3] ــ ابن خلدون، المقدمة ، تح: علي عبد الواحد وافي ، دار نهضة مصر، ط 7، 2014 مج 4 ص 1239.

[4]. ــ رابح، تركي : الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح و التربية في الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، ط3، 1981، ص 79.

[5]ــ محمد عبد الحي الكتاني، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، تح:عبد الله الخالدي، منشورات دار الأرقم، مصر، ط2،ج 2،ص 48.

[6] ــ ابن خلدون، المقدمة، مرجع سابق، مج 4، ص 1240.

[7] ــ يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999،
ص 129.

[8]. ينظر: مصطفى قاسم قارة ،مقال بعنوان: مؤسسة عمي سعيد غرداية و أثرها في التعليم القرآني ،رسالة المسجد، نوفمبر2004، ص47. [8]

[9] ــ محمد العربي ولد خليفة ، الثورة الجزائرية معطيات و تحديات ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، 1991، ص 78.

[10] ــ رابح تركي ، التعليم القومي و الشخصية الوطنية ، الشركة الوطنية للكتـــاب ، الجزائـــر 1975، ص 276.

[11] ــ سمير اسماعيل علي ، فلسفات تربوية ، عالم المعرفة ، الكويت ، ط1، 1995، ص 18.

[12] ــ عبد القادر الشريف ، التربية الاجتماعية و الدينية في رياض الأطفال ، دار المسيرة للنشـــر و التوزيع ، عمان ، الأردن ، 2007، ط 1، ص 147.

[13] ــ تركي رابح ، التعليم القومي و الشخصية الوطنية ، مرجع سابق ، ص 325.

[14] ــ محمد البشير الإبراهيمي ، عيون البصائر ، دار المعارف ، القـــاهرة ، ط 1 ، 1963 ص 313.

[15] ــ محمد البشير الإبراهيمي ، الآثار ، المؤسسة الوطنية للكتـــاب ، الجزائـــر ، 1987، ص 245.

[16] ــ سورة الحجر ، الآية 9.

[17] ــ سورة التوبة ، الآية 32.

[18] ــ رشيد ميموني ، البعد الإجتماعي في القرآن الكريم ، مخبر علم اجتماع الاتصـــال جامعـــة منتوري ، قسنطينة ، الجزائر،2009، ص 73.

[19] ــ ابن خلدون ، المقدمة ، مرجع سابق ، ص 338.

الأبعاد الوظيفية للكتاتيب القرآنية بالجزائر في ظل التحولات المعاصرة

أ. نفيسة دويدة

المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة

نص المداخلة: مثلت الكتاتيب تاريخيًا رافدًا مهمـاً للحفاظ على الهويـة الوطنيـة الجزائرية وتحصينها من الهزات المتتالية المستهدفة لها، وكانت إحدى أبرز المؤسسات التعليمية الرائدة التي يمكن وصفها بالنواة الجنينية الأولى التـي انبثقـت عنهـا بـاقي مسارات السلم التربوي والتعليمي بالجزائر، خلال الفتـرة الاسـتعمارية وحتـى بعـد الاستقلال.

وفي الواقع يمكن توصيف حال الكتاتيب القرآنية قديمـاً وحديثًا بكونها أول مركـز يتلقى فيه الطفل الصغير أولى مبادئ اللغة العربية، ويحفظ ما تيسر من القرآن الكـريم ويستذكر بعض أساسيات الأخلاق الحميدة والسيرة النبويـة العطـرة. وقـد حافظـت الكتاتيب على ذلك الدور والأداء رغم تعاقب الزمن والظروف، حيث احتفظت بطابعها التقليدي في الوسائل والبرامج، وفي الوقت ذاته مثلت الأصالة في الأهداف والتوجهات والتأثير.

وعليه تأتي أهمية هذا الموضوع (والمتمثل في الأبعاد الوظيفية للكتاتيب فـي ظـل التحولات المعاصرة) لتبحث في إشكالية رئيسة تتمحور في دراسة مختلف تلك الأبعـاد الوظيفية المنوطة بالكتاتيب (قديمـاً وحديثـاً)؛ كالبعـد الـديني واللغـوي والـوطني والقيمي والاجتماعي..، وعلاقته بالأمن الفكري والحضاري في ظل التسارع والتحول الحضاري، خاصة أن التحديات والمخاطر التي حملتها العولمة الثقافية كثيرة وجسيمة.

1- **أهمية ودور الكتاتيب تاريخيـاً:** لا شك أن القرآن الكريم يمثل تلـك القاعـدة النورانية الأساسية في تكوين الفرد المسلم، به يهتدي ويعمل ويرتقي بحياتـه الدنيويـة

نحو النجاح والأمان والاستقرار الروحي، وعن طريقه يؤمن نفسه عن الزلات والخطايا، وهو الشفيع يوم القيامة.

ولذلك ما لبثت المجتمعات الإسلامية قديماً وحديثاً تحاول إيجاد تلك الروابط التي من شأنها توطيد علاقة الإنسان بكتاب الله تعالى، وتباينت لديها الرؤى والتوجهات بخصوص السبل المثلى لتحقيق تلك الغايات في ظل فقدانها السيطرة التامة عن ذلك خلال فترة الخضوع للقوى الاستعمارية الأوربية، وأثناء تخبطها في مسارات التخلف والهيمنة الامبريالية بعد الاستقلال، الأمر الذي صعب من الوصول حقيقة إلى المنحى المأمول[1].

وبالنسبة للجزائر فإنها ومنذ اعتناق سكانها للدين الإسلامي في القرن الأول الهجري؛ دأبت على توثيقه في الصدور والنفوس حفظاً وتلاوة واستذكارًا وتأملاً وتفسيرًا وتفقهاً، وحرص علماؤها الأجلاء (في الفترة الوسيطة والحديثة) على الاجتهاد في ربط الدين بالحياة اليومية، ولذلك لم تواجه الجزائر أزمة دينية أو تعصباً فكرياً لغير ما كانت تقره التعاليم الإسلامية (حتى لما حكمت فيها بعض الدويلات الإسلامية التي تبنت رسمياً مذهباً بعينه؛ كالدولة الفاطمية الشيعية وقبلها الرستمية الخارجية)، وظلت تلك الوسطية حاضرة إلى غاية اليوم رغم المطبات والتحرشات الأجنبية التي ما انفكت تحاول التأثير على تلك العلاقة بين الدين ومعتنقيه[2].

وقد ساد التسامح المذهبي والديني في الجزائر خلال الفترة العثمانية، وهذا بالجمع بين المذهبين المالكي الخاص بالسكان والمذهب الحنفي الخاص بالأتراك، بالإضافة إلى وجود حرية في المعتقد والممارسة مع باقي الطوائف والأقليات الدينية الأخرى ومنها بالخصوص المسيحية واليهودية[3].

وخلال الفترة الاستعمارية الفرنسية قاومت الكتاتيب بصفة خاصة مختلف الحملات المغرضة المستهدفة لنشاطها، والتي حاولت من خلالها السلطات الاستعمارية القضاء على وحدة المجتمع الجزائري التي يشكل فيها الجانب العقائدي حجر الأساس، وعليه

فإن كل المشاريع والمخططات المسطرة لهذا الغرض زادت من حيز وحجم المقاومة الثقافية واللغوية التي كان مبعثها الكتاتيب[4].

ولأن المقام لا يسمح باستعراض مسار التعليم القرآني في تلك الحقبة التاريخية؛ فإننا نكتفي هنا بإدراج إشارات وجيزة تلخص أهمية الدور الوظيفي الفاعل الذي انتظم في مؤسسات التعليم القاعدي التقليدي، والذي أبرز نجاعته كما سبق القول في الحفاظ على مكونات الهوية، وتتمثل في الملاحظات التالية:

- أدرك المستعمر أهمية البعد الديني، ودوره في التأثير على الجزائريين؛ لكونه بمثابة الاسمنت الذي يصل بين أفراد المجتمع، ويوثق وشائجهم، وينظم علاقاتهم البينية، فدأب على رسم وتنفيذ مخططات ومشاريع كثيرة في هذا الجانب؛ لعل أبرزها وأخطرها هي مشاريع التنصير التنصير والفرنسة، والعمل على تشجيع بعض اللهجات المحلية على حساب العربية، وكذا محاربة نشاط كل الوطنيين والزعماء الدينيين واللجوء إلى إغلاق مختلف المؤسسات التعليمية، ومصادرة الأوقاف التي كانت تشكل الشريان الرئيسي الممول لهذه الأخيرة، بالإضافة إلى إتباع سياسة التضييق على أية مبادرات للإبقاء على ملامح الشخصية الجزائرية قائمة[5].
- لقد توحدت أهداف الساسة والقادة الفرنسيين مع جهود المستكشفين والمستشرقين وعلماء الانتربولوجيا والاجتماع والآثار واللسانيات وغيرهم في العمل على دراسة التفكير الجزائري "الأهلي"، وتوصلوا إلى ضرورة الإسراع في تفكيك خصوصيات ذلك التفكير عن طريق توظيف الوسائل المختلفة، وبإيجاد آليات جديدة بإمكانها فك تلك الوحدة الاجتماعية المتماسكة للجزائريين، وأدركوا أن التعليم التقليدي كان القاعدة الأساسية في تلقي وتثبيت فكر المقاومة والجهاد ضد المحتل الأجنبي وفي الاستماتة في الدفاع عن الوطن والأرض والهوية، وهكذا تجسد الإصرار الفرنسي على محاربة ثالوث الدين واللغة والتاريخ[6].
- كان تمسك الجزائريين في الفترة الاستعمارية بالتعليم التقليدي (القرآني) رغم صعوبة الظروف أمرًا ضروريًا وبديهيًا طالما أنهم استوعبوا وجود معادلة

المنتصر (الكافر)/ المنهزم (المسلم)؛ التي كان لابد لها من نهاية مشرقة في ظل النزعة الإيمانية السائدة، وترسخ أفكار الجهاد بالنفس والنفيس، وبالتالي فإن حركات المقاومة والرفض والتمرد والمقاطعة والهجرة ظلت مستمرة ومتوقدة نتيجة القناعة بالمستقبل المجيد[7].

2- **دور الكتاتيب حديثاً وآفاقها:** إن المنظومة الحديثة للتعليم باتت ترتكز أساساً على مقومات مادية وبشرية ومنهجية عدة، يمثل فيها الاهتمام بالبناء السلوكي والأخلاقي لطفل ما قبل المدرسة الحيز الأهم والاستثمار الأكثر استقطاباً للجهود والأموال، حيث تقاطعت الرؤى بشأن الأولويات، ولكنها صبت في منحى التوجيه القويم المستمد من المثل والأخلاق التي تعزز صفات الصلاح في أذهان الأطفال وتؤثر إيجاباً في استعدادهم لدخول المدرسة، والبدء في بناء الشخصية السوية وفق ما تلقاه في مرحلة التهيئة ما قبل المدرسية، وهي بالتحديد مهام الكتاتيب والمدارس القرآنية لدينا في المجتمعات الإسلامية.

وما نلاحظه اليوم في أوساطنا الإسلامية (ومنها الجزائر) هو تراجع دور الكتاتيب لصالح دور الحضانة والمدارس التعليمية التحضيرية العمومية والخاصة، ولم يعد إدخال الأطفال للكتاب أمرًا إجبارياً كما كان عليه الحال سابقًا، وهذا يعود أساساً لجملة من العوامل التي تداخلت فيما بينها.

ولعل من أبرز تلك العوامل هو الجمود الذي بات يخيم على أنماط التلقين في الكتاب، على حساب روح العصر، وانتشار روح المرح واللعب التي صارت تميز التعليم العصري عن غيرها من المؤسسات. بالإضافة إلى البرامج والوسائل الرتيبة "التقليدية" نفسها، والتي لم تعد مواكبة لما توفره عجلة التكنولوجيا، وخاصة أنها لم تستفد منها إلا بشكل ضيق جدًا. ومن الجلي أيضًا أن انعكاس الرؤى السياسية والتوظيف الإيديولوجي للدين في العالم قد ارتبط في المخيال "المبرمج" للمجتمعات بكون أن منبعها ومحتضنها هو الكتاب "صانع التطرف والإرهاب"، ورغم ما تحمله

هذه الأفكار من مغالطات كبيرة واضحة؛ إلا أنها لا تزال شماعة تحارب باسمها كل مشاريع الإصلاح.

إن الأفاق المتوخاة من الدفع بالعملية التربوية المنوطة بالكتاتيب والمدارس القرآنية ليست بالهينة أو عديمة الجدوى؛ بل إنها تعد بمثابة القاعدة الصلبة التي تهيئ ما يلزم من أدوات لغوية ودينية وأخلاقية يتطلبها المسار التعليمي في المدرسة، ولذلك فإن أي خلل أو تفاوت في دورها سيؤثر على الحلقات التي تتصل بها.

ومن الضروري اليوم إعادة النظر في كل مكونات المشهد العام لهذا الملف، وعلى السلطة ضبط منطلقاته وأهدافه بما يتمشى والواقع المعاصر، وان تشرف بصفة فعلية على طاقمه البشري المكون، وأن تفصل فيما يحيط به من رهانات.

3- **الأبعاد الوظيفية للكتاتيب:** من نافلة القول أن التأكيد على وظيفية الكتاتيب والمدارس القرآنية في بلادنا هي ضرورة حتمية مبعثها الأساسي هو الارتباط بالدين واللغة، ولذلك لابد من حصر الأبعاد المؤسسة لدورها في ظل اكراهات الواقع ورهاناته.

- **البعد الديني:** لقد استمد الجزائريون مقومات هويتهم مما تلقوه من ركائز أسرية واجتماعية مكثفة وأصيلة، كان عمادها بداية الأسرة والمحيط، وثانياً الكتاتيب والمدارس القرآنية، وظلت فكرة الارتباط بها مترسخة في الأذهان مهما كانت الظروف السائدة وفي غالب الأحوال.

إن هذا الإدراك الجمعي بفعالية الكتاتيب في توثيق عرى العلاقات البينية بين الطفل وتعاليم الدين الإسلامي؛ يعد ايجابيا جدا لأنه طالما أثبت أن تنظيم تلك العلاقة من شأنه أن يهيء لمشروع مواطن صالح يستمد أسس مواطنته تلك من دينه قبل أن يستثمر ركائز أخرى موازية كالوطن أو الانتماء وغيره.

ولا بأس من تحديد بعض مخرجات هذا البعد الديني التعبدي، والتي لا تنحصر حتماً في حفظ القرآن الكريم فقط (كما هو الحال في السابق)، وإنما بالإضافة إلى الحفظ لابد من التدبر والتطبيق العملي للتعاليم والقيم المنصوص عليها، واستحضارها

متى تطلب الأمر ذلك بشكلها المقنع والثابت، ولا شك أن مصطلح الثقافة الإسلامية يختصر مجمل تلك الممارسات المطلوب تفعيلها بعد فهمها وتفسيرها من خلال النص القرآني.

ويبدو أن التنافس والتباري في مجال حفظ القران الكريم في مختلف المناسبات والمسابقات الوطنية والدولية التي تنظمها الدولة من شأنه أيضًا أن يبعث في نفوس الصغار وذويهم وعياً بأهمية القران في حياتهم من حيث هو باب لطلب العلم والمعرفة الإيمانية التي يشرف بها كل إنسان مسلم.

- **البعد اللغوي:** لقد حملت اللغة العربية الكتاب الإلهي كوعاء لغوي بليغ، وكان لها شرف البقاء والخلود بحكم ذلك، وبالتالي فإن الكتاتيب (باعتبارها مؤسسات تعليمية ذات طابع ديني بالدرجة الأولى) تستلزم تخصيص اهتمامها للغة العربية لسان الكتاب المنزل، مادامت العلاقة بينهما متعدية، وعليه بات من الواضح أن إتقان هذه اللغة سيكون أيسر كلما كان الإنسان متمكناً من حفظ القرآن، متدبرًا في آياته والعكس فإتقان اللغة يسهل بدوره على المتأمل في النص المصطلحات الكثيرة ذات التأويل المتعدد، أو الكلمات البليغة التي يستصعبها الشخص العادي.

إن كثيرًا من الأبحاث التطبيقية الحديثة التي نشرت في السنوات الأخيرة بالجزائر أكدت على أن مقاربة مستوى الأطفال الذين تمتعوا بحصة مقبولة في التعليم القرآني ونظرائهم ممن لم يحصلوا عليها؛ أبانوا عن الفوارق المهمة في الأداء والتحصيل اللغوي في مادة اللغة العربية وآدابها، بالإضافة إلى سرعة ويسر استقبالهم بما ارتبط بها من علوم أخرى كالنحو والصرف والبلاغة وغيرها[8].

ولا شك أن تلك النتائج وان كانت نسبية لا يجب أن تعمم بشكلها الأفقي؛ إلا أنها تشير إلى مسالة مهمة في اعتقادي وتتمثل في مدى أهمية إيجاد نقطة ارتكاز لبناء شخصية وقيم ولغة الطفل الفصحى، والتي يكون أفضل منبع لها ومغذ لأطرها الكاملة وهو القرآن الكريم.

- **البعد الوطني:** لا يمكن أبدًا إنكار أن المقاومة الجزائرية للمحتل الفرنسي الغاشم قد استمدت جذوتها من مبدأ الجهاد الذي يعد مبدأ ثابتـــاً في الدين الإسلامي كمـــا أن هذا الأخير ظل عبر قرون طوال الحامي لأهله من الهزات العنيفة التـــي مـــرت بهـــا المنطقة (وخاصة منها الحملات الأجنبية الموجهـــة)، فـــالروح الوطنيـــة لا يمكـــن أن تنفصل لدى الجزائري عن الامتثال لأوامر كتاب الله.

ولذلك فإن الكتاتيب القرآنية (باعتبار وظيفتها) تحمل رسالة عملية راقية؛ تتـــدرج في إطار مبدأ الدفاع عن المقومات الوطنية، وغرس قيمها من دين ولغة وتـــاريخ فـــي أذهان الناشئة بهدف تهيئتهم لمواجهة مختلف التحديات المعاصرة التـــي باتـــت تشـــكل حيزًا مهمـــاً من حياتنا اليومية، حيث ســـادت الأفكـــار الهدامـــة، وكثـــرت الآفـــات الاجتماعية، وانتشرت الأمراض العصرية المستعصية، واكتسح الغزو الالكتروني غير المتحكم فيه الأسر والمجتمعات .. الخ.

- **البعد القيمي والاجتماعي:** إن أفضل موجه للقيم لدى الأطفال في البداية هـــو الأسرة حتمـــاً، ثم تتولى المدرسة استكمال البناء الأخلاقي والاجتمـــاعي لهـــم وفـــق متغيرات نموهم الحسي والنفسي والسلوكي، ولكن مساحة تقبل وتعزيز تلـــك الأفكـــار القيمية (كالتحلي بالأخلاق الحميدة، والنظافة، والصدق، والرفـــق بـــالحيوان، والأمانـــة وغيرها) قد يستقيها الطفل بأمان أكثر من الاحتكاك في الكتـــاب والمدرســـة القرآنيـــة بكتاب الله تعالى وسنة نبيه وباستحضار قصص الأنبياء وغيرها.

والتجربة قد أكدت مدى فعالية حدوث تلك الاستجابة السريعة فـــي قبـــول الطاعـــة والامتثال لأوامر الكبار؛ في حال تم إخضاع وربط تلك الأوامر والنصائح بمـــا نـــص عليه الدين الإسلامي، أي التأكيد على مسألة الحرص على حرمة كتـــاب الله، وحجـــم استفادة الحافظ له والبركات التي تناله، وربط ذلك بالجوانب الدنيوية والأخروية، فمـــن أراد الدنيا فعليه بالقرآن ومن أراد الآخرة فعليه بالقرآن، ومـــن أرادهمـــا معًـــا فعليـــه بالقرآن ففيه عزُّ الدين والدنيا.

وبالمقابل يمكن القول أيضـاً أنه من الخطورة اللجوء إلى تخويف الطفل وإرهابه بتوظيف نفس النص لإبداء الاشمئزاز من تصرف ما؛ إذ ينبغي أن يستغل الموضوع بالطرق العقلانية التي يؤكد عليها المختصون التربويون[9].

وعليه فإن النتائج القيمية المتوخاة من إعادة توظيف الكتاتيب والمدارس القرآنية تعتمد بالدرجة الأولى على إيجاد الفضاء النفسي والمادي المناسب، لأن الطرق التقليدية ولى زمنها، وسوف لن تجدي نفعـاً في ظل المستجدات العملية والمحيط الاجتماعي الذي بات يعيشه الطفل.

- **الخاتمة:** نخلص في ختام هاته الورقة الموجزة إلى عدة استنتاجات تصب إجمالاً في منحى ضرورة العناية القصوى بحال الكتاتيب والمدارس القرآنية بالجزائر وذلك على المستويين الرسمي الذي تشرف عليه مختلف مؤسسات الدولة، وكذا على المستوى المجتمعي بواسطة الهيئات والجمعيات والأفراد، والهدف المتوخى من وراء ذلك هو إعادة بناء النسق الفكري والديني واللغوي الذي ينبعث أساسًا من مبدأ توطيد الارتباط بكتاب الله تعالى الذي تعنى به تلك المؤسسات.

ومن البديهي القول أن الأمم المتقدمة اليوم قد باتت تضع سياسات للتنمية البشرية تمتد لعدة أجيال، بحيث تضمن عن طريق تلك السياسات المدروسة الأمن الفكري لأبنائها، وتحصنهم ضد الموجات الدخيلة الموجهة والمفتعلة. ولا شك أن أبرز ملمح تعتمد عليه في ذلك هو الاستقرار الفكري لدى الأطفال، وتعزيز الانتماء الحضاري لديهم. وعليه تحتم علينا أيضـاً ضبط سياساتنا في هذا المجال وفق المرجعيات الإسلامية واللغوية والقومية، وغرس قيم المواطنة والتفاعل الايجابي في نفوس صغارنا؛ بداية من الأسرة، فالكتاب، فالمدرسة في حلقات متصلة ومتكاملة.

- **التوصيات المقترحة:** من التوصيات المقترحة نذكر النقاط التالية:

1- **العمل على تحسين الأحوال المادية** للكتاتيب والمدارس القرآنية بما يتوافق والوسائل التكنولوجية والتقنية الحديثة؛ التي حتمـاً باتت توفر الوقت والجهد للمعلم

والمتعلم، وتتيح مزايا أخرى كالتشويق وكسر الملل والجمود في العملية التعليمية بالإضافة إلى سهولة الفهم والاستذكار ويسر التواصل والحوار؛

2- **العناية بتكوين المعلمين والمشرفين** على إدارة تلك المؤسسات القرآنية وذلك وفق اطر ومناهج نظرية وتطبيقية مدروسة سلفاً، فالمعلم هو أساس العملية التعليمية، ودون تأهيله لا نجاح متوقع للمتلقي، ومن جهة أخرى تخصيص حوافز ورواتب مناسبة له قصد إيجاد ضمانات مغرية لأداء وظيفته بأفضل الوسائل وبالتالي تحصيل أفضل النتائج؛

3- **ضرورة الإسراع في رسم إستراتيجية ناجعة** تعنى بالكتاتيب والمدارس القرآنية وفق منظومة وطنية متكاملة الأدوار، تكون مبنية على أساس إعادة الاعتبار للدين الإسلامي واللغة العربية ومقومات الهوية، وهذا لا يتأتى إلا بتضافر جهود المسئولين، وبتنسيق المهام بينهم؛

4- **مواجهة التحديات الكبيرة المفروضة** على منظومة التعليم الأساسية والتفطن لأية محاولات للتشويه والدعاية المغرضة التي تستهدف فك أواصر الوحدة الاجتماعية والهوياتية للجزائريين، خاصة أن تحديات العولمة الثقافية باتت تلوح بكثير من الشعارات والمشاريع الدولية ذات الأبعاد الخطيرة على المجتمعات الجنوبية، وهو ما يقتضي بحث سبل تمتين العلاقة بين مستويات التعليم القاعدية (الكتاب والمدرسة)

5- **اقتراح إنشاء مجلس أعلى للمنظومة القرآنية** بالجزائر، أو مركز أبحاث متخصص مهمته وضع إستراتيجية كفيلة بتثمين سياسات الدولة والمجتمع في مجال العناية بالقرآن الكريم (واللغة العربية من خلاله)[10]، وتقويمها، وتوجيهها، وذلك بالتنسيق مع كلٍّ من وزارتي التربية والتعليم والشؤون الدينية والأوقاف بالخصوص.

الهوامش والإحالات:

[1] لا يخفى الدور التاريخي الذي قامت به الكتاتيب في المجتمعات الإسلامية منذ أولى مراحل فتحها ودخولها دائرة الإسلام، والى غاية الوقت الحالي، حيث أنها ظلت تلك القلعة الحصينة التي كثيرًا ما تصدت لمختلف محاولات التأثير سلباً على المنظومتين الاجتماعية والثقافية للسكان.

[2] لاشك أن تجربة الدويلات الإسلامية "العابرة" بالمغرب الإسلامي، (ونقصد بالخصوص الدولة الرستمية الخارجية التي حكمت المنطقة في الفترة الممتدة بين 776 و909م، والدولة الفاطمية الشيعية المذهب التي دام حكمها بالمغرب من سنة 909 إلى سنة 1171م) أبانت عن مدى تعاطف السكان وتأثرهم المؤقت بما تفرضه السلطة القائمة، ومن ثم العودة إلى الأصول الوسطية الأولى للدين الإسلامي؛ دونما تخندق مذهبي ضيق ولا أية ملامح للتعصب والتطرف في توظيف الدين.

[3] عبد القادر حلوش: **السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر** (1871- 1914)، دار الأمة، الجزائر ط01، 1999م، ص26.

وكذا: سميرة نقادي: "**واقع تعليم الجزائريين في ظل التشريعات الفرنسية**" **(1919-1945م)**، مجلة **إنسانيات**، CRASC وهران، العدد 53، 2011م، ص ص 27- 34.

[4] Louis (R) : **Note sur l'instruction publique musulmane en Algérie**, Alger, 1882, p 10-11.

[5] لأكثر تفصيل انظر مثلاً:

أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج01، دار البصائر، الجزائر، ص 231.

وانظر: فضلاء، محمد الحسن، **المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر**، ج01، دار الأمة الجزائر، ط1، 1999م، ص58.

[6] يجب تشجيع الدراسات التي تبحث في توصيف الواقع المرير الذي انجر عن تطبيق آليات الهيمنة الثقافية الاستعمارية، وتجاوز تلك السطحية التي باتت تصبغ بعض الدراسات والبحوث عند الحديث عن الجرائم والانتهاكات الاستعمارية، ولابد من تكاثف الجهود والإلمام بمعطيات كثيرة عند الخوض في هذا المحور؛ لأنه يمثل ذلك التراكم التاريخي الذي سينفجر فيما بعد خلال فترة الثورة التحريرية.

[7] Colonna, Fanny *:* **Instituteurs algériens (1883-1939)**, *Alger, O.P.U., 1975, p206.*

[8] انظر: علي اجقو ووفاء دريدي: "**منظومة التعليم القرآني في الجزائر الواقع، التحديات وآليات التفعيل**"، كتاب أعمال الملتقى الدولي الأول للدراسات القرآنية، جامعة الملك سعود المملكة العربية السعودية، 2013م، ص ص 105- 174.

[9] للتفصيل انظر:

آسية بنسلمون: "**الكتاتيب القرآنية نشأتها ودورها في المجتمع المسلم**"، (جانفي 2020م).
https://islamsyria.com/site/show_articles/11784

[10] يمكن مثلاً أن توكل مهام الإشراف للمجلس الأعلى للغة العربية بحكم جهوده الرائعة في مجال العناية بالعربية، وقطعه لأشواط كبيرة في البحث والنشر والتواصل بخصوص ملف علاقة اللغة العربية بالمجالات الوظيفية ذات الصلة، ومنها على الخصوص التاريخ والدين الإسلامي واللسانيات وعلم الاجتماع والانتربولوجيا والترجمة وغيرها. كما أن المجلس كتجربة رائدة مشجعة يعد (في رأيي) ملهماً لتجارب مماثلة ترتقي في الأخير بالمواطنة، وتعزز قيم الهوية في نفوس النشء.

التعليم بالكتاتيب القرآنية بالجزائر ودورها في تعليم اللغة العربية من خلال تحفيظ القران الكريم

أ. بلعريبي نورالدين

جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة

ملخص: ارتبطت حركة التعليم في (الجزائر) خاصة في الحقبة الاستعمارية بمؤسسة الكتاب، التي كان لها دور طلائعي في الحفاظ على الذاكرة الوطنية خاصة بمقوماتها الدينية واللغوية، وذلك من خلال تحفيظ القران الكريم. وشكلت بذلك تراثا علميا ما يزال جزء كبير منه في طي النسيان، فقد شكلت حقلا خصبا لتدريس وتعليم اللغة العربية القائمة اصلا على التعليم والحفظ، وان كانت طريقة كلاسيكية الا انها شكلت سدا منيعا في صدور اطفالنا ضد محاولات الاستلاب الثقافي واللغوي وحافظت على نقل وتواتر النص القرآني من التلف والتحوير.

وشكلت (الكتاتيب والمساجد والربطات) دورا كبيرا في التعليم ونشر اللغة العربية في اوساط الجزائريين بمن فيهم (الامازيغ)[1] وأصبحت العربية القاسم المشترك الذي يجمع ابناء الامة واللحمة التي أسهمت في بناء قوتها في مواجهة الاستعمار.

مقدمة: أردنا من خلال هذا البحث إبراز الدور الذي قامت به (الكتاتيب) في مجال التعليم خلال الفترة الاستعمارية وخاصة اللغة العربية وذلك كمحاولة منا لإجلاء بعض الحقائق إذ كثيرا ما أحيط نشاط تلك المؤسسات التعليمية الصغيرة والبسيطة، بالشكوك والاستفهامات الكبيرة والتي في جزء كبير منها كانت دسيسة استعمارية. اذ شكلت تلك المؤسسات اللبنة الاولى في حركة التعليم في الجزائر بلسان عربي مبين. وهنا كانت عرضة للمضايقة من لدن غلاة المعمرين تحركهم الادارة الاستعمارية التي لم تكن بمنأى عن هذه السياسة.

لذا سنحاول من خلال هذا البحث البسيط أن نحدد بعض الحقائق والمفاهيم والمصطلحات خاصة في ما يتعلق بالجانب التعليمي للكتاتيب عامة والتي لها صلة بهذه الأمة المتجذرة في تاريخها وهويتها العربية الإسلامية. ومن هنا كانت إشكاليتنا التالية: إلى أي مدى أسهمت الكتاتيب في تغطية العجز الكبير الذي أحدثته سلطة الاستعمار بمحاربتها للتعليم في أوساط الجزائريين؟ وما هو دورها في تكوين الشخصية الوطنية؟ وكيف أسهمت بتحفيظها للقران الكريم من الحفاظ على اللغة العربية وموروثها ومن ثم الحفاظ على (الجزائر) وهويتها بأبعادها الثلاثة؟

2- تعريف الكتاب:

2-1- التعريف اللغوي للكتاب: تنطق بضم الكاف وتشديد التاء، وهو موضع تعليم الكاتب اي الكتابة وجمعها الكتاتيب[1] ويقول (احمد امين): "كل من المكتب والكاتب استعمل لتعليم الصبيان"[2] وهو مكان تعليم الصبيان الصغار، يقول (البستاني) "الكتاب جمع كاتب وموضوع التعليم وجمعه كتاتيب، والمكتب موضع تعليم، وجمعها مكاتب "[3].ووجدت تعابير لغوية مختلفة اطلقت على هذه المؤسسة الصغيرة حسب بيئات الجزائريين منها شريعة في الارياف الجزائرية [4]. اما عند البدو الرحل فكانت " عشة الطالب، اي خيمة معلم القرآن معروفة لديهم، تلازم الرحل منهم في الاقامة والظعن والمعلم بينهم مبجل محفوظ"[5]. وعند (بني ميزاب) تدعى المسج، أما في (زواوة) تدعى المعمرة وفي منطقة (توات وتديكلت) تدعى أقريش، وهي كلمة زناتية الأصل تعني التعلم بدون قرش[6].

2-2-التعريف الاصطلاحي: عبارة عن قاعات او غرف صغيرة بجانب (المسجد) او فوقه سميت بالكتاب، وقد تكون منفصلة عن المسجد حتى يكون المسجد بعيدا عن الضوضاء وحفاظا على نظافته. وقد قامت بدور طلائعي في المجتمع الجزائري "نظرا للدور الفعال الذي قام به في التنشئة لأفراد المجتمع على حفظ القران الكريم حفاظا على شخصيتهم القومية والخاصة إبان الاحتلال (الفرنسي) (للجزائر) "[7] وهي بذلك عبارة عن مدارس قرآنية اساسية تقام غالبا بجانب المسجد لتعليم القراءة والكتابة

والقران الكريم، وبعض العلوم منها الشريعة والعربية والسير والحساب...، ويشرف عليه معلم حافظ للقران الكريم وعلوم اللغة العربية وبعض المعارف الفقهية ومصاريفها تكون مصادرها عامة من الأوقاف أو من تبرعات المحسنين[8].

ورغم هذا الاختلاف والتنوع في تعريف (الكتاتيب) الا انها تتفق كلها وتجمع على انها مكان مخصص للتعليم الاولي للصبيان بغية تنشئتهم تنشئة قرآنية صرفة.

3- نشأة الكتاتيب في (الجزائر): ظهرت الكتاتيب في وقت مبكر من تاريخ الاسلام، وذالك في السنة (الثانية من الهجرة النبوية) ونشوء (الدولة الإسلامية). وهذا ما توضحه الرواية المشهورة التي فيها ان (النبي صلى الله عليه وسلم)، جعل فداء بعض اسرى (بدر) ممن لا مال لهم : ان يعلم الواحد منهم عشرة من الغلمان الكتابة فيخلي سبيله، فكان ممن تعلم منهم زيد بن ثابت وأضاف (ابن كثير): "أن غلاما من هؤلاء المتعلمين جاء الى امه يبكي، فقالت له: ما شأنك ؟ فقال ضربني معلمي".

بدخول الفاتحين إلى شمال إفريقيا (المغرب الإسلامي) بقيادة (عقبة بن نافع الفهري) دخل الناس في دين الله افواجا، وبما ان القرآن مصدر التشريع الأول ودستور المسلمين والمرجعية الروحية لهم تهافت الناس وتسابقوا على تعلمه وليس هذا فحسب بل وتربية الناشئة على حفظه والتنافس على تحصيله بل وغرس مبادئه وتعليمه والتخلق بآدابه، حيث كان الاولياء يسهرون على تعليم اطفالهم وارسالهم الى الكتاب وتعليم المبادئ العامة للدين كالحساب كان يهدف ايضا الى غرض ديني بالدرجة الاولى [9]، ويؤكد (ابن خلدون)على ان المجتمعات المسلمة تحرص على تعليم اطفالهم القرآن منذ نعومة اظافرهم بل صار عادة من عاداتهم وإلف ألفوه وتوارثوه عن الآباء والاجداد حيث يقول : "اعلم ان تعليم الولدان للقرآن شعائر من شعائر الدين اخذ به اهل الملة ودرجوا عليه في جميع امصارهم لما يسبق لهم له الى القلوب في رسوخ الايمان، عقائد من آيات القرآن وبعض فنون الاحاديث وصار القرآن اصل التعليم الذي ينبني عليه بما يحصل من الملكات، وسبب ذلك ان التعليم في الصغر اشد رسوخا وهو اصل لما بعده لأن السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات "[10].

هذا وقد بدأ التعليم القرآني في شكل حلقات حول اعمدة وسراي (المسجد) ولما زاد العدد وكثر الإقبال عليه تحول الى قاعات صغيرة بجانبه، سميت فيما بعد (بالكتاب) وانشئت الكتاتيب وانتشرت في كل بقعة دخلها الاسلام حتى قال بعضهم البعض " انه لم يخل منها حي من الاحياء في المدن ولا قرية من القرى في الارياف "[11] وبذالك انتشرت الكتاتيب في كل ربوع الوطن، واحتل هذا النوع من التعليم مكانة هامة في الجزائر "نظرا للدور الفعال الذي قام به في التنشئة لأفراد المجتمع على الحفاظ على شخصيتهم القومية وخاصة ابان الاحتلال الفرنسي للجزائر "[12]

4- طرق التدريس في الكتاتيب: يقول (ابن خلدون) عن طرق التدريس بين مختلف الامصار ومميزات كل قطر عن آخر في التدريس، إذ يقول في هذا الشأن: "فأما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط، وأخذهم أثناء المدارسة بالرسم ومسائله واختلاف حملة القرآن فيه، لا يخلطون ذالك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم، لا من حديث و لا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب الى أن يحذق فيه أو ينقطع دونه، فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعا على العلم بالجملة وهذا مذهب اهل الأمصار بالمغرب ومن تبعهم من قرى البربر، أمم المغرب، في ولدانهم أن يجاوزوا حد البلوغ الى الشبيبة، وكذا في الكبير اذا رجع مدارسة القرآن بعد طائفة من عمره، فهو لذلك أقوم على رسم القرآن وحفظه من سواهم "[13]

من خلال قراءة متأنية في ثنايا شهادة العلامة ابن خلدون يمكن تلخيص طرق التدريس المعتمدة في الكتاتيب كلاتي:

تعتمد بالدرجة الأولى على طريقة الحفظ والتلقين، فالمعلم هو الذي يشرح، وهو الذي يحلل ما يحتاج إلى التحليل، والمتعلمون عليهم ان يتقبلوا ما يقوله المعلم في معظم الأوقات.

الاقتصار والاعتماد على برنامج واحد، والمتمثل بالدرجة الأولى على الكتاب المنزل وحفظه في صدور الجزائريين، بهدف حفظه من الزيغ والتلف وحتى يكون

سدا منيعا في صدور أبناء الأمة وفي عقولهم وكينونتهم، يستطيعون بفضله مقاومة كل محاولة للاستلاب وحتى يكونوا رجاء لهذه الأمة، بهم ينبلج الصبح القريب.

وكانت مظاهر التدريس في الكتاتيب تقوم اساسا على حلقة الدرس، ومحورها الرئيسي المعلم الذي يجتمع حوله التلاميذ، وفي الغالب لم يكن المعلم يعتمد على نص مكتوب، اذ نادرا ما وجدت مصاحف في الكتاتيب نظرا لشحها بسبب سياسة الحصار المفروضة من لدن الإدارة الاستعمارية أو بسبب حالة العوز والفقر التي كانت تتخبط فيها الأمة.

كان التلاميذ عندما يتقدمون إلى الكتاب يقدم له المعلم لوحة يسجل فيها حروف الهجاء العربية من جهة واحدة، أما الجهة الثانية فيسجل فيها سورة الفاتحة، ثم يبدأ الحافظ في حفظ السورة مشافهة من شيخه بدون تهجين ولا فهم، وإذا أكمل هذه المرحلة يمحوها ثم يدهنها بالصلصال ويتركها تجف، ثم يسطر له المعلم سورة الناس للحفظ والتلقين وهكذا تنمو ملكة الحفظ شيئا فشيئا ويتدرج التلميذ بهذه الطريقة إلى أن يتم حفظ الكتاب كله[14].

5 – برامج التعلم في الكتاتيب: لا شك أن أول ما يتعلمه الطالب في الكتاب هو أحرف الهجاء، وكانوا يستعملون أسلوب التلقين أولا، ويكون ذالك بوصف الحروف بلحن على شكل أهازيج يحفظها الطالب، كقولهم:

الآلف لا شان عليه والبا تنقط من تحت....ثم يتعلم رسمها بعد ذالك بالكتابة على اللوح[15]،وباستعمال القلم [16]والأحبار[17] ويمحى اللوح بعد الكتابة بصلصال [18].وكان الترتيب المعمول به آنذاك في أبجدية اللغة العربية هو الترتيب المغربي الأتي: أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش ه و لا ي ء. انحسر هذا الترتيب الآن في الكتاتيب[19] فقط وحل بدله في المدارس الترتيب المشرقي. وبعد أن يتقن الطالب حفظ حروف الهجاء نطقا ورسما، ينتقل إلى حفظ القرآن الكريم صعودا، وبعد ذلك يسمى حافظا لكتاب الله. والبداية تكون الفاتحة لأنها فرض لا تصح الصلاة بدونها.

وكان من عادة معلمي القرآن كلما حفظ الطالب من الطلبة الصغار ثمنا[20] وضعوا له وسادة يجلس عليها، فيستشرف بذلك على غيره، ويشجعه على الحفظ، كما يبعث في غيره روح المنافسة، فإذا حفظ ثمنا آخر، زاد المعلم له وسادة غير الأولى دواليك حتى يعلموا أقرانه ويزداد حرصها هو وغيره.

وكان في الثلاثينات من القرن الفارط يفرض على الطالب الذي يشق القرآن فحفظ نصف ثمن في اليوم مع رسمه وفق رواية (ورش) عن (نافع) [21]، وبوقوف (الهبطي) [22]، يكتب في اللوحة بحروف كبيرة واضحة، مع علامات الوقف والمد والاملة وبقية الحركات [23] . ويلزم المعيد بحفظ نصف ثمن. ثم صار الآمر بعد ذلك مقتصرا على حفظ ثمن في اليوم، وللمعيد ربعا. وطريقة الحفظ كانت بأن يكرر الطالب ما كتب في اللوح ثلاثمائة مرة، فإذا بلغ العدد حفظ ما قرأ لا محالة.

ومما كان في ذلك العهد أن يملي احد الطلبة المعيدين الثمن أو غيره على الطالب فيكتبه في لوحه، ثم يراجعه له من الحفظة لكتاب الله تعالى، ويصححه بقدر علمه وحفظه، ثم يعرضه في الأخير على المعلم الذي يصححه التصحيح النهائي مع الضبط.

ومن بين وسائل التعليم الناجعة جدا في الكتاب هي القراءة الجماعية للقرآن الحزب الراتب كما أسلفنا، وهي الحلقة التي تنعقد كل يوم على مدار العام، في الصباح والمساء، وتستغرق من الوقت في كل مرة نحو أربعين دقيقة، يستفيد منها الطالب تصحيح قراءته، واستذكار مانسيه، وحفظ ما لم يحفظه. ويختم القرآن بهذا النسق مرتين في الشهر الهجري، فتكون الحلقة في أول الشهر بعدد اقل من الطلبة ثم ينضم إليها كل يوم آخرون ممن أدركوا ذلك الحزب بالحفظ، فلا ينقضي الشهر حتى تكون الحلقة قد استبوعت كل الطلبة.

كما تستفيد من هذه القراءة الجماعية فئة المكفوفين، فهم لا يجدون من يتفرغ لتلقينهم القرآن الكريم بالسماع، والمعلوم أن قدرة المكفوفين على الحفظ السريع عالية بحكم خلو ذاكرتهم من الصور التي تحجز الحيز الأكبر منها. فنجد عددا لا بأس به قد تخرج من الكتاب عالما وعلما من هذه الفئة[24].

كان النظام التعليم في الكتاب آنذلك يخضع لمنهج فيه شيء من مراكمة التلقين إذ كانوا يكتبون مع كل الثمن في اللوح[25] عشرة أو عشرين بيتا، أو قدر ذلك من المتون العلمية، كمتن ابن عاشر والاجرومية وألفية ابن مالك وجوهرة التوحيد ومختصر خليل، والشاطبية ونحوها، فلا يختم الطالب حفظ القرآن الكريم حتى يكون قد حفظ من المتون ما شاء الله له، ثم يلتحق بعد ذلك بحلقة العلم، للشروع في فهم وإدراك ما حفظه.

ومرحلة حفظ القرآن الكريم حفظا متقنا كانت تستغرق عامين إلى ثلاثة أعوام، إذا كان الطالب مجتهدا ومواظبا، وربما تأخر بعضهم إلى أكثر من ذلك والى الآن يكتفي كثير من الطلبة بهذا المستوى، إذ أن غاية معظمهم تعلم القراءة وحفظ القرآن الكريم. تناسب الهوية الوطنية إلى الوطن، وهي تتمثل مجموعات الصفات، والسمات الثقافية العامة: التي تمثل الحد الأدنى المشترك بين جميع الأفراد، وهي التي تجعلهم يتميزون بفضلها عن بقية الأوطان[26] وان شكلت بعض الأوطان امة واحدة[27].

6- دور الكتاتيب في الحفاظ على اللغة العربية والهوية الوطنية:

إذا كانت الهوية عند (تايلور) هي ذلك الكل المركب، فإنها حتما إحدى أهم المكونات الهوية السوسيولوجية، أو الفلسفية أو أي روابط نفسية تمثل قواسم مشتركة أو الطينة التي تمثل مركبا اجتماعيا يصعب اختراقه، وتعتبر اللغة إحدى دعائم هذه الهوية، إذن إن اللغة عامل خصوصية كل هوية، والوعاء الذي يستوعب كل أفكارها وتوجهاتها، وهنا لابد من التركيز على عامل اللغة التي لا تشكل وقعا ثقافيا، وإنما مشروع ثقافي، على أساس أنها تؤلف شعورا ب نحن.

من هنا يكون المستعمر (الفرنسي)، بمحاربته للغة العربية لسان حال الكتاتيب التي بدورها تعرضت للمضايقة والتضييق، لعب دورا كبيرا في رسم ملامح الهوية الجزائرية المكانية، وكان سببا في ظهورها، ويمكن أن نميز بين ميزتين أساسيتين للهوية الوطنية أثناء فترة الاستعمار الفرنسي أولها محاولة تشويهها، ومحوها للقضاء على المقاومة [28] وهنا نستدل بخطاب (الجنرال بيجو)[29] أمام مجلس (البرلمان

الفرنسي):".....يجب قلب الجنسية الجزائرية وتحطيم قوة (الأمير عبد القادر) وإلا لن تفعلوا شيئا..... في (الجزائر)....إنكم أمام شعب عزيز متحمس للقتال ومعد بشكل عجيب للحرب. مستعد دائما للحرب غيور على حريته كما يؤكد تاريخه على ذالك..... للهيمنة عليه وتحويله، واغتصابه لصالح الشعب الجديد الذي تريدون إدماجه يجب أن تكونوا دائما أقوياء إما بجيش دائم، وإما بطبيعة وتركيبة الشعب المتسلط "[30]. ومحو معالمها الثقافية وخاصة اللغة العربية التي تعتبر بحق روح الهوية الجزائرية ولن يتأتى ذلك إلا بانتزاع القرآن من صدور الجزائريين كما أكد ذلك غلاة المعمرين الأوائل الذين أقدموا على إحراق كل ورقة يجدونها عشية الغزو الفرنسي للجزائر مكتوب عليها الحرف العربي إذ كانوا لا يميزون بين اللغة العربية والقرآن الكريم بل الأكثر من ذلك كانوا يولعون بها غلايينهم على حد تعبير أبو القاسم سعد الله[31] تحركهم في ذلك الروح الصليبية. من هنا يفهم أن الفرنسيين وحسب منظري الحركة الاستعمارية وعسكرييها وعلى رأسهم بيجو لا يمكن الانتصار على الأمة الجزائرية إلا ان مؤسسة الكتاب ضلت صامدة رغم المحاولات الفرنسية المسرعة والمصرة على محو كل السمات المميزة للمجتمع الجزائري ومواصلة سياسة الفرنسة والاوربة للمجتمع إنها الإجراءات التهديمية للأمة. إن إسهامات الكتاتيب في الحفاظ على اللغة العربية ومن ثم الحفاظ على الهوية الوطنية، لم يكن بالأمر الهين. خاصة إذا علمنا ظئالة الإمكانات المتاحة آنذاك وجهود فرنسا الاستدمارية في محاربة اللغة العربية ومن هنا يمكن تلخيص جهود تلك المؤسسات الصغيرة والبسيطة كما يلي:

التعليم في مؤسسة الكتاب كان محاولة من الأمة الجزائرية للحفاظ على لغة الضاد أمام محاولات الفرنسة، والتعليم التبشيري، لذا جاءت تلك المحاولات لتعليم الجزائريين وتقوية وسائل الصمود أمام محاولات الاستلاب والتغريب.

نجاح إستراتيجية الجزائريين رغم بساطتها في نشر التعليم باللغة العربية، والحفاظ على القران رغم محاولات انتزاعه من قبل الفرنسيين نزعا من صدور الجزائريين.

إن محاولات مؤسسة الكتاب لم تكن سهلة لما تعرضت له من تضييق من مصادرة لأراضي الوقف ونفي وتشريد لمشايخها، حيث كثيرا ما كان يلجا هؤلاء إلى الكهوف والجبال، والغابات، لمواصلة رسالتهم المقدسة وللحفاظ على ديمومة هذه الأمة واستمراريتها وكانت سلاحهم في ذلك لغة الضاد وزادهم الذي لا ينضب القران الكريم إنها إرادة امة لا تقهر.

يمثل التعليم العربي الحر في الكتاتيب اكبر تحدي للمستعمر الفرنسي، ومظهر جلي لعظمة الأمة الجزائرية بمكوناتها الثلاثة، التي أكدت عنها جمعية العلماء المسلمين فيما بعد. أنها ترسيخ واثبات لأمة أقدم واعرق وأسمى حضارة من (فرنسا). وأثبتت تلك المؤسسات رغم بساطتها ورغم التضييق عليها جدارة هذه الأمة للبقاء وقدرتها على الصمود.

إن معظم قادة الثورة الجزائرية سر عظمتهم الأول كان تكوينهم في الكتاب إذ أن معظمهم كانوا يحملون في صدورهم القران الكريم.

7 – الموقف الفرنسي من التعليم في مؤسسة الكتاب: خلال هذه المرحلة حاول الاستعمار القيام بعملية خطيرة جدا وهي عملية الفرنسة والادماج بواسطة تعليمه ونشر لغته واقتراح تجنيسه فتفطن لهذا الخطر الشيخ عبد الحميد بن بديس رحمه الله فرد عليه وقال:

شعب الجزائر مسلم والى العروبة ينتسب

وكادت اللغة العربية ان تضمحل في ارضها ومعها الشخصية الجزائرية المسلمة لولا مؤسسة الكتاب وجهود (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) التي تأسست في 05 ماي 1931 والتي شرعت في إعادة نشاطها من خلال فتح المدارس الابتدائية حرة فبلغ عدد المدارس الحرة ما يقارب 150 مدرسة ايمانا منهم بضرورة استرجاع اللغة العربية لمكانتها. بذلت الإدارة الفرنسية كل ما في وسعها لعرقلة تأسيس هذه المدارس واغلقت الكثير منها وفي 20/09/1947 صدر القانون الجزائري الذي اعترف باللغة

العربية كلغة من لغات الإلحاد الفرنسي واعتبرت جمعية العلماء السليمين هذا القانون تشجيعا لنشاطهم وتضاعفت مجهودات الجمعية وارتفاع عدد المدارس الحرة.

ومن اسباب الرفض الاستعماري وهو يعود الى خوف فرنسا من خطر نشر التعليم على نطاق واسع بين الجزائريين على وجودها في الجزائر. حيث يمكن السيطرة على الشعب الجاهل بسهولة ويسر وتسخيره في خدمة الاستعمار واهدافها بخلاف الشعب المتعلم.

كانت فرص التعليم امام ابناء وبنات الجزائر المحدودة للغاية ان لم نقل منعدمة باستثناء الأقلية الموالية لفرنسا طول الفترة 1962–1830 بحيث لم يتجاوز على الأكثر 8 % من جملة الأطفال الذين كانوا في سن التعليم وتتقلص هذه النسبة كلما صعدنا في السلم التعليمي، ولذلك الأمية المنتشرة بين الجزائريين انتشارا كبيرا بحيث لا تقل عن95% بين الرجال 99% بين النساء رغم الجهود الوطنية الذاتية التي نهض بها الشيخ (عبد الحميد بن باديس) ثم رفاقه (جمعية العلماء المسلمين) التي يعود لها فضل في نشر التعليم باللغة العربية في (الجزائر) ومقاومة الجهل والفرنسة.

محاولة القضاء على اللغة العربية: كان الاحتلال العسكري الفرنسي (للجزائر) مصحوبا بغزو ثقافي مركز وموجه لتحطيم مقومات الشخصية الجزائرية[32]، حتى يفقد الجزائريون بمرور الزمن لغتهم وثقافتهم، ويستبدلوها بلغة وثقافة المحتل، وانتهجت سياسة منهجة نجملها فيما يلي:

جعل التعليم في جميع المدارس الحديثة باللغة الفرنسية وحدها، حيث يقول: (دي روفيقو) سنة (1843م) معربا عن نية التطويع اللغوي: إني أنظر إلى نشر التعليم وتدريس لغتنا بحسبانها الأداة الناجعة المثلى لبسط نفوذنا في هذا البلد.... والمعجزة الحقيقة الواجب القيام بها تكمن في إحلال الفرنسية محل العربية تدريجيا وتعميمها في الإدارة كاملة، وإبعادها للغة العربية[33].

دعوتها للأهالي بتعليم أبنائهم في المدرس الفرنسية، غير أن الكثير من الجزائريين من لم ينخرط في هذا التعليم[34].

محاربة اللغة العربية [35]: في التدريس والمعاملة: باستبدال اللغة العربيـــة الفصـــحى بالعامية، ولم يسمحوا بتعليمها إلا خدمة لإغراضهم، كوســيلة للترجمـــة لتســـهل فـــي التواصل والتعامل مع الجزائريين، وفرضتها على العسكريين والمدنيين حتـــى تكـــون مهمة الجيش سهلة.

– حصر تعلم اللغة العربية في المدارس والمعاهد الفرنسية؛

– محاربة التعامل أو التعليم العربي الإسلامي ومعاقبة كل مخالف لذلك؛

– محاربة حركة التعليم العربي الحر الذي كانت تقوم به مختلف المنظمات الوطنية لاسيما (جمعية العلماء الجزائريين)، واستصدار مراسيم تضيق عليهـــا ومنهـــا قـــانون (ديسمبر 1904م)،الذي بنص على يحظر على كل جزائري أن يفـــتح أو يتـــولى إدارة مدرسة عربية أو كتاب لتعليم القرآن الكريم، إلا بترخيص السلطات، ومن يخالف هـــذا القانون يتعرض للحبس أو الغرامة أو لهما معا،وهناك شروط قاسية لمنح الرخصة مثل اقتصار التعليم على القرآن الكريم وعدم تفسيره أو تدريس تاريخ الجزائر[36]،وقـــرار (8 مارس 1938م)[37]، الذي اعتبر اللغة العربية لغة أجنبية في (الجزائر) لا يسمح بتعليمهـــا إلا على أساس رخصة من الإدارة، وأدى تطبيق هذا القانون إلى تشريد التلاميذ وسجن المعلمين وتغريمهم[38]، والاستيلاء على مصدر تحويله، حيث علمت فرنسا منذ الوهلـــة الأولى للاحتلال إلى مصادرة الأوقاف الإسلامية التي كانت تقوم بالإنفاق على التعلـــيم والثقافة والشؤون الاجتماعية للمسلمين، مخالفة بذلك نصوص معاهدة الاحتلال القاضية باحترام المقدسات الدينية والثقافية للجزائريين. إن الوضعية التي وصـــلت إليهـــا حالـــة التعليم في الجزائر يعبر عنها (محمد فريد) الذي زار (الجزائر) عام (1901) بقولـــه: "هجرت ربوع العلم وخربت دور الكتب وصارت الـــديار مرتعـــا للجهـــل والجهـــلاء وكادت تدرس معالم اللغة العربية الفصحى وتطرقت الى اللغة العامية الكلمات الأجنبية بل أصبحت اللغة الفرنساوية هي لغة التخاطب في العواصم مثل (وهـــران والجزائـــر وقسنطينة وعنابة) وغيرها، ان حالة التعليم في القطر الجزائري سيئة جدا ولو اســـتمر الحال على هذا المنوال لحلت اللغة الفرنسية مكان اللغة العربية في جميع المعاملات بل

ربما لن تدرس اللغة العربية بالمرة مع مضي الزمان، فلا الحكومة تسعى في حفظها ولا تدع الأهالي يؤلفون الجمعيات لفتح المدارس"[39].

خاتمة: لقد أدّى التعليم في الجزائر من خلال مؤسسة الكتاب، دورا مهما من خلال برامجها التعليمية المتمثلة في القران الكريم، واللغة العربية، وهي بذلك مثلت ملاذا آمنا لأبناء الأمة في وقت أوصدت في أوجه الجزائريين سبل طلب العلم وحوربت اللغة العربية والدين الإسلامي معا. كل ذلك بهدف القضاء المبرم على هذه الأمة ورموز هويتها، تحقيقا لمقولة الجزائر فرنسية. وبذلك أسهمت تلك المؤسسات الصغيرة في تعليم أبناء الأمة تعاليم اللغة العربية من حرف واسم وفعل وجعلت أبناء وطني ينسجون عن منوالها. فانتشلت الضحايا من ظلام الجهل والأمية وغرست فيهم مبادئ الهوية والوطنية التي عجز الاستعمار على محوها رغم الإصرار والمحاولات المتكررة. لقد مثلت الكتاتيب ورغم بساطتها ركيزة وصرحا ومدرسة بنيت فيها الوطنية الجزائرية. وغرست في أبناء الأمة بذور الوحدة والعقيدة التي لا تتزعزع. كما حافظت على النسيج الاجتماعي للجزائريين وكانت الصخرة التي تحطمت عليها كل محاولات زرع الفرقة والاستلاب الاستعماري.

الهوامش:

1 ابن منظور: لسان العرب: مطبعة اوستاتوس، دت، ص :128.

[2] احمد امين ضحى الاسلام، ج2، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان،ط العاشرة، د ت، ص 50.

[3] ابن منظور: المصدر نفسه، ص 128.

[4] ابو القاسم سعدالله: تاريخ الجزائر الثقافي، 1954/1830، ج 3، دار الغرب الاسلامي بيروت لبنان، 1998، ص 37-38.

[5]عبد القادر عثماني، الزوايا والتعليم القرآني والديني بها، مجلة الدراسات الاسلامية اصدار المجلس الاسلامي الاعلى، الجزائر ع 2، 1423- 2002، ص 84.

[6] احمد حفاوي، قدي ابراهيم: دور المدرسة القرآنية في في النشأة الاجتماعية – عين صالح نموذجا – مذكرة لنيل شهادة التعليم الثانوي، المدرسة العليا للأساتذة، اشراف الاستاذ كمال عبد الله، ص 5.

[7] مريم رجب: سامي شوال: دور المدرسة القرآنية في اعداد الطفل لدخول مرحلة التعليم الاساسي، مذكرة ليسانس علم الاجتماع تحت اشراف الاستاذ فاتحي جيلي، جامعة تبسة 2007/ 2008، ص 12.

[8] – حاجيات عبد الحميد: الحياة الفكرية في عهد بني زيان، مجلة الاصالة، العدد 26 1975، ص 138.

[9]ابو قاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ج1 1981م ص315

[10]ابن خلدون : المقدمة، ص300

[11]رابح تركي: التعليم القومي والشخصية الجزائرية، ديون المطبوعات الجامعية، الجزائر الطبعة الثانية، 1982م، ص235.

[12]مريم رجب، سامي شوال: دور المدرسة القرآنية في اعداد الطفل لدخول مرحلة التعليم الاساسي، مذكرة ليسانس علم الاجتماع التربية، تحت اشراف الاستاذ، فاتح جيلي، جامعة تبسة 2007/ 2008م، ص12.

[13]ابن خلدون عبد الرحمان كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (المقدمة) الطبعة الثانية، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطبعة والنشر، بيروت 1961، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1959 ص782.

[14] بن احمد التجاني عبد الرحمن، الكتاتيب القرآنية بندرومة من سنة 1900 إلى 1977 د م ج الجزائر، 1983، ص. 13.

[15] عادة مايكون اللوح منحوتا من الخشب أملس ويكون بحجم الكاتب المفتوح تقريبا

[16] القلم ينحت اليراع الحر أو القصب العادي

[17] الاحبار كان جلها يصنع من الوذح، وهو الصوف الرقيق الموجود على بطون وابـاط الغـنم يقص ثم يصهر على صفيح ساخن وتوضع فوقه أجرة لتعكس الحرارة، حتى إذا اخذ لونه يسـود رفع ودق دقا جيدا حتى يصير رطبا، ثم يمزج مع الماء ثم يكسب في محبرة فيها خصـلة مـن الصوف لكي لا يجف.

[18] الصلصال :نوع من الطين ازرق اللون الى خضرة، موجودة في المنطقة.

[19] الكتاتيب: جمع كتاب، وهو المدرسة القرأنية التي تكون ملحقة في الغالب بالمسجد.

20 الثمن وهو ثمن الحزب، والقرأن الكريم مقسم الى ثلاثين جزءا، والجزء فيه حزبان، أي في القرأن ستون 60 حزبا، والحزب مقسم الى النصفين وأربع وأثمان، أي ثمانية أقسام.

[21] اي ضبط المصحف على مايفوق رواية ابي سعيد عثمان بن سعيد المصري المقلـب بـورش المتوفى بمصر سنة 197 ه، لقراءة نافع بن عبد الرحمان بن ابي نعيم المدني المتوفى سـنة 169 ه، عن عبد الرحمان بن هرموز وشيبة بن نصاح ومسلم الهذلي ويزيد بن رومـان ويزيـد بـن القعقاع عن ابي هريرة وابن عباس وعبدالله بن عياش عن ابي بن كعب عن النبي محمد ﷺ .ينظر للمصاحف المغربية.

[22] الوقوف هي السكتات التي تفصل بين المعاني وجمل القرآن الكريم، وقد اخذ بينها مما اختـاره الشيخ محمد بن ابي جمعة الهبطي التوفي بفاس سنة 930 .

[23] هو علم خاص بكتابة مصاحف القرآن الكريم.

[24] يرى بعض العلماء المسلمين ان القراءة الجماعية للقرآن الكريم غير جائزة شـرعا باعتبـار انها بدعة لم تكون على عهد الرسول الله، رغم ان عبدات المسلمين من الصلاة وحج وصيام كلها تتم جمعيا، ورغم ان هذه القراءة الجماعية لها دور عظيم في حفظ القرآن الكريم عمومـا ولفئـة المكفوفين خصوصا. هذا وينظر جامع العلوم والحكم لابن رجب عبد الرحمان بن احمد الحنبلـي وفيه: وذكر حرب انه رأى اهل الشام يقرءون القرآن كلهم جملة من سورة واحدة بأصوات عالية. قال حرب وكل ذلك حسن جميل.1: 345

[25] اللوح هو قطعة خشب ملساء، تكون بحجم الكتاب او اكثر، لازالت تستعمل الى الان في الزوايا لحفظ القرآن الكريم.

[26] احمد بن النعمان: المرجع السابق، ص23.

[27]معنى ذلك ان الهوية الوطنية، تختلف عن الهوية القومية، فالاولى لها علاقة بالدولة والثانية لها علاقة بالامة، وتتحد هوية الوطن بـ: الارض، الشعب، السلطة، الرقعة الجغرافية للمزيد انظر:محمد صالح الهرماسي: مقاربة في اشكالية الهوية، المغرب العربي المعاصر دار الفكر ط1،بيروت،2001، ص09.

[28] مصطفى الاشرف: الجزائر الأمة مجتمع، ترجمة، حنفي بن عيسى، دار قصبة للنشر،الجزائر،2007،ص146

[29]الجنرال بيجو : (Le Maréchale Bugeaud): توماس بيجو Le Maréchale Bugeaud : من أسرة ارستقراطية تقيم في ليموج حيث ولد هذا الجنرال في 15 أكتوبر 1784م وبعد مرحلة من الخدمة العسكرية توجت برتبة قبطان في الحرب الاسبانية حيث تلقى تدريبا خاصا في القمع والإجرام في عهد نابليون الأول، رقاه لويس 18 إلى رتبة عقيد 1814 وفي 1824 استأنف حياته العسكرية. أرسل إلى الجزائر مرتين 1836 والثانية 1837 حيث وقع معاهدة التافنة. وفي عام 1840 عين واليا عاما للجزائر حيث عانى الجزائريون في عهده بسب سياسة الأرض المحروقة كما صاغ نظرياته الاستعمارية. تحصل على عصا المارشال بعد انتصاراته على المغرب الأقصى حيث لقب بدوق دواسلي وتوفي في 1849 بعد أن قضى على مقاومة الأمير ومهد لغزو المغرب الأقصى. أنظر **الكولونيل اسكوت:** مذكرات الكلونيل اسكوت عن إقامته في زمالة الأمير عبدالقادر1841، ترجمة وتعليق إسماعيل العربي، ش و ن ت الجزائر، 1981، ص11

[30]– صلاح مؤيد العقبي: الزوايا والطرق الصوفية بالجزائر، تاريخها ونشاطها، دار البراق بيروت لبنان، 2002، ص301.

[31] – أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، 1900 – 1930، ج2، ط 3، ش و ن ت، الجزائر 1983 ، ص.18.

[32] نبيل احمد بلاسي: الاتجاه العربي الإسلامي ودوره في تحرير الجزائر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م، ظ ص34.

[33] تركي رابح: التعليم القومي والشخصية الوطنية والشخصية الوطنية الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،د،ط، 1395ه_1975م،ص101 ص102.

[34] موسى بن موسى: الحركة الإصلاحية بوادي سوف نشأتها وتطورها1900-1939م مـــذكرة ماجستير في التاريخ الحركة الوطنية، إشراف الدكتور: احمد صاري، عن قسم التاريخ والآثـــار كلية العلوم الإنسانية والاجتماعي، جامعة منوري – قسنطينة،2005-2006م ص159.

[35] نبيل احمد بلاسي : مرجع سابق،ص35

[36]علي غنا بزية : دراسات في تاريخ المقومة الثقافية بالجزائر للحفاظ على هوية الجزائريـــة ج2 مطبعة مزوار،وادي سوف، الجزائر، الطبعة الأولى، 2012م، ص ص32-35

[37] قرار وازي أصدره وزير الداخلية الفرنسي شوطان، ينظـــر: علـــي غنـــا بزيـــة: المراجـــع نفسه،ص35.

[38] جريدة البصائر: لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، العدد 8 ابريل 1938.

[39] – انور الجندي: الفكر والثقافة المعاصرة في شمال افريقيا، القاهرة، 1965. ص 133.

الكتاتيب ودورها
في ثبات الهوية الإسلامية العربية والوطنية

داه. أم هاني حبيطة
جامعة، غرداية

ملخص: تسعى هذه الورقة البحثية للبحث في دور الكتاتيب والمدارس القرآنية في الحفاظ على الهوية الإسلامية والعربية والوطنية والقيم، وكذا دورها في تنشئة الجيل تنشئة صحيحة متينة، وخاصة إبان الاستعمار بعد التغيرات المختلفة التي شملت مناحي الحياة الاجتماعية والتي أحدثت شرخا على مختلف الأصعدة، فكان لها دور المدارس الحالية ونجحت في إعداد أجيال تنهض بالأمة على الرغم من أنها كانت منغلقة على ذاتها ومحدودة، كما أنها مستهدفة من طرف الاستعمار من هنا، نطرح الإشكال التالي: كيف ساهمت الكتاتيب في غرس روح الانتماء للأمة وأسس الدين ومبادئ العربية؟

وقد تطرقنا إلى هذه العناصر للإجابة عن هذه الإشكالية:

1- نشأة الكتاتيب.

2- أهمية الكتاتيب القرآنية وبرامجها في التعليم وطرق تدريسها.

أولا- برنامج الكتاتيب.

ثانيا-أهمية الكتاتيب.

3- الاستعمار ومقاومة الجزائريين- على رأسهم جمعية العلماء المسلمين-.

-السياسة الاستعمارية.

- أساليب الصمود والمقاومة.

- خطة جمعية العلماء المسلمين.

مقدمة: الكتاب القرآني، مؤسسة تربوية شعبية ضاربة في التاريخ المغربي حيث ظلت عبر عقود معينا للمعرفة وخطاً للسلوك الإسلامي الأخلاقي والاجتماعي انطلاقا من العناية بكتاب الله العزيز، حفظا وتعلما وتعليما عملا بحديث الرسول صلى الله

عليه وسلم: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»، وعلى هذا الأساس ظل الكتاب القرآني يشكل الحصانة الروحية والدعامة الأساسية للحفاظ على الهوية الجزائرية وثوابتها الدينية

الكتاتيب هي: جمع كتاب .وهو :مكان للتعليم الأساسي، كان يقام _ غالبًا _ بجوار المسجد، لتعليم القراءة والكتابة والقرآن الكريم، وشيء من علوم الشريعة والعربية والتاريخ والرياضيات ... وهوأشبه بالمدرسة الابتدائية اليوم[1]

يمثل مصطلح "الرفاه" يشير بمعناه الواسع إلى "مجموعة من المثل والممارسات التي تميّز السلوك البشري في مواضع متنوعة الرّفاه اللغويّ لا يحتاجه الفكر الثاقب والرّأي الحصيف فحسب، وإنّما تحتاجه كذلك الفنون التي تتّخذ من اللغة زينتها، سواء أكان ذلك في الشعر أم في غيره من الأجناس الأدبيّة. وكان الرّفاه يعني عند علماء الأسلوبية الأُوَل «عدولا «عن طريقة الكلام اليوميّ وإعادة تشكيل للغة بأفانين من القول وبطرق غير مألوفة من الكلام، لكنّ الرّفاه اللّغويّ ليس كالرّفاه الاجتماعي مقصورا على طبقة دون طبقة؛ فللمتكلم العاديّ حقّ في إشباع رفاهه اللغويّ بالأشكال المتاحة له وليس هناك طبقة محرومة لغويّا وطبقة مرفهة لغويّا كلّ الناس سيّان في الرفاه اللغوي.

ارتبطت الكتاتيب باعتبارها مؤسسات تربوية دينية، تسبق مرحلة المدرسة بتأهيل النشأة وتربيتهم وتكوينهم دينيا واعدادهم من أجل خوض مختلف مراحل الحياة. وعبر التاريخ الاسلامي، كان هناك حرص على الاهتمام بنظام الكتاتيب.

يعتبر العلماء أن منهجية تحفيظ القرآن الكريم للطفل في مرحلة عمرية صغيرة يساعد على تقويم النطق ويقوي مخارج الحروف، اضافة الى قدرة الطفل على الحفظ والاستيعاب في تلك المرحلة العمرية .من هنا تتأتى أهمية الكتاتيب نظرا لدورها الفاعل في تحفيظ القرآن الكريم.

وفي دراسته لأثر تعلم القرآن والفقه على مستوى النمو اللغوي للطفل، يعتبر الدكتور عبد الباسط متولي، أستاذ الصحة النفسية بكلية التربية جامعة الزقازيق

المصرية، ان "للبيئة الثقافية للفرد دور أساسي في خلق جو من التفاعل اللغوي والإيجابي من خلال إتاحة الفرص المناسبة لتعلم اللغة وممارستها على النحو الذي يناسب مستوى نضج الطفل ويساعده على النمو العقلي والانفعالي."

ويضيف أن ذلك المناخ الثقافي الفعال يتشكل من قدرة الأسرة على التفاعل اللغوي المثمر وتوجيه الطفل إلى هذا التفاعل وإلحاقه بجمعيات تحفيظ القرآن (الكتاتيب) التي تعد الطفل ليكون ذاكرًا لأكبر تراث لغوي، ومحافظًا على ذاته من خلال ذلك التذكر الواعي".

هذا الدور الإيجابي للمؤسسات التقليدية، تحاول بعض الدول العربية وعلى رأسها طبعا الجزائر اعادة احيائه من أجل حماية الأجيال من التطرف والانحلال والبحث في آليات تحصين الناشئة من التطرف والتوظيف السلبي للطفولة في الجزائر.

1- نشأة الكتاتيب: إنّنا إذا ما رجعنا إلى تاريخنا الإسلامي نجد أنّ الرسول ﷺ كان المعلّم الأوّل لأصحابه، يحثّهم على طلب العلم ويُقرِئُهم القرآن الكريم، ثمّ كان يُقرِئُ بعضُهم بعضًا، ويحثُّ كلَّ واحدٍ منهم على تعلّم القراءة والكتابة، بل إنّه ﷺ جعل التعليم مساويًا للحريّة، حيث جعل فداءَ بعض أسرى بدر ممّن لا مال لهم أن يعلّم الواحد منهم عشرةً من الغلمان الكتابةَ فيُخلّى سبيلُهُ فكان ممّن تعلّم منهم زيدُ بن ثابتٍ رضي الله عنه، وكانت هذه الحادثةُ نقطةَ نشوءِ الكتاتيب في التاريخ الإسلاميّ، وقد استمر نظام تعليم القراءة والكتابة بأمر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ثمّ الخلفاء من بعده، روي عن عبد الله بن سعيد بن العاص رضي الله عنه؛ أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أمره أن يُعلّم الناس الكتابة بالمدينة، وكان كاتبا محسنًا.

وقد استمرّ التعليمُ بالكتاتيب مدى الأزمنة والعصور في كلّ المجتمعات الإسلاميَّةِ خاصّةً في البوادي والقرى، فهذه الكتاتيبُ مع بساطتها وضيقِ مساحتِها -عادةً- إلاّ أنّ لها دورًا مهمًّا في محو الأميّة وربط المتعلّمين بكتاب الله، وتنوير عقولهم وصقل ألسنتهم منذ الصغر، وممّن اشتهروا في تاريخنا الإسلامي بالتعليم في الكتاتيب التابعيُّ المقرئُ أبوعبد الرحمن السُّلَمِيُّ الكوفيُّ وقيسُ بن سعدٍ وعطاءُ بن رباحٍ والكُمّيت

الشاعر، وعبد الحميد كاتب بني أميّة، والإمام الزهريّ والأعمش والحجاج بن يوسف الثقفيّ، وأسد بن الفرات فاتح صقليّة، وغيرهم كثير ومنهم من كان يعلّم الصبيان أوّل النهار والبنات في آخره.[2]

2- أهمية الكتاتيب القرآنية وبرامجها في التعليم وطرق تدريسها:

أولا: برنامج الكتاتيب

1. الخط: يراد منه معرفة الحروف الهجائية التي تبدأ بحرف الألف وتختم بحرف الهمزة وهي عندهم ثلاثون حرفا بزيادة لام الألف وليس المقصود من دراسة الخط معرفة الحروف الهجائية بأسمائها فقط بل معرفتها مركبة مع الكلمات ومحللة منها بحيث لا يتوقف قط في كتابة أية كلمة عرضت عليه حسب ما يقتضيه الرسم القرآني ولا يرضى المعلم أن يعرف التلميذ الكتابة فقط بل يطلب منه أن تكون كتابته واضحة جميلة منسقة في قالب محدود وبدون أي خلل فني.

2. الإملاء: يعد محاكاة وتقليد المعلم في الكتابة من دون علم لتلك الحروف عن طريق رسمها على اللوح. وعند بلوغ الطفل نوعا من الإلمام ومعرفة الحروف ينتقل المدرس إلى طريقة الإملاء أين يلقي على التلميذ الحروف وعليه أن يكتبها ومع الوقت يكون الطفل قد أجاد رسم الحروف ومعرفتها ليمر به المعلم إلى إملاء بعض الآيات القصيرة والسور وبعد ذلك يصححها إما من المصحف الكريم بإعانة من أقرانه أومع المدرس.

3. الحفظ: إن طريقة الحفظ بالنسبة للتلاميذ الذين لم يعرفوا القراءة تكون سماعيا فالمعلم يلقنهم جملة من القرآن يرددونها عدة مرات ثم جملة أخرى وهكذا حتى يحفظوا السورة القصيرة أوالفقرة المكتوبة على اللوح ثم يعيدون الكرة حتى يحفظوها أما بالنسبة للذين يعرفون الهجاء فهم يحفظون بالسطر أولا ويعرض على نفسه ثم بالسطرين والثلاثة وهكذا حتى يحفظ ما كتبه ويعرض على زميل له بالكتاب فإذا ما شعر بالقدرة ليعرضه على المعلم يطلب من المعلم أن يستمع إليه ويعرض عليه ما بلوحته عن ظهر قلب وهذه الطريقة في الحفظ لها من يؤيدها من المربين المعاصرين

ولها من يخالفها فهذا كامل سليمان يقول : "للتحفيظ طرق متعددة أهمها الحفظ الكلي وذلك بقراءة القطعة كلها مرات متعددة من قبل التلميذ حتى ترسخ في ذهنه ويحفظها ولهذه الطريقة منافع لأنها تساعد التلميذ على حفظ القطعة كوحدة مترابطة، غير أنها لا تصح إلا إذا كانت القطعة الأدبية المراد حفظها سهلة وقصيرة وواضحة، ثم الحفظ الجزئي، وذلك بأن يحفظ التلميذ جملة جملة ولهذه الطريقة بعض المساوئ، لأن نشاط التلميذ وهمته يفتران في المقاطع الأخيرة فيأتي حفظها سطحيا، وهذا يظهر أثره عند إلقاء القطعة الأدبية بكاملها، وأخيرا الحفظ بطريقة المحو، ولهذه الطريقة محاسنها لأنها تسترعي انتباه التلميذ وتوجه نشاطه وتثير طاقاتهم كأن يعمد المدرس إلى محو الكلمة الأخيرة من الصدر ثم الكلمة لأخيرة من العجز والكلمة الأولى من الصدر والكلمة الأولى من العجز ثم الشطر الأول من البيت ثم الشطر الثاني ثم السطر الأول من القطعة ثم السطر الثاني وهكذا يسير المعلم اللبق الحاذق بعمله تبعا لقدرة تلاميذه ورغبته فلا تعجيز ولا ارتجال بل بعمل موجه يوحيه جو الدرس ويصب بواسطته المدرس على تحقيق الغاية المرجوة ويحفظ التلاميذ القطعة الأدبية نثرا كانت أو شعرا[3]

وقد انتهى بعض العلماء إلى نبذ الحفظ والعمل على الحد منه والغلوفي التذكر اللفظي فنظروا إلى الحفظ كأنه من العمليات العقلية الوضعية مؤيدين وجهة نظرهم بأن كثيرا من ضعاف العقول ينعمون بذاكرة قوية بينما بعض الأذكياء بأن ذاكرتهم ضعيفة ولكن ازدراء الذاكرة والنظر إليها، هذه النظرة القليلة الأهمية فيما بعد عن الحقائق النفسية وتدل نتائج البحث في الأمراض النفسية على أن فقدان الذاكرة يؤدي إلى اضطراب الحياة العقلية وفساد السلوك[4]

وما يمكن قوله أن وسائل الحفظ مع الاستفادة من مجموع الحواس أفضل من استعمال حاسة واحدة على الأخص إذا عرفنا أن بعض الناس بصريون وبعضهم سما عيون وبعضهم حركيون فهناك من يحفظ عن طريق البصر بالقراءة الظاهرة الصامتة وهناك من يستفيد عن طريق السمع بالقراءة جهر الصوت عال وهناك من يستفيد بالحركة عن طريق الكتابة وهذه الطرق كلها كانت متعبة في تعليم الصبيان

ولازال معمول بها في الكتاتيب فالعين تستفيد من القراءة واليد من الكتابة والأذن للاستماع[5]

4. التربية الإسلامية: إن التعليم بالكتاتيب يهتم بالتربية الإسلامية حيث يخصص لها وقتا في برنامجه اليومي لما لها من أهمية في تكوين الطفل فالهدف من التربية الإسلامية في نفوس الأطفال وذلك بتوجيه سلوكاتهم وتهذيبها لتتلاءم مع المجتمع وبما أن الطفل يتأثر بالمواقف السلوكية العملية أكثر مما يتأثر بالتوجيهات اللفظية فإنه ينبغي على المدرس أن يتحلى في معاملاته بالأخلاق الحميدة ليكون قدوة فيعمل الكتاب على تهذيب الطفل وتربيته على المواقف الأخلاقية النابعة من الحضارة الإسلامية إضافة إلى تسميعهم القصص الأخلاقية التي تدعو إلى تهذيب سلوكهم وتقام في غالب الأحيان هذه الدروس في شكل نظام الحلقات ونماذج هذه القصص يتعلق بسيرته صلى الله عليه وسلم من أجل تقديم نماذج طيبة للبطولة الدينية والخلقية ليقتدي بها التلاميذ وتنمية ثقافتهم الدينية إضافة إلى إشباع ميولهم نحو القصص.

ثانيا: طرق التدريس بالكتاتيب: إن طرق التدريس تعتبر أساس كل عملية تعليمية باعتبارها عامل أساسي في الاستيعاب ومنه نجد أن الكتاتيب تعتمد على طريقتين : الطريقة القياسية أو الاستنتاجية التي تذكر القاعدة أولا ثم الشرح ثم الأمثلة والطريقة التلقينية الإخبارية التي يقوم المعلم فيها بدور الممثل والتلاميذ بدور المشاهدين[6] وقد أشار الدكتور تركي رابح إلى هاتين الطريقتين بقوله: "تختلف طرق التدريس في معاهد التعليم العربي الحر باختلاف نوعية هذه المعاهد في الزوايا والمساجد تسود طريقة الحفظ والتلقين أو الطريقة التي تعتمد على الإلقاء والإملاء من جانب المتعلمين وهي الطريقة التي يكون موقف المتعلمين سلبيا في معظم الأحيان فالمعلم هو الذي يعد الدروس وهو الذي يشرحها وهو الذي يحلل ما يحتاج إلى تحليل والمتعلمون عليهم أن يتقبلوا ما يقوله المعلم بالقبول والتسليم في معظم الأحيان[7] إن هذه الطرق تخص كل الفروع من لغة وفقه وسيرة... أما فيما يخص تعليم القرآن فالأمر يختلف إذ يعتمد على حفظ القرآن وتلاوته.

أما الطريقة العلمية في التعليم حاليا هي كالتالي: عندما يحضر الطالب لأول مرة إلى الكتاب يقدم له المعلم لوحة ويسجل له فيها حروف الهجاء العربية كلها في جهة واحدة وهي مرتبة كما يلي:

أ.ب.ت.ث.ج.ح.خ.د.ذ.ر.ز.ط.ظ.ك.ل.م.ن.ص.ض.ع.غ.ف.ق.س.ش.هـ.و.لا .ي.ء.

أما الجهة الأخرى من اللوحة فإنما يسجل له فيها سورة الفاتحة ثم يبدأ المعلم في تلقين الطالب سورة الفاتحة جملة جملة ليحفظها بدون تهجي وبدون فهم فإذا حفظها في مدة أسبوع أو أقل أو أكثر ثم يمحوها بماء طاهر ثم يدهنها بمادة الصلصال[8] ويتركها في الشمس، ثم تسطر بكعب القلم أو بقلم الرصاص ويكتب المعلم سورة الناس للحفظ بالتلقين وبالسماع وما يطلق عليها (بالطريقة السماوي)[9] وهكذا صعدا مع الصحف ومن دون تكليف التلميذ بالتهجي حتى يحين الوقت وأما حروف الهجاء فتبقى مسجلة في تلك الجهة من اللوح لمدة أشهر حتى يحفظها عن ظهر قلب إذ يحفظها أولا بأسمائها هكذا:

ألف. باء تاء ثاء جيم حاء خاء دال ذال راء زاي طاء ظاء كاف لام ميم نون صاد ضاد عين غين فاء قاف سين شين هاء واولام ألف ياء همزة.

وإذا ما انتهى من حفظها يجب أن ينتقل إلى مرحلة أخرى وهي معرفة الحروف وينطلق به هكذا باللغة العامية الدارجة: ألف ما ينقطش الباء وحده من تحت التاء زوج فوق وهكذا[10]

ثم بعد ذلك عليه أن يعرف صورة الحروف وأشكالها ويعرف وجه الشبه بينها وبين بعض الأدوات المحسوسة التي يشاهدها كل يوم وينطق بها هكذا: الألف كالعصا الباء مثل السن الجيم كالمخطاف (أي المشجب) وهكذا حتى آخر الحروف والمعلم هو الذي يعطي له أسماء الأدوات التي يراها الطفل يوميا ويطلع التلميذ على وجه الشبه القائم بين الحرف المعني وبين الأداة التي تشبهه ويأمره بالنطق به كما سبق، ويبقى هكذا مدة حتى ترسخ صورة الحروف في ذاكرة الطفل ثم عليه أن يعرف بعد ذلك

كيفية النطق بالحروف وهي مشكولة بحركة الفتحة ا ب ت ث ج ح خ د ذ..... ولا يكتفي منه أن ينطق بالحروف حسب ما تحمله من حركة حتى يضم لنطقه اسم الحركة التي يحملها فيقول هكذا: انصب بالنصب وهكذا يعني الألف تحمل نصبه (أي فتحة) وكذلك الباء ثم ينتقل للضم مع الحروف كلها ثم الكسرة ثم السكون ثم الشدة، تنوين الضم والفتح والكسر وترسم هذه الحركات فوق الحروف أو تحتها وتبقى مدة طويلة جدا حتى يفهمها الطفل ويحسن النطق بها. كل هذه الأعمال تلقن له سمعا وينظر إليها في اللوحة بصريا وينطق بها شفويا.

في النهاية نستنتج أن الكتاتيبٌ (النموذج التقليدّي) مؤسسة تربوية وتعليميّةٌ تعد كقاعدة تحضيريةٌ للطفل قبل دخوله الرسمي للمدرسة تعمل على إعداده نفسياً وتربويا لذلك نجد من الآباء والأمهات من اختار الكتاتيبٌ مؤسسة الأمة الأصليةٌ كقاعدة تربويةٌ أساسية ينٌطلق منها أطفالهم وفضلوها على غيرٌها من المؤسسات التربوية رغم إمكاناتها المحدودة وبساطة وسائلها .لهذا تعد المكان الرحيبٌ لتحفيظٌ كتاب الله تعالى وتعليم القراءات فتخرج فيها كوكب من العلماء.

ثانيا: أهمية الكتاتيب: تلعب الكتاتيب دورا متميزا في تكوين الخلفية القرآنية الإسلامية –وبالتالي اللسان العربي– في عقول كثير من أبناء المجتمع، وتثبيت ثوابت الأمة.

إذ إن تعليم القرآن الكريم وعلومه كان محل تعليم عشرات من الأناشيد والأغاني والأشعار وغيرها الآن والتي احتلت مساحة كبيرة من عقول الأطفال الناشئة وذلك على حساب حفظ القرآن الكريم في تلك المرحلة العمرية الهامة والحيوية والتي تستوعب حفظ ملايين من الكلمات.

وتأتي أهمية الكتاتيب دون غيرها من المؤسسات التعليمية الأخرى كونها قائمة على تحفيظ القرآن الكريم بشكل جماعي يساعد على سرعة الحفظ والاستيعاب ويؤكد علماء التربية أن حفظ القرآن في المرحلة العمرية الصغيرة يظل ثابتا في الذاكرة ويقوّم منذ البداية اللسان العربي ويقوي مخارج الحروف، أما شغل الطفل بحكايات كثيرة

وأناشيد وأغاني أو حتى لغة أجنبية أخرى كما يحدث الآن فيؤدي إلى تشتيت الطفل وإحداث خلل في منظومته العلمية والثقافية.

لذا كان الاستعمار أول ما يستهدفه هي هذه الكتاتيب، والتضييق عليها وفرض غرامات عليها، ونفي علمائها...

ويمكن تلخيص أهم أدوار الكتاب في القيام بالوظائف التالية:

1. تحفيظ القرآن وتعليم مبادئ وأسس الدين الإسلامي؛

2. المحافظة على الإطار العام للشخصية الوطنية، وذلك بالحفاظ على أهم مقومات البقاء والاستمرارية للثقافة والشخصية الوطنية الجزائرية؛

3. ضمان اكتساب المجتمع الحد الأدنى من الثقافة العامة والموحدة والتي لها تأثير مباشر على بقاء واستمرارية مختلف النظم الاجتماعية الأصلية؛

4. تعليم اللغة العربية التي تعتبر إحدى ثوابت الأزمة الجزائرية؛

5. كما عملت هذه المؤسسة على تحصين المجتمع من الاستيلاب إبان فترة 130 سنة من الاستعمار الفرنسي.[11]

3- الاستعمار ومقاومة الجزائريين -على رأسهم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: الحديث عن حماية اللغة العربية والدفاع عنها في فترة الاحتلال الفرنسي حديث عن الوطن وعن القيم الوطنية وعن جهود الشعب الجزائري وجهاده السياسي والثقافي من أجل الحفاظ على كيانه وإثبات وجوده، والصمود في وجه المحاولات الاستعمارية الرامية إلى تقويض أركان الشخصية الوطنية، وطمس المعالم الثقافية وتشويه التاريخ الوطني.

فبعد أن تمكنت فرنسا من نفوذها السياسي والعسكري، وصارت الأم الآمرة في الجزائر، أرادت أن تسيطر أيضا على الجانب الثقافي والفكري وبذلك خططت لسياسة استدمارية هدفها التجهيل وطمس الهوية العربية والإسلامية والوطنية.

ومما **قامت به فرنسا:**

1- الاستيلاء على مؤسسات التعليم بهدمها أو تغيير وظيفتها، مما ترتب عنه انحصار التعليم في بعض الكتاتيب، وغياب المؤسسات الوطنية التي كانت مركز إشعاع بالنسبة إلى الجزائريين، تلك المؤسسات التي كانت اللغة العربية فيها هي لغة التعليم والعلم والبحث، ولكن بعد الاستيلاء على هذه المؤسسات قل نشاطها وضاق مجال التعلم بها وقل عطاؤها؛

2- مصادرة الأملاك الوقفية والريع الذي كانت تدره، تلك الأملاك التي كانت تغذي التعليم وتمول الأنشطة الجارية في المؤسسات التعليمية والدينية؛

3- ضرب حصار شديد على الجزائر، وتشديد الرقابة على كل ما يأتيها من البلدان العربية والإسلامية من كتب وجرائد ومجلات، وتقييد حرية التنقل، حتى لا يتصل أبناؤها بما يثري ثقافتهم، ويعمق ارتباطهم بهذه الثقافة، وينمي وعيهم بذاتيتهم

4- لم تكتف الإدارة الفرنسية بحرمان الأهالي من تعلم لغتهم والاتصال بثقافتهم بل عمدت إلى حرمانهم من نعمة التعلم عموما، لأنها كانت تخشى من الإنسان المتعلم فالتعلم يفتح أمام الشخص أفاقا فكرية، ويعطيه فهما دقيقا للمحيط، وهذه الحقيقة دفعتهم إلى تضييق مجال التعلم الموجه إلى الجزائريين[12].

وبعد أن رأى الشعب الجزائري بعينيه الأساليب الاستعمارية الجائرة اتجاه ثوابت الأمة، ثار وأعلن رفضه المطلق لها قولا وفعلا وذلك لحماية اللغة العربية والدين الإسلامي وللحفاظ على قيم الشعب الجزائري التي تربى عليها.

وعلى الرغم من كل المضايقات الفرنسية إلا أن الشعب الجزائري بقي صامدا رافعا صوت الرفض.

ومما قاله القائد عميروش: "إن أبرز ظاهرة لاستقلال الأمة لغتها وآية ذلك أن يتعلق بها أهلها ويعتزوا بها، وقد آن الأوان أن تعز اللغة بعزة أهلها وتأخذ مكانتها في المدرسة والإدارة والمحكمة...إلخ".

ومن أساليب الصمود والمقاومة:

1- تمسكهم الشديد بلغتهم إلى درجة التقديس ورفضهم الكامل لكل المحاولات الهادفة الى التقليل من حبهم للغتهم وتشويه صورتها في أذهانهم وإقناعهم بأن اللغة الفرنسية هي التي تصلهم بعالم الحضارة.

2- الحرص الشديد على تعليم أبنائهم في الكتاتيب القرآنية وفي المؤسسات الدينية التي كانوا يرون فيها الملاذ الآمن الذي يحصنهم من كل تسيب خلقي وانحراف عقائدي.

3- رفضهم القوي للمدرسة الفرنسية ولبرامجها وامتناعهم عن تسجيل أبنائهم فيها لأنهم يرونها وسيلة من وسائل التنصير والتكفير، ونشر العادات الفرنسية التي لا تنسجم مع عاداتهم وهذا ما دفع الكثير من العائلات أن ترفض المدرسة الفرنسية.

4- لقد كان للزوايا التي تهتم بنشر العلم والتعليم فضل كبير في تربية الناس على الارتباط بتراثهم ولغتهم والتمسك بأصولهم، وكثير من المعلمين والأساتذة تخرجوا من هذه الزوايا.

5- المقاومة السلبية التي دفع الناس إليها والمتمثلة في هجرة العلماء والمثقفين الذي أحسوا بخطورة المخططات الفرنسية الهادفة إلى مسخ الإنسان الجزائري وتغيير عقيدته فالتجأت أعداد من العلماء الذين خافوا على عقيدتهم إلى الهجرة الداخلية والخارجية، بمغادرة البلاد والاتجاه نحو الأماكن البعيدة عن الضغط هروبا بعقيدتهم وحفاظا على ثقافتهم ولغتهم، وبحثا عن الاستقرار النفسي.

6- إلتزام المسؤولين في الأحزاب والهيئات الوطنية التي كانت في ذلك الوقت تمارس نضالا سياسيا، باستعمال اللغة العربية في خطابهم مع الجماهير واستهجان الحديث بالفرنسة، ويعد هذا شكلا من أشكال المقاومة، لأنه سلوك مضاد لما يجري في المحيط الرسمي، ومنسجم مع الاتجاه الوطني.

خطة جمعية العلماء المسلمين: عملت هذه الجمعية على نشر العلم وتربية الأجيال تربية قائمة على أسس الدين الإسلامي، وتثقيفهم، وبث الوعي الأخلاقي والفكري وذلك من خلال:

إنشاء المدارس الحرة لتعليم اللغة العربية والتربية الإسلامية، فأنشأت العديد من المدارس في مختلف جهات الوطن ما يقارب 300 مدرسة.

– الالتزام بإلقاء دروس الوعظ لعامة المسلمين في المساجد الحرة.

– الكتابة في الصحف والمجلات لتوعية طبقات الشعب، فأسست عددا من الصحف الخاصة بالحركة الإصلاحية جعلتها منبرا للنقاش والحوار.

– إنشاء النوادي للاجتماعات وإلقاء الخطب والمحاضرات.

– إنشاء فرق للكشافة الإسلامية للشباب وتوجيه برامج نشاطها.

– العمل على زرع روح النضال في أواسط الشعب لتحرير البلاد من العبودية ورفع الظلم المسلط على اللغة والدين والمؤسسات التي تهتم بهما.

اتخذ الاستعمار سياسة جديدة قاوم من خلالها هذه الجمعية كون المجتمع الجزائري ساندها والتف حولها.

ومما قامت به:

– تكليف أشخاص لمراقبة أعمال وأنشطة هذه الجمعية.

– تعطيل جرائدها.

– إغلاق مدارسها.

– ملاحقة علمائها ونفيهم.

– رفض فتح الكتاتيب إلا برخصة خاصة.

خاتمة: تعتبر الكتاتيب فضاء لتهيئة الطفل لمرحلة المدرسة وهذا ما ذهبت إليه بعض الدراسات التي تعتبرها تهيئة مبكرة للطفل للذهاب إلى المدرسة يجب أن يحرص عليها الولدين كما تعتبر المدرسة القرآنيةٌ مؤسسات علميةٌ تربويةٌ إسلامية كان التعليمٌ فيهًا وما زال يركز أساسا على تحفيظٌ النشء كلام الله، ورغم محدودية

الإمكانيات وبساطة الوسائل إلا أنها استطاعت أن تكون أجيالا من حفظة القرآن عبر العصور إلى يومنا هذا، كما تسعى المدارس القرآنيةٌ إلى جعل الأطفال يكتسبون تدريجيا المقدرة اللغوية التي تتيح لهم التعبير عن أفكارهم تعبيرا واضحا وصحيحا ومن ثم إثراء رصيدهم اللغوي، وعلى الرغم من محاولة الاستعمار طمس هذه المدارس وإبعاد الجزائريين عنها، إلا أنهم لم يرضوا إلا أن يكافحوا في سبيل دينهم ولغتهم ووطنهم.

الاحالات:

[1] المعجم الوسيط :مادة) كتب وينظر: من روائع حضارتنا ص 129 وآداب المعلمين ص 41

[2] آسية بنسلمون، الكتاتيب القرآنية، نشأتها ودورها في المجتمع المسلم.

[3] فؤاد، الأهواني، *التربية في الإسلام*، مصر، مطبعة البابي الحلبي، 1955، ص 181.

[4] *طالب، عبد الرحمن بن أحمد التيجاني*، الكتاتيب القرآنية بندرومة من1977-1900 الجزائر ديوان المطبوعات الجامعية، 1983، ص 54

[5] المرجع نفسه، ص 55.

[6] طالب، عبد الرحمن، المرجع السابق، ص36.

[7] تركي، رابح، *التعليم القومي والشخصية الوطنية*، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1975 ص300.

[8] الصلصال مادة ترابية يابسة بيضاء تؤخذ من الأرض الصلصالية وتدهن بها اللوحة بعد الغسيل لتصبح بيضاء حتى يظهر عليها لون الصمغ المحضر فتقرأ الكتابة بسهولة.

[9] الطريق، السماوي، أي المعلم ينطق بالكلمة أوالآية وعلى الطفل أن يردد وراءه حتى يتم حفظ السورة وهكذا.

[10] يعني الألف لا تحمل نقطة والباء تحمل نقطة من الأسفل وهكذا.

[11] مختارية تراري، التعليم بالكتاتيب القرآنية في الجزائر في منظور الدراسات النفسية والتربوية المعاصرة.

[12] د.عبد القادر فضيل، دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الدفاع عن اللغة العربية أثناء الاحتلال الفرنسي.

دور البرامج الحاسوبية في تصحيح تلاوة القرآن الكريم لدى طلاب المدارس القرآنية: برنامج Praat أنموذجا

داه. إيمان بلحداد

جامعة الحاج لخضر، باتنة

الملخـــص: تهدف الدراسة إلى تقصي دور البرامج الرقمية في تعليم طلبة المدارس القرآنية مخارج الحروف وتصحيح تلاوات القرآن والكريم، وخاصة أثناء حفظه علـــى مسامع الأساتذة والمعلمين، ولهذا اخترنا برنامج Praat؛ وهو برنامج مصمم خصيصـــا لهذا الغرض، ولما له من نتائج دقيقة في دراسة الأصـــوات، ولتحقيـــق هـــذا الهـــدف استخدم المنهج الوصفي المناسب القائم على عرض خصـــائص الأصـــوات العربيـــة ووصف مدى فاعلية هذا البرنامج في تعليم فئة الطلبة، ومن ثمة فإن الإشـــكال الـــذي تطرحه هذه الورقة البحثية : إلى أي مدى يسهم برنـــامج Praat فـــي تعلـــيم النطـــق الصحيح لمخارج الحروف لدى متعلمي المدارس القرآنية؟ ويتفرع عن هـــذا الســـؤال الرئيسي الأسئلة الفرعية الآتية:

-ما أهم صفات الأصوات العربية؟

-كيف هو واقع تعليم القرآن الكريم في المدارس القرآنية في الجزائر؟

-هل تطوير تعليم القرآن الكريم وأحكامه ببرمجيات حاسوبية ضرورة أم اختيار؟

وتنتهي الورقة بتقديم خلاصة لما تم استعراضه وعدد من التوصيات الراميـــة إلـــى استثمار الوسائل والتطبيقات التقنية المتطوّرة في تعليم أحكام التلاوة، وخاصة تصـــحيح القراءة، وذلك لمواكبة ركب التطور العلمي والتقني، وهذا ما يساعد بدوره على تعزيز التعلّم الذاتي لدى هؤلاء الطلبة، وبالتالي اعتماد الذات في الفهم والاكتشـــاف، وتنميـــة المهارات اللغوية عامة، والقرائية خاصة.

الكلمات المفتاحية: البرامج الحاسوبية-النطق الصحيح- الكتاتيب القرآنية

مقدمة: إن القرآن الكريم هو دستور الأمة، وقاعدته التي قام عليها الإسلام، وهو معجزة الله الخالدة، لذا فالواجب على كلّ مسلم العناية بحفظه وتلاوته وتعليمه وتدبّره. وقد عرّف العلماء القرآن الكريم بأنه:" كلام الله المعجز، المنزّل على خاتم الأنبياء والمرسلين، بواسطة جبريل –عليه السلام– المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبّد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، المختتم بسرة الناس"[1].

ومن أفضل العبادات وأجلّ الطاعات تلاوة القرآن الكريم، فقد حثّ الله –سبحانه وتعالى– ورسوله الكريم، ودليل ذلك ما جاء في قوله تعالى: "إنّ الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصّلاة وأنفقوا ممّا رزقناهم سرّا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفّيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنّه غفور شكور" (فاطر"30،29).

ونظرا للمكانة الرفيعة لهذا الكتاب المقدّس فقد اعتنى المسلمون بتعلّمه وتعليمه بطرق ووسائل متنوعة، في شكل حلقات ومناقشات، وتلقين لدروس أحكام تلاوة القرآن الكريم في المدارس القرآنية والزوايا والكتاتيب، وكذا تصحيح تلاوة المتعلمين من قبل المعلمين، ولكن في ظل التقنيات الحديث والتطور السريع الذي مس جلّ العلوم المعرفية أضحت الحاجة ماسّة لتطوير التعليم القآني وأدواته ووسائله بما يواكب والتحولات المعاصرة من خلال الرقمنة في هذا التعليم والوسائط الحديثة، بالاستفادة من التقنيات الحديثة المطبقة في العلوم اللغوية والتربوية على حدّ سواء.

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها: يتمثل السؤال الرئيس للدراسة في: إلى أي مدى يسهم برنامج Praat في تعليم النطق الصحيح لمخارج الحروف لدى متعلمي المدارس القرآنية؟

ويتفرع عن هذا السؤال الرئيس الأسئلة الفرعية الآتية:

–ما أهم صفات الأصوات العربية؟

–كيف هو واقع تعليم القرآن الكريم في المدارس القرآنية في الجزائر؟

–هل تطوير تعليم القرآن الكريم وأحكامه ببرمجيات حاسوبية ضرورة أم اختيار؟

أهداف الدراسة: تسعى الدراسة لتحقيق الأهداف التالية:

-الاستفادة من البرمجيات الحاسوبية الحديثة في تعليم القرآن الكريم وتصحيح التلاوة.

-التعريف ببرنامج برات Praat وخصائصه بعدّه من أحدث البرمجيات الصوتية.

-بيان واقع التعليم في الكتاتيب القرآنية في الجزائر.

منهج الدراسة: اعتمد البحث المنهج الوصفي المناسب، لعرض واقع تعليم القرآن الكريم في الكتاتيب الجزائرية، وكذا وصف برنامج برات Praat، وتبيان فعاليته في تصحيح التلاوة القرآنية.

محاور الدراسة: وقد جاءت الدراسة في المباحث الآتية:

أولا- ما أهم صفات الأصوات العربية؟

ثانيا- كيف هو واقع تعليم القرآن الكريم في المدارس القرآنية في الجزائر؟

ثالثا- هل تطوير تعليم القرآن الكريم وأحكامه ببرمجيات حاسوبية ضرورة أم اختيار؟

رابعا- ما فعالية برنامج Praat في تعليم النطق الصحيح لمخارج الحروف لدى متعلمي المدارس القرآنية؟

وختمت بعرض أهم النتائج والتوصيات، ومن ثمّ عرض للمصادر والمراجع.

أولا: ما أهم صفات الأصوات العربية؟

وتنقسم صفات الأصوات العربية إلى صفات عامة وأخرى خاصة وهي:

-الصفات العامة: وتشمل الجهر والهمس، والشدّة والرخاوة، والتوسط بين الشدّة والرخاوة.

-الصفات الخاصة: وتشمل الإطباق والقلقلة والصفير والغنّة والانحراف والتفشي...

1-الصفات العامة:

صفتي الهمس والجهر: وقد وصف سيبويه المجهور والمهموس من الأصوات بقوله: "فالمجهورة: حرف أشبع الاعتماد في موضعه، ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه، ويجري الصوت فهذه حال المجهور في الحلق والفم إلا أنّ النون والميم قد يعتمد لهما في الفم والخياشيم فتصير فيهما غنة". أضاف قائلا: " وأما المهموس فحرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه. وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرت فردّدت الحرف مع جري النفس".[2]

ففي حالة النطق بالمصوت المجهور تنقبض فتحة المزمار، ويقترب الوتران الصوتيان، أحدهما من الآخر فتضيق هذه الفتحة، ولكنها تسمح بمرور النفس الذي يندفع فيها، فيهتزّ الوتران الصوتيان، وأما الهمس الذي هو عكس الجهر، يرتخي فيه الوتران الصوتيان ولا يهتزان.[3]

والمهموسة في العربية عشرة أحرف وما عداها فهي مجهورة، وفي هذا المقام قال ابن جني: "فالمهموس عشرة أحرف وهي: الهاء، والحاء، والخاء، والكاف، والشين والصاد، والتاء، والسين، والثاء، والفاء، وباقي الحروف وهي تسعة عشر حرفا مجهورا".[4]

الشدّة والرّخاوة: ابن جني عرف الشدة والرخاوة بقوله: "وللحرف انقسام آخر إلى الشدّة والرخاوة وما بينهما، فالشديدة ثمانية: الهمزة، والقاف، والكاف، والجيم، والطاء والدال، والتاء، والباء، والحروف التي بين الشديدة والرخوة ثمانية: الألف، والعين والياء، والميم، واللام، والنون، واراء، والواو، وما سوى هذه الحروف والتي قبلها هي الرخوة، ومعنى الشديد أنه الحرف الذي يمنع الصوت من أن يجري فيه ألا ترى أنك لو قلت الحق والشط ثم رمت مد صوتك في القاف والطاء لكان ذلك ممتنعا. والرخوة هو الذي يجري فيه الصوت ألا ترى أنك لو قلت المش والرش والشح ونحو ذلك فتجد الصوت جاريا مع السين والشين والحاء".[5]

2- الصفات الخاصة: إلى جانب الصفات العامة، هناك صفات خاصة بالأصوات اللغوية نذكر منها:

***الإطباق:** يوصف الصوت بالإطباق إذا ارتفع مؤخر اللسان إلى الحنك الأعلى وفي الوقت ذاته ترتفع نهايته في اتجاه الحنك الصلب، وفي هذه الحالة ينقعر وسط اللسان، ويتجمع فيه قدر كبير من الهواء، مما يجعل الصوت مفخما في أذن السامع ويسمى الصوت مفخّما، والكيفية التي يحدث فيها إطباقا[6]، قال سيبويه متحدثا عن الأصوات المطبقة والمنفتحة: "ومنها المطبقة والمنفتحة، فأمّا المطبقة: فالصاد والضاد والطاء، والظاء[7]. وتسمى هذه الأصوات الأربعة مستعلية منطبقة، مستعلية بمراعاة مؤخر اللسان، ومطبقة بمراعاة نهايته، والمنفتحة كل ما سوى ذلك من الحروف؛ لأنك لا تطبق لشيء منهن لسانك ترفعه إلى الحنك الأعلى.[8]

***الصفير:** أجمع علماء اللغة القدامى على أن صفة الصفير تقترن بثلاثة أصوات هي الصاد والزاي والسين، وسميت عندهم بهذا الاسم "لأن صوتها كالصفير لأنها تخرج من بين الثنايا، وطرف اللسان فينحصر الصوت هناك ويصفر به".[9]

***الغنة:** يقصد بهذه الصفة أنّ كلا من صوتي الميم والنون إذا كان مشكلا بالسكون يتأثر بالصوت الذي يجاوره فيخفى معه أو يفنى فيه مع بقاء غنّة تشعر بوجوده أو صوت أنفي يدلّ عليه، ويحول بينه وبين فنائه في غيره من الأصوات.[10]

والصوامت الغناء في اللغة العربية هي الميم والنون، وتتكون هذه الزمرة الصوتية "بأن يحبس الهواء حبسا تاما في موضع من الفم لكن يخفض الحنك اللين الهواء من النفاذ عن طريق الأنف"[11]

***الانحراف:** يعدّ الانحراف من الصفات المفردة، حيث يمثله في اللغة العربية صوت اللام، لانحراف اللسان معه، ذلك ما أجمع عليه جمهور العرب، وزاد الكوفيون الراء إليه، فهما عندهم صوتا انحراف.[12]

ومعنى الانحراف خروج الهواء من أحد جانبي اللسان أو كليهما معا، ولذلك يسمى عند المحدثين بـ: "Latéral".[13] كما يسمى صوت اللام بالصوت الجانبي، وينطق

هذا الأخير "باعتماد طرف اللسان على أصول الأسنان العليا مع اللثة، بحيث توجد عقبة في وسط الفم تمنع مرور الهواء، ولكن مع ترك منفذ لهذا الهواء، من جانبي الفم أو من أحدهما. وهذا هو معنى "جانبية" الصوت، وتتذبذب الأوتار الصوتية حال النطق به".[14]

***التكرار:** صفة للراء سميت كذلك لارتعاد طرف اللسان به، يتكون هذا الأخير "بأن يمرّ الهواء بالحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجراه في الحلق والفم حتى يصل إلى مخرجه، وهو ملتقى طرف اللسان بحافة الحنك، مما يلي الثنايا العليا ويتكرر التقاء طرف اللسان بحافة الحنك في النطق بالراء العربية، فيطرق طرف اللسان حافة الحنك طرقا لينا مرتين أو ثلاث مرات، ولهذا قالوا إنّ الراء حرف مكرّر".[15]

***التفشي:** صفة ذكرها سيبويه في وصف الشين، سميت كذلك "لأن الصوت ينتشر عند خروجه، ويشغل اللسان مساحة أكبر عند نطقه حتى يصل إلى مخرج الطاء".[16] وحروف التفشي سميت بالشأشأة "لأنها توحي بنداء الرعاة على الإبل أو الحمير فيقولون شأشأ".[17]

***القلقلة:** رغم اختلاف التسميات لهذه الحروف إلا أنها في مجملها لها مدلول واحد، فقد سماها صاحب القاموس المحيط بـــ "الحروف المحقورة" وعلق عليها بقوله: "لأنها تحقر في الوقت وتضغط عن مواضعها، وهي حروف القلقلة، لأنك لا تستطيع الوقوف عليها إلا بصويت".[18] ويضيف كمال بشر "ومعلوم أن القلقة هنا لا تعدو أن تكون تحريكا خفيفا لا يدخل في إطار (الصوت) بالمعنى الاصطلاحي الموسوم بالفتحة أو الكسرة أو الضمة.إنه في حقيقة الأمر مجرد إطلاق الهواء Release بعد الوقفة الحادثة عند بداية النطق بالصوت الشديد (المجهور) ليحدث الانفجار فيكتمل نطق هذا الصوت الشديد ويتحقق".[19]

وعلى هذا الأساس فأصوات القلقلة عندهم خمسة فقط، قال مكي بن طالب: "حروف القلقلة...وهي خمسة أحرف، يجمعها هجاء قولك: (جد بطق)"[20]

ومنه فحروف القلقة هي: الجيم، الدال، الباء، الطاء، القاف.

ثانيا: كيف هو واقع تعليم القرآن الكريم في المدارس القرآنية في الجزائر؟

1- المؤسسات التربوية القديمة للمدرسة القرآنية:

شملت المؤسسات التربوية القديمة كلاّ من الكتاتيب والمساجد والرابطات والمكتبات العمومية والخاصة، وقصور الأمراء ودور العلماء، وحتى الدكاكين...إلخ[21].

وظهر هذا التعليم في أواخر القرن الأول الهجري في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز، حيث قام هذا الأخير يبعث عشرة فقهاء أهل علم وفضل، فقاموا بنشر تعاليم الإسلام أحسن قيام.[22]

***المساجد:** المسجد هو مكان للعبادة، ومدرسة لتعليم الناس القرآن والكتابة وتحفيظهم كتاب الله، وهو جامعة مفتوحة تعقد فيها حلقات المستويات، فهي مركز إعلامي للإسلام، وملجأ لمن لا ملجأ له.[23]

***الزوايا:** لقد ظهرت المؤسسة نتيجة التخلف والجهل، وانتشار ظاهرة الزهد عن الدنيا، والانشغال بالآخرة، وظهرت الزوايا على نطاق واسع في المدن والقرى وخاصة في العهد التركي، والزاوية بيت أو مجموعة من بيوت بناها بعض الفضلاء لإيواء الضيوف، وقراءة القرآن، وذكر الله.[24]

***الرباط:** الرباط اسم من رابطة مرابطة إذا لازم ثغر العدو، وأطلق هذا اللفظ أيضا على بعض الثكنات العسكرية التي تقام في الثغور، يحرس المجاهدون فيها الحدود الإسلامية، والرابطات هي مراكز تشبه إلى حدّ بعيد الزوايا في وظائفها الاجتماعية والثقافية إلاّ أنّ مكان تواجدها يكون قريبا من مواقع الأعداء (الحدود)، ولا تقتصر الرابطات على مهمة الدفاع عن المواطن والحفاظ على تراثه الإسلامي بل تقوم أيضا بوظيفة التعليم...[25]

***الكتّاتيب القرآنية:** الكتاب بضم الكاف وتشديد التاء: موضع تعليم الكتّاب والجمع الكتاتيب[26]، والكتّاب عبارة عن حجرة أو حجرتين قد تكون ملكا لأحد المحسنين وتنتشر الكتاتيب في المدن كما في الأرياف، يكون أثاثها حصير يجلس عليه الطلبة

وألواح خشبية وأقلام من القصب كمية من الصلصال، والسمغ المصنوع من صوف الغنم.[27]

وقال ابن باديس في هذا الشأن: "إن التعليم المسجدي في قسنطينة كان قاصرا على الكبار، ولم يكن للصغار إلى الكتاتيب القرآنية، فلما يسر لي الله الانتساب للتعليم سنة 1913 جعلت من جملة دروسي تعليم صغار الكتاتيب القرآنية بعد خروجهم، فكان ذلك أوّل عهد للناس بتعليم الصغار".[28]

2-وظيفة الكتّاب: الكتّاب مؤسسة من المؤسسات القديمة في المجتمع الجزائري حيث تقوم بدور هام في خدمة النسق العام خلال فترة زمنية طويلة. ويمكن تلخيص أهم أدوار الكتّاب في القيام بالوظائف التالية:

- تحفيظ القرآن وتعليم مبادئ وأسس الدين الإسلامي؛
- المحافظة على الإطار العام للشخصية الوطنية، وذلك بالحفاظ على أهم مقومات البقاء والاستمرارية للثقافة والشخصية الوطنية الجزائرية؛
- ضمان اكتساب المجتمع الحدّ الأدنى من الثقافة العامة والموحدة، والتي لها تأثير مباشر على بقاء واستمرارية مختلف النظم الاجتماعية الأصلية؛
- تعليم اللغة العربية التي تعتبر إحدى ثوابت الأمة الجزائرية.
- كما عملت هذه المؤسسة على تحصين المجتمع من الاستيلاب إبان فترة 130 سنة من الاستعمار الرنسي.[29]

3- واقع التعليم بالكتّاتيب القرآنية الجزائرية: يشير تركي رابح إلى الطرق المستعملة قائلا: "...تسود في الزوايا والمساجد طريقة الحفظ والتّلقين... فالمعلم هو الذي يشرح، وهو الذي يحلّل ما يحتاج إلى تحليل، والمتعلمون عليهم أن يتقبّلوا ما يقوله المعلم في معظم الأوقات".[30]

وفي هذا الصّدد يشير ابن خلدون قائلا: "فأمّا أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاختصار على تعليم القرآن فقط، وأخذهم أثناء المدرسة بالرسم ومسائله..."[31]

وكان مظهر التربية الإسلامية التدريسية سواء في المساجد أم الكتاتيب هو حلقة الدّرس؛ حيث يجلس المعلم ويتجمّع حوله مجموعة من التلاميذ، ولم يكن المعلم يستند إلى نص مكتوب، بل يعتمد هو الآخر على ذلكرته في إلقاء دروسه، وسرعان ما بدأ في استخدام المذكرات حاليا، ومن هذا المنطلق صار الإملاء والاستملاء أسلوبا قواعده المحددة من طرف المعلمين.[32]

فطريقة التعليم القرآني في المرحلة الأولى تستلزم اعتماد لوحات والكتابة بالسمغ بوساطة قلم قصبي، بحيث يسجّل فيها التلاميذ حروف الهجاء، هذا بالنسبة للمبتدئين، ثم ينتقل إلى حفظ الحركات، وعرضها على معلم أو شيخ المدرسة، وهذا بعد تعليمهم لكيفية نطق الحروف، ومنه قراءة السور القرآنية، وبعد انتهاء كل طالب من حفظ ما ورد في اللوحة يقوم بمسحها، لينتقل إلى السورة الموالية لها مباشرة وهكذا إلى أن يتمّ حفظ السور القرآنية.

وبهذا يتبّع الطالب المبتدئ طريقة التدرّج في حفظ القرآن؛ بالانطلاق من السور القصيرة، وتأتي بعد ذلك طريقة إعادة الحفظ، لأن ما يحفظه الطالب يعتريه النسيان ما لم يتعهده بالمراجعة الدائمة لإجادة حفظه وإتقان الرسم المصحفي، وإن كانت أحكام التلاوة لم تلق العناية في كلّ المدارس تقريبا، حيث انصبّ الاهتمام على الحفظ وإجادته، وسلامة النطق مع مراعاة الوقف، وكانت القراءة السائدة هي قراءة ورش[33].

أما بالنسبة لطريقة التعليم في المرحلة الثانية فكانت تعتمد التلقين؛ حيث تعقد الحلقة في قاعة الصلاة لمسجد الزاوية أين يجلس الشيخ على كرسي خشبي مرتفع حتى ينظر إليه جميع الطلبة، كدلالة رمزية على التّحكم في نظام الحلقة في نظام الحلقة، ويتحلق الطلبة متربعين حوله، وتبدأ العملية التعليمية بقراءة نص في المتون فقها أو نحوا، وهذا النص هو ما يشكّل موضوع الحلقة، وبعد أن يتمّ الطالب قراءة النص، يشرع الشّيخ في شرحه معتمدا في تلقينه ذلك على محفوظه من الشروح.[34]

ثالثا: هل تطوير تعليم القرآن الكريم وأحكامه ببرمجيات حاسوبية ضرورة أم اختيار؟ لقد أقحم استخدام الحاسوب في مجال معالجة النصوص وتخزين الآيات القرآنية، وذلك في شكل ملفات صوتية وأقراص، باعتماد الرسم العثماني، كما هو الحال في أحدث شكل في البرامج التطبيقية، التي تسمح بالبحث عن السور في الفهرس، وكذا البحث عن الصفحات في أيقونة الصفحات، بالإضافة إلى إمكانية مشاركة هذا التطبيق مع الآخرين عبر مواقع التواصل الاجتماعي من فيسبوك وإيمايل وأنستغرام والفايبر وتلغرام...إلخ.وكما تمكّن القارئ من وضع علامة على صفحة ما بالضغط على "حفظ العلامة"، وحينما يريد مواصلة قراءة سورة ما يمكنه البرنامج من الوصول للصفحة مباشرة عن طريق النقر على أيقونة "انتقال إلى العلامة". هذا فضلا عن وجود تطبيقات أخرى تتيح لنا القراءة بالصوت من قبل القراءة المتقنين لأحكام التلاوة ويمكننا أيضا البرنامج من تكرار قراءة سورة أو آية معينة بعد تحديدها من أجل التدرّب على أحكامها وحفظها في نفس الوقت. هذا ونجد تفسيرا للآيات الكريمات في نهاية الصفحة، لتثبيت الفهم والحفظ معا في أذهاننا.

"وأكبر مثال لذلك الأكاديمية الإسلامية المفتوحة التي تتبع لقناة المجد بالمملكة العربية السعودية، وهنالك الجامعة العالمية للقرآن، وغيرها من صروح التعليم الشرعي... حيث أصبحت قاعات الدرس وحلقا القرآن تصل إلى يد كلّ متعلم أينما كان وأينما حلّ، لقد مضى عهد التعلم التقليدي المقيّد بالزمان والمكان، وجاء عهد التعليم المتنقل الحرّ، الذي يصل إلى كلّ إنسان في مكانه، ويتحرّك معه أينما رحل".[35]

ولهذا لا يمكن لأحد أن ينكر دور البرمجيات الحاسوبية وخاصة الصوتية في تسهيل فهم القرآن الكريم، وحفظه بأحكام التلاوة، وهذا ما يشجّع على فعالية التعلّم الذاتي لهؤلاء الطلبة في أي زمان ومكان.

ولكن تبقى طريقة التعليم التقليدية بالكتاتيب والمدارس القرآنية الطريقة المثلى لإتقان أحكام التلاوة، والأخذ المباشر عن أئمة القرآن، وتثبت المعلومات لديه دون أية واسطة، ومعلم القرآن وحده من يستطيع تصحيح التلاوة بكل دقة، وتعليم الطلبة كيفية

النطق الصحيح وفقا لمخارج الحروف، ويساعد على التفاعل بين المعلم وطلبته ويمكن للمتعلمين من طرح أسئلة تخص ذات الدرس، ونستطيع في الكتاتيب الاستعانة ببعض البرمجيات الحاسوبية والتطبيقات في عملية التعلم، وهذا للاستئناس وكأداة مساعدة للتعلّم.

رابعا: ما فعالية برنامج Praat في تعليم النطق الصحيح لمخارج الحروف لدى متعلمي المدارس القرآنية؟

1-التعريف بالتطبيق: تطبيق برات Praat يعني بالهولندية "تكلّم"، كتبه ويشرف عليه منذ 1992 باحثان هولنديان هما: David Weeninck وزميله Paul Boersma من معهد علوم الصوتيات بجامعة أمستردام.

هذا التطبيق لتحليل ومعالجة وكتابة الموجات الصوتية، والنسخة التي اعتمدناها هي: النسخة (6.0.40) الصادرة في 11 ماي 2018، هذا التطبيق يستعمل أساسا في مجال الصوتيات والفونولوجيا، لكنه مستعمل بشكل كبير في ميادين أخرى تتعلق باللسانيات، وفي العلوم المجاورة كعلم النفس والأنثولوجيا وعلم الموسيقى.[36]

2-ميزات التطبيق وخصائصه: برات Praat تطبيق متميّز للغاية في مجمله، فمن خصائصه أنّه:[37]

* مجاني التحميل، ومفتوح المصدر؛

* يمكن تشغيله على مجموعة واسعة من الأنظمة، بما فيها الإصدارات المختلفة ليونكس وماكينتوش وويندوز؛[38]

* يمكن وصله ببرامج أخرى؛

* صغير الحجم، فحجم الإصدارة الأخيرة هو 35.5Mo

* سهل البرمجة والتصميم، ويجري تطويره وتحيينه باستمرار؛

* سهل الاستخدام؛ فمع اختلاف واجهته عن معظم البرامج، إلا أنه مرن للغاية فعند فتحه تظهر نافذتان؛ إحداهما للصور Praat picture، والأخرى للكائنات Praat object، وداخل هاتين النافذتين تجري جميع عمليات التحليل والدرس.

* يمكن من خلاله تحرير ملفات صوتية بحجم 2 جيغا بايت (3ساعات) وإضافة التأثيرات عليها وتعديلها؛

* يمكن من خلاله عزل الصوت، واستعادة التسجيلات القديمة بكلّ سهولة ويسر

* يمكن من خلاله إجراء تحليل طيفي للملفات الصوتية، وتركيب الكلام وتجميع أجزاء المنطوق؛

* يمكن من خلاله إنشاء صور عالية الجودة لتضمينها الأطاريح والمقالات العلمية؛

* يمكن من خلاله التدوين المباشر على الإشارة الصوتية، في منحنى حاسوبي وبدقّة معتبرة؛

* يسهل فيه محاذاة الكتابة بالصوت، وإعادة قراءتها؛

* يقبل أحيانا محوّلات خارجية، ويمكن تصدير ملفاته.

3- نماذج من تطبيق برنامج برات في التحليل الفيزيائي لبعض صفات الأصوات العربية: لقد اعتمدنا في الدراسة الفيزيائية الطيفية للأصوات العربية على تطبيق دراسة هذه الأصوات باستخدام برنامج برات Praat، من خلال دراسة قام بها طالب في رسالة الدكتوراه، واخترنا بعضا من صفات تلك الأصوات منها:[39]

- **صفة الجهر:** تظهر صفة الجهر فيزيائيا في الرسم الطيفي على شكل حزام في الفترة الزمنية الخاصة بنطق الصامت المجهور؛ حيث يمثل قيمة التواتر لتذبذب الوترين الصوتيين، وتتراوح هذه القيمة بين 150 و800 هرتز، بينما ينعدم هذا الحزام على الرسم الطيفي في الصوت المهموس. وقد أخذنا صوت الذال كنموذج للتطبيق في حالة الفتح وأخرى عندما يكون مشدّد.

صوت الذال:

– التفسير الذبذبي: يتكون الرسم الذبذبي لتسجيل صوت" ذ" من الأجزاء التالية:

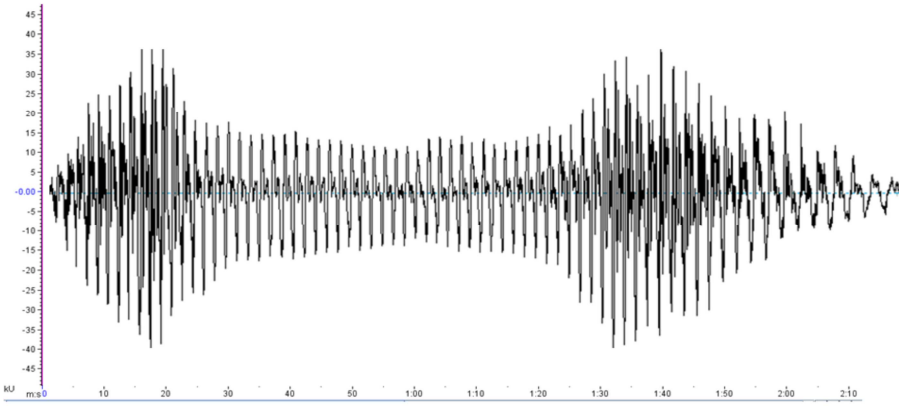

الرسم الذبذبي لتسجيل صوت "ذ" شكل(4)

1– الجزء الخاص بالفتحة التي تسبق الصامت الذال يستغرق 0.1 ثا، تكون أكثر سوادا من الصامت الذال؛ أذ أنّ التواتر بها أكبر من التواتر في فترة الصامت الذال.

2– الصامت الذال تكون الذبذبات غير دورية وغير منتظمة، فيها تداخل لذبذبات الجهر مع ذبذبات الاحتكاك تقدر مدتها بـــ 0.2 ثا.

3– الجزء الثالث الفتحة وهو زيادة يلحق نطق الصوت الذال تقدر مدتها بـ 0.2ثا.

التفسير الطيفي: صوت مجهور احتكاكي يتكون من ثلاث مراحل:

1– المرحلة التي تسبق الصامت، وتمثل الفتحة، وهي فترة نشاط صوتي تقدّر زمنيا بـ 0.09 ثا، وتبلغ الشدة الصوتية عدّة أقصاها حوالي: db71.90.

2– فترة الصمت "ذ" وهي فترة يقلّ فيها النشاط الصوتي؛ ففي هذه الفترة والتي تقدّر زمنيا بـــ 0.23 ثا. ويبلغ التواتر أقصى قيمة له بعد مرور 0.27 ثا من بداية الصوت، وتبلغ الشّدة الصوتية عند هذه النقطة db64.43.

3– فترة نشاط صوتي ضوضائي يقدّر زمنيا بـــ 0.13 ثا.

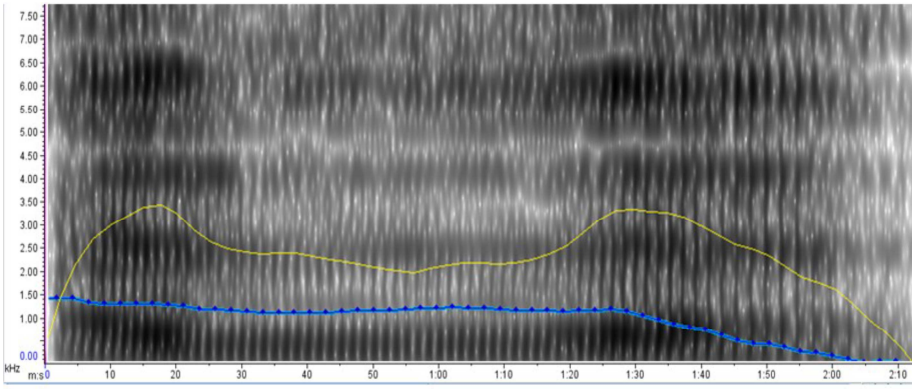

الرسم الطيفي لتسجيل صوت "ذ" شكل(5)

يمثل الجهر في الرسم الطيفي بخط أزرق يمتد من بداية الصوت إلى نهايته.

أما الدراسة الطيفية للحرف المشدّد فقد اخترنا حرف الذال:[40]

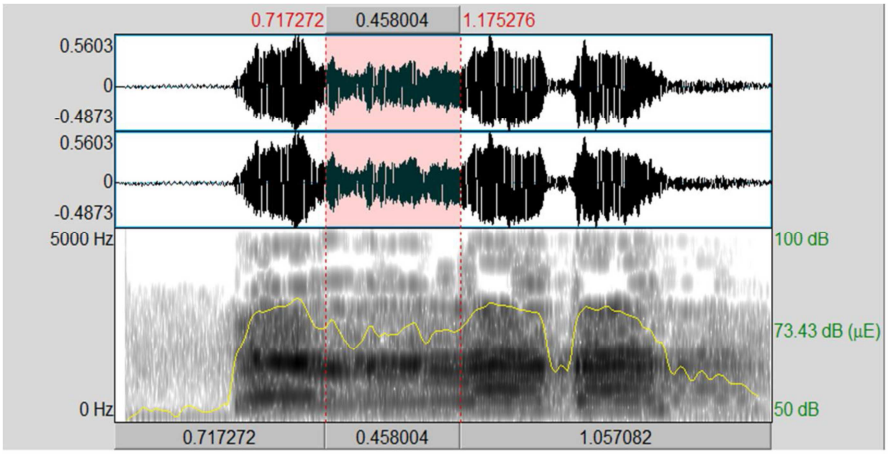

وهذه العملية أجريت مع كلّ حرف مشدّد من العينات التي أخذت للقراء المجــوّدين المعاصرين وهم:

* الشيخ محمود خليل الحصري.
* الشيخ محمد صديق المنشاوي.
* الشيخ عبد الباسط محمد عبد الصمد.

ثم أخذ متوسط طول كلّ الصوت مشدّد لكل قارئ.

وتمثلت نتائج الاختبار للصوت الذال كالآتي:

	الزمن عند الحصري			الزمن عند المنشاوي			الزمن عند عبد الباسط		
العينات	الحرف الساكن	الحرف المشدّد	نسبة المشدّد إلى الساكن	الحرف الساكن	الحرف المشدّد	نسبة المشدّد إلى الساكن	الحرف الساكن	الحرف المشدّد	نسبة المشدّد إلى الساكن
ذ	0.226	0.458	2.03	0.295	0.49	1.45	0.139	0.453	3.25

4-**فاعلية برنامج برات في تصحيح تلاوة القرآن الكريم:** يعدّ برنامج Praat من البرمجيات الحاسوبية الصوتية، تقوم بالتحليل الصوتي بطريقة علمية وموضوعية عن طريق تسجيل صوت ما ومن ثم حفظه.

وتتم عملية التسجيل وفق جملة من المراحل:[41]

* في أعلى قائمة الأدوات نختار أمر New ومن ثم Record mono sound. إذا لم يكن لنا حاجة بصوت setereo فخيار mono هو الأفضل لتقليص حجم الملف الصوتي الناتج عند إتمام هذه الخطوة ستظهر لنا نافذة جديدة باسم SoundRecorder.

* لاحظ إعدادات Sampling Frequency . استخدام الإعدادت المناسبة للعينة المراد دراستها.

* بناء على نوع كرت الصوت ونظام التشغيل في جهازك فقد تحتوي هذه النافذة إعدادات لمستوى quantization والذي يضبط أوتوماتيكيا على 16bit في غياب مثل هذه الإعدادات الخاصة.

* يظهر في وسط النافذة مقياس لشدة الصوت المدخل، بحيث يجب ملاحظة البقاء خارج المنطقة الحمراء.

* عند الضغط على زر Record سوف يبدأ البرنامج في تسجيل الصوت وبالضغط على زر Stop سوف يتوقف التسجيل.

* يمكنك الاستماع إلى ما تمّ تسجيله بضغط زر Play، ومن ثمّ حفظ.

ومنه يسمح لنا البرنامج دراسة الخواص الأكوستية لملفات الصوت عن طريق معاينة الموجة الصوتية، والرسم الطيفي المقابل لها جنبا إلى جنب.[42]

وبعد تسجيل صوت القارئ يتم مقارنته بالدراسة الطيفية بين نطق الحرف الواحد لدى معلم القرآن والمتعلم، ليكون التحليل الفيزيائي الحكم بينهما في تحليل الخطأ وتبيان موضعه بطريقة علمية موضوعية. وحتى أنه يستطيع القارئ نفسه تحديد موضع خطئه أثناء النطق، دون حاجة لمصحح أو عالم من علماء القرآن الكريم.

الخاتمة: وخلاصة القول أنّ القرآن الكريم دستور الأنام، المعجز بلفظه ومعناه وبهذا يجب تعلّمه وتعليمه، وفي هذا المقام يقول الرسول صلى الله عليه: "خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه"، وخاصة أحكام تلاوة القرآن الكريم تقوّم اللسان، وتضمن فصاحة اللغة، هذا فضلا عن كسب الثواب واطمئنان النفس وقوتها. والملاحظ أنّ تعليم القرآن الكريم يغلب عليه استخدام الطرق التقليدية في المساجد والكتاتيب القرآنية، ولكن هذا لا يمنع تطوير الوسائل التعليمية واستحداث تعليم أحكام التلاوة وحفظ كتاب الله المقدّس.

النتائج والتوصيات:

– المدارس القرآنية الجزائرية يغلب عليها الطابع التقليدي في طريقة تعليم أحكام التلاوة والتحفيظ؛

– افتقار الكتاتيب في الجزائر للوسائل التكنولوجية والأدوات الحديثة التي تستثمر لتحسين طرق التعليم والتخلص من الروتين والرتابة في الإلقاء؛

– إجراء بحوث تخصّ تعليم القرآن الكريم، بتوظيف التقنيات الحديثة؛

– على الدولة توفير هذه الوسائل في الكتاتيب، وتشجيع الطلاب في الاندماج في صفوف طلاب حفظة القرآن الكريم؛

– عقد دورات تدريبية مستمرة لمعلمي القرآن والطلبة في مجال الإعلام الآلي وخاصة البرامج الخاصة بتعليم تلاوة القرآن الكريم وحفظه؛

– إجراء أيضا بحوث تخصّ فاعلية استخدام الوسائل الحديثة والبرمجيات الحاسوبية الصوتية في تعليم أحكام التلاوة لدى المتعلمين؛

– ضرورة تعلّم مهارات اللغة العربية، وتعلّم الإعراب، لأنهما تساعدان الطلبة من إتقان التلاوة والتجويد، ذلك أن اللغة العربية لغة القرآن الكريمح

– إجراء بحوث تتعلق بالتحليل الفيزيائي لأصوات العربية والآيات القرآنية الكريمة؛

– البحث في الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم استثمارا للتقنيات الحديثة؛

– مسايرة الباحثين والطلبة لتقنيات التطور العلمي في مجال الصوتيات خاصة في طريقة تدريسها في الجامعات الجزائرية؛

– الاستفادة من تجارب الدول المنتجة لهذه البرمجيات الصوتية واستثمارها في علوم القرآن الكريم؛

– دراسة الظواهر الصوتية باستخدام البرامج الصوتية الحاسوبية المتطورة (النبر التنغيم...)؛

– اعتماد البرمجيات المتطورة في تعليم مهارات قراءة القرآن الكريم، يعزّز التعلّم الذاتي لديهم، وهذا بدوره ينمي المهارات اللغوية عامة والقرائية على وجه الخصوص.

الهوامش:

[1].محمد عبد العظيم الزرقاوي وغيره، مناهل العرفان في علوم القرآن، ص15/1.

[2].سيبويه، الكتاب،تح: محمد عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1 د.ت ج4، ص434.

[3].انظر: ريمون طحان، الألسنية العربية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج1، 1972 ص50-51.

[4].ابن جني (أبو الفتح عثمان)، سر صناعة الإعراب، تح: حسن هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1985، ج1، ص69.

[5].المرجع نفسه، ص69-70.

[6].مكي درار، وسعاد بسناسي، المقررات الصوتية في البرامج الوزارية للجامعة الجزائرية دراسة تحليلية تطبيقية، دار الأديب، دط، 2007م، ص105.

[7].سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مصر، القاهرة، دط، 1975م ص436/4.

[8].صلاح الدين صالح حسنين، محاضرات في علم الأصوات، الثقافة العربية، القاهرة، دط دت ص70.

[9].ابن يعيش، شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، د ت، ج10، ص130.

[10].انظر: عبد القاهر الجرجاني، المقتصد في شرح الإيضاح والتكملة (ميكرو فيلم بجامعة الدول العربية، الأسكوريال، رقم 44)، ج2، ص324، 332.

[11].محمود السعران، علم اللغة، (مقدمة للقارئ العربي)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر د.ت، ص184.

[12].انظر: جلال الدين السيوطي، همع الهوامع وجمع الجوامع في علوم العربية، مصر ط1 1327ه، ج2، ص230.

[13].تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1979 ص59، وانظر: خليل إبراهيم العطية، في البحث الصوتي عند العرب، دار الجاحظ للنشر بغداد 1983، ص60.

[14].المرجع السابق: كمال بشر، علم الأصوات، ص347.

[15].السيد يعقوب بكر، نصوص في فقه اللغة العربية، دار الهضة العربية للطباعة والنشر ج2 ص318.

[16].ابن الجزري، أبو الحسن محمد بن محمد الدمشقي الحافظ، النشر في القراءات العشر تصحيح ومراجعة محمد علي الصباغ، د ط، دت، 204/1.

[17].مصطفى حركات، الصوتيات والفونولوجيا، دار الآفاق، الجزائر، د.ت، ص55.

[18].الفيروزآبادي، القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، دت، مادة (ح ق ر).

[19].المرجع السابق: كمال بشر، علم الأصوات، ص380.

[20].مكي بن طالب، الرعاية،ط2، تحقيق" أحمد حسن فرحات، دار عمار، الأردن، 1984 ص124.

[21].إبراهيم العبيدي التوزري، تاريخ التربية بتونس، الشركة الوطنية للنشر، تونس، ب، ت ص97.

[22].عبد الرحمن بن أحمد التيجاني، الكتاتيب القرآنية بندرومة من سنة 1900 إلى 1977 ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص13.

[23].راغب محمد النجار زغلول، أزمة التعليم المعاصر –نظرة إسلامية، مكتبة الفلاح الكويت الطبعة الأولى، 1980، ص176.

[24].المرجع السابق،عبد الرحمن بن أحمد التيجاني، الكتاتيب القرآنية بندرومة من سنة 1900 إلى 1977، ص80.

[25].غياب بوفلجة، التربية ومتطلباتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984 ص27.

[26].محمد بن سحنون، آداب المعلمين، مطبعة ش.و.ن.ت، الجزائر، 1972، ص64.

[27].محمد بن إسماعيلي، مشايخ خالدون وعلماء عاملون، ط2، مطبعة الكاهنة الدويرة 1999 ص34.

[28].تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط3، 1981، ص79.

[29].مصطفى زايد، المؤسسات التربوية القديمة في الجلفة، مجلة الثقافية، الجزائر، العدد93 وزارة الثقافة والسياحة بالجزائر، 1986، ص129.

[30].رابح تركي، التعليم القومي والشخصية الوطنية، مطبعة الشركة الوطنية والتوزيع الجزائر ط1، ص236.

[31].ابن خلدون، المقدمة، مطبعة محمد عاطف، مصر، د ت، ص416.

[32].السمعاني، كتاب الإملاء والاستملاء، حرره ماركس فايز، 1952

[33].انظر:إبراهيم خيثر، محاضرة بعنوان إطلالة على المدارس القرآنية في عهدها التقليدي ألقيت أمام السلك الديني بالبليدة، 03-2005، ص3.

[34].انظر: يوسف بوكفة، مدرسة مازونة الفقهية النهضة والسقوط، رسالة ماجستير، قسم علم الاجتماع، جامعة وهران، 2002م، ص33.

[35].عبد الرحمن أحمد محمد عثمان، متعب فرحان الرويلي، مسح للبحوث والبرامج الحاسوبية التي تستخدم في تعليم القرآن وعلومه، جامعة الجوف، المملكة العربية السعودية ص3

[36].كبير بن عيسى، دليل مستعمل تطبيق تحليل الإشارات الصوتية ومعالجتها برات (Praat) كراسات المركز، العدد التاسع، 2019م، ص5.

[37].المرجع نفسه، ص5-7.

[38].يمكن تحميل مصادر برات البرمجية من موقع: https://github.com/praat، من ملفات من قبيل: praat5423_source.zip أو praat543_sources.tar.gz، تبعا لنسخ التطبيق.

[39].لخضر ديلمي، التحليل الفيزيائي لصفات أصوات العربية دراسة مخبرية، رسالة دكتوراه اللغة العربية،كلية اللغة والأدب العربي والفنون، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة باتنة -1-، 2017-2018م، ص148، 151،150.

[40].خلف حسين صالح الجبوري، وأيمن عبد الله أحمد الجبوري، الحرف المشدّد وحقيقته دراسة طيفية، مجلة مداد الآداب، العدد الثاني عشر، ص112-

[41].محمد الخيري،دورة تحليل الإشارة الصوتية باستخدام برات، ص2.

[42].المرجع نفسه، ص3.

أثر التعليم في الكتاتيب في إحداث التفوق اللغوي في مادة اللغة العربية ـ دراسة ميدانية ـ

أ. بسمة سيليني
جامعة محمد الصديق بن يحي، جيجل
أ. إيمان بوشارب
جامعة باجي مختار، عنابة

الملخص: ننطلق من خلال بحثنا هذا من فرضيّة مفادها، أن المتعلّم الّذي ينهض على حفظ وتعلّم القرآن الكريم والحديث النّبوي الشريف، يكون في غالب الأحيان من المتعلّمين المتفوّقين في الدّراسة بصفة عامّة، والتّمكّن والإلمام بعلوم اللّغة العربيّة بصفة خاصّة، هذا وبالمقابل تتّسم لغته بالوضوح والطّلاقة على غرار أقرانه ممّن لم تسنح لهم الفرصة للتّعليم في الكتاتيب، فيكثر لديهم اللّحن وصعوبة في بعض الأحيان ونفور من تعلّم العربيّة والنّهل من علومها، فالمتعلّم الذي تلقّى النّص القرآني في وقت مبكر من عمره اكتسب ملكة لسانيّة، وكان ذلك بفضل الوسط التعليمي في الكتاتيب والذي يمثل بؤرة الانغماس اللغوي السّليم الذي يمثل مركز اكتساب اللغة العربيّة الفصيحة بالنسبة للمتعلّم في مراحل متقدمة من عمره، وهو ما يمثّل وسطا تعليميا فعالا بامتياز، ناهيك على أن القرآن الكريم قد كتب بلسان عربي مبين، فيمكن استثمار هذه العلاقة في التعرض المستمر للقرآن الكريم.

ومن خلال هذه الدراسة سنحاول رصد واقع تفوّق اللّغة العربيّة عند أبنائنا الذين تلقّوا تعليما بالكتاتيب واختبار صحة الفرضيّة في الأرضيّة الميدانيّة، مع تحليل النتائج في ضوء علم اللسانيات التطبيقية بفروعها: التعليمي، والنفسي، والاجتماعي.

الكلمات المفتاحية: الكتاتيب، التفوّق اللّغوي، الملكة اللسانيّة، المتعلّم.

تمهيد: تعدّدت الأسماء للكتاتيب: لحضار، لمسيد، الجامع، الرّباط، لكن تتوحد في المعنى الواحد وهو الكتاتيب، والكتاتيب من المؤسّسات النّاشئة في تاريخ المغرب

العربي، والتي ظلّت على ممر تاريخ المغرب العربي مركزا تعليميّا خصبا لأخذ المعرفة وحفظ معالم الدّين الاسلامي، واللّغة العربية حفظا وفهما وتفسيرا، وفي ظل هذا الثراء ظلّت الكتاتيب الحصانة الرّوحية والاجتماعيّة للحفاظ على التّراث الاسلامي العربي، والتمسّك بمبادئ الهويّة العربيّة والدّين الاسلامي.

وقد كان معلّم الكتّاب يدعى الشّيخ، وكان له من الزّعامة والوقار والهيبة والاحترام ما يعمل له ألف حساب، وكان له من البركة والخير فيطلب منه الدّعاء والتدخّل لفك النّزاعات، وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدلّ على أن دور المعلّم في الكتاتيب لم يكن محصورا في الاطار التّعليمي فقط، بل كان يتدخّل في شؤون البلدة.

هذا وللكتاتيب موقع استقطاب مهم بالنّسبة للمتعلّمين الذين هم في مقتبل العمر لإقبال المتعلّمين وأوليائهم تفضيل الكتاتيب وتعليمهم بدائيّات اللّغة العربيّة وتحفيظهم القرآن الكريم، فعلى مدى تاريخ المغرب العربي كانت للكتاتيب أهميّة كبرى في التعليم للكبار والصّغار على السواء، فتجد فيها الصّبي وتجد الشّاب وتجد الكهل ويتولّى تمويلها في بعض الأحيان الخواص وأصحاب الخير والصلح، "وتشكّل هذه الظّاهرة التّعليميّة – في منظورنا– حقلا خصبا لدراسة تعلّيمية اللغة العربية وطرق التدريس في الجزائر العميقة في التاريخ، القائمة أصلا على التّلقين والحفظ مسلكا ومنهجا بيداغوجيّا، نتناوله من زاوية بحثية معاصرة، معتمدين في ذلك على بعض المقولات التربويّة والنفسيّة المستمدّة من الدراسات النّظرية والتطبيقيّة، والتي تفسّر فعل التدريس الكلاسيكي وأهميّته في تكوين ملكة الحفظ لدى الطفل"[1].وهي فرع من فروع اهتمامات علم التّعليمية ولما لها صلة بعلم التّربية والنّفس والاجتماع.

أولا: المؤسسات التعليمية القديمة (الكتاتيب): مثّلت المؤسسّات التّعليمية التّقليدية كلا من الزّوايا والمساجد والمكتبات وقصور الأمراء ودوائر العلماء، وظهر التّعليم بالكتاتيب في أواخر القرن الأول الهجري (1ه) في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز حيث قام ببعث عشرة من الفقهاء فقاموا بنشر تعاليم الاسلام.[2] وهذا وان دلّ على شيء إنّما يدلّ على أنّ الكتاتيب موجودة منذ القديم.

وقد ورد تعريف الكتاتيب: "الكُتَّاب بضم الكاف وتشديد التّاء، يمثل موضع تعليم الكتابة وجمعه الكتاتيب والمكاتب".[3] ويعتبرها آخرون أنها حجرة أو حجرتين مجاورة للمسجد أو بعيدة عنه أو غرفة في منزل تبنى خصّيصا للتّعليم القرآني وتعتبر أدنى مؤسّسة في التعليم الإسلامي، المخصّصة لهذا الغرض.[4] والكتاتيب من الأماكن التّعليمية التّربوية التي تسهّل تعليم الأطفال الصّغار على القراءة والكتابة، متخذة من القرآن الكريم مصدرا لها، وهي ما تسمى بالكتاتيب.

فالتّعليم في الكتاتيب هو بمثابة تعليم تحضيري أوّلي للسنوات التعليمية المقبلة قبل السّنة الأولى من التعليم الابتدائي وتزويد المتعلمين بمبادئ الدين الاسلامي وحفظه وتعليمهم الآداب والأخلاق الاسلامية، وتزويدهم بالملكة اللّسانية الضرورية من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة.

على أن نظام التعليم في الكتاتيب التعليم التقليدي هو أن يجلس الأطفال على الحصير، وكان المعلّم يستخدم الألواح الخشبية في تعليمه للأطفال ليكتبوا عليها. وطرائق التعليم في الكتاتيب بسيطة جدا، إذ تعتمد على الحفظ والتلقين والاستظهار.

ووجود الكتاتيب في الجزائر يعود إلى فتح المسلمين للجزائر بقيادة عقبة بن نافع حيث أدخلوا تعاليم الاسلام وتعلم القرآن والحديث النبوي الشريف، وبهذا انتشرت تعاليم التعليم القرآني في القرى والمداشر، كما أن فترة الاستعمار الفرنسي قد شهدت من خلالها الكتاتيب انتشارا واسعا نظرا للتضييق على الجزائريين التعلم في المدارس النظامية وتعلم اللغة العربية، وبذلك كانت الكتاتيب الحصن المنيع لجمع شمل المتعلمين من أبناء الجزائر الذين حرمهم الاستعمار الفرنسي من التّعلم، فكانت بذلك الكتاتيب مركز التنشئة الصّحيحة للأطفال والمحافظة على الهويّة الوطنيّة، ومقوّمات الرّموز الوطنية الجزائرية، من تحفيظ للقرآن والحديث وتعليم اللّغة العربيّة والتّفسير.

وإيمانا بقدسية القرآن الكريم تم إدراج مرسوم قانوني يفضي إلى إدراج معلم القرآن الكريم في المدرسة القرآنية عام (1980)، ليصبح مدمجا ضمن الوظيف العمومي[5] وهذا ما من شأنه مكّن خريجي الجامعات من متخصّصي العلوم الشّرعية واللّغة

العربيّة وآدابها من التّدريس في هذه المراكز المتخصصة في تعليم أبنائنا من حفظة القرآن الكريم والمتعلمين المبتدئين الصغار الذين لم يدخلوا بعد مقاعد الدراسة من أخذ مبدئيات القراءة والكتابة والحساب وحفظ سور القرآن الكريم.

ثانيا: مقوّمات شخصيّة المعلّم في الكتاتيب: لشخصية المعلم في الكتاتيب الدّور الرئيس في نجاحها، وتحقيق أهدافها المرسومة وسنذكر ها هنا أهم مقومات شخصية المعلم:[6]

1- **المقوّمات العقديّة والأخلاقيّة والسّلوكية:** هنالك العديد من المقوّمات التي لابد توفّرها في معلّم الكتاتيب، نذكر منها:

- أن يكون ذا عقيدة سلوكيّة سليمة من التّعصب ومن كل ما ينقض أصلها من الكفر والشّرك؛

- أن يكون ملتزما بالفرائض والواجبات، مجتنبا للمحرّمات، سواء أكان ذلك ظاهرا أو باطنا؛

-أن يكون محبا للعلم، متفيقها في الدّين، وأن لا يقتصر على حفظه القرآن وتدريسه له، وأن يوسع اطّلاعه بالعلوم النّافعة من علوم العقيدة والتفسير.

- أن تكون دوافعه للتّدريس هي:

- نشر القرآن الكريم وتحصيل الأجور العظيمة التي رتّبها الشارع على تعليم القرآن الكريم والتّلاوة والاستماع إليه، تحقيقا لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "خَيرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرآن وعَلَّمَهُ".

- الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم ومن جاء بعدهم من سلف الأمة وأئمّتها الذين قاموا بهذا الدور.

2- **المقوّمات المهنيّة:** ينبغي أن تتوفّر في المدرّس مجموعة من الصّفات والمهارات التي تتطلّبها مهنة التّعليم، ومن ذلك:[7]

- إجادة تلاوة القرآن الكريم تلاوة مجوّدة، وحفظه كاملا أو على الأقل حفظ جزء كبير منه، بشرط أن يكون متجاوزا في حفظه للمقدار الذي يحفظه أبرز طلاّبه.

- أن يكون لدى المدرّس رغبة ذاتيّة في مهنة التّدريس، بحيث لا يقوم بها وهو لا يرغبها.

- أن يكون للمدرس استعدادا فطريّا ورغبة لمزاولة مهنة التّدريس مثل: سلامة الفكر، وجلاء البصيرة وحضور الذّهن وبعد النظر، وسرعة البديهة للتصرف السريع والمناسب في المواقف الطارئة وقدرة على ضبط النفس والامتلاك للغير.

- أن يكون المعلم ملما بطرق التّدريس ووسائل التّوضيح المعينّة، مطّلعا بقدر الامكان على الكتب المناسبة في ذلك، بالإضافة إلى الدراسات التربويّة والبحوث النفسيّة والاجتماعيّة التي تتحدّث عن مجتمع الطّفل والمراهق والتغيّرات النفسيّة والاجتماعيّة التي يمرّ بها الطّفل لكي يتمكن من تقديم المعارف، وعليه تغيير الطّريقة كلما تطلب الموقف ذلك.

ثالثا: الصلة التّعليمية بين تعليم القرآن الكريم في الكتاتيب والتفوّق اللّغوي في التعليم النّظامي: كانت ممّا تفتخر به جزيرة العرب هو اللّسان العربي الفصيح، وممما ساعدهم في ذلك هو تفوّقهم في الابداع الشعري والنّثري من خلال القصائد الفصيحة والخطابة، وقد اتّخذوه أداة لكسب لقمة العيش، وعلى الرغم من نزول القرآن الكريم بلسان عربي مبين، إلا أنّه جاء في ثوب غير تلك الأثواب فكان معجز ببيانه لقوله تعالى: ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ٢٢﴾[8]. فكان معجزا ببيانه وجزالة ألفاظه.

فالعناية بالعربيّة على مرّ العصور إذن من بعد نزول القرآن، تعليما وتطويرا وبحثا، إنمّا كان بغرض الحفاظ على علاقة المسلمين بكتاب الله نقيّة وصافية، وهي اللّغة الوحيدة في العالم، التي تحمل بذور تطوّرها وازدهارها في ذاتها على الرّغم من ألوان الحصار والمضايقات التي لاقتها، ولا تزال من مختلف الجهات وتلك هي برأينا معجزتها التي يمكن اعتبارها معجزة أخرى من معجزات القرآن الكريم، ولولا علاقتها بالقرآن لما كان لها هذا الفضل وتلكم هي المعجزة[9].

ولعلاقة القرآن الكريم بملكة الحفظ وتحصيل المعارف، فإن لاتّصاله باللّسان العربي الفصيح يساعد على تمكّن الانسان من التّفوق اللّغوي وطلاقة اللّسان، وقد بيّن ذلك ابن خلدون (ت 1332ه) في قوله: "إنَّه لابد من كثرة الحفظ لمن يروم تعلّم اللّسان العربي، وعلى قدر جودة المحفوظ وطبقته في جنسه، وكثرته من قلته تكون جودة الملكة الحاصلة عنه للحافظ".[10] فعلى قدر جودة المحفوظ وسلامته وفصاحته تكون الملكة اللّغوية السليمة وخير محفوظ بدون شكّ هو القرآن الكريم والحديث النّبوي الشريف. لذلك ننوّه إلى ضرورة إيراد بعض سور القرآن الكريم والحديث النّبوي الشّريف في المناهج التّعليمية في مادّة اللّغة العربيّة، وهذا كفيل بربط تعليميّة اللّغة العربيّة بالقرآن، وإثبات الصّلة التّعليميّة بين العلمين، وبطبيعة الحال هو تعويد الدارس على الفصاحة واللّغة العربيّة السّليمة.

رابعا: دور الانغماس اللّغوي في تعليم العربيّة: من المعلوم أن العرب قديما كانوا يتكلّمون العربية بالسّليقة والفطرة والتّاريخ حدثنا على أنّ العلماء الذين استقامت لغتهم من بينهم الإمام الشّافعي و"لما اتّسعت الفتوح وانتشر الاسلام ودخل النّاس في دين الله أفواجا احتكّ العجم بالعرب فأفسدوا عليهم لغتهم، مما اضطرّ حذيفة بن اليمان كان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق أن يرجع إلى المدينة المنوّرة ويقول لعثمان رضي عنه، (يا أَمِيرَ المؤْمنِين أَدْرك هَذِهِ الأُمَّة قَبْل أَنْ تَختَلِفَ في كِتَابهَا اخْتِلافَ اليَهود والنَّصَارَى) فأمر عثمان أن يجمع القرآن وكان قصدهم أن يجمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبي" [11].

وقد بيّن العلماء أهميّة القرآن الكريم في تهذيب ملكة المتعلّم اللغوية وإثراء الرّصيد اللّغوي، والقرآن يمدّ القارئ بثروة لغويّة من الألفاظ والتّراكيب، فألفاظه تزيد عن سبع وسبعين ألف لفظة، من أفصح وأبلغ وأوضح الألفاظ العربيّة دلالة عن المعنى المراد "فألفاظ القرآن هي لبّ كلام العرب وزبدته، وواسطته وكرائمه، وعليها اعتمد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم، وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم، وما عداها وعدا الألفاظ المتفرعات عنها والمشتقات منها هو بالإضافة إليها

كالقشور والنّوى بالإضافة إلى أطايب الثمرة، وكالحثالة والتبن بالإضافة إلى لبوب الحنطة".[12]

1- الانغماس في التّعليم بالقرآن الكريم ينمّي الملكة اللسانية: يقوم الانغماس اللغوي على أنّ هذه المهارة لا تنمو ولا تتطور إلا في بيئتها الطّبيعية وهي البيئة التي لا يسمع فيها صوت أو لغو إلاّ بتلك اللّغة التي يراد اكتسابها، فمن أراد أن يتعلّم لغة من اللّغات فلا بدّ أن يعيشها هي وحدها لمدّة معيّنة ولا يسمع إلا غيرها ولا ينطق بغيرها، وأن ينغمس في بحر أصواتها كما يقولون لمدّة كافية لتثبت فيه الملكة فالإنسان يكتسب اللغة عن طريق الاحتكاك المباشر مع أهل اللغة.

ويعدّ الانغماس من أهم الطّرائق الحديثة في تعليميّة اللّغات وأنجعها، لأنه يضع متعلّم اللّغة في البيئة الطبيعيّة بمواقفها الاتصاليّة والثقافيّة لتعلم اللغة و"عدم تحقيق الانغماس اللّغوي (bain linguistique) الكافي وهو ما يؤدّي إلى الخلل في العمليّة التعليميّة، ذلك أن الانغماس اللغوي يعدّ عاملا مهما في اكتساب الملكة التبليغيّة وتمكين المتعلّم من ممارسة اللغة ممارسة حقيقيّة".[13]

"وأعظم شيء أثبته العلماء هو أن تطوّر الملكة اللغويّة يتم في بيئتها اللغويّة، فلا يسمع المتعلّم إلاّ اللّغة التي هو بصدد تعلّمها، فلا بدّ يعشها وحدها وأن ينغمس في بحر أصواتها لمدّة كافية".[14]

هذا وتعاني اللغة العربيّة في المدارس التعليمية ضعفا في المهارات اللغويّة أو الكفاءات اللغويّة وهذا راجع إلى كل العوامل المتّصلة بنشأة الفرد ومحيطه الاجتماعي ابتداءً من البيت إلى الشارع والمدرسة، وتأرجح الطفل بين ما يتعلّمه في المدرسة وما يسمعه في الشارع، من تنوّع في اللّهجات والتي تكون في غالب الأحيان وهذا ما يحدث تشويشا في اكتساب اللغة العربيّة الفصيحة.

وقد تبنّت جامعة غرداية بكلية الآداب واللّغات بالجزائر مشروعا بحثيّا في إطار المشاريع بصيغة (cnepru) تحت عنوان: دور التّعليم القرآني بالجنوب الجزائري في

تنمية العربيّة ودعم التعريب برئاسة البروفيسور بن يحي يحي، تحت رمز (L00L01UN: 470120150009)، تاريخ الاعتماد: (01/01/2016).

ومن أهداف المشروع:

- تثمين دور التّعليم القرآني في تعريب المحيط ودعم السّياسة اللّغوية في الجزائر؛
- دفع الطّلاب الباحثين إلى البحث الميداني لأهميّته وحيويّته؛
- الكشف عن كنوز التراث الوطني في مجال تعليم اللغة العربيّة والقرآن وتثمينها؛
- إفادة المكتبة الجزائرية والعربيّة بدراسة تقصد إلى ترقية تعليم العربيّة؛
- الإسهام في تطوير تعليم العربيّة في الجزائر والجنوب بصفة خاصّة.

ويعدّ هذا المشروع أحد الرّكائز الأساسيّة على بعث التّعليم بالكتاتيب في الجزائر وغرس روح التعلم بالقرآن الكريم، وتطوير تعليم العربيّة وترقيتها.

وهذه بعض صور التّعليم بالكتاتيب في الجنوب الجزائري:

ونظرا للاحصاء الوطني لبعض الفضاءات الدّينية التي تهتم بطفل- ما قبل المدرسة في كامل التّراب الوطني التي وجدناها، نمثلها كما يأتي:

المؤسسة	العدد	عدد الأقسام	عدد المعلمين	عدد المعلمين
مدارس قرآنية	2269	3445	155415	2773
مساجد-وطنية-محلية.	2339763	لا يوجد أقسام	0	0
الزوايا	250	494	12054	300
الكتاتيب القرآنية	1688	1186	56266	1641

[15] الجدول رقم(1): يمثل بعض الفضاءات الدينية التي تهتم بطفل ما قبل المدرسة في كامل التراب الوطني.

خامسا: الدراسة الميدانية:

- الجزء الأول:

1- مجال البحث: تمثل مجال البحث في مجموعة من المدارس الابتدائية بولاية قسنطينة، وبعض الكتاتيب القرآنية بنفس الولاية.

2- *عيّنة البحث:* تم في هذه الدراسة على عينتين، الأولى مجموعة تلاميذ السنة الأولى ابتدائي عددهم (200) تلميذ، حيث قسمنا هذه العينة إلى فئتين:

2-1- الفئة الأولى: تخصّ المتعلمين الذين التحقوا بالكتاتيب القرآنية سابقا قبل التحاقهم بالمدرسة وعددهم (80) متعلم.

2-2- الفئة الثّانية: هم المتعلمون الذين لم يلتحقوا بأي مركز تربوي تعليمي قبل التحاقهم بالمدرسة وعددهم (120) متعلم.

- منهج الدراسة: بما أن دراستنا متعلقة بكيفية إثبات أثر التعليم بالكتاتيب في تحقيق التفوق اللغوي، ولطبيعة الرسالة اعتمدنا المنهج المقارن وذلك من أجل تحديد الفروق بين المتعلمين الذين تلقوا تعليما في الكتاتيب والذين لم يتلقوا تعليما مع محاولة تحديد مستواهم في مادة اللغة العربية.

- **حدود الدراسة:** قامت دراستنا بدراسة أثر التعليم في الكتاتيب في إحداث التفوق اللغوي في مادة اللغة العربية لدى عينة من المدارس الابتدائية في ولاية قسنطينة، وقد تم توزيع الدراسة على:

- **حدود مكانية:** بعض المدارس والمساجد القرآنية (بمدينة) بولاية قسنطينة بلغ عددها 4 ابتدائيات و4 مدارس قرآنية ومساجد (كتاتيب).

- **حدود بشرية: عينة عشوائية من متعلمي المدارس الابتدائية بولاية قسنطينة**

ومن أجل تحديد نسبة المتفوّقين في مادّة اللّغة العربيّة، اعتمدنا في هذه الدراسة نتائج الفصل الدّراسي الأول كمؤشر لتحليل الأعمال وإثبات أثر الكتاتيب في إحداث التفوّق اللّغوي في مادّة اللّغة العربيّة.

- ومن أجل الوصول لنتائج دقيقة، قمنا باحصاء عدد من المتعلّمين الّذين نالوا حظا من التعليم في الكتاتيب والذين لا زالوا يحفظون القرآن الكريم والذين لم يتلقوا تعليما في الكتاتيب .

المتعلمون	العدد
المتعلمون الذين تلقوا تعليما في الكتاتيب	**80**
المتعلمون الذين لم يتلقوا تكوينا في الكتاتيب	**120**
المجموع	**200**

من خلال الجدول السّابق، نلاحظ أن المتعلّمين الذين تلقوا تعليما في الكتاتيب بلغ عددهم (80) تلميذا، والذين لم يتلقوا تعليما في الكتاتيب (120) متعلما من أصل (200).

ومن أجل الوصول إلى النّتائج العلميّة الدّقيقة، اعتمدنا معدلات نتائج المتعلمين في الاختبارات الفصلية للثّلاثي الأوّل، فوجدنا فروقا في التّحصيل اللّغوي في مادّة اللّغة العربيّة، فتحصّل المتعلّمون الذين يحفظون القرآن الكريم وتلقوا تعليما في الكتاتيب على معدلات جيّدة في مادّة اللغة العربيّة، على عكس الذين لا يحفظون القرآن الكريم

والذين لم يتلقوا تعليما في الكتاتيب، وهذا إن دلّ على شيء إنمّا يدلّ على فاعليّة الكتاتيب في تفوّق المتعلّمين في مادّة اللّغة العربيّة.

هذا وحسب فروق إحصائية قمنا بها، قد تبيّن لنا أن التلاميذ الذين تلقوا تعليما في الكتاتيب ويحفظون القرآن الكريم قد تحصّلوا على معدلات عامة لا بأس بها في الثلاثي الأول، عكس التلاميذ الذين لم يتلقوا تعليما في الكتاتيب كانت معدلاتهم متدنية وبعضها متوسطة.

وهذا وقد سجلنا بعض الأجوبة التي قمنا بها عن طريق المقابلة الشخصية مع الأساتذة، هي:

-المتعلّمون الذّين تلقوا تعليما في الكتاتيب أكثر سرعة، وفاعليّة في الحفظ والفهم.

-لسانهم سليم، ويتمتّعون بالفصاحة اللّسانية، والطّلاقة في التّعبير، مع حسن التّمثيل والأداء التّعبيرين الوظيفين، أثناء القراءة والتّمثيل.

-يتمتّع المتعلّم الذّي تلقى تكوينا في الكتاتيب، بالجرأة التّعبيرية، والطلاقة اللّسانية أثناء التّعبير الشّفوي، دون وقوعه في اضطرابات نطقية نحو: التّهجئة... على عكس بعض المتعلّمين الذّين لم يتلقوا تعليما في الكتاتيب، فهم يتميّزون في تعبيرهم الشّفوي بانخفاض في الصّوت مع بروز التّأتأة، نتيجة افتقارهم للثروة اللّسانية اللّازمة.

الجزء الثّاني: استئناف النّهوض بتعليم الكتاتيب في الجزائر

1- رؤية واقعية استراتيجية.

قد تناولنا في الجزء الثّاني من الدّراسة الميدانية مؤسّسا على الاستبانة التّي وُزّعت على العينة التّي اخترناها في ضوء الرّؤية الإستراتجية لاستئناف الاعتماد على تعليم الكتاتيب من جديد، وأخذ في الحسبان الثّمار المعزّزة لاكتساب ملكة "اللّسان العربي" لدى المتعلّم النّاشئ قبل التّمدرس.

2-مجال الدّراسة: متمثّلا في بعض جامعات الشّرق الجزائري.

- الأداة المعتمدة: هي الاستبانة

- **العيّنة:** أساتذة التّعليم الجامعي: سبعة (7) أساتذة من: العلوم الشّرعية، وثمانية (8) من: أساتذة التّعليميّات، واللّسانيات التّطبيقية.

3- حدود الدّراسة :

أ- **الحدود المكانيّة:** اعتمدنا على أساتذة من بعض جامعات الشّرق: قالمة، عنابة سكيكدة.

ب- **الحدود الزّمانية:** اعتماد توزيع الاستبانات من الفترة الممتدّة من 12 إلى غاية 20 جانفي 2020.

ج- الحدود البشرية: أساتذة التّعليم الجامعي: أساتذة علوم الشّريعة، وأساتذة التّعليمية، واللّسانيات التّطبيقية، كان بشكل عشوائي.

4-ملحق أسئلة وأجوبة الاستبانة :توصّلنا من خلال هذه الدّراسة إلى جملة من النّتائج المتفقّ عليها عند العيّنة، وبما أنّ المقام لا يسمح بتقديم الحيثيات التّحليلية كافّة لآراء أصحابها، فسنكتفي ببلورة ذلك، في خطوطه البارزة، باستحضار النّتائج في شكلها الإجمالي، كما يأتي:

- أولا: أسئلة قدّمت لأساتذة علوم الشّريعة:

السؤال رقم (01): إذا ما قارنت بين المتعلّم الذّي تلقّى تكوينا بالكتاتيب أو المدرسة القرآنية، وبين المتعلّم الذي دخل الرّوضة أو ما يسمّى بالقسم التّحضيري ماذا ستقول عن ذلك في إطار مستواه، والملكة اللّسانية العربيّة لديه؟

الجواب:

- ذهب أستاذ الشّريعة، بشكل قاطع، وجازم، ودون أدنى شكّ، على أنّ ملكة المتعلّم اللّسانية الذّي تلقّى تكوّينا في الكتاتيب، والمدارس القرآنية، والمساجد...أفضل وأسلم، من متعلّم التّحضيري، وهذا انطلاقا من خبرته التّدريسية، بدليل أنّ لسان المتخصّص في الشّريعة في الجامعة، الذّي كان تكوينه دينيا، تراثيا منذ البداية، أكثر

طلاقة من الذّي لم يتلق ذلك، أو حتّى من الّذي كان توجّهه العلمي شيئا آخر اللّهم من درس أو يدرس اللّسان العربي بعدّه دبلوما ثانيا.

السؤال رقم (02): ماذا تقترح من استراتيجيات، وتخطيطات إجرائية ناجعة من أجل استئناف التّعليم بالكتاتيب في الجزائر (وغيرها من الدّول العربيّة أيضا) من جديد؟

-الإجابة:

– يجب العمل على تفعيل بعض المقترحات التّصوّرية، وتجسيدها في الواقع التّعليمي الجزائري، مع ضرورة الأخذ بجملة من الرّكائز التّي لها علاقة بما نسمّيه بالتّنظيم المنهجي، والتّنفيذ الإجرائي المدروس كما يأتي:

– حرص الدّولة على تكثيف إنشاء المدارس القرآنية بجوار المساجد...؛

– العودة إلى إحياء الأهداف الجوهرية من خلال الأنشطة، والمواد، والمهارات التّي تمثّل ذلك، الاهتمام بالخطّ العربيّ، وأنواعه، والرّسم العثماني، وقواعد اللّسان العربيّ، والقراءة، والكتابة المتعلّقة بالنّصّ القرآني...الخ.

ثانيا-أسئلة قدّمت لأساتذة التّعليمية، واللّسانيات التّطبيقية:

السؤال رقم (01): بما أنّ المتعلّم في البيئة العربية، له طابعه الخاصّ المرتبط أساسا بمقوّمات الهويّة العربيّة الإسلامية، وأثر ذلك، في عملية التّعليم عامّة وفي عملية اكتساب اللّسان العربيّ خاصّة، مثل اعتماد المدارس القرآنية نظاما تعليميا وبالمقابل ومع ظهور الطّرائق، والمقاربات... التّعليمية الغربية في حدود التّعليم النّظامي. كيف يمكن التّعامل مع هذا التّباين الحتمي، تصوّرا، إجراءً، خدمة لتعزيز ملكة بما أنّ المتعلّم في البيئة العربية، له طابعه الخاصّ المرتبط أساسا بمقوّمات الهويّة العربيّة الإسلامية، اللّسان العربيّ، من جهة، وتحسين العلاقة مع القرآن الكريم من جهة أخرى؛ أي محاولة تحقيق الفارق المعدّل من مسايرة الأصالة، والمعاصرة على حدّ سواء، دون إفراط؟

الجواب: صعب جدّا تحقيق توازن كلّي بين ما هو تراثي، أصيل، وبين ما هو عصري، بدليل ما هو موجود في الواقع العربيّ، من بينه قطاع التّعليم، بعدّه نظاما

واستراتيجية تطبّق، فإنّك تجد، غالبا الانتصار إلى جهة المعاصرة، وتقليد الغرب فالأولياء مثلا يقبلون بشكل كبير على إدماج أبنائهم في رياض الأطفال ويدفعون أموالا باهظة من أجل ذلك، بمسوّغ اللّعب، أو محاولة سدّ فراغ الطّفل، والتّرفيه عنه وإدخاله الأقسام التّحضيرية ليتعلّم في إطار آخر المستجدّات التّي يتوجّب إدخال الطفل في فضائها حسبهم؛ ولكن يلزم المحاولة المستمرّة، من خلال توعية أفراد المجتمع بالأخصّ أولياء شؤون المتّعلّم أو الطّفل، وكذا الهيئة المختصّة على أنواعها، من ضرورة العمل، والتّنفيذ باستراتيجية بشكل وسطي دون تفضيل تيار على الآخر، بل يجب تبسيط المرونة المطلقة دون التّسلّخ من الأصول، والجذور التّي لا ينبغي إطلاقا، الخروج عنها مهما يُصطدم من تغيرات العصر الحتمية، وتجنّب التّعصّب والتّقوقع في دائرة الحدود المحلية، إن جاز القول، بل تقصّي الانفتاح والاطّلاع على ما يدور في فلك العالم، من تصوّرات، وتطوّرات... وكلّ ما يخدم اللّسان العربيّ ليتقدّم النّاصية التّي من حقّه، كونه وعاءً حاملا لكلام اللّه الذّي هو أفصح كلام إطلاقا.

فلو انتهجنا هذا، وأمسكنا العصا من الوسط، سنكوّن متعلّما مقتدٍ بالنّموذج الأعلى: " القرآن الكريم"، وإكسابه القوّة، والسّلامة، والتّمكّن الصّوتي، والصّرفي والنّحوي والدّلالي، علاوة على مهارات: الاستماع، والقراءة، والكتابة، والتّعبير؛ فهو دستور شامل، ومفتاح لساني...من جهة. وإضفاء بعد منهجي، استراتيجي، لملكة اللّسان العربي، من خلال استثمار ما ورد من مقاربات، واستراتيجيات...تناسب الطّبيعة العربية الإسلامية.

السؤال رقم (02): ما نظرتك التّقييمية للأسلوب، والطّرائق المعتمدّة في النّظامين: الكتاتيب، والتّحضيري؟

الجواب: تتعدّد الطّرائق، والأساليب وتختلف من منظومة، إلى أخرى، ومن معلّم إلى آخر، بل ومن عصر إلى غيره، وهذا ما يُسقط على النّظام التّعليمي ما بين الطّريقة التّعليمية في الكتاتيب، وبين الطّريقة التّعليمية في التّعليم النّظامي في المرحلة التّحضيرية، فإن كانت الأولى تعتمد أسلوب التّلقين، والإلقاء، والتّركيز على ملكة

الاستماع لدى المتعلّم، مع الاشتغال بأدوات تقليدية: اللّوحة، الصلصال... وتعليم الحروف وفق مخارج الحروف، وأحكام التّجويد، مع الاعتماد على مبدأ التّكرار وتكليف المتعلّم الحفظ عن ظهر قلب، وأمّا الثّانية فتعتمد طرائق حديثة مستوحية من فلك التّعليمية، وطرائق التّدريس الحديثة، مثل: التّعليم عن طريق اللّعب والتّعليم التّعاوني... والتّركيز على مهارة الكلام، والتّعبير، وتعليم الحروف، والأرقام بوساطة الألوان، والصّور، والفواكه، والخضر، بمختلف الأدوات الحديثة...الخ.

وهذا لا يعني أنّ إحديهما أفضل من الأخرى، بل كلّ منهما تهمل مهارة، أو ملكة معيّنة، فالأولى تهمل ملكة الفهم، والتّفكير النّاقد، ومراعاة نمو المتعلّم العقلي واللّساني...وأمّا الثّانية فهي تهتّم بالثّانويات على حساب الأساسيات وبالتّالي تبتعد كلّية عن الهوّية العربية الإسلامية، ومضامينها.

السؤال رقم (03): أيّهما راعى نمو المتعلّم العقلي، واللّساني: التعليم بالكتاتيب، أو التّعليم التّحضيري؟

الجواب:

– لم تكن هناك مراعاة بالمفهوم المطلق للنمو المتعلّم العقلي، واللّساني، في كلا النّظامين؛ نظرا لتقليدية النّظام الأوّل، وغياب المعرفة، والتّحصن بخلفية واطلاع واسع، وواعٍ على مضامين علم النّفس النّمو، والتّربوي، والطّفل، ونظريات التّعليمية واللّسانيات، على الرّغم من أنّها موضة العصر المستوردة في البيئة العربيّة.

خاتمة: ومن خلال ما سبق، قد اتضح أن التعليم بالكتاتيب له الأثر البالغ في إحداث التفوّق اللغوي للمتعلمين، وله أثر في تنمية ملكة اللغة العربية، نظرا لارتباط القرآن الكريم باللغة العربية الفصيحة. كما تبينت الفروق بين المتعلم الذي تلقى تعليما في الكتاتيب والحافظ للقرآن الكريم، والمتعلم الغير حافظ له، فالحافظ له يحمل ملكة اللغة ومتمكن من مهاراتها الأربع، وملم بكيفيات التواصل اللغوي، أما المتعلم الذي لم يتلق فهو عكس ذلك، على الرغم أن هناك استثناءات فهناك العديد من المتعلمين

المتفوقين في اللغة العربية وليسوا من حفظة القرآن الكريم ولم يتلقوا تعليما في الكتاتيب، إلا أنهم كثيرو المطالعة في الكتب والقراءة.

وبإدراج مواد ذات طابع ديني إسلامي، ترسّخ الأحكام/ والمبادئ، وتعزّز ملكة الفهم، والاستيعاب لذلك، مثل: أحكام الفقه، وفقه الأولويات، وتفسير القرآن، والحديث النّبوي الشّريف، وتفسير القرآن اللّساني، إعجاز القرآن، والسّنّة، والطّب النّبوي، بلاغة النّصّ القرآني، وأصواته، وصرفه، ونحوه، انطلاقا من فكرة أنّ الفكر واللّسان عملتان لوجه واحد لا يمكن الفصل بينهما، وعليه فكلّ تلك المعارف تعزّز ملكة المتعلّم اللّسانية، بيانا، وسلامة. مع مراعاة مختلف الفئات العمرية: فمتعلّم ما قبل التّمدرس يختلف عن متعلّم الابتدائي، والمتوسط...وهكذا.

لذلك نقترح جملة من التوصيات:

1- سنّ وزارة الشّؤون الدّينية، والأوقاف، قوانين محكّمة صارمة موحّدة، تخصّ تعليم القرآن في كلّ القرى، والأرياف، والمدن...وتأسيس جمعيات مكلّفة بالرّقابة المستمرّة؛

2- محاولة إرفاق كلّ مسجد بمدرسة قرآنية، مع ضرورة التّنسيق بينها، عملا وإجراءً؛

3- إقامة الدّورات التّدريبية لمعلّمي المدارس القرآنية، والكتاتيب التّي تحاول تزويدهم بالثّقافة الإجرائية في إطار الجانب النّفسي، واللّساني، والبيداغوجي، والدّيني وتعليمهم كيفية استثمار النّظريات، والأدوات الحديثة الغربية، خدمة للسان العربيّ وتحفيظ القرآن الكريم، والأخذ في الحسبان ربط النّظام الكتّابي بالشّبكة، ودراسة التّعليم بالكتاتيب بالأنترنت، تسهيلا، وتيسيرا لفئة الصّغار الذّين يحتاجون مراقبة وتوجيها من لدن الأولياء، وفئة الكبار اللذان يصعب عليهم التّحرك؛

4- عدم إفساح مجال إدماج الطّفل ما قبل التّمدرس إلى المسجد، والمدارس القرآنية بشكل اختياري؛ وإنّما سن قانوني إلزامي لذلك يُطبّق على كلّ طفل وصل أربع سنوات فما فوق؛

5- النّهوض بمستوى تعليم القرآن، واللّسان العربيّ، اللّذين يمثّلان هويّة المواطن العربيّ المسلم، من حيث طبيعة المنهاج: الطّرائق، والمحتوى...؛

6- ضرورة تنويع المدارس القرآنية بمختلف أشكالها، والعمل على رسكلتها واستئنافها من جديد، وبصورة أفضل؛

7- محاولة العمل على المبدأ التّوفيقي، والرّؤية البينية بين محاولة ترسيخ الشّخصية التّراثية الأصيلة، بصبغتها الدّينية منابعها الأولى، والأخيرة، القرآن، والسّنّة ومواكبة المعاصر من المعارف، والتّصوّرات... والعمل على استثمارها بما يخدم اللّسان العربي، والمتعلّم في كلّ أطواره.

الإحالات:

[1]: مختارية تراري: التعليم بالكتاتيب القرآنية في الجزائر في منظور الدراسات النفسية والتربوية المعاصرة: إنسانيات، المجلة الجزائرية في الأنتروبولوجيا والعلوم الاجتماعية ص57.

[2]: بن أحمد التيجاني، عبد الرحمن: الكتاتيب القرآنية بندرومة من سنة 1900 إلى 1977.- الجزائر ديوان المطبوعات الجامعية، 1983. -ص.13.

[3]: طالب، عبد الرحمن بن أحمد التيجاني، *الكتاتيب القرآنية بندرومة من1977-1900* الجزائر ديوان المطبوعات الجامعية، 1983، ص15.

[4]: بوفلجة، غياث، التربية والتكوين بالجزائر قبل وبعد الاستقلال، موفم للنشر، 1993 ص15.

[5]: سلمان نصر: المدرسة القرآنية وأثرها في تقوية النظام التربوي، الأسبوع الوطني الثاني للقرآن الكريم، فندق السفير، 29/27ماي 2001، ص05.

[6]: ينظر: المدارس والكتاتيب القرآنية وقفات تربوية وإدارية: مؤسسة المنتدى الإسلامي: السعودية ص14.

[7]: ينظر: المدارس والكتاتيب القرآنية وقفات تربوية وإدارية: مؤسسة المنتدى الإسلامي: السعودية ص20.

[8]: سورة البروج: آية رقم 21، 22.

[9]: ينظر: بن يحي حي: أثر حفظ القرآن على التفوق في مادة اللغة العربية: دراسة لعلامات عينة من كشوف البكالوريا لطلبة من جامعة غرداية بالجزائر:(Malaysia) **ICASIC2018**، 2018/07/13. ص04.

[10]: عبد الرحمان بن خلدون: مقدمة ابن خلدون: دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت ص665، 685.

[11]: الزركشي: البرهان في علوم القرآن: تح: محمد أبو الفضل وآخرين: ص247.

[12]: صورية العيادي: من آثار تعلم القرآن الكريم في تنمية الملكة اللغوية: مجلة الإحياء ع20، 2017 ص484.،

[13]: رابح بومعزة: التراكيب النحوية العربية صورها وأساليب تطوير تعليمها: دار مؤسسة رسلان 2008، ص132.

[14]: رابح بومعزة: المرجع نفسه: ص132.

[15]: **رضوان لحسن:** الكتاتيب القرآنية كفضاء وإستراتيجية لطفل ما قبل المدرسة: كرّاسات المركز، رقم18، 2009 https://www.cahiers.crasc.dz/index.php/ar.

طرق تعليم الأطفال
في الكتاتيب ودورها في التنشئة

د. جميلة قماز

جامعة محمد الصّديق بن يحيي، جيجل

الملخص: ظهر الكتّاب عند المسلمين منذ عهد الرّسول ﷺ وانتشر في مختلف البلدان الإسلامية، وقد لعبت الكتاتيب دورا متميزا في تكوين الخلفية القرآنية الإسلامية في عقول أبنائنا، وهي المؤسسة الأولى للتنشئة الاجتماعية، حيث يتلقى فيه الناشئة دروسا في تلاوة وحفظ كتاب اللّه وتعليم العلوم الشرعية، والكتابة والحساب... وقد قيل: "أول العلم الصّمت، ثمّ السّماع ثمّ الحفظ ثمّ العمل ثمّ نشره". ويبدأ التّعليم في الكتّاب بالصوامت ثمّ الصّوائت مع ترسيخها للحفظ، ويعتمد المعلم في تحفيظ الحروف للمتعلمين على قاعدة يقسمها في أذهانهم إلى مجموعات ثلاثة تشترك كلّ مجموعة في صفة عامّة، بعد ذلك ينتقل إلى تحفيظ السّور بشكل جماعي؛ أي عن طريق السّماع، ثمّ تدريس العلوم العربية الأخرى، ويؤكد علماء التربية أنّ حفظ القرآن في المرحلة العمرية الصّغيرة يظلّ ثابتا في الذّاكرة ويقوّم اللّسان العربي كما يقوّي مخارج الحروف. كما أسهم الكتّاب في تخريج علماء ودعاة وفقهاء نشروا العلوم الشرعية وأسّسوا الجامعات الإسلامية في مختلف البلدان الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: الكتاتيب – التنشئة الاجتماعية – الشرعية – مؤسسة.

تمهيد: ارتبطت حركة التعليم في الدّول الإسلامية عامّة، وفي الجزائر خاصّة منذ عهد قديم بتعليميّة اللّغة العربية، وتحفيظ القرآن الكريم في مؤسسات قائمة على التّلقين والحفظ، لتكوين ملكة الحفظ لدى المتعلّم، والحفاظ على القرآن، ونشر العلوم المختلفة. فقدرة الطّفل على الحفظ في مرحلة الطّفولة المبكرة تكون عالية، فلابد من استغلال هذه القدرة في حفظ القرآن لتقويم اللّسان، وتقوية مخارج الألفاظ. ولأهمية مرحلة الطّفولة في حياة الفرد ودورها في صقل مواهبه وتنمية شخصيته وتكوينها من

الجوانب كافة، العقلية، والجسمية، والانفعالية، والاجتماعية، لذا اهتموا بالكتاتيب. ومن هنا تتحدد الإشكالية التالية:

ما مدى إسهام الكتاتيب في تعليم الأطفال اللّغة العربية وتحفيظ القرآن؟

وتتفرّع عنها أسئلة فرعية تتمثل في:

ماهي الكتاتيب؟ وما دورها؟ وماهي طريقة التّعليم بالكتاتيب؟

التعريف بالكتّاب: يعتبر الكتّاب رافدا من روافد العلم والمعرفة الّتي أسهمت في حماية وصقل المجتمع قديما وحديثا. والكتّاب من المؤسسات التربوية القديمة، يقول العبيدي: "شملت المؤسسات التربوية القديمة كلا من الكتاتيب والمساجد والرابطات والمكتبات العمومية والخاصةّ، وقصور الأمراء...ودور العلماء، وحتى الدكاكين..."[1]

ظهر لكتاب منذ عهد الرّسول ﷺ، وانتشر في معظم البلدان الإسلامية، وقد زاد الاهتمام بهذا" التّعليم في أواخر القرن الأول الهجري في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز حيث قام هذا الأخير ببعث عشرة فقهاء أهل علم وفضل، فقاموا بنشر تعاليم الإسلام أحسن قيام[2].

والكتّاب بضم الكاف وتشديد التاء: موضع تعليم الكتابة، وجمعها الكتاتيب" [3] واستعمل أحيانا ابن سحنون كلمة "مكتب" عوض لفظ كُتّاب، ويظهر أنّ كلمة كُتّاب يقابلها في مناطق أخرى كلمات "كالمسيد".

وقد يكون الكتاب حجرة أو حجرتين ملحقة بمسجد كبير، وقد يوجد ضمن أحد المنازل بالحي، وكان يُبنى احتسابا لمرضاة اللّه، أو قد يكتريه المعلم ليعلم فيه بأجرة يتقاضاها من أولياء المتعلمين. يقول ابن باديس: "إنّ التعليم المسجدي في قسنطينة كان قاصرا على الكبار، ولم يكن للصغار إلى الكتاتيب القرآنية، فلمّا يسّر لي الانتساب للتّعليم سنة (1913) جعلت من جملة دروسي تعليم الصغار في الكتاتيب القرآنية بعد خروجهم، فكان ذلك أول عهد للنّاس بتعليم الصّغار"[4].

وظيفة الكُتّاب: لعبت الكتاتيب دورا متميزا في تكوين الخلفية القرآنية الإسلامية في عقول كثير من أبناء المجتمع في الدّول الإسلامية منذ زمن بعيد، ويعدّ الكُتّاب من أقدم

المراكز التّعليمية عند المسلمين، وقيل بأنّ العرب عرفوه قبل الإسلام، ولكن على نطاق محدود، وكان للكُتّاب مكانة عالية في القرون الأولى، فكان يشبه المدرسة الابتدائية في عصرنا الحاضر.

بدأ ظهورا الكتاتيب في العالم الإسلامي في فترة الحكم الأموي فكان الغرض منها تحفيظ صغار المسلمين القرآن الكريم وتعليمهم القراءة والكتابة، ومتون الشّعر وقواعد النّحو واللّغة، بالإضافة إلى الحديث الشريف. فكانت تدرّس للصّبيان" مبادئ القراءة والكتابة والقرآن، وبعضها كان يعلم فيه أيضا اللّغة وما إليها"[5]. وقد اعتبر ابن خلدون" أنّ تعليم الولدان للقرآن من شعائر الدّين، أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم" [6]. فالغاية من كلّ ذلك هو ترسيخ الإيمان في نفوس المتعلمين منذ الصّغر. إذن هناك علاقة بين الإيمان والحفظ، فبالحفظ يترسّخ الإيمان في القلوب منذ الصغر. ومن هنا جاءت أولوية تعليم القرآن" لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث ، وصار القرآن أصل التّعليم الّذي ينبني عليه ما يحصل بعده من الملكات، وسبب ذلك أنّ تعليم الصغر أشد رسوخا وهو أصل لما بعده، لأنّ السّابق الأول للقلوب، كالأساس للملكات"[7]. ولقد لعب الكُتّاب دورا هامّا في حياة المسلمين، فالرّسول (صلّى اللّه عليه وسلّم) كان المعلم الأوّل لأصحابه يحثهم على طلب العلم يُقرئهم القرآن، ثمّ كان يقرئ بعضهم بعضا، ويحثّ كلّ واحد منهم على تعلّم القراءة والكتابة، بل إنّه (صلّى اللّه عليه وسلّم) جعل التّعليم مساويا للحرّية ،حيث جعل فداء بعض أسرى بدر ممّن لا مال لهم أن يعلّم الواحد منهم عشرة من الغلمان الكتابة فيُخلى سبيلُه، فكان ممّن تعلّم زيد بن ثابت(رضي اللّه عنه)" [8].وكانت هذه الحادثة نقطة نشوء الكتاتيب في التّاريخ الإسلامي" أمّا في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي اللّه عنه) فعندما كثر عدد صبيان المسلمين ولم يجدوا من يعلمهم أمر الفاروق بإقامة كتّاب في كلّ حي من أحياء المدينة ليتعلّموا فيه مبادئ القراءة و الكتابة وقام بتحديد أجر لكلّ معلّم متفرّغ.

والكتّاب باعتبارها مؤسسة اجتماعية تقوم بأدوار أخرى هامّة في المجتمع منها:[9]

1- تحفيظ القرآن الكريم وتعليم مبادئ وأسس الدّين الإسلامي؛

2- المحافظة على الإطار العام للشخصية الوطنية، وذلك بالحفاظ على أهم مقومات البقاء والاستمرارية للثقافة والشخصية الوطنية الجزائرية؛

3-تعليم اللّغة العربية الّتي تعتبر إحدى ثوابت الأمة الجزائرية؛

4- ضمان اكتساب المجتمع الحد الأدنى من الثقافة العامّة الموحدة والّتي لها تأثير مباشر على بقاء واستمرارية مختلف النّظم الاجتماعية.

كما عملت هذه المؤسسة على تحصين المجتمع من الاستلاب إبّان فترة الاستعمار الفرنسي، ومحو الأمية، وربط المتعلمين بالكُتّاب، وتنوير عقولهم وصقل ألسنتهم منذ الصّغر.

أمّا في عصرنا الحالي فقد ضعُف دور الكتاتيب نظرا لحلول المدارس محلّها ولكنّها مازالت مستمرّة في معظم المجتمعات الإسلامية في الفترة المسائية، أو في أيام العطل. ومازالت تسهم في نشر العلم والأخلاق و...

طريقة التّعليم بالكتاتيب: عندما يحضر المتعلم لأول مرّة يقدم له المعلم لوحة ويسجل له فيها حروف الهجاء من جهة مرتبة أمّا الجهة الأخرى فيسجل فيها سورة الفاتحة، ثمّ يبدأ بتلقين المتعلّم السّورة ، وبعد حفظها يتمّ محوها بالماء الطّاهر، وتدهن بالصّلصال و تجفف في الشّمس، بعد ذلك تسطر بقلم الرّصاص ويكتب سورة النّاس للحفظ بالتّلقين ، وهكذا مع بقية السّور... أمّا حروف الهجاء فتبقى مسجلة حتى تحفظ عن ظهر قلب. يشير تركي رابح إلى الطّرق المستعملة قائلا: " تختلف طرق التّدريس في معاهد التّعليم العربي الحرّ باختلاف نوعية هذه المعاهد في الزّوايا والمساجد، تسود طريقة الحفظ و التّلقين، أو الطّريقة الّتي تعتمد على الإلقاء والإملاء من جانب المتعلّمين وهي الطّريقة الّتي يكون موقف المتعلّمين سلبيا في معظم الأحيان ، فالمعلم هو الّذي يعدّ الدّروس وهو الّذي يشرحها، وهو الّذي يحلل ما يحتاج إلى تحليل والمتعلمون عليهم أن يتقبلوا ما يقوله المعلم في معظم الأوقات[10]. ويقول ابن خلدون:

"فأما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاختصار على تعليم القرآن فقط، وأخذهم أثناء المدرسة بالرّسم ومسائله...ويقال: "أول العلم الصّمت ثمّ السّماع، ثمّ الحفظ، ثمّ العمل ثمّ نشره"[12]. وقد أفرد ابن خلدون فصلا خاصّا من المقدّمة يعرض فيه طرائق ومناهج التّعليم في الكتاتيب. فالتّعليم في الكُتّاب يعتمد على التّلقين والحفظ، يقول العلامة المغربي فريد الأنصاري (رحمه اللّه): "إنّ الحفظ هو الّذي مارسه أصحاب رسول اللّه ﷺ، حيث كانوا يتلقّون خمس آيات أو عشرا فيدخلون في مكابدة حقائقها الإيمانية ما شاء اللّه...وإنّ الّذي لا يُكابد منزلة الإخلاص ولا يجاهد نفسه على حصنها المنيع، ولا يتخلّق بمقام توحيد اللّه في كلّ شيء رغبا ورهبا لا يمكن أن يعتبر حافظا لسورة الإخلاص...ثمّ إنّ الّذي تلتهب مواجيدُه بأشواق التّهجّد لا يكون من أهل سورة المزمل..." [13]

وأنا من المتعلمين في الكُتّاب في السبعينيات، ولا زلت أتذكر بالتّفصيل الدروس الأولى في تعليم الحروف وطريقة تعلّمها ومازالت راسخة في ذهني إلى يومنا هذا حيث بدأ المعلم بتقسيم الحروف إلى ثلاث مجموعات بحيث كلّ مجموعة تشترك في صفات وهي:

المجموعة الأولى: وهي الحروف الّتي لا يلحق بها شيء من النّقاط لا من أسفل ولا من أعلى وعددها15 حرفا وهي: الألف، الحاء، الدال، الرّاء، الطّاء، الكاف اللام الميم، الصّاد، العين، السين، الهاء، الواو، لام ألف، الهمزة.

المجموعة الثانية: وهي الحروف الّتي تلحق بها نقاط من الأعلى، وعدد حروفها 12 حرفا وهي: التّاء، الثّاء، الخاء، الذّال، الزاي، الظّاء، النّون، الضّاد، الغين، الفاء القاف، الشّين.

المجموعة الثّالثة: وهي الحروف الّتي تلحق بها نقاط من الأسفل وعدد حروفها3 حروف وهي: الباء، الجيم، الياء.

وبعد ترسيخها في الأذهان، يشرع في تدريس الحروف بالحركات، فينطق بها بالعاميّة ألف "لا شان عليه" الباء "نقطة من أسفل" التاء "اثنين من فوق"... وهكذا كما هو موضح في الجدول

الحرف	النّطق	التّحفيظ للتّرسيخ
أ	ألف	ألف لا شان عليه
ب	الباء	الباء نقطة من الأسفل
ت	التّاء	التّاء اثنين من فوق
ث	الثّاء	الثّاء ثلاثة من فوق
ج	الجيم	الجيم نقطة من الأسفل
ح	الحاء	الحاء لا شان عليه
خ	الخاء	الخاء نقطة من فوق
د	الدّال	الدّال لا شان عليه
ذ	الذّال	الذّال نقطة من فوق
ر	الرّاء	الرّاء لا شان عليه
ز	الزّاي	الزّاي نقطة من فوق
ط	الطّاء	الطّاء لا شان عليه
ظ	الظّاء	الظّاء نقطة من فوق
ك	الكاف	الكاف لا شان عليه
ل	اللاّم	اللاّم لا شان عليه
م	الميم	الميم لا شان عليه
ن	النّون	النّون نقطة من فوق
ص	الصّاد	الصّاد لا شان عليه
ض	الضّاد	الضّاد نقطة من فوق
ع	العين	العين لا شان عليه
غ	الغين	الغين نقطة من فوق
ف	الفاء	الفاء نقطة من فوق

ق	القاف	القاف نقطتين من فوق
س	السّين	السّين لا شان عليه
ش	الشّين	الشّين ثلاثة من فوق
ه	الهاء	الهاء لا شان عليه
و	الواو	الواو لا شان عليه
لا	لام ألف	لام ألف لا شان عليه
ي	الياء	الياء اثنين من الأسفل
ء	الهمزة	الهمزة لا شان عليه

ثمّ بعد ذلك يتعرّف على أشكال الحروف ووجه الشّبه بينها وبين بعض الأدوات المحسوسة الّتي يراها يوميا مثل: الألف كالعصا والباء مثل السن والجيم كالمخطاف وهكذا.

ثمّ بعد ذلك يتعرّف على كيفية النّطق بالحروف وهي مشكولة مثل:

أنصب بالنصب، وهذا يعني أنّ الألف تحمل نصبة، أي فتحة.

أرفع بالضّمة، وهذا يعني أنّ الألف تحمل ضمّة.

اخفض بالكسرة، وهذا يعني أنّ الألف تحتها كسرة، وهكذا مع بقية الحروف حتى ترسخ في الذّهن. ثمّ الشّدّة ثمّ السّكون، وبعدها تنوين الفتح والضّمّ والكسر، وترسم الحركات فوق الحروف أو تحتها، وتبقى حتى يفهمها ويحسن النّطق بها.

بعد ذلك يتعرّف على قراءة الحروف حرفا حرفا بالحركات مثل: ألف يقرأ بالفتحة أَو بالرّفعة أُ وبالخفضة (الكسرة) إ. وهكذا مع بقية الحروف أيضا. هذه الطريقة لا توجد الآن في المدارس القرآنية، بل يعتمدون أكثر على تحفيظ القرآن، وتعليم الحروف مباشرة كما هو سائد في المدارس العادية.

وعلى الرّغم من أنّ هذه الطّريقة قديمة، إلاّ أنّنا لا ننكر مدى فعاليتها في شتى المجالات الدّينية والاجتماعية والثّقافية، ودورها الفعّال كذلك في محو الأمية والتّصدّي

للاستعمار الفرنسي، والمحافظة على مقومات المجتمع. كما تخرّج منها الكثير من كبار الفقهاء والعلماء في صغرهم، فهذا الإمام الشّافعي يحكي عن مرحلة الكُتّاب في صغره فيقول: "كنت يتيما في حجر أمّي فدفعتني إلى الكُتّاب، فلمّا ختمت القرآن دخلت المسجد فكُنت أجالس العلماء" (14).

ومن خلال تجربتي في ميدان التّعليم تبين لي أنّ التّلاميذ الّذين التحقوا بالمدارس القرآنية، لديهم فهم سريع لجميع المواد الّتي يتناولونها في البرنامج عند دخولهم إلى المدرسة، وهم دائما متفوقون وخاصة سرعة الحفظ، أمّا التّلاميذ الّذين لم يلتحقوا بالمدارس القرآنية فإنّهم يجدون صعوبات عند تمدرسهم لأول مرّة. ولذا فعلى الدّولة أن تعتني بهذه المؤسسات التّعليمية لدورها الفعّال في خدمة المجتمع.

خلاصة القول أنّ الكُتّاب أسهم ولازال يسهم عبر العصور في تنشئة المجتمع وذلك بتحفيظ القرآن الكريم، والأحاديث النّبويّة والقراءة والكتابة وقواعد اللغة العربية والحساب إلى جانب القيم الاجتماعية والدّنية لأنّ حفظ القرآن في الصّغر يقوّي الذّاكرة، ويقوّم اللّسان، ويمرّنها على الإلمام بالعلوم المختلفة. ولهذا لابدّ من العناية بالكتاتيب وتطويرها لمواكبة التّطورات الحاصلة في جميع المجالات.

المصادر والمراجع::

(1): العبيدي التو زري، تاريخ التّربية بتونس–تونس، الشركة الوطنية للنّشر، د ت، ص: 97.

(2): بن أحمد التيجاني،عبد الرّحمن، الكتاتيب القرآنية بندرومة، من سنة 1900 إلى 1977: الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية،1983،ص: 13.

(3): ابن سحنون محمد، آداب المعلمين، الجزائر، مطبعة الشركة الوطنية للنّشر والتّوزيع، 1972، ص: 64.

(4): رابح تركي، الشّيخ عبد الحميد بن باديس، الإصلاح والتّربية في الجزائر–الجزائر ط3، الشركة الوطنية للنّشر والتّوزيع، 1981،ص: 79

(5): أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج2، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 2006، ص: 42.

(6): ابن خلدون، المقدّمة، مصر، مطبعة محمد عاطف، د ت، ص:416.

(7): ابن خلدون، المقدّمة، مرجع سابق، ص: 614.

(8): ابن كثير، البداية و النّهاية، مكتبة المعارف، بيروت، 1991، ج3، ص: 328.

(9): زايد مصطفى، المؤسسة التّربوية القديمة في الجلفة– الجزائر، مجلة الثّقافة العدد93 وزارة الثّقافة والسّياحة بالجزائر، 1986، ص: 129.

(10: تركي رابح ، التّعليم القومي والشّخصية الوطنية، الجزائر، ط1، مطبعة الشّركة الوطنية للنّشر و التّوزيع، 1975، ص: 300.

(11): ابن خلدون، المقدّمة، مرجع سابق، ص: 416.

(12): أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدّين، ج1، دار الفجر للتّراث القاهرة، مصر ط1 1999،ص: 24.

(13): فريد الأنصاري، هذه رسالات القرآن، تقديم عبد النّاصر المقري، دار السّلام للطباعة والنّشر، ط1، القاهرة، 2010. ص13.

(14): ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ج1، ص: 473.

دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في ترسيخ مبادئ الدين الإسلامي وتعليم العربية من خلال الكتاتيب

داه. حورية درني

مؤسسة مصطفى اسطمبولي، معسكر

ملخص المداخلة: سعت جمعية العلماء المسلمين إلى إثبات الذات ودعت إلى التشبث بالموروث العربي الأصيل وتنبيه العامة إلى وجوب التمسك بالقيم الدينية وإحياء الثقافة العربية وجعلت شعار نشر التعاليم الإسلامية والحفاظ على اللّغة والذود عن حرمتهما من أبرز مطالبها وأولوياتها التعليمية من خلال غرس الروح العربية الإسلامية وترسيخ مبادئ العروبة التي لا يمكن زحزحتها ، وكيف لا يكون ذلك واللغة العربية هي لغة عقيدة وفكر وهوية، وأي مساس بها هو اعتداء على المقومات الشخصية لكل فرد وتقدم واضح نحو مستقبل متهالك، ولم يكن ذلك ليؤتى لها إلا بالاستعانة بالوسائل التعليمية المتوفرة لدى الطبقة البسيطة، وخصوصا أثناء الحقبة الاستعمارية لأجل إيصال الرسالة وتعميمها على كافة المستويات، وطبعا قد كان ذلك عن طريق الكتاتيب ودور القرآن التي كان لها الفضل الكبير في نشر الوعي بين أفراد المجتمع الجزائري والحفاظ على مبادئ الدين الإسلامي وركائز الأمة والتي تعتبر اللغة العربية من أساسيتها.

الكلمات المفتاحية: جمعية العلماء المسلمين، الوعي الديني، تعليم اللغة العربية الكتاتيب.

1. **مقدّمة:** تعتبر اللغة العربية عنوان العقيدة الإسلامية، ورمز الهوية الوطنية وإنّ الحفاظ عليها هو الحفاظ على أهم مقومات الشخصية، فحياتها من حياة أمتنا ولأجل ذلك سعى المستدمر الفرنسي إلى محاولة طمسها وتهميشها والقضاء عليها ولا تزال آثار ذلك قائمة حتى الساعة، وقد كانت جمعية العلماء المسلمين–التي شغلت دورا

إصلاحيا بارزا في البلاد– كانت على علم ودراية بهذه السياسة الهادمة لـذلك تصـدت لها وحاولت ردّها من خلال أعمالها التوعوية التي ظهرت من خلال نشاطاتها البـارزة في جميع المجالات، وخير مثال على ذلك ما كان لابن باديس وحركته من فضل فـي إنشاء المدارس والنوادي والمعاهد على اختلاف أشكالها ومراحلها لتعليم اللغة العربيـة وقواعدها وأصولها ومبادئ الدين الإسلامي، حيث جعل البرامج التربوية تتلاءم والبيئة التي يعيش فيها المتعلم وليست غريبة عنه كما هي في المدارس الفرنسية.

وتعتبر الكتاتيب القرآنية شعاعا ثقافيا مهما في المجتمع الجزائـري المسـلم، فقـد أسهمت في الحفاظ على اللّغة العربيّة ونشر العلم، وتمسّك النّاس بحبـل اللّـه المتـين ولذلك سعت جمعية العلماء المسلمين إلى استغلال هذا المورد الثقافي لنشر تعاليم الـدين الإسلامي وتعليم اللغة العربية حتى تغرس فـي الفـرد الجزائـري الـروح العربيـة الإسلامية، وترسّخ لديه مبادئ العروبة والوطنية.

والسؤال المطروح هو:

كيف أسهمت جمعية العلماء المسلمين في تعليم اللّسان العربي ونشر الوعي الـديني في أوساط المجتمع الجزائري من خلال الكتاتيب؟

2. **جمعية العلماء المسلمين والتّوجه العربي الإسلامي:** تأسست جمعيـة العلمـاء المسلمين الجزائريين في ظروف صعبة، وقد قامت بجهـود إصـلاحية علـى كافـة المناحي الثقافية، الدينية والتربوية، داعية إلى العـودة لمقومـات الشخصـية الوطنيـة ومحاربة كلّ ما من شأنه المساس برموز الهوية الإسلامية العربية الجزائريـة، يقـول عبد الرحمن شيبان:« إنّ رسالة جمعية العلماء التي تأسست لتحقيقهـا، هـي ترشـيد الشعب الجزائري إلى فهم ذاته، والتكيف بها إلى ما ينهض به من كبوته، وتحريره من الاحتلال الفرنسي الجاثم على صدره منذ قرن، وذلك ببـث الـوعي الإسـلامي فـي صفوفه، بإحياء مقومات شخصيته بالتربية والتعليم، والوعظ والإرشاد، فيعتصم بعقيدته الإسلامية مطهرة من الخرافة والإلحاد، ويحيي لغته العربية في لسانه وقلمه، ويسـتنير بتاريخه الحافل بالأمجاد، ويتسلح بوحدته الوطنية، ويطرد من نفسه الخوف مـن قـوة

العدو المحتل، واليأس من رحمة الله ونصره، ويشمّر على ساعد الجدّ بتوفير ما يقدّمه ويُرّقيه في جميع المجالات الحياتية، ويرفع شأنه في العالمين».[1]

فعملية الإصلاح تعتبر من أولويات الجمعية التي سعت إليها إيمانا منها إلى أنّ التغيير يبدأ من الفرد وينتقل إلى الجماعة بفعل الطبيعة الاجتماعية لبني البشر ولذلك أية عملية إصلاح ستكون حتما بإصلاح النفوس وتنقية ما يشوب معتقدها وشخصيتها ومبادئها، وإنّ الإصلاح أوله التعليم ورفع الجهل والقضاء على سلوك الانبهار بالآخر وتصحيح الذات، والحفاظ على مقومات الشخصية ورموز الهوية ومنها التمسك بتعاليم الدين الإسلامي والعروبة.

يتحدث البشير الإبراهيمي عن مكانة اللّغة العربية في تكوين الشخصية الجزائرية فقال: «اللغة العربية هي لغة الإسلام الرّسمية، ومن ثم فهي لغة المسلمين الدينية الرّسمية، ولهذه اللّغة على الأمة الجزائرية (الشعب الجزائري) حقان أكيدان: كل منهما يقتضي وجوب تعلّمها، فكيف إذا اجتمعا، حق من حيث أنّها لغة دين الأمة بحكم أنّ الأمة مسلمة، وحق أنّها لغة جنسها، بحكم أنّ الأمة عربية الجنس، ففي المحافظة عليها محافظة على جنسية ودين معًا»[2]

ويقول عبد الحميد بن باديس: «الرّابطة التي تربط ماضي الجزائر المجيد وحاضرها الأغر، ومستقبلها السّعيد، وهي لغة الدين، والجنسية والقومية، ولغة الوطنية المغروسة»[3]، ويقصد بكلامه اللغة العربية.

يقول مصطفى صادق الرافعي: «لا جرم إن كانت اللّغة العربية هي الهدف الأول للمستعمرين، فلن يتحول الشعب أول ما يتحول إلا من لغته، إذ يكون منشأ التّحول من أفكاره وعواطفه وآماله، وهو إذا انقطع من نسب لغته انقطع من نسب ماضيه ورجعت قوميته صورة محفوظة في التاريخ، لا صورة محققة في وجوده، فليس كاللّغة نسب للعاطفة والفكر».[4]

فأول الأمور التي يحاول المستدمر القضاء عليها هي الرّاية التي توحدّ الأمة وهي الإسلام، ثمّ يدمّر وسيلة التّواصل بين أبناء المجتمع، وهي اللّغة ثم يقوم باستلال ما بقي

واحدا تلو الآخر، حتّى يقضي على الشعور بالوطنية، فيبيع بلده ومبادئه وشخصيته ولقد فطنت جمعية العلماء المسلمين لهذه السياسة المحطمة، وحاولت التصدي لها وأعطت الأولوية لمجموعة من المبادئ وهي: الإسلام، اللّغة، الوطن.

3. مبادئ جمعية العلماء المسلمين:

1. **الإسلام دينا:** ومنه تأكيد ابن باديس على ضرورة اتخاذ الدين كإيديولوجيا ومنهج تقوم عليه الحركة الإصلاحية، وذلك في قوله: «الإسلام هو الأساس الذي يجب أن يبنى عليه كل عمل الجزائر، والنهج الذي يجب أن يسير فيه كلّ من يتولى قيادة ناحية من نواحي سيرها في الحياة وكلّ من حاد عنه قولا أو عملا فإنّه يعدّ خائنا للأمة، ويجب أن يعامل بما يستحقه الخائنون»

2. **العربية لغة:** اللغة العربية هي الركن الثاني من أركان الشخصية الجزائرية التي تكفلت جمعية العلماء المسلمين بإحيائها وحمايتها، «ولغة الأمة هي ترجمان أفكارها وخزانة أسرارها، والأمة الجزائرية ترى في اللّغة العربية أنها حافظة دينها ومصححة عقائدها ومدونة أحكامها، وأنها صلة بينها وبين ربها»[5]

فاللّغة العربية هي أهم مقومات الشخصية الجزائرية بعد الدين الإسلامي، وهي رمز الهوية الوطنية وإحدى دعائمها التي تربط بين أصولها، وتجمع بين أعراقها وأجناسها، ولذلك سعت جمعية العلماء المسلمين إلى جعلها نقطة وصل بين أبناء الوطن الواحد.

3. **الجزائر وطنا:** الوطنية كما يمثّلها ابن باديس: «لا تتمثل في الأرض والمعالم والجبال والغابات والطبيعة فحسب، ولكنها إلى جانب ذلك كله هي تاريخ وحضارة وقيم وذكريات وآمال وطموح»[6]

4. **سياسة جمعية العلماء المسلمين التعليمية:** رأت جمعية العلماء المسلمين أنّ التعليم أمضى سلاح لمقاومة العدو، وطرده من أرض الوطن، عدّته «الأداة الأضمن للمحافظة على الروح الجزائرية التي كانوا يعتقدون بأنّها مهددة بالابتلاع من قبل الثقافة والفكر الفرنسي»[7]

يقول الفيلسوف محمد إقبال: «إنّ التعليم هو "الحامض" الذي يذيب شخصية الكائن الحي ثم يكونها كما يشاء، وهو يستطيع أن يحول جبلا شامخا إلى كومة تراب»[8]

وقد كان التعليم أثناء وبعد الحقبة الاستعمارية ذا طابع حرّ إلى حدٍّ بعيد، نظرا للظروف التي كان يعاني منها الشعب الجزائري، ونظرا لصعوبة التّعليم النّظامي لعامة النّاس، فقد اقتصر التعليم الحكومي على فئة خاصة من المجتمع، ولذلك انتشر هذا النّوع من التّعليم الذي عُرف بأنّه:«تعليم ذو طابع ديني، ولغوي في الغالب، مع شيء من التاريخ، والجغرافيا، والعلوم والرياضيات، وقد نشأ قبل الحرب العالمية الأولى بقليل، ولما استقام عود جمعية العلماء، والتحمت جهود القائمين عليها وتضافرت سعت لتطوير مناهج التعليم بأن أدخلت على التعليم الديني واللّغة العربية شيئا من العلوم العلمية العصرية والمعارف الأجنبية التي نادت بتعلّمها شرط أن لا تكون هي الأساس بل مكملة، هادفة من وراء ذلك إلى إحداث نهضة تعليمية وثقافية ، وتعزيز موقع اللّغة العربية بين الجزائريين كبارا وصغارا».[9]

كان تركيز جمعية العلماء المسلمين على اللّغة العربية صائبا، وإعطاؤها الأولوية في التدريس لتفويت الفرصة على المستعمر، فأحيت دراسة متونها كالآجرومية والألفية، وحثّت الطلبة أن لا يتكلموا أو يتخاطبوا أو يتكاتبوا إلا بها، وشجعتهم على الكتابة بها في الجرائد، ونظّمت المسابقات في قرض الشعر والخطابة، وعُرف علماؤها بفصاحة اللسان وبلاغة الخطاب والإبداع في النظم والنثر[10].

وقد شجعت جمعية العلماء المسلمين مختلف المؤسسات التعليمية على اختلاف مستوياتها، ولم تدّخر جهدا في دعمها ومساندتها رغبة منها إلى تعميم الوعي الديني والثقافي على كافة طبقات المجتمع ومنها الكتاتيب باعتبارها أولى المراكز التعليمية المتخصصة في تعليم الأطفال.

5. **دور الكتاتيب تلقين مبادئ الدين الإسلامي وتعليم العربية:** لقد قامت في كونها مؤسسة لتعليم وحفظ القرآن الكريم ولو بصورة بسيطة، باعتبار أنّ الاستعمار

كان يطارد تعليم اللّغة العربية في المدارس الرّسمية الحكومية لدولة الاحتلال، وعليه فقد ظلّ تحفيظ القرآن الكريم منتشرا في أوساط الشعب الجزائري.

1.5. **الكُتّاب:** يعدّ الكتّاب من المؤسسات التعليمية التربوية الأولى كانت أساس التعليم العربي التقليدي بالجزائر، فهو المكان الذي يتعلم فيه الصبيان القراءة والكتابة وأولويات المعرفة العمومية، أمّا الشخص الذي يدرس في الكتاب فيسمى المكتب، كما يلقب أيضا بالمعلم... وأما الصبي الذي يدرس في الكتاب فيسمى "المحصل"و"طال العلم"و"التلميذ"، لقد كثر هذا النوع من المدارس في الجزائر، وعرف انتشارا واسعا في كلّ المناطق، وكان "الكتاب" (جمع كتاتيب) هو الأساس للتعليم الإبتدائي.[11]

كان الكُتاب يركز على قراءة القرآن وكتابته ولفظه واستظهاره على ألواح الخشب ولم تكن هناك طريقة تدريس غير الاستظهار، كما لم تكن هناك مواقيت محدّدة للتعليم أي (استعمال الزمن) وإنّما الطالب(المعلم) هو الذي يحدّد وقت التدريس، وكان التلاميذ الذين يلتحقون بالكُتاب صغارا تتراوح أعمارهم عموما بين 6 و10 سنوات وممّا يميّز كثرة الإقبال على هذه المؤسسة التعليمية هو مكانتها الاجتماعية وما حظيت به من احترام وتقدير من طرف الشعب الجزائري بحيث كان لها دور فعال متمثل في التعليم الدّيني للأطفال الصّغار، والحرص على حفظ القرآن، ولها وظيفة أخلاقية وعلمية.[12]

فالكتاتيب لم تكن ذات نشاط ممنهج، غير أنّها كانت تؤدي دور المدرسة الإبتدائية، وتحاول تقريب المعارف القاعدية للطفل في أبسط صورها.

2.5. أثر القرآن الكريم في تعليم اللّغة العربية: إنّ لأثر الكتاتيب في تعليم اللّغة العربية لسرّ مرتبط أساسا بالقرآن الكريم، نظرا لكون الكتاب عادة علاقة بتحفيظ القرآن الكريم، فلقد كان العرب في الجاهلية خلال القرون الأولى من مجيء الإسلام يعتمدون على طريقة تعدّ اليوم من أحدث الطرائق أو المبادئ المساعدة على تعليم اللّغات ، ألا وهي طريقة الانغماس اللّغوي، وذلك بإرسال أبنائهم إلى البادية لاكتساب الفصاحة العربية وترسيخ الملكة اللّغوية، إذ يعدّ تعليم القرآن الكريم على اختلاف طرائقه وبيئاته وأزمانه، بيئة تعليمية أصيلة تحقق هدفين اثنين في آن واحد، ألا وهما

تعليم الدّين واللّغة العربية معا، ومن هنا يمكن القول أنّ المؤسسات والمدارس التي يتم فيها تعليم القرآن الكريم، تعدّ بيئات أصيلة صالحة لتطبيق مبدأ الانغماس اللّغوي لمتعلّم العربية ، وبالتالي يمكن الاعتماد عليها في تحسين المستوى وترسيخ الملكات والمهارات المختلفة لدى المتعلّم، سماعا وتحدثا وكتابة وقراءة.[13]

ولأجل ذلك كانت علاقة القرآن باللّغة العربية وثيقة في وسط الكتاتيب، فقراءة القرآن في الكُتّاب يكسب المتعلّم مهارات لغوية طبيعية، أي أنّ التّلميذ عن طريق سماعه وقراءته وكتابته للقرآن الكريم، تصبح لديه قدرة على التّحكم في أصول العربية، وإن كان لا يُتقن قواعدها، وتأتي مرحلة ما بعد الكُتّاب هي مرحلة تلقين العلوم في المساجد والمعاهد، فتصبح لديه قابلية لتعلّمها واستيعابها دون مشقة أو عناء وكأنّه حصّل اللّغة على السّليقة، كدأب فعل العرب في الجاهلية، فالممارسة هي أهم محطة لتلقي اللّغة، لذلك فإنّ تحصيلها في مرحلة الطّفولة له أثر واضح على المتعلّم.

3.5. **وظيفة الكتاتيب:** تحدّث أبو القاسم سعد الله عن وظيفة المدرسة الابتدائية ويقصد بها هنا الكتاتيب التي كانت بمثابة المدارس الإبتدائية، فقال:«ومع ذلك فإنّ وظيفة المدرسة الابتدائية كانت هامة، فهي تثقف وتربي الأطفال على قواعد الإسلام وعلى نمط اجتماعي محدّد، وهي تقوم بتحفيظ القرآن الكريم الذي هو أساس الثقافة الإسلامية، وهي تعلم الأطفال مبادئ العلوم والقراءة والكتابة فيحفظون لسانهم من العجمة ويتوحدون في التّفاهم والتّخاطب حيثما كانوا، وهي أيضا تساهم في إعطاء الطفل رصيدا من المعارف التي تساعده على شق طريقه في المجتمع بعد خروجه منها، عندما يبلغ عادة الرابع عشرة سنة، وإلى جانب ذلك كانت المدرسة الابتدائية تعدّ شعبا متعلّما محصنا لا يوجد فيه إلا عدد قليل من الأميين... »[14]

يمكن تلخيص أهم أدوار الكُتاب في القيام بالوظائف التالية:

- ✓ تحفيظ القرآن وتعليم مبادئ وأسس الدين الإسلامي؛
- ✓ المحافظة على الإطار العام للشخصية الوطنية، وذلك بالحفاظ على أهم مقومات البقاء والاستمرارية للثقافة والشخصية الوطنية الجزائرية؛

- ✓ ضمان اكتساب المجتمع الحد الأدنى من الثقافة العامة والموحدة والتي لها تأثير مباشر على بقاء واستمرارية مختلف النظم الاجتماعية الأصلية؛
- ✓ تعليم اللّغة العربية التي تعتبر إحدى ثوابت الأمة الجزائريةح
- ✓ كما عملت هذه المؤسسة على تحصين المجتمع من الاستيلاب إبان فترة 130 سنة من الاستعمار الفرنسي.

4.5. خصائص التعليم الكُتابي:

يتميز التعليم الكتابي بعدة خصائص تميّزه عن بقية المؤسسات التعليمية الحديثة ويمكن إيجازها فيما يلي:

- إمكانية التعليم الكُتابي لجميع أفراد الفئات الاجتماعية بما فيها الغنية والفقيرة
- شعبية التعليم الكُتابي، معناه أنّ هذا التعليم مرتبط بمناطق ظهور التّجمعات السّكانية مهما كان مستواها الاقتصادي؛
- التعليم في الكُتاب لا يتطلب نفقات تسيير هامة، فهو بذلك اقتصادي من ناحية التكاليف المادية ومن حيث التجهيز والتّخطيط؛
- إنّ التعليم الكُتابي عاش برفقة الجماعات الرّعوية، وهذه ميزة فريدة من نوعها
- ارتكاز هذا النّوع من التّعليم على اتّجاهات نفسية دينية لدى المعلم وهذه الاتّجاهات توفر جوا خاصا للعمل والفعالية؛
- إنّ التعليم الكُتابي نابع من حاجات المجتمع المحلي، فهو بذلك نتاج مبادرات شعبية؛
- ارتباط التعليم الكُّتابي في نشأته وتطوره بالمجتمعات العربية الإسلامية، حيث كان الكُتاب وسيلة حيوية من أهم وسائل تحفيظ القرآن الكريم؛
- إنّ الوسائل التّربوية المستخدمة كاللّوحة، والحبر المحلي وأدوات المحو...الخ هي أدوات زهيدة التكاليف، يمكن العثور عليها في البيئة المحلية؛

- إنّ الكُتاب مؤسسة متواضعة من حيث المظهر الخارجي، إلاّ أنّ الطريقة التربوية التعليمية بها عرفت نجاحا كبيرا، وخير دليل على ذلك ظهور العلماء الأجلاء وحماة وحفظة القرآن الكريم، قد تلقوا تعليما بهذه المؤسسة الدّينية.[15]

5.5. **مقررات ومناهج المدارس القرآنية والكتاتيب:** يعدّ المضمون العلمي الذي يتلقاه الطلبة في المدارس القرآنية والكتاتيب أحد الأركان الأساسية في إيجاد المنهج والعملية التعليمية، ويتعلق المضمون الدراسي بتلك المواد التي يحتويها النمط التعليمي فقد اختصت هذه المدارس بتدريس علوم الدين بالإضافة إلى علوم اللّغة.[16]

المواد الدراسية: استمرت المدارس القرآنية في تقديم تعليم يقوم أساسا على نوعين من العلوم، علوم الدين وعلوم اللّغة.

أ. العلوم الدينية:

الفقه المالكي: اعتمادا على مصنف الخليل (المختصر)، علم الحديث: اعتمادا على صحيح البخاري، ومسلم، وموطأ الإمام مالك، بالإضافة إلى دراسة علم التوحيد.

ب. العلوم اللّغوية:

النّحو العربي: اعتمادا على ألفية ابن مالك والآجرومية.

محتوى مناهج مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

- ✓ كان محتوى مناهج الجمعية يقوم على ثلاثة أسس، وهي:
- ✓ تربية إسلامية متينة منظمة
- ✓ ثقافة عربية ابتدائية.
- ✓ مبادئ أولية للمعارف العلمية.[17]

وعلى العموم فإنّ هذه الأصول هي المعتمدة في تلقي العلوم الشرعية واللّغوية للمبتدئ، فهي بذلك تراعي التّدرج في تلقين العلم.

6.5. واقع الكتاتيب اليوم: لقد ضعُف دور الكتاتيب في عصرنا الحالي، نظرا لحلول المدرسة والتعليم الرّسمي محلّها، ولكنّها مازالت مستمرّة في معظم المجتمعات الإسلامية في فترة الإجازة الصّيفية أو بعد العودة من المدرسة، ومع كلّ ذلك فإنّها لا

تزال تعاني التهميش والمضايقات التي تُحاصرها... ورغم ما هو معلوم للجميع من إيجابيات هذه الكتاتيب فإنّها لا تخلو من بعض المآخذ والتّحديات التي تواجهها، منها:

- ضعف التكوين العلميّ والمنهجيّ للشيخ المعلّم، فأغلبهم لا يزيدون على حفظ القرآن الكريم –هذا كان إن كان الشيخ ذاته يتقن لغة القرآن أداءً وحفظاً–دون إلمام بعلوم اللّغة والتّفسير، ممّا يقيم قطيعة بين تلاوة القرآن الكريم وفهمه، وبين الحفظ والسّلوك؛

- الكتاتيب لم تعد تلقى الشعبية والإقبال من طرف عموم النّاس بعد ظهور دور الحضانة وبعض المؤسسات التعليمية الأخرى...؛

- إنّ التّطور الحاصل في ميادين التكنولوجيا فرض التغيير في كلّ مناحي الحياة الاجتماعية، فأصبح من ينوي حفظ القرآن يكتفي بالذكاء الصّناعي للحواسيب في تصحيح التّلاوة، ولكنّ هذه الطريقة لها مساوئها هي الأخرى، حيث تنعدم روح الجماعة وروح تلقي العلم بالمشافهة فنضيع بعض الأساسيات والتعقيبات التي ينبّه عليها الشيخ؛

- البرامج الدّراسية المكثفة في المدارس النظامية قد تضيّع على الكثير فرصة الالتحاق بالكتاتيب والمدارس القرآنية؛

- انعدام الدّعم والمساندة لتطوير وتثمين دور الكتاتيب في المجتمع.

خلاصة: إنّ خدمة القرآن الكريم والرّقي بمستوى اللّغة العربية أمر ضروري وحاجة ملّحة يقتضيها الحال في كلّ زمان ومكان، ولم تغفل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، عن ذلك منذ زمن، فدعت إلى التّمسك بتعاليم الدّين الإسلامي والتشبث بمبدأ تعزيز اللّغة العربية، وجعلهما أداة فاعلة في وحدة المجتمع الجزائري حفاظا على هويته وعقيدته وعروبته، وقد بذلت الغالي والنّفيس لتحقيق هذه الغاية النبيلة والرّسالة السّامية، من خلال دعم ومساندة المؤسسات التعليمية، ومنها الكتاتيب التي كانت تهدف إلى تعليم القرآن الكريم واللّغة العربية من خلال مبدأ الانغماس اللّغوي، فكان له نتائجه الملموسة على خريجي الكتاتيب، سواء على مستوى الأداء القرآني أم الكفاءة اللّغوية أم

المستوى التّربوي، فقد انعكس التعليم الكُتّابي على الكثير من العلماء والمشايخ ، غير أنّه يجب علينا أن نسعى إلى ترقية والحفاظ على هذا الموروث التعليمي التّربوي وذلك بوجوب العناية بتعليم القرآن الكريم ودعم القائمين على ذلك باعتباره طريقا لتعليم العربية واكتساب الملكات اللّغوية، آخذين بعين الاعتبار وجوب تكوين القائمين على هذه المؤسسات ودمجها مع كافة المرافق التربوية وجعلها مكملة فتكون المدارس النظامية لتلقي المعارف والعلوم، والكتاتيب لتلقين القرآن الكريم وعلوم العربية، بغية تكوين جيل متكافئ في نظامه التّعليمي: دينيا، أخلاقيا، لغويا، وثقافيا.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج1، ط1 1998م.

2. آسيا بلحسين رحوي، وضعية التعليم الجزائري غداة الاحتلال الفرنسي، مخبر تطوير الممارسات النّفسية والتّربوية، دراسات نفسية وتربوية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو العدد:7، ديسمبر2013.

3. البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، دار المعرفة، القاهرة، 1963م.

4. بن يحي يحي، أثر حفظ القرآن على التّفوق في مادة اللّغة العربية، مخبر البحث في التراث الثقافي واللّغوي والادبي، جامعة غرداية، الجزائر.

5. بوكفة يوسف، مدرسة مازونة الفقهية النهضة والسّقوط، رسالة ماجستير، قسم علم الاجتماع، وهران، 2002.

6. رابح تركي، التعليم القومي والشخصية الوطنية، مطبعة الشركة الوطنية والتوزيع الجزائر، ط1، دت.

7. شهرة شفري،الخطاب الدعوي، عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين(دراسة مقارنة بين عبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي)، مذكرة ماجستير، جامعة الحاج لخضر قسم أصول الدين، باتنة، 1429ه، 2009م.

8. عبد الرحمان شيبان، من نص حوار أجراه معه عبد الحميد عبدو وكمال أبو سنة نشر على صفحات منتديات الألوكة.

9. علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر من1925 إلى 1940، ترجمة علي يحياتن، دار الحكمة، الجزائر، دط، 2007م.
10. كمال بودرع، منهج جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في ممارسة النصيحة وأثرها في إصلاح الواقع الاجتماعي الجزائري، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة.
11. مختارية تراري، التعليم بالكتاتيب القرآنية في منظور الدّراسات النّفسية والتّربوية المعاصرة، مجلة إنسانيات، العدد:14–15، 2001م.
12. مراد مزعاش، جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في خدمة اللغة العربية في الجزائر(1931. 1954)، رسالة ماجستير، قسم اللّغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 2001م.
13. مصطفى صادق الرّافعي، من وحي القلم، المكتبة العصرية، بيروت، 2002م، ج3.

الهوامش:

[1]عبد الرحمان شيبان، من نص حوار أجراه معه عبد الحميد عبدو وكمال أبو سنة نشر على صفحات منتديات الألوكة.

[2]البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، دار المعارف، القاهرة، 1963، ص16.

[3]رابح تركي، التعليم القومي والشخصية الوطنية، مطبعة الشركة الوطنية والتوزيع، الجزائر ط1 دت. ص55.

[4]مصطفى صادق الرّافعي، من وحي القلم، المكتبة العصرية، بيروت، 2002م،ج3 ص29.

[5]البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، دار المعرفة، القاهرة، 1963م، ص310.

[6] رابح تركي، المرجع السّابق، ص283.

[7]مراد مزعاش، جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في خدمة اللغة العربية في الجزائر(1931. 1954)، رسالة ماجستير، قسم اللّغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 2001م، ص125.

[8]علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر من1925 إلى 1940، ترجمة علي يحياتن، دار الحكمة، الجزائر، دط، 2007م،ص425.

[9]شهرة شفري،الخطاب الدعوي، عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين(دراسة مقارنة بين عبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي)، مذكرة ماجستير، جامعة الحاج لخضر قسم أصول الدين، باتنة، 1429ه، 2009م،ص235.

[10]كمال بودرع، منهج جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في ممارسة النصيحة وأثرها في إصلاح الواقع الاجتماعي الجزائري، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، ص290.

[11]آسيا بلحسين رحوي، وضعية التعليم الجزائري غداة الاحتلال الفرنسي، مخبر تطوير الممارسات النّفسية والتّربوية، دراسات نفسية وتربوية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو العدد:7، ديسمبر2011، ص73.

[12] المرجع نفسه، ص

[13]يُنظر: بن يحي يحي، أثر حفظ القرآن على التّفوق في مادة اللّغة العربية، مخبر البحث في التراث الثقافي واللّغوي والأدبي، جامعة غرداية، الجزائر، ص04.

[14]أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج1، ط1 1998م،ص278.

[15]مختارية تراري، التعليم بالكتاتيب القرآنية في منظور الدّراسات النّفسية والتّربوية المعاصـــرة مجلة إنسانيات، العدد:14–15، 2001م.

[16]بوكفة يوسف، مدرسة مازونة الفقهية النهضة والسّقوط، رسالة ماجستير، قسم علم الاجنمـــاع وهران، 2002،ص 33.

[17]تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الوطنية، ص276.

دور الكتاتيب في الحفاظ على الموروث الديني واللّغوي

داه. سارة مسعوداني
جامعة عبد الحفيظ بو الصوف، ميلة

ملخص المداخلة: سنحاول في هذه الورقة البحثية تسليط الضوء على دور المراكز القرآنية في الحفاظ على الموروث الديني واللغوي، وتحديدا منها الكتاتيب التي تعدّ من أقدم المراكز التعليمية عند المسلمين، والتي كان لها دور كبير في تعليم القرآن ومبادئ الدّين الاسلامي، والحفاظ على اللّغة العربية وانتشارها بين الأعراق المسلمة.

فقد أسهمت الكتاتيب بشكل فعال في الحفاظ على الدين الاسلامي وانتشار اللّغة العربيّة، وحمايتها من الضياع في فترات جدّ محرجة، كان فيها الدين الاسلامي واللغة العربية في فترة حرجة لغياب الاهتمام بهما خاصة في ظل ظلّ الظروف السّياسية والاجتماعية التي كانت تعاني منها الجزائر في تلك الفترة _الاستعمار الفرنسي_، فقد لعبت دورا حاسما ومهما في استمرار اللغة العربية والدين الاسلامي، وبالتالي الحفاظ على الهوية الوطنية، ومن هذا المنطلق، ونظرا لأهمية الكتاتيب القرآنية في الحفاظ على الموروث الديني واللّغوي قديما وحديثا، سنحاول الإجابة عن التّساؤلات التالية:

1/ ما دور الكتاتيب القرآنية في الحفاظ على الموروث الدّيني واللّغوي؟

2/ كيف حافظت هذه المدرسة القرآنية على هذا الموروث؟

3/ ما مدى حاجة المجتمع العربي والاسلامي لمثل هذه المراكز التّعليميّة؟

4/ هل تغطى المدارس الحديثة الدور الذي كانت تقوم به الكتاتيب قديما؟ وبالتّالي هل يمكن الاستغناء عن الكتاتيب والاعتماد على المدارس الحديثة فقط؟

الكلمات المفتاحية: الكتاتيب _ الدين _ الموروث الدّيني _ اللّغة العربيّة _ الموروث اللّغوي

مقدمة: كان التّعليم وما يزال الحصن المنيع الذي تلجأ إليه الأمم والشعوب لمواجهة هذه الأخطار والخطوب، فهو أساس البناء الاجتماعي، والعمود الفقري لكل تقدم فكري

وحضاري، ومنطلق التغيير وأساس الحفاظ على كل اصيل وعريق، وهو مسؤولية العديد من المؤسسات الاجتماعية والتربوية، وكل افراد المجتمع دون استثناء.

وتعدّ المؤسسات الدينية أحد أهم المؤسسات التي تقوم بدور محوري وفعال في البناء النفسي والاجتماعي والتربوي والديني الاخلاقي لدى الطفل من أجل تنمية الشخصية الدينيّة والاسلامية وفق مبادئ وأسس ممنهجة، ولا يخفى على مطلع الدور الفعال قامت به هذه المؤسسات ومازالت تقوم به في حفظ الهوية الوطنية للأمة العربية الاسلامية، ودورها المحوري في حفظ التراث اللغوي والثقافي والديني للمجتمعات العربية، في فترات كانت فيها مهددة بالزوال والانحلال، وتعدّ الجزائر أحد أهم البلدان التي كان للمؤسسات الدينية دور كبير في الحفاظ على هويتها وكيانها اللغوي، ووجودها الثقافي والحضاري، خاصة أثناء فترة الاستعمار الفرنسي، الذي لم يبخل بجهد مادي ولا معنوي في سبيل طمس الهوية الوطنية، والقضاء على الدين الاسلامي واللغة العربية.

وكانت للمؤسسات الدينية على اختلافها (المساجد، الزوايا، الكتاتيب...) أثناء فترة الاستعمار الفرنسي وفي تاريخ الجزائر وتاريخ الجزائر والامة العربية عموما، دور كبير في الحفاظ على الكيان العربي والهوية العربية الاسلامية، وتعد الكتاتيب القرآنية أحد أبرز المؤسسات الدينية العريقة التي كان لها دور بارز في الحفاظ على الموروث الديني واللغوي، كبير الأثر في الحفاظ على اللّغة العربية، وانتشارها بين الأعراق الإسلامية.

فالكتاتيب القرآنية كانت أحد أهم المراكز التي اهتمت بتعليم الأطفال الكتابة والقراءة، واهتمت بتحفيظهم القرآن الكريم ومبادئ الدين والسّيرة النبوية، في ظل الإهمال الحكومي المقصود للعلوم الاسلامية والعربية في البرامج التعليمية القديمة والحديثة، وغير المقصود الذي كان بسبب الاستعمار، وتضييقه على المراكز التعليمية الشرعية والتروبية في العديد من البلدان العربية.

ولما كانت الكتاتيب أحد أهم المؤسسات الدينية العريقة، والأصيلة في المجتمع الجزائري، والتي أسهمت بفعالية في خدمة النسق العام خلال فترة زمنية طويلة، والتي كان لها دور في الحفاظ على اللغة العربية والهوية الوطنية والقرآن الكريم، وبالتالي الحفاظ على الموروث الديني واللّغوي للأمة العربية عموما، والمجتمع الجزائري خصوصا، و تأتي هذه المداخلة لتجيب عن إشكالية دور الكتاتيب في الحفاظ عن الموروث الديني واللغوي للأمة العربية، وعلى وجه الخصوص للمجتمع الجزائري أثناء فترة الاستعمار الفرنسي، مع تبيان أهمية و ضرورة الاهتمام بهذه المؤسسات الدينية العريقة، والحرص على دعمها والحفاظ على وجودها لخدمة العلم والعلماء والفرد والمجتمع.

أولا/ الكتاتيب: تعتبر الكتاتيب القرآنية أحد أهم المؤسسات الدينية التي تسهم في التّنشئة الاجتماعية، وقد كان لها دور بارز في تنشئة وإعداد الجيل الصاعد، فهي لا تعلّم فحسب؛ بل إنّها تعلم وتربي الطفل وتوسع مداركه وتعلمه تعاليم دينه، وهي بذلك لا تنشئ متعلما فحسب؛ بل تكون متعلما مواطنا صالحا حافظا لكتاب الله مدركا لتعالميه، يحترم حقوق الآخرين ويؤدي واجباته، ويتحمّل مسؤولياته، وهذا هو غاية الأمم وأساس رقيّها وتقدمها، هذا ما يجعلنا نتساءل عن ماهيّة هذه المؤسسة، وعن دورها وأهميتها في المجتمع العربي، وتحديدا المجتمع الجزائري؟

1/ تعريف الكتاتيب: تعدّ الكتاتيب مركزا من مراكز التعليم في المراحل الاسلامية الأولى، وأحد أهم المدارس القرآنية التي كان لها أثر في القضاء على سياسة التجهيل التي مارستها فرنسا إبان فترة الاستعمار، وكلمة الكتاتيب في اللّغة العربية جمع (كُتّاب): " بضمّ الكاف وتشديد التاء: موضع تعليم الكتاب"[1]، وجاء في لسان العرب لابن منظور: " الكتاب: اسم لما كتب مجموعا، والكتاب مصدر، والكتابة لمن تكون له صناعة مثل الصياغة والخياطة، ...والمكتب موضع الكتاب، والمكتبُ والكتّاب: موضع تعليم الكتاب، والجمع الكتاتيب والمكاتب"[2]، وعليه فالكتّاب أو الكتاتيب لغويا مصطلح يطلق على مكان أو موضع تعلّم وتعليم الكتاب والكتابة حيث جاء في تاج

العروس للزبيدي " يكتب كتابا بالفتح المصدر المقيس، وكتابا بالكسر على خلاف القياس، وقيل هو اسم للباس عن اللحياني...، وقيل أصله المصدر...، وكذا كتابة وكتبة بالكسر فيهما(خطه)...، والكاتب عندهم (العالم)... وأصله جمع كاتب مثل كتبة...(ج. كتاتيب) ومكاتيب، فالأول جمع كتّاب، والثاني جمع مكتب و(الكتّاب) أيضا جمع (كاتب) مثل كتبة"[3]

فالكتّاب؛ إذن هو مكان لتعلّم وتعليم الكتابة، والكتَاب؛ أي تعلم القرآن الكريم وتعلم الكتابة والقراءة، ويسمى من يقوم بمهمة التعليم فيه بالكاتب أو الشيخ، وهو عند العرب بمثابة العالم.

أما اصطلاحا: فالكتاتيب مصطلح يطلق على "المكان الذي يتلقى فيه الصبيان العلم ويجتمعون فيه لحفظ القرآن الكريم قراءة وكتابة، وتلقي مبادئ الدين الاسلامي، واللغة العربية، وبعض العلوم الأخرى، ويدير الكتاب معلم يطلق عليه عدّة أسماء منها: المعلم، المؤدب، الفقيه، الملا، المطوع، الشّيخ وهو الرجل الصالح الذي يوظف نفسه لخدمة الناس ويشترط فيه عدّة شروط من أهمها: _رسوخ العقيدة الاسلامية لديه_ الإلمام بالمواد التي يدرسها؛ مراعاة ميول وحاجات الأطفال ومعاملتهم بالإحسان والتلطّف"[4]، وتجد الإشارة هنا أن الدور الذي يقوم به المؤدب هنا لا يقصر على التعليم وتلقين المعرفة فحسب؛ بل يتعدى ذلك إلى تربيتهم تربية صالحة، ويغرس في نفوسهم الأخلاق الحميدة والسّلوكات الايجابية، وقد ينوب عنه في بعض الأحيان أحد صبيته النابهين، يطلق عليه عادة اسم العريف.

وعادة ما تلحق هذه الكتاتيب بأحد المساجد، وتكون في أغلب الأحيان مكتظة بعدد كبير من الأطفال من أعمار مختلفة، يجلسون على الأرض حاملين الألواح خشبية تكتب عليها سور القرآن الكريم التي يتنافس الأطفال على حفظها وترتيلها.

أما إذا أردنا أن نعرف الكتاتيب تعريفا إجرائيا فيمكننا القول أنها: " عبارة عن حلق منظمة في المساجد لتعليم القرآن الكريم وتعليم القراءة والكتابة، وتلقين الأطفال الصغار للدين الاسلامي الحنيف، وهي جزء لا يتجزأ من حياة الناس في المجتمع الجزائري

التي ارتبطت بواقعهم الديني والثقافي, وتوجد في كل قرية من قرى الجزائر وهي من التقاليد العريقة ، وتحتل موقعا خاصّا في قلوب المسلمين العرب، وهي من أعظم وأهم الوسائل التي من خلالها يظهر ارتباط الجيل بالقرآن"[5]، وعليه فإنّ الوظيفة الأساسية للكتاتيب هي تعليم القرآن الكريم وتعليم القراءة والكتابة وهي بذلك تلعب دورا محوريا ومركزيا في الحفاظ على الموروث الديني واللغوي للمجتمع، وللأمة العربية بصفة عامة، ولا يخفى على أحد أن تعلم القرآن الكريم هو أساس امتلاك ملكة لغوية سليمة وبتعلّم القرآن الكريم وتعليمه نكون قد تعلمنا اللغة العربية الفصحى، من اشهر الكتاتيب في الجزائر نذكر: مدرسة سيدي الكتاني(*)، ومدرسة سيدي لخضر(*).

وتجدر الإشارة أنّ للكتاتيب أسماء عدّة تختلف باختلاف المناطق، حيث ويطلق عليها أسماء مختلفة كـ "الجامع" بتوات، و"الأقربيش" بتيديكلتو "المحضرة" بتينجورارين وقد لعبت هذه الكتاتيب دورا بارزا في تحفيظ القرآن وتعليم العلوم الشّرعية واللّغويّة"[6]، والكتاتيب نوعان، كتّاب عام، وكتّاب قصوري نسبة إلى القصر وتتدرج تحت كل نوع من هذين النوعين أنواع أخرى للكتاتيب سنفصّل الحديث ونحدد وظيفة كل نوع منها.

2/ أنواع الكتاتيب: تنقسم الكتاتيب إلى نوعين، ويندرج تحت كل نوع من هذه الأنواع أنوع أخرى، وهي كالتالي:[7]

أ/ الكتّاب العام: وهو أول أنواع الكتاتيب ظهورا وأكثرها انتشارا، فهو كتاب يتعلم فيه جميع أفراد المجتمع (العامة من الناس)، ويكون تابعا للمساجد في أغلب الأحيان ويجمع بين تعليم القرآن الكريم وتعليم القراءة والكتابة ويندرج تحته نوعان من الكتاتيب:

- **الكتاب الخاص بتعليم الكتابة والقراءة (ويمكن أن نسميه الكتاب الخاص بتعليم اللغة العربية):** ويعدّ من أقدم أنواع الكتاتيب مقارنة بالكتاتيب الأخرى (الكتاتيب الخاصة بتعليم القرآن، والكتاب القصوري) وفي هذا الصدد يقول "أحمد أمين": " وبعض المكاتب كانت لتعليم مبادئ القراءة و القرآن، وبعضها كان يعلم فيها

أيضا اللغة وما إليها..."[8]، وقد ظهر هذا النوع من الكتّاب نتيجة للمشكلات والاضطرابات التي كان يعاني منها الكتّاب العام، من صعوبة في الفصل بين تعليم القراءة والكتابة (اللغة العربية)، وتعليم القرآن الكريم...

- **الكتّاب الخاص بتعليم القرآن الكريم ومبادئ الدّين الاسلامي:** ويختص هذا النّوع من الكتّاب بتعليم القرآن الكريم وتحفيظه للأطفال، وهو يقوم في الأساس على مبدأ ترقية تحفيظ القرآن الكريم، وتعليمه بأساليب وطرق مختلفة، ويعدّ أحد أشكال تعليم اللغة العربية في شكليها الشّفوي والكتابي، فالقرآن الكريم هو ديوان اللّغة العربيّة دون منازع؛ ويقوم **التعليم الشفوي** فيها (الكتاتيب): على تحفيظ القرآن وتعليمه بطرائق شفويّة، تعتمد على أساليب نطقية سليمة ومصححة للغة العربيّة تراعي القراءات القرآنية السّبع أما **التعليم الكتابي:** فينطلق من كون القرآن الكريم كان وما يزال النص التعليمي الأول والركيزة الأساسية المكتوبة لتّعليم وتعلم اللّغة العربيّة، فهو ليس نصا دينيا فحسب؛ بل هو نص لغة، وبيان ونحو، وإنّ تعليم الطفل قراءاته المختلفة سيساعد على تطوير وترقية المفاهيم القرائية لديه، وتطوير قدراته في رسم حروف اللّغة العربيّة.

ب/ الكتّاب القصوري: الكتاب القصوري نسبة إلى مكان وجوده (القصر)، وهو موضع خاص بتعليم أبناء الخلفاء والأمراء، وهو يقصر على نوع معين من الصبيان وهم أبناء القصر في العادة وتحديدا منهم أبناء الوزراء والأمراء، كما أنّ المناهج المعتمدة في هذا النّوع من الكتّاب تختلف عن تلك المتعمدة في الكتاب العام، فقط حرص الخلفاء ووجهاء القوم على تعليم أبنائهم وتربيتهم تربية خاصة، تليق بمقامهم رغبة في إعدادهم لتولي زمام الحكم مستقبلا، وقد جاء هذا النوع من الكتاتيب نتيجة لتأثر العرب بالحضارات الأخرى، حيث أحبوا العلم والتعلم، وأرادوا لأبنائهم العلم الرفيع إلى جانب حياتهم الراقية.

3/ نشأة الكتاتيب: إنّ المتتبع لتاريخ نشوء الكتاتيب يجد أن أول ظهور لها كان في البلاد الاسلامية، وتحديدا في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث أنشأ

كتاتيب للأطفال إلى جانب مسجده يتعلمون فيها القرآن الكريم، وقد كان الأطفال يرتادونها طول الأسبوع، وكان عمر بن الخطاب أول من أصدر تعليمة بصرف التلاميذ ظهر يوم الخميس استعدادا لاستقبال يوم الجمعة والخلود إلى الراحة، وقد انتشر هذا التّقليد في ربوع العالم الاسلامي إلى بداية العهد العباسي أين تنافست الدول المستقلة في إنشائها بعد أن اتضح مشكل احتمال المسجد للصلاة والتدريس في آن واحد.

أما إذا رجعنا إلى المغرب العربي فنجد أن أول ظهور للكتاتيب كان في العهد العثماني، حيث ذاع صيتها وبلغت شهرتها آفاقا بعيدة، وقد ذكر الباحثون أن بلاد المغرب كانت أكثر البلاد التي ألقت عناية كبيرة بالقرآن الكريم واهتمت به؛ إذ انتشرت فيها الكتاتيب بكثرة، فلا توجد منطقة فيها تخلو من الكتاتيب، ويعدّ الأزهر الشريف خير دليل على عناية العرب العربي بالقرآن الكريم، والذي مازال إلى يومنا هذا يخدم القرآن الكريم واللغة العربية[9].

أما في الجزائر فقد ازهرت الكتاتيب وانتشرت بكثرة خلال القرن التّاسع عشر والعشرين، وتحديدا في عهد الاستعمار الفرنسي، وكان له دور بارز في الحفاظ على الهوية الوطنية، فكانت بمثابة السلاح الذي استعمله الجزائريون لمواجهة سياسة التنصير[*] والفرنسة[*] التي اعتمدها الاستعمار الفرنسي آنذاك، فكان لها الفضل في حماية الشخصية العربية الاسلامية الجزائرية، ومقاومة سياسة التجهيل التي اتبعتها الإدارة الاستعمارية[10].

وقد انتشرت هذه الكتاتيب في كل الحواضر والقرى والبوادي الجزائرية، وقد تولى فيها الطلبة الفقهاء والمشايخ تحفيظ القرآن للأطفال، و تعليمهم اللّغة العربيّة، وكان هؤلاء المشايخ يستعملون الأسواط لتأديب الأطفال الذين يتلقون العلوم الشّرعية واللّغويّة كالترتيل والتّجويد، وقد شكّلت هذه الكتاتيب خطرا على السّياسة الاستعمارية لذا عمل الاستعمار الفرنسي جاهدا على إغلاقها وهدمها[11] .

ثانيا/ خصائص التعليم الكتّابي ومزاياه: يتميز التّعليم بالكتاتيب بمجموعة من الخصائص والميزات التي هي اليوم أحد أهم متطلبات العملية التّعليمية الحديثة والناجحة، وهي ميزات وأسس تساعد على تحقيق أهداف العملية التعليمية، وتخلق الروح الايجابية في نفوس المتعلمين، ولعلّ أهم هذه الميزات ما يلي:

- **الروح الجماعية:** فمعلوم أن الكتاتيب تحرص على التّعليم والعمل في جماعات معتبرة من المتعلمين، وقد أكد (بول هبوفس) أن العمل في جماعات يعزّز التّفاعل بين الأفراد، وذلك لاشتراك أهدافهم ومصالحهم وبالتالي يخلق روح التّعاون والتّنافس النّزيه في الوقت ذاته؛
- **التّنافس:** باعتبار أن هدفها الأول هو تحفيظ القرآن الكريم للمتعلمين، وهي بذلك تخلق التنافس النبيل بين طلبتها، الذي يبث الرغبة والقوة في نفوسهم فيجدّون ويجتهدون أكثر، باعتبار أن حافظ القرآن يحظى بمكانة مرموقة في مجتمعه، وتقام على شرفه الحفلات والولائم مما يعدّ فخرا له ولأبويه؛
- **الاشتراك:** فهدف المتعلمين واحد غايتهم واحدة، وهذا ما يخلق جوا من التضامن والتآخي والوحدة بين المتعلمين، و يزرع تجانس نفسي يؤدي إلى التفاهم والتقارب والاحترام المتبادل، وهذا هو ما يُعدّ جوا تعليما مثاليا للتعلم والتعليم[12]
- شعبية التّعليم الكتابي، فهو متوفر في كل المناطق الشّعبية بغض النّظر عن مستواها الاقتصادي؛
- لا يتطلب نفقات ماليّة فهو اقتصادي جدا من ناحية التكاليف المادية، ومن حيث التّجهيز والتخطيط والوسائل المعتمدة فيه بسيطة جدا، ويمكن اقتناؤها ببساطة أو صناعتها في المنازل؛
- الإسهام في تربية النشء على القيم والأخلاق الفاضلة وضرورة احترام الآخرين؛
- حفظ اللغة العربية وتوثيق الصلة بها، فحفظ القرآن الكريم هو أساس امتلاك ملكة لغوية سليمة؛

- الحفاظ على مقومات الهوية الوطنية ومقومات الشّخصية، وحمايتها من الأخطار التي تهددها (الاستعمار العولمة، التكنولوجيا...)؛
- تعدّ الكتاتيب أهم سند للتعليم، فهي تحضّر المتعلم معرفيا وأخلاقيا ونفسيا للذهاب إلى المدرسة، وتسهل على المعلمين عملية التّعليم، فالمتعلم يكون قد اكتسب ملكة لغوية، ومعرفة معتبرة مما يمكنه من استعمال اللغة بشكل سليم، كما أنّها توطد ما يتلقاه المتعلم داخل المدرسة؛
- يهتم بالجانب الديني، وهو بذلك يخدم الفرد والمجتمع، فينتج لنا جيلا واعيا ومتخلّقا وعارفا لحقوقه وواجباته فالقرآن الكريم هو دستور الأمة دون منازع[13]

ثانيا/ دور الكتاتيب في الحفاظ على الموروث الديني واللّغوي:

لاشك أنّ الحفاظ على الموروث اللّغوي والثّقافي والحضاري هو غاية كل أمة ودولة ومجتمع، ويعدّ الدين الاسلامي واللغة العربية أحد أهم أنواع الموروث الحضاري الذي سعت الأمة العربية ومازالت تسعى جاهدة للحفاظ عليه، والذي كان الركن المستهدف من قبل الاستعمار باعتبار أنّ الدين واللغة العربية هما أهم مقومات الهوية والشّخصية الوطنية وأهم رموز السّيادة الوطنية، وقد حاول الاستعمار الفرنسي القضاء عليها، ومحوها ولم يدخر في سبيل ذلك جهدا ماديا ولا معنويا، فاستعمل السلاح والسياسة والقوة...، و في هذه الأثناء برز دور المؤسسات الدينية في الحفاظ على هذا الموروث، هذه المؤسسات التي كانت بمثابة الهاجس الذي يؤرق الاستعمار الفرنسي و يهدد مخططاته، وتعدّ الكتاتيب احد اهم هذه المؤسسات الدينية التي كان الدور البارز الجوهري في الحفاظ على الموروث الديني واللغوي، وقبل أن نتحدث عن هذا الدور حري بنا الإشارة إلى مفهوم الموروث، فما معنى الموروث، وما المقصود بالموروث الديني واللغوي؟

إنّ مصطلح الموروث عموما من المصطلحات التي أثارت ضجة كبيرة على السّاحة العلمية والمعرفية، نظرا "لأهميتها الإشكالية من جهة، ولعلاقتها المباشرة والمعقدة بسؤال التقدّم والتأخر من جهة أخرى"[14] وهو مأخوذ في كلمة التّراث، ويرى

حسن حنفي أنّ : " كل ما وصل إلينا من الحاضر داخل الحضارة السائدة، فهو قضية موروث، وفي الوقت نفسه قضية معطى حاضر على جميع المستويات"[15] ويعرفه مصطفى حاضر الجابري بقوله: " التّراث هو كل ما هو حاضر فينا أو معنا من الماضي، ماضينا نحن ماضي غيرنا، القريب منه والبعيد"[16]، وهذه التعاريف تربط التّراث بالثقافة التي تنتقل من جيل إلى آخر، هذه الثّقافة التي تحمل بين طياتها الدين واللغة باعتبارها أهم مكوناتها.

وترتبط كلمة الموروث عادة بكلمات أخرى مثل الثّقافة والدين واللغة، مشكّلة مصطلح الموروث الثّقافي والموروث الدّيني، والموروث اللّغوي، ويرتبط بالموروث الديني عموما بالدين " الذي يرد مقابلا لمصطلح الدنيا... هذه الثنائية التي تميز بين ما هو زمني وآني، وما هو أزلي أبدي في شؤون الحياة، أو بين ما هو مقدس، وبين ما هو غير مقدس"[17]، وفي هذا الصدد يقول دور كايم " إنّ كل عقيدة دينية تفترض تصنيف الأشياء الواقعية والأشياء المثالية إلى نوعين متقابلين تدلّ عليها بكلمتين متميّزتين هما المقدّس وغير مقدّس"[18]، وعليه فإنّ الموروث الديني هو كل العقائد الدينية والشعائر المقدسة التي يرثها المجتمع عن السّلف، والتي أساسها ومنطلقها بالنّسبة إلينا الدين الاسلامي الحنيف.

أمّا الموروث اللّغوي فهو ببساطة ، وكما يقول مصطفى صادق الرافعي: "مجموع الركام المعرفي الغزير في تاريخ الفكر العربي"[19]، وتعدّ اللّغة العربية المعبر الأهم عن هذا التّراث باعتبارها الديوان الثّقافي للأمة العربية الاسلامية، وتجدر الإشارة هنا انّ: التّراث اللّغوي العربي يشكّل "تحولا جوهريا في مسيرة التّراث اللّغوي العالمي ويؤكد تراثنا اللغوي بمفهومه الواسع الكبير على أنه لو التفت اللغويون وعلماء اللسانيات المعاصرون إلى التّراث اللغوي العربي لكان علم اللسانيات الحديث متقدما عما هو عليه اليوم"[20]، لما كان التراث هو بمثابة تاريخ الأمة وعنوان حضارتها ووجودها؛ فإنّ الحفاظ على التراث الديني واللغوي كان غاية كل أمة، وواجب كل فرد فيها.

وعموما يمكن أن نلخص دور الكتاتيب في الحفاظ على المورث الديني واللغوي للأمة العربية، وللجزائر تحديدا فيما يلي:

- **الحفاظ على الدين الإسلامي:** فقد اهتمت الكتاتيب "بتحفيظ القرآن الكريم ونشره بصورة مكثفة بين الأجيال المتعاقبة، وتعميقه بين مختلف الطبقات الاجتماعية وحمايته من الاندثار والنّسيان"[21]، فقد كان تحفيظ القرآن الكريم وتعليم مبادئ الدين الاسلامي أحد أهم الأدوار التي كانت ولا تزال الكتاتيب القرآنية تقوم بها، فقد كان شعارها " الدين الاسلامي عامل من عوامل التماسك الاجتماعي والوحدة الوطنية فعملت من خلال ذلك على تحفيظ القرآن الكريم للصغار والكبار، تمكين الأطفال من حفظ المتون القرآنية والأحاديث النبوية"[22]، وأسهمت في تكوينهم تكوينا روحيا وأخلاقيا؛

- **حماية التاريخ الإسلامي** : مما لا يخفى على مطلع أنّ تشويه التاريخ الإسلامي العربي، والجزائر كانت أحد أهم غايات الاستعمار الفرنسي في الجزائر باعتباره أحد مقومات الشّخصية الجزائرية، فقد تعمد علماء الآثار والتاريخ الفرنسيين تجاهل التاريخ الإسلامي للجزائر، وكان تركيزهم على تاريخ الجزائر في العهدين الروماني وإبّان الاحتلال الفرنسي، ولُقنّ هذا التاريخ للمتعلمين الجزائريين في المدارس الفرنسية في الجزائر حتى يفهم المتعلمون أنّ بلادهم الجزائر فرنسية في حاضرها رومانية في ماضيها، وهنا جاء دور الكتاتيب في إفشال هذه السياسة من خلال نشر الوعي بين المتعلمين[23]؛

- **الحفاظ على اللغة العربية وتعليمها:** تعدّ اللغة القلب النابض والروح الحية لكل شعب ، والديوان الثقافي والخزان الفني لكل أمة، واللغة العربية وباعتبارها " اللغة الوطنية لأفراد المجتمع العربي، وتلعب دورا كبيرا في تماسكهم الاجتماعي"[24]، وهي بالنّسبة للجزائر إحدى أهم مقومات الشّخصية الوطنية، أحد أهم ثوابت الأمة الجزائرية لذا رأت فرنسا أنّها: "عائق في وجه أهدافها، لذلك وضعت خطة للقضاء عليها من خلال تقسيمها إلى لغة دارجة لا قيمة لها ولغة فصيحة اعتبرتها لغة أجنبية عن

البلاد"[25]، وقد عملت الكتاتيب القرآنية في هذه الأثناء على حماية اللغة العربية ومواجهة هذه الخطط من خلال[26]:

- ✓ إكساب المتعلمين ملكة لغوية سليمة وفصيحة النطق.
- ✓ إكساب المتعلمين المعلومات والمهارات بواسطة تدريبهم على الكتابة والقراءة، وتعليمهم بعض الأرقام والعمليات الحسابية.
- ✓ تعليم اللغة العربية باعتبارها أحد أهم ثوابت الهوية الوطنية، والأمة الجزائرية؛

- **الحفاظ على الثقافة العربية الإسلامية:** وذلك من خلال:

- ✓ تعليم الطفل على حب المبادئ والقيم الإسلامية
- ✓ تعليم القراءة والكتابة والآداب الإسلامية
- ✓ تحمل مواصفات ومميزات المجتمع الجزائري من عادات وقيم إسلامية[27]
- ✓ ضمان اكتساب الحد الأدنى من الثقافة العامة والموحدة، والتي لها تأثير مباشر على بقاء واستمرارية مختلف النّظم الاجتماعية الأصلية[28]؛

- **الحفاظ على الهوية العربية الاسلامية:** وذلك من خلال:

- ✓ المحافظة على الإطار العام للشخصية الوطنية، وذلك بالحفاظ على أهم مقومات بقاء واستمرارية الثقافة والشخصية الوطنية[29]
- ✓ إصلاح العادات والتّقاليد القديمة، والإسهام في العطاء الفكري والحضاري للأمة العربية، فالكتاتيب تعتبر من أقدم وأعرق البيوت الإسلامية وأطولها عمرا وبالتالي هي من أولى المؤسّسات التي تهتم بالحفاظ على العادات والتقاليد، بل وتعدّ _إنّ صح التعبير_ منبعا لها.
- ✓ تكوين خلفية قرآنية إسلامية متينة في عقول أبناء المجتمع الاسلامي[30] وهي بذلك أسهمت في إفشال كل المخططات الاستعمارية التي استهدفت طمس ومسخ الهوية الوطنية؛

محاربة السياسات الاستعمارية: حاربت الكتاتيب القرآنية السياسات الاستعمارية التي مارستها في البلاد العربية، فاحتضنت اللغة والثقافة العربية الإسلامية، وفتحت أبوابها لطلبة العلم، ونشرت الإسلام في المواطن والبقاع التي لم يصل إليها، وحاربت الجهل والأمية.

وهي على الرغم من سلبياتها إلا أنّ أنّها كانت مصدر ريبة وقلق للاستعمار الفرنسي في الجزائر فقد لعبت دورا بارزا في حماية المجتمع الجزائري من سياسة التجهيل التي" تقوم على إقصاء أبناء الجزائر من التعليم، من خلال القضاء على المعاهد والمراكز التعليمية، ومحاربة التعليم بجميع أشكاله والحرص على التجهيل حتى أضحى التعليم والتعلم جريمة عقاب صاحبها الموت"[31]، وفي مقابل ذلك عملت على نشر لغتها وثقافتها في الجزائر من خلال اعتماد سياسة الفرنسة التي كانت تهدف من خلالها إلى " صبغ الجزائر بصبغة فرنسية، وقطع جميع الروابط التي تربط الجزائر ماضيا وحاضرا ومستقبلا بثقافتها العربية والإسلامية وفصلها عن المشرق والمغرب العربي"[32]، فكانت الكتاتيب القرآنية في هذه الفترة بمثابة الحصن المنيع الذي وقف في وجه هذه السياسات، والذي يرجع له الفضل في حماية الفكر والثقافة واللغة والدين في الجزائر طول فترة تواجد الاستعمار الفرنسي في الجزائر، إلى جانب بعض المؤسّسات الأخرى التي دعمتها سرا وعلانية، والتي أهمها الزوايا والمساجد.

خاتمة: وفي الأخير يمكننا القول أن الكتاتيب القرآنية تعدّ، وبحق شعاعا ثقافيا مهما في المجتمع العربي الاسلامي، ولها دور كبير في حفظ الموروث الديني واللّغوي للأمة العربية، وفي الحفاظ على اللّغة العربية ونشر العلم والمعرفة بين أفراد المجتمع وفي الحفاظ على الهوية الوطنية، أن انتشارها في مجتمعنا سيعود بالفضل والنفع ببركة القرآن الكريم، وسينشأ لنا جيلا قرآنيا يحفظ عرى القرآن الكريم، ويمحى كيان الأمة جيل لفظه القرآن وخلقة القرآن، و جيل يجسد ويرفع شعار "من أراد الدنيا فعليه بالقرآن، ومن أراد الآخرة فعليه بالقرآن، ومن أرادهما معا فعليه بالقرآن"، ففيه عز الدنيا والآخرة، ومن هذا المنطق و انطلاقا من معايشتنا لهذه المداخلة ومن قراءاتنا

المتعددة في موضوع الكتاتيب القرآنية، توصلنا إلى مجموعة من النتائج حاولنا أن نردفها بمجموعة من التوصيات التي نرجو أن تأخذ بعين الاعتبار، وموجز هذه النتائج والتوصيات في ما يلي:

أ/ النتائج:

- الكتاتيب القرآنية من أقدم وأعرق المؤسسات القرآنية في تعليم اللغة العربية وتحفيظ القرآن الكريم، ونشره في بقاع الأمة؛
- الكتاتيب القرآنية من أبرز المؤسسات التي كان لها دور كبير في الحفاظ على الموروث الديني واللّغوي للأمة العربية، والمجتمع الجزائري أثناء فترة الاستعمار الفرنسي؛
- القرآن الكريم والحرص الشديد على تعليمه وتعلمه هو سر وجود الكتاتيب وانتشارها في المجتمعات الإسلامية؛
- الكتاتيب القرآنية أهم المؤسسات التي يرجع لها الفضل في بقاء مقومات الشخصية الجزائرية والهوية الوطنية عبر العصور؛
- الكتاتيب مؤسسة تربوية تعليمية عريقة، ومتكاملة تكسب الأطفال المقدرة اللّغوية وتعلمهم القراءة والكتابة؛
- تعد الكتاتيب نقلة نوعية، وطفرة في حياة المجتمع الجزائري، ولولاها لطست هويته، واضمحلت لغته، وتلاشى وجوده؛
- تقوم المدارس التعليمة الحديثة بدور فعال في العملية التعليمية التعلمية لكنها لا يمكن أن تنوب عن الكتاتيب القرآنية خاصة في الإعداد الأخلاقي والديني للمتعلمين.

ب/ التوصيات:

- تلعب الكتاتيب دورا مهما في حياة الفرد والمجتمع، وهي موضع ثقة للأسرة والمجتمع والفرد، لذا ندعو بضرورة التنسيق بينها وبين المدارس التربوية بغية الوصول إلى نتائج أفضل على المستوى الحسّي والعقلي والحركي والأخلاقي؛
- ضرورة العمل على إحياء الكتاتيب القرآنية، ونشرها في مختلف المدن والقرى الجزائرية؛

- نشر الوعي بين أفراد المجتمع بأهمية حفظ القران الكريم، وبضرورة إرسال أبنائهم إلى هذه المؤسسات القرآنية، العمل على تحبيب اطفالهم فيها؛
- العمل على خلق تكامل تربوي وتعليمي بين المؤسسات القرآنية وبين المدارس التربوية في سبيل الرقي بالعملية التربوية التعلمية، وبناء جيل مميز أخلاقيا وعلميا؛
- الوعي بأهمية الكتاتيب القرآنية في حماية الأمة العربية والمجتمع الجزائري انتشار الفتن، وحمايته من التغيرات والتحولات التي تحدث من حوله، والتي يمكن أن تشكل خطرا على وجوده وكيانه، وعاداته وتقاليده، وتهدد هويته؛
- ضرورة إحياء الدور التربوي للكتاتيب والمحافظة عليها، والعمل على نشرها والحرص على إبقائها، فهي إرث حضاري وتاريخي وإسلامي نفيس، فبتعلم القرآن الكريم تسمو الثوابت والقيم الاجتماعية في نفوس أبنائنا وتصونهم وتحميهم، وتحمي المجتمع من التّشتت والمخاطر التي تحوم به؛
- ضرورة تدخل الدولة المؤسسات الحكومية بإلقاء العناية أكبر بالكتاتيب على غرار باقي المؤسسات التربوية والترفيهية الأخرى كالمراكز الثقافية، والترفيهيّة والعمل على دعمها ماديا ومعنويا وتطويرها وجعلها مؤسسات رسمية للتعليم.

وفي الأخير نؤكد أنّ الكتاتيب القرآنية والمؤسسات الدينية المختلفة تسهم بشكل إيجابي وفعّال في تلقين مبادئ الدين الاسلامي، وتحفيظ القران الكريم للأجيال الناشئة الحفاظ على الهوية الوطنية والدينية واللّغوية للأمم والشّعوب، وتعلم الكبار والصغار باستعمال أبسط الأدوات والوسائل، لذلك فنحن نؤكد على ضرورة التنسيق بين الكتاتيب القرآنية والمدارس التربوية، وندعو إلى ضرورة الاعتناء بها وتحيينها وإحيائها والاعتناء بها وتحديثها بما يتلاءم ويتمشى والمعطيات المستجدة في الواقع التربوي وإدراجها كأحد الأولويات في المجال التربوي الحديث لأنّها صمام الأمان والحصن المنيع للمحافظة على الهوية والمرجعية الدينية والثّقافية واللّغوية للأمة العربية عموما وللمجتمع الجزائري خصوصا.

التهميش:

(1): ابن سحنون محمد، آداب المعلمين، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، (د. ط) 1972م ص64.

(2): ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د. ط)،(د. ت) مادة(كتب) ص3816، 3817.

(3): محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، (د. ط)، (د. ت)، فصل الكاف من بابا الباء، مادة (كتب)، ص444، 445.

(4): بكراوي عبد العالي، مرشدي شريف، دور المدارس القرآنية –الكتاتيب– في الحد من ظاهرة العنف، فعاليات الملتقى الوطني حول دور التّربية في الحد من ظاهرة العنف، ع4 مخبر الوقاية والأرغنوميا، جامعة الجزائر2، 07_08 ديسمبر 2011م، ص211.

(5): كمال قدة، القراءة و الإقراء في العصر الحديث، مجلة رسالة المسجد، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، ع5، سبتمبر–أكتوبر 2015م، ص7

(*): مدرسة سيدي الكتاني: من أبرز وأقدم المعاهد الإسلامية في الجزائر، والتي أسهمت في نشر العلم والمعرفة منذ نشأتها في النصف الثاني من القرن الثامن عشر.

(*): مدرسة سيدي لخضر: من أعرق المعالم الدينية في مدينة قسنطينة، وهي نسبة الى جامع سيدي لخضر الذي يعود تاريخه الى فترة حكم الباي العثماني حسن بن حسين.

(6): محمد باي بلعالم، الرحلة العلمية لمنطقة توات، ج1، دار هومة، الجزائر، 2005م ص215.

(7): ينظر: حدّاد فتيحة، تطور مناهج تعليم اللغة العربية في العصور الوسطى الاسلامية الأولى "دراسة تاريخية نقدية"، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، (د. ت)، ص184 205.

(8): أحمد أمين، ضحى الاسلام، ج1، لجنة التأليف والنشر، القاهرة، مصر، ط2،1933م ص66.

(9): ينظر: عمارة كريمة، حباس صفية، المؤسسات الدينية والتحصيل الدراسي، دراسة ميدانية المدرسة القرآنية بمدينة مستغانم، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في علم الاجتماع جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، 2016م/2017م، ص9

(*): سياسة التنصير: سياسة اتبعتها فرنسا لإخراج الجزائريين من دينهم الاسلامي وإحلال المسيحية محلها، وانتشر التنصير بعد تأسيس المدارس القرآنية، وخاصة في عهد الحاكم الذي حقد على الدين الاسلامي.

(*): سياسة الفرنسة: سياسة اتبعتها فرنسا في أثناء الاحتلال، وبعده لإحلال الثقافة الفرنسية محل الثقّافة العربية والقومية، بنشر اللّغة الفرنسية وثقافتها بهدف صبغ البلاد بصبغة فرنسية، وللأسف ماتزال اثار هذه السّياسة في بعض الادارات الجزائرية، فجلّ الوثائق مازالت تصدر باللغة لفرنسية.

(10): ينظر: يحي بوعزيز، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، عالم المعرفة للنشر والتوزيع الجزائر، (د. ط)، 2009م، ص13.

(11): ينظر المرجع نفسه، ص14

(12): ينظر: بكراوي عبد العالي، مرشدي شريف، دور المدارس القرآنية –الكتاتيب– في الحد من ظاهرة العنف، ص212.

(13): ينظر: عمارة كريمة، حباس صفية، المؤسسات الدينية والتحصيل الدراسي، دراسة ميدانية المدرسة القرآنية بمدينة مستغانم، ص15–18.

(14): فاطمة القرقوري، الموروث الديني: مقاربة نقدية استشرافية، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، 8 أفريل 2014، https:// www.mominoun.com

(15): المرجع نفسه، (د. ص)

(16): المرجع نفسه

(17): محمد الفران، مظاهر التجديد في الخطاب الديني الاسلامي المعاصر، دار أبي الرقراق للطباعة والنشر، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، المملكة المغربية، (د. ط) (د. ت)، ص61.

(18): المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(19): مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، دار الكتاب، بيروت، ط2، 2001م.

(20): المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(21): يحي بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، (د. ط) 2009م، ص18

(22): ينظر: شريفي فاطمة، المدرسة القرآنية ودورها في تعليم القراءة، دراسة ميدانية بمجموعة من المدارس الابتدائية بدائرة سيدي علي ولاية مستغانم، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، 2018/2017، ص23

(23): ينظر: نبيل بلاسي، الاتجاه العربي الاسلامي ودوره في تحرير الجزائر، مطابع الهيئة المصرية للكتاب، (د. م)، (د. ط)، 1999م، ص37

(24): : شريفي فاطمة، المدرسة القرآنية ودورها في تعليم القراءة، ص22

(25): نبيل بلاسي، الاتجاه العربي الاسلامي ودوره في تحرير الجزائر، ص35

[26]: ينظر: شريفي فاطمة، المدرسة القرآنية ودورها في تعليم القراءة، ص23.

[27]: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[28]: مختارية تراري، التعليم بالكتاتيب القرآنية في الجزائر في منظور الدراسات النفسية والتربوية المعاصرة، مجلة انسانيات، ع14_15، ماي_ ديسمبر 2001م، ص5

[29]: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[30]: عمارة كريمة، حباس صفية، المؤسسات الدينية والتحصيل الدراسي، ص15

[31]: ينظر: عمار عمورة، الموجز في تاريخ الجزائر، دار ريحانة للنشر والتوزيع، الجزائر ط1 2001م، ص126

[32]: ينظر: عبد القادر حلوش، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، دار الامة للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر، (د. ط)، 2013م، ص66.

دور مدرسة البيان لتحفيظ القرآن في تعليم اللغة العربية

داه. سعاد مأمون

جامعة قاصدي مرباح، ورقلة

الملخص: ارتبط تحفيظ القرآن الكريم وتعليم علومه باللغة العربيّة؛ كونها لسانه الذي أنزل به وأداة تدارس علومه وتداولها، فلا تقوم قائمة لمعلمي القرآن وحفظته إلا بالتمكن من اللّغة العربيّة وتعلم قواعدها وضوابط منظومتها، وقد اهتمت كتاتيب تحفيظ القرآن الكريم قديما وحديث بتعليم اللّغة العربيّة على اختلاف طريقتها، وفي هذا العصر نشهد تطوراً لهذه الكتاتيب امتد لتعليم اللغة العربية، ومن أمثلة هذه الكتاتيب مدرسة البيان لتحفيظ القرآن بمدينة وادي سوف والتي لها منهج في تعليم اللّغة العربية إلى جانب تحفيظها القرآن الكريم.

فما هو منهج مدرسة البيان في تعليم اللّغة العربية؟ وما هي التطورات التي أحدثتها في ذلك؟.

الكلمات المفتاحية: الكتاتيب، مدرسة البيان، اللّغة العربية، التعليم، تحفيظ القران الكريم.

Resumé: La mémorisation et l'enseignement du Saint Coran sont liés à la langue arabe, car c'est la langue ouverte et un outil pour étudier ses sciences. Et le publier, afin que la liste des enseignants du Coran soit préservée et préservée uniquement par la maîtrise de la langue arabe et l'apprentissage de ses règles et règlements Son système, et les écrits de la mémorisation du noble Coran dans le passé et le présent, étaient intéressés à enseigner la langue arabe de diverses manières. Dans l'ère moderne, nous assistons au développement des écoles coraniques, qui

ont évolué pour enseigner la langue arabe, comme l'école d'Al Bayane à Oued Souf, qui a un programme d'enseignement de l'arabe, en plus de la mémorisation du Saint Coran. Quel est le programme de l'école Al Bayan dans l'enseignement de l'arabe? Et quels sont les développements qui ont été apportées ?

Mots clés: école Al-Bayan, langue arabe, éducation, mémorisation du Saint Coran.

تمهيد: لا ريب أن القرآن الكريم مكن إعجاز الدعوة الإسلامية، أنزله الله تعالى على نبيه ﷺ بلسان عربي مبين، فأقبل المسلمون عليه كباراً وصغاراً، رجالاً ونساءً يتلون آياته ويتدبرون معانيه، ويتسابقون في حفظه، فتنوعت طرق ذلك عبر العصور وباختلاف الأمصار، وارتبط ذلك بتدريس اللّغة العربيّة كونها لسانه وبيانه، واختلفت طرق تدريسها في المؤسسات الدينية المختلفة (الكتاتيب الزوايا، المدارس القرآنية..) وفي هذه الدراسة سنحاول دراسة عينة من هذه المؤسسات الدينية، ألا وهي **مدرسة البيان** لتحفيظ القرآن في منطقة وادي سوف والتي تعد من المدارس التي تدرس اللّغة العربيّة إلى جانب تحفيظ القرآن الكريم؟, فما هو منهجها في ذلك وما تأثير ذلك على مستوى اللّغة العربية لدى طلابها؟

أولاً:الجانب النظري:

1- تعريف المدارس القرآنية: إن أقرب مفهوم تربوي ديني موازي للمدارس القرآنية يمكن أن يتبادر للأذهان هو (الكتّاب)، وذلك لارتباطه بفئة الطفولة، وكذا لأن له أهدافاً تربويةً تعليميةً دينيةً.

2- الكتّاب: الكُتّاب بضمّ الكاف وتشديد التاء: موضع تعليم الكتاب، والجمع كتاتيب،.. والكتاتيب مراكز صغيرة نسبيا، غالبا ما تتضمن حجرة أو حجرتين مهمتهما الأساسية تتمثل في تحفيظ القرآن الكريم للصبيان، وقد تكون ملحقة بمسجد كبير.[1]

والكتّاب فضاء عام ينبثق من التعلق المتين والحب المكين لكتاب الله تعالى والرغبة في حفظه وتحصيله[2]

وقال ابن باديس في هذا الشأن: "إن التعليم المسجدي في (قسنطينة) كان قاصراً على الكبار ولم يكن للصغار، إلا الكتاتيب القرآنية، فلما يسر لي الله الانتساب للتعليم سنة (1913) جعلت من حملة دروسي تعليم صغار الكتاتيب القرآنية بعد خروجهم فكان ذلك أول عهد للناس بتعليم الصغار"[3]

3- المدارس القرآنية: إن الباحث في كتب ومعاجم اللّغة لا يكاد يجد أثرا لاستخدام النحاة لهذا المصطلح وذلك لكون هذا المصطلح من المصطلحات الحديثة المترجمة للّغة العربية، وبالموازاة نجد أن فقهاء اللّغة استخدموا مصطلحا قريباً منه في اللّغة والمعنى وهو المِدراس –بكسر الميم– والذي يراد به: البيت الذي يُدْرَس فيه القرآن...وعلى أي حال فالمدرسة مصطلح حادث استخدمه أهل اللّغة والفلسفة والأدب، وكذا أهل الفقه والأصول، والاقتصاد والاجتماع والسياسة.[4]

4- نشأة الكتاتيب: ترتبط أوليات التعليم القرآني بأوليات الدعوة الإسلامية نفسها حتى إنه يمكن القول عنها: أنها انطلقت من غار حراء، من تعليم (جبريل عليه السلام) لرسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات الخمس الأولى من سورة العلق، وهي آيات تضمنت أول مفردات هذا الشأن وأدواته وهي القراءة والقلم والمعلّم والمتعلِّم وموضوعات العلم، وذلك في قوله تعالى "اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم" سورة العلق (5).[5]

والكتّاب من أقدم مؤسسات التَّعليم والتَّأديب حيث يرجع في تاريخه إلى عصر الجاهلية.. ومع توسع الدَّعوة الإسلامية أصبح الكتّاب المكان الرئيسي للتَّعلم خاصة بانتقال العرب من حال البداوة إلى حال الحضارة.[6]

ويعتبر إنشاء دار خاصة لهذا الشأن بالمدينة في زمن النبوة الباكورة الأولى لنشأة المدارس القرآنية والعلمية في الأمصار الإسلامية، ففي الطبقات الكبرى (لابن سعد) في ترجمة (عبد الله بن أم مكتوم)، أنه قدم المدينة مهاجراً بعد بدر بيسير فنزل (دار

القراء) وهي (دار مخرمة بن نوفل)...، وقد نهض المسجد النبوي بهذه المأمورية أعظم نهوض، فكان يستقطب إليه هذه الجهود الفردية والجماعية لينفخ فيها من روحه وينفحها بالنفحة النبوية.[7]

5-خصائص التَّعليم الكتّابي: يتميز التّعليم الكتّابي بعدَّة خصائص تميزه عن بقية المؤسسات التعليمية الحديثة ويمكن إيجاز أهمها فيما يلي:[8]

-إمكانية التّعليم الكتّابي لجميع أفراد الفئات الاجتماعية بما فيها الغنية والفقيرة؛

-شعبية التعليم الكتّابي ومعناه أن هذا التّعليم مرتبط بمناطق ظهور التّجمعات السُّكانية مهما كان مستواها الاقتصادي؛

-التَّعليم الكتَّابي لا يتطلب نفقات تسيير هامَّة، فهو بذلك اقتصادي من ناحية التَّكاليف الماديَّة ومن حيث التجهيز والتخطيط؛

-ارتكاز هذا النَّوع من التَّعليم على اتجاهات نفسية دينية لدى المعلم وهذه الاتجاهات توفر جواً خالصا للعمل والفعالية؛

-إنَّ التعليم الكتّابي نابع من حاجات المجتمع المحلي، فهو بذلك نتاج مبادرات شعبيَّة؛

-إنَّ التَّعليم الكتّابي نابع من حاجات المجتمع المحلي، فهو بذلك نتاج مبادرات شعبية؛

-ارتبط التَّعليم الكتّابي في نشأته وتطوره بالمجتمعات العربيَّة الإسلاميَّة، حيث كان الكتّاب وسيلة حيوية من أهم وسائل تحفيظ القرآن الكريم.

6-منهج تعليم القرآن الكريم في المغرب العربي: اختلف تعليم القرآن الكريم باختلاف الأمصار حيت ذهب كل واحد بمذهبه من حيت تدريس القرآن الكريم وحده أو أنَّه يعلم إلى جانب العلوم الأخرى وانقسموا بذلك ثلاثة مذاهب:

الأول: يرى أن الطفل لا يعلّم القرآن أول الأمر، بل بتعلم مبادئ القراءة والكتابة (أهل المشرق).

الثاني: يرى أن الطفل لا يعلّم إلا القرآن في أول الأمر (أهل المغرب).

الثالث: يرى أن تعليم القرآن للطفل يمشي جنباً إلى جنب مع العلوم الأخرى (أهل الأندلس).

يقول (ابن خلدون) في مقدمته: في الفصل التاسع والثلاثون الذي عقده في تعليم الولدان واختلاف مذاهب الأمصار الإسلامية في طرقه.

"...واختفت طرقهم في تعليم القرآن للولدان باختلافهم باعتبار ما نشأ عن ذلك من ملكات: فأمّا أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط وأخذهم أثناء المدارسة بالرسم ومسائله واختلاف حملة القرآن فيه لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم، لا من حديث ولا من فقه، ولا من شعر، ولا من كلام العرب، إلى أن يحذق فيه، أو ينقطع دونه، فيكون انقطاعه في الغالب انقطاع عن العلم بالجملة".[9]

وأما ما يترتب على ذلك من فوائد–كما قال (ابن خلدون) –في أنهم أقوم على رسم القرآن وحفظه، وهذا الذي ذكره صواب، فما زال أهل المغرب إلى اليوم هم المتفوقون في ذلك.[10]

وقد انتقد الفقيه (أبو بكر بن العربي) أهل المغرب على ذلك بعد أن قدَّم تعليم العربيَّة والشعر على سائر العلوم كما هو مذهب أهل الأندلس ثم قال: "ويا غفلة أهل بلادنا في أن يؤخذ بالصبي بكتاب الله في أول أمرة يقرأ ما لا يفهم، وينصبُّ في أمرِ غيره أهمَّ عليه".[11]

7–الكتاتيب في ظل الاستعمار على بلاد المغرب: تأثر الكتَّاب بالاستعمار في كل بلاد المغرب حيث يقول الدكتور (عبد الهادي حميتو) في هذا الشأن: إنَّ رياح التطور الاجتماعي والسياسي والفكري التي هبَّت منذ أوائل القرن الماضي من جهة الشمال عاتية ومع الهجمة الاستعمارية التي اجتاحت بلادنا، والتي قصَّت قبل ذلك أطراف المغرب وهيمنت على جيرانه في(الجزائر) و(تونس) و(ليبيا)، قد عملت عملها في محاولة اقتلاع الأمة من جذورها، وتحويل خط سيرها، وتدمير هويتها الحضارية وقيمتها الدينية وروحها المعنوية، وذلك عن طريق البديل الغربي في جميع المجالات

وصرف الناس بالترغيب والترهيب، وتجفيف الينابيع التي تغذي التعليم الإسلامي وسد الآفاق في وجهه، الأمر الذي كان له أثره البليغ مع الزمن في تراجع الاهتمام به ..ومن هنا وجدنا المدرسة العصرية بمؤسساتها الزاهية تحل محل المدارس التقليدية العتيقة، ورياض الأطفال والمدارس الحرة تعم وتنتشر على حساب الكتّاب والجامع في الحواضر والبوادي.[12]

– **وظيفة الكتّاب:** الكتَّاب مؤسسة من المؤسسات القديمة في المجتمع الجزائري حيث كانت تقوم بدور هام في خدمة النسق العام خلال فترة زمنية طويلة.

ويمكن تلخيص أهم أدوار الكتّاب في القيام بالوظائف التالية:[13]

–تحفيظ القرآن الكريم وتعليم مبادئ وأسس الدّين الإسلامي؛

–المحافظة على الإطار العام للشخصية الوطنية، وذلك بالحفاظ على أهم مقومات البقاء والاستمرارية للثقافة والشخصية الوطنية؛

–ضمان اكتساب المجتمع الحد الأدنى من الثقافة العامة والموحدة والتي لها تأثير مباشر على بقاء واستمرارية مختلف النظم الاجتماعية الأصلية.

تعليم اللّغة العربيّة التي تعتبر إحدى ثوابت الأمة الجزائرية

كما عملت هذه المؤسسة على تحصين المجتمع من الاستيلاب إبان فترة (130 سنة) من الاستعمار الفرنسي.

9–القرآن الكريم واللغة العربية: القرآن الكريم المادة الأساسية في المدارس القرآنية فمن أجله أسِّست المدارس.

ومما لا شك فيه أنَّ تعلم القرآن الكريم وحفظه وترتيله وتجويده يساعد الطالب في تعلم النطق السليم ومخارج الحروف السليمة وعموماً اللّغة العربيّة الفصحى وذلك بواسطة التكرار والمراجعة، والقرآن جاء بلسان العرب فهو يسهم في تهذيب اللّغة العربية وتنقيتها من حواشي الكلام، واستحداث فيها معان وأغراض جديدة فقد عمل على تقوية اللّغة العربيّة ورفعتها بما منحها من المعاني الغزيرة والألفاظ الجزلة والتراكيب الكثيرة والأساليب الرفيعة، ويقول (ابن خلدون) في مقدمته:" اعلم أن ثمرة

هذا الفن(البيان) إنها هي في فهم الإعجاز من القرآن، لأن إعجازه في وفاء الدلالة منه بجميع مقتضيات الأحوال منطوقة، ومفهومة، وهي أعلى مراتب الكلام مع الكمال فيما يخص بالألفاظ في انتقائها وجودة رصفها وتركيبها".[14]

10-المدارس القرآنية في الجزائر: لقد كانت للزوايا الدينية في (الجزائر) دور كبير في لم شمل المجتمع، لأنها تحمل خصوصية دينية تمثل العنصر الأساسي للاتحاد والتماسك الاجتماعي، فأصبحت بهذه الميزة تؤثر في نفس المواطن ولذا كان أتباعها وموريديها، وبخاصة في الفترة الاستعمارية التي كان لها شأن كبير باعتبار زعماء المقاومة الوطنية ينتمون إلى هذا الصرح الديني، وهذا ما يصرح به (مارسيل سيميان) قائلاً: "إن تلك المؤسسات الدينية غالبا ما تتحول إلى معقل الثورة ضد الأجنبي وضد الرومي المدنس لأرض الإسلام...وإن الزاوية لم تعد فقط مكانا لتعليم القرآن الكريم بل أصبحت معلماً للجهاد ترسم في ظلام مخططات الانتفاضات والثورات"[15].

11-تعليم القرآن الكريم في وادي سوف: بدأ الاهتمام بالتّعليم القرآني في مجتمع وادي سوف منذ دخول الإسلام إلى المنطقة إذ كانت الرغبة شديدة في الحفاظ لأن المكسب هو إرضاء الله والتّقرب إليه بالآيات الكريمات، حيث بدأ التّعليم بالتلقين من رجال التصوف

-ثم شهد مشاركات الدعاة من خارج سوف وخصوصاً، من بلاد الجريد التونسي في دفع عجلة التّعلم.

-ثم بدأ بناء المساجد بالقرى النائية مباشرة، القرن التاسع عشر وخلال القرن العشرين، واستقرار الفلاحين بالقرب من (الغواطين) (أي مزارع النخيل).

-ثم جاء تأسيس المدارس القرآنية التابعة للعائلات والعروش، وكان هذا ازدهار لها.[16]

وكمثال عن هذه المدارس تطرقنا لمدرسة البيان لتحفيظ القرآن الكريم كعينة للمدارس القرآنية لمدينة واد سوف، والتي تعلم اللّغة العربيّة إلى جانب القرآن الكريم.

ثانياً: الجانب الميداني:

مدرسة البيان :[17]

1-**التعريف بها:** مدرسة البيان لتحفيظ القرآن الكريم مدرسة دينية تهتم بتعليم القرآن الكريم وتحفيظه، وتعمل على نشر الثقافة الإسلامية الأصيلة المستمدة من الكتاب والسنة.وقد تم اعتمادها من طرف ولاية الوادي بتاريخ 2003/10/05م،

وسجلت تحت رقم 36. ويوجد مقرها الحالي بالجنوب الشرقي (للجزائر) (بحي النور ببلدية الوادي).

2- اهتمامات المدرسة:

- استقبال الطلبة المتفرغين الذكور من مختلف ولايات الوطن، وتتكفل بإيوائهم وإطعامهم وعلاجهم، كما تهيئ لهم كل الظروف المواتية التي تساعدهم على حفظ كتاب الله وطلب العلم؛

- واستقبال الطالبات بأعداد هائلة من مختلف الأصناف والمستويات والأعمار (الإطارات والطالبات المتفرغات، والمتمدرسات والجامعيات، وقسم ما قبل التمدرس

- كذلك تستقبل المتقاعدين أيضا من الرجال والإطارات والمثقفين العمال.

3-التأسيس وسبب التسمية: جاءت تسمية الجمعية استئناسا بقوله تعالى (هذا بيان للناس وهدى و موعظة للمتقين) (آل عمران 138)

وقوله (الرحمان. علم القرءان. خلق الإنسان. علمه البيان) (الرحمان: 4 ــ 1) أما عن التأسيس فبعد أن ضَعُف عطاء التحفيظ التقليدي للقرآن الكريم بمنطقة وادي سوف، حيث ما كان من حفظٍ فعلى غير الضوابط والأحكام إلا ما ندر، وتحوُّلِ التحفيظ إلى حملات موسمية تقتصر على العطل المدرسية وعلى الذكور دون الإناث في الغالب، جاءت فكرة تأسيس الجمعية لتكون حاضنةً لمدرسةٍ قرآنية نموذجية تراعي ما سبق ذكره وما سيأتي من أهداف، وقد بدأ التحضير لتأسيس الجمعية بلقاءات تحضيرية يوم 10 ربيع الثاني 1423 هـ الموافق لـ 21 جوان 2002م على يد نخبة من الأساتذة وحفظة كتاب الله وبعض المحسنين من أبناء هذه المنطقة

الطيبة والذين وعدوا بالدفع المادي والمعنوي للمشروع وعلى رأسهم الدكتور(عامر العرابي) حفظه الله.

4-الأهداف:

1- تعليم القرآن الكريم حفظاً وترتيلاً، فهماً وتفسيراً، عملاً ونشراً

2- المحافظة على استمرارية سند القراءات المتصلة بالسند الصحيح عن رسول الله ﷺ؛

3- إحياء سنة الإقراء والإجازة بشرطها المعتبرح

4-الاسهام في نشر علم التجويد وعلوم القرآن والرسم العثماني

5-تخريج مقرئين وأساتذة متخصصين يتميزون بالضبط والإتقان وحسن الأداء؛

6-إعداد وتكوين أساتذة من الجنسين لتأطير المدارس القرآنية داخل الولاية وخارجها؛

7-تأهيل الطلاب وتمكينهم من المشاركة في المسابقات الوطنية والدولية؛

8-تكوين الطلاب معرفيا ببرامج مختصرة ميسرة مما لا يسع الطالبُ جَهلَه من علوم الشريعة؛

9- تربية النشء على حب الدين والوطن والاعتزاز باللّغة العربيّة لغة القرآن والوطن.

5-المكتب التأسيسي:

رئيس الجمعية: الدكتور (كمال قدة).

نائب رئيس الجمعية: الشيخ (الحبيب قريشة).

كاتب عام:الأستاذ (السعيد رزوق)

6-تأطير المدرسة في مجالي التحفيظ والإقراء:

يؤطر المدرسة في مجالي التحفيظ والإقراء مجموعة من الأساتذة والأستاذات والإداريين وعمال موزعين كالآتي:

الأساتذة	6	الطاقم الإداري	10
الأستاذات	3	العمال	11

7-المجالس التربوية:

_ المجلس البيداغوجي: ويتكون من مدير المدرسة ومسيرها وناظرها وممثلين عن الأساتذة وبعض أعضاء الجمعية ومهمته متابعة العمل اليومي للمدرسة ورصد المشاكل و العمل على حلها بما يخدم المصلحة و يحقق الأهداف المتوخاة.

_ المجلس العلمي: ويتكون من أساتذة جامعيين و أئمة من أهل الاختصاص في مختلف المواد المقررة في المدرسة و مهمته إعداد المناهج التعليمية و متابعة تطبيقاتها و تجديدها كلما دعا الأمر إلى ذلك.

8-اللّجان المتخصصة: تضم الجمعية ثلاث لجان متخصصتين:

_ لجنة التطوير و الاستشراف: هي لجنة متخصصة تابعة لمكتب الجمعية تعمل على ضبط و تطوير العمل، والتفكير في إنشاء مجالات تعليميّة و تطويرية وفق إستراتيجية متوسطة و طويلة المدى بأهداف واضحة و بجدول زمني محدد.

_لجنة الإعلام والعلاقات العامة: هي لجنة متخصصة مهمتها المتابعة الإعلامية لنشاطات الجمعية.

-لجنة التكوين: وهي اللجنة التي تقرر المواد الدراسية الرديفة للقرآن الكريم وهي خمس مواد (اللّغة العربيّة والتفسير والفقه والعقيدة والسيرة النبوية) والأساتذة الذين يقومون بتدريسها

9-البرامج التكوينية: قام المجلس العلمي بإعداد برامج التكوين وتضم هذه البرامج

_ أحكام التلاوة _التفسير الميسر _فقه السيرة _ فقه العبادات والمعاملات _الحديث الشريف _محاضرات دورية متنوعة ... كما يتضمن البرنامج أيضا فقرات رياضية وترفيهية _ رحلات داخل وخارج الولاية.

10-الشهادات الممنوحة: تمنح المدرسة للمتخرجين

- شهادة ختم للقرآن الكريم.

-شهادة مزاولة وختم للقراء غير المتمكنين من الحفظ تمكنه من المشاركة في المسابقات القرآنية المختلفة.

-وشهادة حفظ لختم القرآن مع التثبيت.

11-الأقسام الحالية بالمدرسة:

	القسم		عدد الأفواج	العدد الإجمالي للطلاب	
مجال التحفيظ	طلبة: نظام داخلي		01	20	
	الطالبات:	دائمات	01	19	
		نصف دائمات	08	150	
	طلبة: متمدرسون		15	280	
	طالبات: متمدرسات		06	138	
	متقفون وإطارات رجال		01	30	
	متقفات وإطارات نسوية		09	220	
	طلبة متقاعدين		03	55	
	نور الحبيب		03	70	
	البيان	مستوى أول	05	37	2
		مستوى ثاني	03	8	3
		تحضيري	01	1	6
مجال الإقراء	طالبات		00	00	
	طلبة		01	10	
المجموع:			57 فوجا	1225	

عدد الطلبة والطالبـــات في انتظار التخرج	الحفظة والحافظات	**10**	**143**
	المجازون	**5**	**80**
	المجموع	**15 فوجا**	**223**

المجموع العامّ:	**72 فوجا**	**1448 طالبا وطالبة**

12-مقرر اللّغة العربيّة لسنة الدراسية 2020/2019:

الحجم الساعي:50ساعة

مباحث في النحو	**مباحث في الصرف**
نبذة عن تاريخ اللّغة العربيّة	الجامد والمشتق
الكلمة وأنواعها	المصدر من الثلاثي ومن غيره
المركبات وأنواعها	حروف المبنى وحروف المعنى
التركيب الإسنادي	المجرد والمزيد
الإعراب والبناء	أوزان المجرد والمزيد
الفعل وأقسامه	معاني الزيادة
اللازم والمتعدي	تصريف الأفعال المختلفة
المعلوم والمجهول	الجموع وأنواعها
الصفة والموصوف	النسبة وأحكامها
المذكر والمؤنث	التصغير وأحكامه
اسم الجنس واسم الآلة	
الضمائر وأنواعها	
أسماء الإشارة	
الأسماء الموصولة	
المعرفة والنكرة	
المثنى وأحكامه والملحق بالمثنى	
جمع المذكر السالم وأحكامه والملحق به	

المضارع المرفوع والمنصوب والمجزوم الماضي وبناؤه والأمر بناؤه	
مباحث في البلاغة	**مباحث في الرسم(الإملاء)**
البلاغة لغة واصطلاحا أقسام علم البلاغة التشبيه: معناه، أركانه، أنواعه، أغراضه الحقيقة والمجاز وأنواع المجاز الكناية تأثير البيان في أداء المعاني الخبر والإنشاء الأمر والنهي الاستفهام الجناس والسجع الطباق والمقابلة	الإدغام الإعلال إعلال الهمزة الإبدال كتابة الهمزة التاء المفتوحة والتاء المربوطة
مباحث الأدب	
نبذة مختصرة عن تاريخ الأدب العربي العصور الأدبية: تعريفها وتحديدها الأدب الجاهلي: سماته ومميزاته وأنموذج منه الأدب الإسلامي: سماته ومميزاته وأنموذج منه الأدب المخضرم: سماته ومميزاته وأنموذج منه الأدب الأموي: سماته ومميزاته وأنموذج منه الأدب الأندلسي: سماته ومميزاته وأنموذج منه الأدب الحديث: سماته ومميزاته وأنموذج منه الأدب المعاصر: التركيز على الأدب الجزائري الأدب المهجري: باختصار شديد	

13-إجراءات الدراسة الميدانية:

-منهج الدراسة: لابد لأي باحث أن يعتمد منهجا يقوده إلى نتائج موضوعية ولأجل ذلك اعتمدنا على المنهج الوصفي في دراستنا، بالإضافة إلى الاعتماد على آلية التحليل باعتبارها ركيزة في تحليل الاستبانة ولا يتم العمل من دونها.

مجتمع الدراسة: مجتمع الدراسة لهذا البحث هو مدرسة البيان لتحفيظ القرآن بالوادي.

عينة الدراسة: لقد اشتملت الدراسة طلاب المدرسة وعددهم 40 طالب على اختلاف أعمارهم وفئاتهم.

الأداة المستخدمة في الدراسة: وتتمثل في الاستبانة؛ التي تعتبر من أهم وسائل جمع المعلومات، وتتم عن طريق إعداد استمارة تملئ من قبل أفراد معينين.

-تحليل نتائج الاستبانة:

1-متغير الجنس: شملت الدراسة أربعين طالباً من كلا الجنسين، وقد لوحظ أنّ عدد الإناث 28 طالبة من أصل 40 ما يمثل نسبة 70 % من عدد الطلبة الإجمالي بينما بلغ عدد الذكور12فقط، أي ما يمثل نسبة 30 % من إجمالي عدد الطلبة والنتائج موضحة في الجدول التالي:

الجنس	الذكور	الإيناث
النسبة المئوية	28	12
التكرار	%70	%30

قراءة النتائج: على ضوء المعطيات الإحصائية بتوزيع أفراد العينة حسب الجنس يتضح أن هناك فرق بين نسبة الذكور والإناث، حيث تفوقت نسبة الإناث (70%) عن نسبة الذكور بنسبة (30%) من العينة المدروسة، وهذا ما يؤكد ميول وحرص فئة الإناث على حفظ القرآن الكريم، ويتبين دور الجمعية في إتاحة الفرصة للإناث بعد أن كان ذلك صعب في السابق ألا على الفتيات صغارات السن.

2-متغير السن: تمثل توزيع أفراد العينة حسب السن، ويمكن إجمال النتائج المتحصل عليها من خلال الاستبانات في الجدول الآتي:

	بين 10 و20 سنوات	بين 20 و30 سنة	بين 30 و40 سنة	أكثر من 40 سنة
التكرار	5	20	13	2
النسبة	%2,5	%50	%32,5	%5

قراءة النتائج: بين الجدول توزيع أفراد العينة حسب عامل السن أن أعلى نسبة كانت للفئة العمرية بين (20) و(30) سنة بنسبة (50%) ، تليها الفئة بين (30) و(40) سنة بنسبة (32,5 %) ،وهاتان الفئتان تمثلان شريحة الشباب وهذا ما يؤكد على إقبال الشباب على حفظ القرآن ويوضح دور مثل هذه المدارس في احتوائهم وإتاحة الفرصة لهم لحفظ القرآن، بينما نجد أقل نسبة كانت للفئتين أقل من (20 سنة) بنسبة (12,5%) وأكثر من (40 سنة) بنسبة (5%)، ومع انخفاض هذه النسبة ألا أن وجودها في المدرسة دليل على تنوع أعمار الطلاب حفظة القرآن.

3-المستوى الدراسي: تمثل مستوى الطلبة المنتسبين الدراسي، ويمكن إجمال النتائج المتحصل عليها من خلال الاستبانات في الجدول الآتي:

المستوى الدراسي	ابتدائي	متوسط	ثانوي	جامعي
التكرار	00	5	12	23
النسبة	%00	%12,5	%30	%57

قراءة في النتائج: بين الجدول الموضح لمستوى الطلاب أن أعلى نسبة كانت لمستوى الجامعي بنسبة (57%) وتليها نسبة المستوى الثانوي بنسبة(30%) ،وهذا ما يؤكد إقبال المتعلمين وذوي المستويات العالية على القرآن وهذا لارتفاع نسبة الوعي بفضل حفظ القرآن ونجد كلما كان مستوى الطالب أعلى تزيد قدرات الطالب على الحفظ .

4-مدة الدراسة: تمثل عدد سنوات التي درسها الطالب منذ أن التحــق بالمدرســة وبعد جمع النتائج أجملناها في الجدول الآتي:

	أقل من سنة	بين سنة و10 سنتين	أكثر من سنتين
التكرار	3	9	28
النسبة	%7,5	%22,5	%70

قراءة النتائج: من خلال الجدول السابق (جدول مدة الدراسة) نلاحظ أن أكثر مــن (70%) من الطلاب الذين وجهت إليهم الاستبانة لديهم مدة أكثر من سنتين فكلما كــان لطالب مدة كبيرة في المدرسة كلما كانت النتائج أكثر دقة.

. تحليل أسئلة الاستبانة:

1-السؤالان المتعلقان ب: أهمية تدريس اللّغة العربيّة في المدارس القرآنية ومدى استفادة الطلاب منها وسنحاول من خلال هذا السؤال معرفة رأي الطلاب فــي تعلــيم اللّغة العربيّة في المدرسة إلى جانب حفظ القرآن الكريم، وما مدى الاســتفادة منهــا، وبعد حساب التكرار والنسب تحصلنا على الجدول الآتي:

رقم السؤال	السؤال	تحقق المعيار		عدم تحقق المعيار			
		نعم		لا		نوعا ما	
		لتكرار	لنسبة	لتكرار	لنسبة	التكرار	لنسبة
1	هل تَعتبِــر تعلــيم اللّغــة العربيّــة فــي المــدارس القرآنية مهما لحفظ القرآن الكريم؟	28	%70	4	%10	8	20 %

02	هل استفدت من تعلمك للّغة العربيّة في مدرسة البيان لحفظ القرآن؟	29	72.5 %	6	%15	5	12.5%

قراءة النتائج: من خلال النتائج أعلاه جاءت النسب العالية للموافقة على أهمية تدريس اللّغة العربيّة في المدارس القرآنية والاستفادة الكبيرة من ذلك ،حيث جاءت نسبة(70%) لاعتبارها مهمة, و(72,5%) لتأكيد الاستفادة منها. وهذا ما يؤكد على أهمية تدريس اللّغة العربيّة في المدارس القرآنية لما له من أهمية وفوائد على الحفظ.

2-الأسئلة المتعلقة ب: مناهج وطرق تدريس اللّغة العربيّة في المدارس القرآنية ومدى ملاءمة الحجم الساعي لها وسنحاول من خلال هذه السؤال معرفة رأي الطلاب في تعليم اللّغة العربيّة في المدرسة إلى جانب حفظ القرآن الكريم، ومدى الاستفادة منها في حفظ القرآن وكذا أنسب الطرائق في تعليمها، وحساب التكرار والنسب تحصلنا على الجدول الآتي:

		تحقق المعيار		عدم تحقق المعيار			
رقم السؤال	السؤال	نعم		لا		نوعا ما	
		التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
03	هل المنهاج المتبع متوافق مع متطلبات حفظ القرآن الكريم؟	20	%50	10	%25	10	% 25
04	هل الحجم الساعي للتعليم اللّغة العربية كافي؟	19	47 .5%	12	%30	9	22,5 %
05	هل المقرر المقدم في المدرسة متوافق مع قدراتك التعليمية؟	20	%50	16	%40	4	%10

قراءة النتائج: من خلال النتائج أعلاه جاءت نتائج الاستبانة الموزعة على العينة فيما يخص برنامج اللّغة العربيّة المقدم لطلاب المدرسة ومدى مناسبته لقدراتهم التعليمة والحجم الساعي الكافي بنسبة عالية، فنجد نسبة (50%) للإجابة على توافقها مع متطلبات حفظ القرآن و القدرات التعليمية للطلبة، ونسبة (47,5%) للإجابة على كفاية الحجم الساعي، وهذا ما يؤكد وعي الطلاب بأهمية دراسة اللّغة العربيّة والتمكّن منها لحفظ القرآن الكريم وتسهيل هذه العملية بما في ذلك الوقوف الجيد على إعراب الكلمات لسلامة نطقها وتدبر القرآن الكريم بلاغيا وجماليا، وكذا النطق السليم أثناء التجويد وغيرها من فوائد اللّغة العربيّة لحفظ القرآن، بالمقابل أيضاً نجد نسب من لا يوافقون ذلك ليست ضعيفة فنجد من لا يعتقد أن هذه البرامج تناسب قدراته التعليمية أو لحفظه للقرآن الكريم فنجد نسبة (40%) للذين أقروا بعدم موافقة البرنامج لقدراتهم التعليمية، وهذا ربما راجع إما لتخصص الطلبة فمثلا هناك من يدرس في المجال العلمي ويجد صعوبة في الغوص في دراسة اللّغة العربيّة من بلاغة ونحو وغيرهما أو لمستوى الطالب الدراسي الضعيف (المتوسط أو أقل) .

3-السؤال المتعلق ب: طرق التدريس وأيّها أنسب لتدريس اللّغة العربية في المدارس القرآنية، وبعد حساب التكرار والنسب تحصلنا على الجدول الآتي:

الطريقة	الحوارية	الإلقائية	الاتصالية
التكرار	17	11	12
النسبة	%42,5	%27,5	%30

قراءة النتائج: من خلال نتائج الجدول الموضح رأي الطلاب في الطريقة المناسبة لتدريس اللّغة العربيّة في المدارس القرآنية، ونلاحظ أن أعلى نسبة اختيارها الطلبة لطريقة الحوارية بنسبة (42,5%)، أما الطريقة الاتصالية تمثلت بنسبة (30%) بينما نجد الطريقة الإلقائية قدرت بنسبة (27,5%)، وهذا ما يبين تفضيل الطلاب لطرق التدريس الحديثة نظراً لنجاعتها وتفاعل الطلاب معها وما يفسر ذلك مستوى الطلاب

الدراسي حيث أن أغلبهم من طلاب الجامعة وعلى دراية ووعي بأهمية الطرق الحديثة في التدريس.

4-السؤال المتعلق بالمقاييس المدروسة: وفي هذا السؤال طلب على الطلاب تحديد أي العناصر اللّغوية كان فيها الاستفادة أكثر وكانت النتيجة في الجدول التالي:

الجانب	النحوي	الصرفي	البلاغي	الرسم الإملائي
التكرار	20	1	16	3
النسبة المئوية	%50	%2,5	%40	%7,5

تحليل النتائج: من خلال الجدول تبين أن النسبة الأعلى كانت للجانب النحوي بنسبة(50%) ،وذلك يوضح الاستفادة الكبرى من تدريس اللّغة العربيّة وهذا يعتبر جيدا ،لأن الجانب النحوي يعتبر أهم عامل يمكن الطالب من القراءة الجيدة أثناء الاستظهار، ولأن الحفظ أحيانا ما يغفل على معرفة الحركات الإعرابية، فيستعين الطالب بمعرفته النحوية لتأكد من الكلمات لذلك يحتاج الطالب الجانب النحوي في دراسته للغة العربية أكثر من غيره، ويلي ذلك الجانب البلاغي بنسبة(40%)، وتعتبر هذه النسبة أيضا نسبة معتبرة ، وهذا جيد لاكتساب الطالب مقدرة على كشف بلاغة القرآن الكريم وتدبر معانيه مما يشجع على الحفظ فليس الذي يجهل المعاني كمن يدكها ويتدبرها فهذا عامل مساعد على الحفظ الجيد. أما الجانب الصرفي فجاء بنسبة (2,5%) وهي نسبة متدنية تعكس إهمال الجانب الصرفي المعتاد حتى في المناهج النظامية وأما جانب الرسم الإملائي تمثل بنسبة (7.5%) وهي نسبة منخفضة، ولعل ذلك يرجع لاعتماد حفظ القرآن الكريم على السماع أكثر من الكتابة حيث يهتم في التحفيظ على الاستظهار الشفهي تحفيظا

5-السؤالان المتعلقان ببيداغوجيا التدريس: بينا مدى استعمال التكنولوجيا الحديثة وكذا ملاءمة مكان الدراسة وتجهيزه وكانت النتائج بعد الحساب كالتالي:

السؤال	نعم		لا		نوعا ما	
هل المكان ملائم للدراسة؟	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
	4	%10	28	%70	8	%20
هل تستخدم التكنولوجيا الحديثة في تعليم اللّغة العربيّة ؟	5	%2,5	30	75%	5	2.5%

تحليل نتائج: يوضح الجدول أعلاه والذي يمثل استفسار عن توفر الجانب البيداغوجي، حيث كانت نسبة الإجابة بنعم (10%) لاستخدام التكنولوجيا في المدرسة القرآنية ونسبة (12,5%)، لملاءمة مكان دراسة اللّغة العربيّة، أما نسبة نفي ذلك كانت (70%) لعدم استخدام التكنولوجيا الحديثة، ونسبة (75%) لعدم مناسبة المكان دراسة اللّغة العربيّة، وهذا يرجع لكون المدرسة لازالت في تطور ومحاولات الالتحاق بركب التقدم التكنولوجي مازالت في أولها .

السؤال المفتوح: وهو سؤال يتضمن اقتراحات الطلاب فيما يخص بتدريس اللّغة العربيّة أو إضافة لم يسأل عنها في هذا الاستبيان، وكانت النتائج في الاقتراحات الآتية.

-المنهاج المتبع لا يتلاءم مع الجميع، فالمستوى التعليمي مختلف بينهم، فيجب تصنيف المستويات وتقديم لكل مستوى ما يناسبة.

-تنويع طرق التدريس لتلائم جميع الطلبة وقدراتهم المختلفة.

-أن يكون ترابط بين المنهاج المتبع والقرآن الكريم، كأن يقدم الأستاذ ملاحظاته أثناء الاستظهار القرآني.

-استخدام التكنولوجيا الحديثة في التدريس.

-إتباع طريقة تدريس المتون وشرحها وتقرير حفظها، لكي يتسنى للطالب فهم آيات القرآن وتثبيت إعرابها.

الخاتمة: ومن خلال ما سبق نخلص إلى ما يلي:

– المدارس القرآنية في وادي سوف ومدرسة البيان تحديداً تبنّت تدريس اللّغة العربيّة وعلومها، إلى جانب تحفيظ القرآن الكريم، في منهجها.

– تعتبر مدرسة البيان تجربة رائدة في تحفيظ القرآن بطريقة تواكب العصر وتلبي إقبال الحفاظ على القرآن.

– إن حفظ القرآن الكريم يكسب الطالب دافعية قوية نحو التّعلم والتّفوق خاصة في اللّغة العربيّة والتي تعتبر مفتاحا لكل المواد الدراسية.

يعد تدريس اللّغة العربيّة في مدرسة البيان عاملاً مهما يعمل على تنمية اهتمام الطلاب بتعلمها وإتقانها.

– المدارس القرآنية الحديثة، مكنت الطالب من أن ينفتح على علوم اللّغة العربيّة بعدما كانت تقتصر على حفظ القرآن الكريم وهذا ما يجعل الحافظ لكتاب الله منفتحاً على التطور اللّغوي والثقافي، فتشجعه هذا على تدبر آيات القرآن واكتشاف أسرارها وإعجازها.

– إن تدريس اللّغة العربيّة في المدارس القرآنية أمر بالغ الأهمية، وذلك لتمكين الطالب من الحفظ الجيد والنطق السليم.

– إن لحفظ القرآن الكريم فوائد كبيرة في تطوير مهارات الطالب المهارات اللّغوية كالسماع والقراءة والكلام، خاصة عند الأطفال الصغار.

– مكنت المدارس القرآنية الحديثة فئة الإناث من حفظ القرآن الكريم وذلك بعدما كان ذلك صعباً في فترات سابقة خاصة مع الطالبات من غير فئة الصغار والمتقدمات في السن.

– يسهم حفظ القرآن الكريم في إثراء الرصيد اللّغوي وهذا ما يساعد على الفهم القرائي الجيد والتعبير بطلاقة وتمكن.

إن تحفيظ القرآن الكريم يساعد على تصحيح نطق الحروف بشكل جيد وهذا ما يساعد الطالب على تطوير جهاز النطق لديه تهيأً للقراءة والتعبير والإلقاء الجيد.

الاستبانة:

استبانة حول دور المدارس القرآنية في تعليم اللّغة العربيّة: أخي الطالب، أختي الطالبة؛

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد،

يشرفني أن أضع بين أيديكم هذه الاستبانة بهدف انجاز مقال حول "دور المدارس القرآنية– مدرسة البيان– في تعلّيم اللّغة العربيّة"، ونظرا لأهمية آرائكم حول الموضوع قمنا باختياركم كعينة لهذه الدراسة، وعليه أرجو منكم التفضل بالإجابة على فقرات الاستبانة بصراحة وموضوعية، وذلك بالإجابة عن الأسئلة أو بالإشارة في الخانة المناسبة.

شكرا لكم على تعاونكم معنا

الجنس:

ذكر ☐

أنثى ☐

السن:

من 10 إلى أقل من 20 سنة ☐

من 20 إلى أقل من 30 سنة ☐

من 30 إلى أقل من 40 سنة ☐

من 40 سنة فما فوق ☐

المستوى الدراسي

ابتدائي ☐

متوسط ☐

ثانوي ☐

جامعي ☐

مدة الدراسة

أقل من سنة ☐

من سنة إلى سنتين ☐

من سنتين فما فوق ☐

الأسئلة

1) هل تعتبر تعليم اللغة العربية في المدارس القرآنية مهما لحفظ القرآن الكريم؟.

نعم ☐ لا ☐ نوعاً ما ☐

2) هل استفدت من تعلمك للغة العربية في مدرسة البيان لحفظ القرآن؟.

نعم ☐ لا ☐ نوعاً ما ☐

3) هل المنهاج المتبع في تعليم اللغة العربية متوافق مع متطلبات حفظ القرآن الكريم؟.

نعم ☐ لا ☐ نوعاً ما ☐

4) هل الحجم الساعي للتعليم اللغة العربية في مدرسة البيان مناسب؟.

نعم ☐ لا ☐ نوعاً ما ☐

5) ما هي الطريقة التي تراها مناسبة لتعليم اللغة العربية؟.

الطريقة الحوارية ☐ الطريقة الإلقائية ☐ ريقة الاتصالية ☐

6) هل المكان المخصص ملائم للتدريس؟.

نعم ☐ لا ☐ نوعاً ما ☐

7) هل يتم استخدام التكنولوجية الحديثة في التدريس؟.

نعم ☐ لا ☐ نوعا ما ☐

8) هل البرنامج المقدم مناسب لقدراتك التعليمة؟.

نعم ☐ لا ☐ نوعاً ما ☐

9) أي جانب كان فيه الاستفادة أكثر؟.

النحوي ☐ الصرفي ☐ البلاغي ☐ سم الإملائي ☐

10) أي اقتراحات لم تقدم في هذا الاستفسار

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

قائمة المصادر والمراجع:

[1] مختارية تراري، التعليم بالكتاتيب القرآنية في الجزائر من منظور الدراسات النفسية والتربوية المعاصرة، مجلة إنسانيات، العدد 14- 15، 2001، ص 4.

[2] عبد الهادي حميتو، حياة الكتاب وأدبيات المحضرة، صورة من عناية المقاربة بالكتاتيب والمدارس القرآنية، دار آبي رقراق للطباعة والنشر، المملكة المغربية، ط1، ص 9.

[3] مختارية تراري، المرجع السابق ً4.

[4] بكراوي محمد عبد الحق، جهود الزوايا والمدارس القرآنية في جنوب الصحراء الجزائرية في المحافظة على الموروث الديني، دراسة نماذج، مجلة الحقوق والعلوم السياسية، جامعة أدرار العدد 8، ج 1، 2017، ص 302.

[5] عبد الهادي حميتو، المرجع السابق، ص19.

[6] وهيبة العايب، المدرسة التحضيرية في المدارس القرآنية وتأثيرها على مهارتي القراءة والكتابة دراسة وصفية مقارنة، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير،2005/2004، جامعة يوسف بن خدة الجزائر، ص 26.

[7] عبد الهادي حميتو، المرجع السابق، ص 24.

[8] مختارية تراري، المرجع نفسه، ص5.

[9] محمد الأمين بوروبة، تعليم القرآن الكريم وعلومه للأطفال، أهميته وأساليبه وأثره وكيفية الرقي به، مجلة الشهاب، جامعة حمة لخضر الوادي، المجلد 5، العدد 1، 2019، ص19.

[10] محمد الأمين بوروبة، المرجع نفسه، ص20.

[11] محمد بوروبة، المرجع نفسه، ص20.

[12] عبد الهادي حميتو، المرجع السابق، ص 13.

[13] مختارية تراري، المرجع السابق، ص5.

[14] عبد الجليل ساقني، محمد ساقني، مناهج وآليات التعليم بالمدارس القرآنية بالتيديكلت مجلة آفاق علمية، مجلد 10 العدد 3، 2018، ص 225.

[15] محمود فتوح، دور علماء الزوايا والكتاتيب القرآنية في تعليم العلوم العربية في منطقة الونشريس، الزاوية العدواني الشاذلي نموذجاً، مجلة التعليمية، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف المجلد 5 العدد 14، 2018، ص381.

[16] علي غنابزية، دراسة تاريخية لمناهج القرآن الكريم بين والماضي والحاضر (مجتمع وادي سوف نموذجاً، مجلة البحوث والدراسات، جامعة الوادي، العدد14، 2007، ص 69-70.

[17] جمعية البيان لتحفيظ القرآن، المدرسة القرآنية العلامة أحمد العبيدي، دليل البيان، مكتبة مزوار، ص2

دور الكتاتيب في إثراء الزاد اللغوي لدى الأطفال من حيث الالفاظ والمعاني خلال العهد العثماني
"دراسة إحصائية لكتاب تحفة الأطفال للجمزوري"

داه. سمية بن حليمة

جامعة الجزائر 2

خطة البحث؛

مقدمة:

1-الكتاتيب في الجزائر سياق النشأة والتطور

1-1 الكتاتيب المفهوم والمدلول

1-2 نشأة الكتاتيب في الوطن العربي

1-3 الكتاتيب في الجزائر

2- البرامج التعليمية في الكاتيب ومايقاربها من مؤسسات تعليمية

2-1 المنظومة التعليمية في الكتاتيب

2-2 البرامج التعليمية وأهداف التعليم في الكتاتيب

3- تحفة الأطفال للجمزوري دراسة إحصائية

3-1 التعريف بالتحفة

3- 2 التعريف بسليمان الجمزوري

3-3 جداول إحصائية حول الكلمات والأحرف والمعاني الواردة في التحفة

خاتمة

ثبت المراجع

المقدمة: تعتبر الكتاتيب من الدور العلمية الاولية التي ظهرت في العالم العربي منذ القدّم، كما تعتبر من التراث الإسلامي الممتد عبر العصور. هذه المؤسسة التعليمية الدينية محفورة في ذاكرة الجزائريين الذين درسوا بها وتخرجو منها مثقّفين يتقلّدون مناصب مختلفة بين الأساتذة و الأطباء و السياسيين وغيرهم، ذلك أنّ المتعلمين في الكتّاب يقضون أوقاتا طويلة للتعليم القرآني، كوّنت لديهم ذكريات تدخل في الذاكرة الجماعية للمجتمع الجزائري، الذي عرف تراجعا رهيبا لمؤسسة الكتّاب أين اعتبرت حاليا أنّها لاتواكب متطلبات التطور والحضارة.

ويأتي تقديم هذا الموضوع ضمن محور "تبيان دور الكتاتيب في غرس الانتماء للأمة وأسس الدين ومبادئ اللغة العربية " للملتقى الوطني الكتاتيب ودورها في الرّفاه اللغويّ ، هذه المداخلة والتي خصصتها بالبحث و الدراسة لتاريخانية الكتاتيب في الجزائر كنقطة أولى، ثمّ تطرقت بشئ من التفصيل للبرامج التعليمة بالكتاتيب في الجزائر كنقطة ثانية، أمّا الجزء الثالث من البحث فخصصته لدراسة متن تحفة الأطفال للجمزوري دراسة احصائية تحليلية ، وختمت البحث بخاتمة جمعت خلاصة ماتوصلت إليه.

نسأل الله التوفيق والسداد.

1-الكاتيب في الجزائر سياق النشأة والتطور

1-1 الكتاتيب المفهوم والمدلول

الأصل في الأشياء تحديد مفاهيمها ومن هذا المنطلق وجب تحديد مفهوم الكتاتيب نظرا لاختلاف المفاهيم حوله.

الكتاتيب لغة: ورد في متن اللغة المكتب معلّم الكتابة، والمكتب موضوع الكتّاب موضع تعليمهم، جمع كتاتيب استعمل في موضع الكتابة[1]. أمّا في الصحاح للجوهري فيعني المكتب بضم الميم وكسر التاء أو المكتب بضم الميم وكسر التاء وتشديدها **المعلم والكتاب:** الصبيان[2]

الكاتيب اصطلاحا: جمع كتّاب وهو مكان للتعليم الأساسي كان يقام غالبا بجوار المسجد، لتعليم القراءة والكتابة والقرآن الكريم وشئ من علوم الشريعة والعربية والتاريخ والرياضيات ... وهو أشبه بالمدرسة الابتدائية اليوم[3]

والكتّاب جمعه كتاتيب وهو موضع تعليم القراءة والكتابة، وهو من المؤسسات الهامة التي وجدت في المجتمع الإسلامي لتثقيف الصغار وتربيتهم تربية إسلامية [4] ويدير الكتّاب معلم يطلق عليه عدة أسماء منها: المعلّم، المؤدب، الفقيه، الملاّ المطوّع الشيخ وهو الرجل الصالح الذي يوّظف نفسه لخدمة الناس[5].

تشترك المفاهيم الآنفة الذكر في كون الكتاتيب مكان لتعليم الاطفال العلوم الأوليّة وأهمها القرآن الكريم واللغة العربية، وفي العادة تكون الكتاتيب بجوار المساجد أو منفصلة عنها في بعض الأحيان.

2-1 **نشأة الكتاتيب في الوطن العربي:** تختلف الروايات والدراسات التاريخية في ضبط تاريخ ظهور الكتاتيب عند العرب أي في المشرق والمغرب، بالنسبة للمشرق العربي ورد في الأثر أنّ الكتاتيب تعود إلى زمن الرسول محمد ﷺ مع تأسيس الدولة الإسلامية، عندما كلّف الرسول عليه الصلاة والسلام الصحابة بتعليم الناس، يقول السهيلي في الروض الأنف " وقد اهتم النبي بتعليم الأطفال والشباب، اذ أمر أسرى المشركين عقب بدر، أن يعلّم كل منهم عشرة من الغلمان الكتابة، ويخلي سبيله فيومئذ تعلّم الكتابة زيد بن ثابت في جماعة من غلة الأنصار"[6].

كان نظام التّعليم في الكتاتيب شائعا ومعمولا به أيّام النّبي، مستمرا في عهد الخلفاء الرّاشدين، وبني أميّة في الأمصار الإسلامية، ولم يتفرّد المشرق العربي بهذه الكتاتيب بل عرفها المغرب العربي في وقت متقّدم[7]. يقول خالد الجابري نقلا عن البلاذري" كان الكتّاب بالعربية في الأوس والخزرج قليلا، وكان بعض اليهود قد علم كتاب العربية، وكان تعلمه الصبيان في الزمن الأول فجاء الإسلام، وفي الأوس والخزرج عدة يكتبون"[8].

أمّا أهل المغرب الإسلامي فقد عرفوا الكتاتيب منذ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب حيث كان " الفاتحون في الأقطار المغاربية يتحوّلون إلى معلّمين للشعوب البربرية يعلّمونهم مبادئ الإسلام والعربية ويتجرّد منهم كثيرون للجلوس في غرفة ملحقة بالمساجد أو في المساجد نفسها لتعليم القرآن وسموها الكتاتيب"[9]. خاصة في نهاية القرن (الأول الهجري)، عندما أرسل الخليفة عمر بن عبد العزيز بعثة مكونة من (ثلاثة عشر) رجلا إلى (القيروان) من أعلام القرّاء، وعلى رأسهم إسماعيل بن عبد اللّه بن المهاجر... وعلى عهد هذه البعثة تطوير تعليم القراءات[10]. مما يدّل على أنّ الكتاتيب كانت موجودة في بلاد المغرب ذلك أنّ علم القراءات يأتي بعد أن يتمكنّ الطالب من مبادئ علوم القرآن ومبادئ اللغة العربية.

يذكر الغزّي أنّ الكتاتيب لم يختص بها أهل المشرق بل المغرب أيضا يقول "لم يقتصر تعليم الصبيان في الكتاتيب على أبناء بلاد الشام، فقد كان للمغاربة اهتمام بتأديب الأطفال إلى جانب وظيفة المؤذن في المسجد"[11]. مع توسّع الإسلام في العهد (الأوّل) حيث لقيت الكتاتيب في بلاد المغرب الإسلامي عناية واضحة من قبل علمائه الذين كتبوا عنها رسائل نالت شهرة واسعة، وكانت بمثابة منهج يتقيّد به المعلّمون لفترة طويلة[12]، أماّ في القرن الثاني الهجري فهو قرن انتظام الكتاتيب يقول أسعد طلس " لم يكد يطلّ القرن (الثاني للهجرة) حتى كانت هذه الكتاتيب قد انتظمت في شؤونها وصار لها برامج تطبّق في كتاتيب الصبيان كما تطبّق في كتاتيب البنات[13].أي أصبحت منتشرة ومعتمدة كمدارس أوليّة لتعليم الناشئة.

وجدت الكتاتيب في الغالب بجوار المسجد سواء في المشرق أو في المغرب العربي، ثمّ أقيمت في أماكن بعيدة عنه لتفادي الازعاج الذي يسببه الاطفال لروّاد المسجد من طلبة ومتعبّدين، وعادة ماتكون في وسط المدينة في مكان ظاهر ليسهل الوصول إليها[14]. وهذا الفصل بين الكتاتيب و المساجد إنّما راعى فيه المغاربة مشهور مذهب الإمام مالك الذي أكره تعليم الصبيان في المسجد سواء كان القرآن أم غيره من العلوم في قوله" ولايعلّم فيه الصبيان-يعني المسجد-ولايجلس فيه للخياطة[15]. يشترك

كل من المشرق والمغرب العربيين في ماهية الكتاتيب وأماكن تواجدها وفي المواد التي تدّرس بها والتي سأتطرق إليها لاحقا.

3-1 نشأة الكتاتيب في الجزائر

يمتد تاريخ الجزائر إلى آلاف السنين أي منذ العصور الحجرية، ومرّت على الجزائر حضارات كثيرة على نحو الرومان و الفينيقيين وغيرهم، إلاّ أنّ مرحلة الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا ومنها الجزائر تعتبر من أهّم هذه الفترات، ذلك أنّ الفتح الإسلامي أدخل المنطقة في الإسلام وعرّب سكان شمال إفريقيا، بعد أن كانت المنطقة تعرف الديانة المسيحية واللسان البربري.

لم تختلف الجزائر عن بلدان المغرب العربي في اتخاذ الكتاتيب كمؤسسة تعليمية اوليّة، يرجع عبد الحليم عويس إلى أنّ الكتاتيب في الجزائر ظهرت نحو(ق7ه) وفي ذلك يقول " فيما يخص الجزائر ظهرت الكتاتيب بشكل ملفت في العصر الوسيط، أي خلال القرن السابع للهجرة خاصة في بجاية التي تعّد أحد مراكز الثقافة الهامة في العصر 7ه، أصبحت بذلك كعبة الشعراء ومقصد طلاّب العلم من كل فج فسميّت بمكة الصغيرة في العصر الحمّادي، ولعل ذلك راجع لدور الحكّام الذين قاموا برعاية العلماء وتشجيعهم[16].

يشتهر الكتّاب في الجزائر بالمسيد، وهي كلمة يرجع الكثير أصلها إلى كلمة مسجد ذلك أنّ المسجد كان في الأصل هو موطن التربية و التعليم وتحفيظ القرآن في بلاد المغرب عموما، اضافة الى ان كلمة مسجد كانت كثيرة التدوال في ألسنة الطلبة لأنّ الطالب في جميع مراحله إذا ذهب إلى المدرسة قال: كنت في المسجد، وإذا أقبل قال: كنت في المسجد، واذا سئل عنه قيل: هو في المسجد[17]، بينما يؤكدّ الزبيدي إلى أنّ كلمة المسيد تعني الكتّاب عند أهل المغرب أي المكتب وهو مكان التعليم [18].

بالنسبة للكتاتيب في العهد العثماني والذي دام لأربعة قرون، لم تتغير الكتاتيب لافي مكانها ولافي دورها بل استمرت كموروث من العصر الوسيط، فاذا رجعنا إلى تاريخ التعليم في العهد العثماني نجد انه لم يكن في الجزائر تعليما بشكل نظامي حيث كان

يغلب عليه الطابع الحرّ نظام يخضع لموروث تقليدي يضمّ عدة مؤسسات تعليمية: الكتّاب، الزوايا، المساجد، تمثّل التعليم العربي التقليدي السائد في المجتمع الجزائري[19].

يذكر الوزّاني أنّ الكاتيب في الجزائر في العهد العثماني تركزت في تلمسان يقول" المدارس القرآنية –الكتاتيب– في العهد العثماني تركزت في تلمسان وبلغت 5 مدارس حسنة التصميم مزينّة بزخرفة الفسيفساء"[20].أمّا فيما يخص مدينة قسنطينة الملقبة بمدينة العلم والعلماء، فحسب تقرير الجنرال بيدو الذي صرّح أنّه عندما أحتلت قسنطينة سنة (1837م) كان يوجد بها 35 مسجدا و7 مدارس و90 مدرسة ابتدائية هذه الأخيرة التي كانت بمثابة الكتاتيب[21]. في مدينة الجزائر وفي اواخر العهد العثماني عرفت وجود الكتاتيب وبكثرة يقول أبوالقاسم سعد الله" ان مدينة الجزائر كانت زاخمة بالمدراس القرآنية عند بداية الاحتلال الفرنسي، في نحو مائة مدرسة قرآنية[22]. وعيله لانلاحظ اختلاف في انتشار الكتاتيب في الجزائر منذ ظهورها في العصر الوسيط إلى غاية نهاية الحكم العثماني، ذلك انّها كانت تمثّل المرحلة الأولى لتعليم الصغار ولم يستعن عنها أهل الجزائر آنذاك إلاّ مع بداية الاحتلال الفرنسي عندما أجبر الشعب الجزائري على الابتعاد عن الكتاتيب والمدارس القرآنية بسب السياسية الثاقفية التي انتهجتها فرنسا ضدّ التعليم العربي والإسلامي في الجزائر.

2-البرامج التعليمية في الكتاتيب

2-1 **المنظومة التعليمية في الكتاتيب بالجزائر:** تشترك طرق التدريس و البرامج التعليمة في الكتّاب بين المشرق و المغرب العربي، حيث أنّ تعليم الصغار يعدّ واجبا يقول الكتّاني " تعليم الصبيان من أصول الإسلام، فينشأون على الفطرة ويسبق إلى قلوبهم أنوار الحكمة، قبل تمكّن الأهواء منها، وسوادها بأكدار المعصية و الضلال "[23] ويذهب معه ابن سحنون في نفس الطرح فيقول " اعتبرت الكتاتيب المرحلة الأولى للطلاب وفيها يستعدّ الطالب أو المتعلّم للمرحلة القادمة الأخرى "[24]. وهذا مايعكس ضرورة تعليم الصبيان في مرحلة متقدمة من عمره مابين خمس سنوات إلى ست سنوات.

بالنسبة للبرامج التعلمية في الكتاتيب يتصدّرها القرآن الكيرم وعلومه، يقول ابن خلدون في المقدمة" وقد حرص المعلّمون على تعليم هؤلاء الصّبية بعض سور القرآن الكريم حتى صار أصل التعليم لأنّ التعليم في الصغر أشّد رسوخا وهو اصل لما بعده لانه السابق الأول كالأساس للملكات"[25]. يضيف الكتّاني في هذا الصدد " اختصت العوائد الإسلامية بتقديم دراسة القرآن إيثارا للتبرك، وخشية مايعرض الولد من جنون الصبا من الآفات و القواطع عن العلم ، فيفوته القرآن [26].

يذكر ابن سحنون علوما أخرى يتلقاها الصبيان مع علوم القرآن وهي " قسم يتعلق بالفنون تشمل الحساب وهو من العلوم الأصولية الضرورية شرعا، ثمّ الشعّر وهو ديوان العرب ومعجم لغتهم الكبير ثمّ أخبار العرب وأنبائهم وهو التاريخ المكمّل للأدب ثمّ جميع النحوّ والغريب والعربية ثمّ الخط الحسن" [27]. ومنهم من يعتبر تعليم اللغة العربية ضروريا كعلم ملازم للقرآن الكريم، يقول الشاعري " كما يجب عليه أن يكون عالما بقواعد اللغة العربية لكي يعرف أين يقف ومن أين يبتدئ، حتى يصل إلى الغاية من قراءته للقرآن الكريم ألا وهي فهمه وتدّبره والوقوف عند حدوده" [28]. وكان الجزائريون يعتمدون على التعليم ماكان يسمّى بالكتّاب أو في البادية بالشريعة، وقد شملت المبادئ المتلقاة حفظ القرآن الكريم والكتابة والرسم القرآني وكذلك التربية الدينية وحفظ الآحاديث وأداء الصلوات، وحسن الخلق وذلك بوسائل تقليدية مثل اللوح الدواة وقلم القصب [29]، غير أنّ المتعلّم لايأخذ كل العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم بل اقتصر الأمر على علم التجويد و التفسير نظرا لخصوصية مرحلة الصغر عند المتعلمين يضيف أسبابا أخرى " دخول أغلب العلوم القرآنية تحت علم التجويد والتفسير، تسهيل المراد على الصغار بالاقتصار على مايقيم الحروف ويبّن المعاني التدرج في تناول علوم القرآن، مراعاة الهدف الأسمى من العلم بالقرآن وعلومه وهو العمل به "[30]، وهنا نستشف عدم التعمق في تلقين علم القراءات في الكتاتيب بالرغم من أنّها من أساسيات التعليم القرآني، والهدف من ذلك عدم التشويش على اذهان الطلبة و الزّج بهم في طرق متشعبة لايستطيع الهدي فيها إلاّ المهرة [31].

فصل ابن سحنون بين مايجب على المعلمّ تقديمه للصبيان ومالايجب عليه أي ماليس ملزم به فيقول" ونبغي له أن يعلّمهم إعراب القرآن وذلك لازم به، والشكل والهجاء والخط الحسن، والقراءة الحسنة والتوقيف والترتيل ... ولابأس ان يعلّمهم الشّعر مما لايكون في فحش من كلام العرب واخبارهم، وليس بذلك واجب عليه ويلزمه أن يعلّمهم ماعلم من القراءة الحسنة وهو مقرأ نافع"[32].وكان البعض من معلّمي هذه الكتاتيب يعلّمون الناشئة أيضا السنن و الفرائض و النحو و العروض [33] اضافة إلى حفظ أجزاء من القرآن وتجويده علاوة على الإلمام ببعض علم اللغة والنحو والفقه[34].

2-2 **طريقة التدريس وأهداف التعليم في الكتاتيب:** تتفق الدراسات التاريخية على أنّ طريقة التدريس كانت قائمة على التلّقين ، يقول تركي رابح" تسود في الزوايا و المساجد طريقة الحفظ و التلقين فالمعلّم هو الذي يحلل مايحتاج إلى تحليل، و المتعلّمون عليهم أن يتقبّلوا مايقوله المعلّم في معظم الأوقات" [35]، وكان مظهر التربية الإسلامية التدريسية سواء في المساجد أم الكتاتيب هو حلقة الدرس، يجلس المعلّم ويجتمع حول مجموعة من التلاميذ، ولم يكن المعلّم يستند إلى نص مكتوب بل يعتمد هو الآخر على ذاكرته في إلقاء دروسه [36].يضيف القابسي" ويكون هذا المعلّم قد حمل عن آباء الصّبيان مؤونة تأديبهم ، ويبصّرهم استقامة احوالهم، ومايَنّمي لهم في الخير افهامهم ويبعد عن الشّر مالهم، وهذه عناية لايكثر المتطوّعون بها" [37]. فالمعلمّ هنا يلّقن الطلبة علوم القرآن و يساعدهم على حفظه إضافة إلى تلقينه علوم اللغة العربية ، دون أن ننسى التربية و الحث على الأخلاق الحميدة وتثبيت الدين الإسلامي في نفوس الطلبة. ويؤّكد ذلك ابن خلدون في مقدمته" يخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر في الغالب والترسل وأخذهم بقوانين العربية وحفظها وتجويد الخط والكتاب، ولا تختفي عنايتهم في التعليم بالقرآن دون هذه بل عنايتهم فيه بالخط أكثر من جميعها، الى أن يخرج الولد من عمر البلوغ الى الشبيبة وقد شدا بعض الشيء في العربية والشعر والبصر بهما وبرَزفي الخط والكتاب وتعلق بأذيال العلم على الجملة"[38]، هذا وقد اختصّ أهل

المغرب العربي بالخط المغربي الذي تكتب به المصاحف وهو الخط الكوفي، وأصبح سمة عند أهل المغرب لذلك عنّي به المعلّمون وحرصوا على تعليم الصبيان الخط وفنونه، يقول نوح فندا في هذا السياق" الخط المغربي هو من خطوط الأبجدية العربية ينتشر استخدامه في بلاد المغرب العربي، اذ أنّ موطنه عموم بلاد المغرب من ليبيا إلى تونس إلى الجزائر إلى المغرب إلى موريتانيا وحتى جنوب الصحراء، كما استخدم سابقا في الأندلس"[39].

ورد في ابحاث المعهد العالي للفكر الإسلامي أهداف التعليم في الكتاتيب " كان الهدف الديني هو المحور الرئيس الذي دارت حوله العملية التعليمية في الكتّاب، ومن ثمّ اقتصرت مسؤوليات المعلّم على تحفيظ القرآن الكريم وتلقين المبادئ البسيطة للعقيدة الإسلامية، وقد ركّزت التربية الدينية على تهذيب سلوك المتعلمين وتكوين العادات الإسلامية، وتأصيل الممارسات العلمية المتعلّقة بقيّم الدين وتعاليمه في مجال العبادات و المعاملات ، إذ كان الآباء يقصدون من وراء إرسال أبنائهم إلى الكتّاب اكتساب الثواب من الله عندما يحملون أبناءهم على حفظ القرآن"[40].

بالإضافة إلى إدراك المتعلّم والمامه بالمواد الأولية التابعة لعلوم القرآن كالنحو والصرف، وعلوم الشريعة وأصول الدين، وحيث كان الشيخ و الفقيه يدرّس في كثير من المواد العلمية كالتفسير وتاريخ التشريع و الحديث وغيرها من الآداب والعلوم، كان المشايخ يحلّلون الحرف و الكلمة كما هو الحال الخبرات و التجارب المدرسية و الدراسات الجامعية اليوم [41]، أين أنّ مايتلقاه الطالب من هذه العلوم لايقلّ شأنا عن العلوم التي نعاصرها حاليا، فالأصل ليس التخلّي عن القرآن الكريم وعلوم اللغة العربية بل الأصل المحافظة عليها والعمل على تطوريها، فالتجديد في التعليم العربي لايعني أيضا التخلّي عن تراثنا تخليا كلّيا في مقابل تقليد حرفي للغرب في المنهاج والعلوم، حيث أثبتت الكتاتيب أنّها خرّجت علماء كثر لايكفي هذا المقام لعدّهم .

وهنا لايمكن انكار الدور التاريخي للكتاتيب في حفظ القرآن الكريم وتفسيره وكذا تلقين اللغة العربية ، فعندما أغلقت فرنسا المساجد و عممت تعليم اللغة الفرنسية كانت

الكتاتيب تشتغل خفية ودون انقطاع، لتنجب جيلا حافظا للقرآن الكريم، متميزا من حيث الفصاحة اللّغوية، والإتقان لقواعدها وأحكامها، فالغاية الأسمى التي تهدف إليها الكتاتيب هي المحافظة على أسس الدين الإسلامي من خلال تحفيظ القرآن[42].

3- تحفة الأطفال للجمزوري

3-1 التعريف بتحفة الأطفال

يعتبر كتاب تحفة الأطفال من الكتب المعتمدة في علم التجويد، حيث كان مدرجا ضمن البرامج التعليمية في الكتاتيب في المشرق وفي المغرب العربي، نظرا لخصوصية هذا المؤلف الذي يساعد الأطفال في تلقّي علم التجويد ببساطة.

تحفة الأطفال عبارة عن أرجوزة مكوّنة من 61 بيتا، بدأ الناظم بمقدّمة بخمسة أبيات ذكر فيها اسمه ولقبه، ثمّ حمد الله وصلّى على النبيّ محمد ﷺ، ثمّ وضّح الغرض من نظم هذه الأرجوزة وهو بيان أحكام النون والتنوين والمدود، ثمّ صرّح بتسمية الأرجوزة وهي تحفة الأطفال، مشيرا إلى مأخذه من علوم من شيخيه الميهي ختم مقدّمته برجاء من الله تعالى أن ينتفع بها الطلاّب فيحصل له الأجر والثّواب. وكلمة التحفة من الاتحاف وتعني التحسين، والمراد بها هنا الاتحاف بالأحكام التجويدية.

قسّم الجمزوري -سيتمّ التعريف به لاحقا- الأبيات 61 إلى 8 مواضيع ان صحّ التعبير اضافة وهي : أحكام النون الساكنة و التنوين (11 بيتا) ، حكم النون و الميم المشدّدتين (بيت واحد)، أحكام الميم الساكنة (6 أبيات)، أحكام لام أل ولام الفعل (6 أبيات)، في المثلين والمتقاربين والمتجانسين (5 أبيات) ، أحكام المدّ (7 أبيات) أقسام المدّ (7 أبيات)، أقسام المدّ اللازم (10 أبيات) إضافة إلى المقدّمة (5 أبيات) والخاتمة (4 أبيات).

3-**2 سليمان الجمزوري ناظم تحفة الأطفال:** هو الشيخ سليمان بن حسين بن محمد الجمزوري نسبته إلى جمزور وهي بلدة بمصر، ولد بطنطا في شهر ربيع الأول سنة بضع وستين بعد المائة الألف من الهجرة وهو شافعي المذهب، تفقّه على مشايخ كثيرين أخذ منهم القراءات والتجويد لقّبّ بالأفندي واشتهر به وهي كلمة تركية يشار

بها للتعظيم ، نظرا لبراعتها في علم القراءات والتجويد، من أشهر شيوخه الشيخ النـــور الميهي [43]، من تصانيفه: الفتح الرّحماني بشرح كنز المعاني تحرير حرز الأماني فـــي القراءات السبع، تحفة الأطفال في علم التجويد، فتح الأقفال بشـــرح تحفـــة الأطفـــال[44] لايعرف تاريخ وفاته يذكر أنّه كان حيّا سنة (1198ه/1784م) وقيل أنّه تـــوفي ســـنة 1209ه بعد شيخه نور الدين الميهي المتوفى عام 1204ه كما يفهم من ذلك من دعـــاء الناظم لشيخه بالجنّة في مقدمة كتابه الفتح الرّحماني وقد كتب الناظم بنفسه نسخة منـــه في عام 1209ه[45]. هذا وقد قدّم الجمزوري ومن خلال التعرّف على ســـيرته الكثيـــر خدمة للقرآن الكريم وعلومه وما يتعلق به من أحكام اللغة العربية ونحوها، إضافة إلـــى التبسيط الذي نلاحظه في أرجوزة تحفة الأطفال وهذا مايعكس مراعاة الجمزوري للفئة التي يخاطبها، فقدّم لها أحكام تجويد القرآن الكريم بأسلوب سهل مبسّط ومفهوم.

3-3 دراسة إحصائية لتحفة الأطفال من حيث الكلمات والمعاني

الكلمات الواردة في التحفة

في الجدول أدناه إحصاء لعدد الكلمات التي يكتسبها الأطفال الذين كـــانوا يحفظـــون أرجوزة تحفة الأطفال كاملة

الموضوع	عدد الكلمات	الموضوع	عدد الكلمات
المقدمة	40 كلمة	المثلين والمقاربين والمتجانسين	44 كلمة
أحكام الساكنة والتنوين	102 كلمة	أقسام المدّ	63 كلمة
الميم والنون المشّددتين	10 كلمات	أحكام المدّ	53 كلمة
الميم الساكنة	48 كلمة	أقسام المدّ اللازم	90 كلمة
لام أل ولام الفعل	58 كلمة	خاتمة	34 كلمة

مجموع مايكتسبه المتعلّم من كلمات يقدّر ب 440 كلمة، فاذا اكتسب الطفـــل كلمـــة واحدة اكتسب معها احدى أنواع الكلمة اسما او حرفا أو فعلا، ومن هنـــا يبـــدأ الـــزاد اللغوي في النموّ فالكلمات الواردة في التحفة تضمّ الأفعال والأحرف والأســـماء، التـــي من شأنها ان تثير وتحرّك في الطفل ملكة الاستفسار ومعرفة المعـــاني فتـــزداد بـــذلك

رغبة الأطفال في التعمق في اللغة العربية و علومها، ويصبح لديه بنك مـــن الكلمـــات ماتسمح له بفصاحة اللسان وطلاقة الكلام دون تلعثم.

الأحرف الواردة في التحفة

الغرض من إحصاء عدد الأحرف الواردة في متن تحفة الاطفال معرفة الأحـــرف التي يكتسبها المتعلّمون وأثرها في إثراء الزاد اللغوي عندهم

1) حروف المقدّمة

الحرف	عدد تكرار الحرف	الحرف	تكرار الحرف	الحرف	تكرار الحرف
الياء	9	اللام	29	الحاء	3
الرّاء	2	الألف	29	الدال	2
الواو	15	الجيم	3	النون	9
الزاي	1	التاء المربوطة	3	اليـــــــاء	3
الصاد	1	التاء المفتوحة	4	العين	2
الظاء	1	الغاء	1	الطاء	2
الباء	4	السين	2	الثاء	1
الذال	2	الهاء	4	الشين	1
الكاف	1	الميم	15	الفاء	4

2) **حروف موضوع الساكنة والتنوين**

الحرف	عدد تكرار الحرف	الحرف	عدد تكرار الحرف	الحرف	عدد تكرار الحرف
الواو	2	الثاء	1	السين	1
الغاء	2	ألف	4	الكاف	1
النون	4	الشين	1	اللام	1
الميم	4	الدال	3	الحاء	1
الراء	1	الثاء	1	الباء	1
الفاء	1	التاء	1		

3) حروف موضوع أحكام الميم الساكنة

الحرف	عـــدد تكـــرار الحرف	الحرف	عـــدد تكـــرار الحرف	الحرف	عـــدد تكـــرار الحرف
الواو	12	الألف	45	السين	4
الميم	12	النون	4	الكاف	2
الياء	9	التاء	7	الجيم	3
القاف	4	الهاء	8	الحاء	4
الباء	9	الفاء	11	الثاء	6
اللام	22	الذال	1	الضاد	1
الطاء	2	الصاد	1	الخاء	3
الغاء	3	الشين	2	الألـــــــف المقصورة	3
الدال	6				

4) حروف موضوع حكم لام أل ولام الفعل

الحرف	عـــدد تكـــرار الحرف	الحرف	عـــدد تكـــرار الحرف	الحرف	عـــدد تكـــرار الحرف
اللام	16	القاف	9	الميم	17
الألف	27	الباء	6	الظاء	3
الألـــــــف المقصورة	1	الفاء	6	الراء	14
الحاء	5	الواو	10	التـــــاء مفتوحة	3
النون	8	الهاء	9	التـــــاء المربوطة	4

العين	13	الجيم	1	الطاء	2
الشين	3	الكاف	2	الصاد	2
الخاء	3	ضاد	1	الذال	1
الهمزة	1	الزاي	2	الياء	7

5) حروف موضوع إدغام المثلين و المتقابلين والمتجانسين

الحرف	عـــدد تكـــرار الحرف	الحرف	عـــدد تكـــرار الحرف	الحرف	عدد تكـــرار الحرف
الألف	37	الياء	11	التاء	7
النون	14	اللام	16	الواو	8
الفاء	15	الصاد	4	الميم	10
الخاء	4	القاف	9	الباء	3
الراء	9	الثاء	3	الدال	1
الجيم	3	الهاء	2	السين	2
الغاء	1				

6) حروف موضوع أقسام المدّ

الحرف	عـــدد تكـــرار الحرف	الحرف	عـــدد تكـــرار الحرف	الحرف	عـــدد تكـــرار الحرف
الواو	28	العين	5	الدال	4
الصاد	2	الطاء	2	الباء	12
الراء	9	الميم	11	القاف	5
السين	8	الياء	19	الجيم	3
الألف	29	الفاء	13	الغاء	1
الام	20	الهاء	7	الزاي	3
الكاف	8	النون	9	الثاء	2
الحاء	6	الضاد	1	الشين	1

7) حروف موضوع أحكام المدّ

الحرف	عـــدد تكـــرار الحرف	الحرف	عـــدد تكـــرار الحرف	الحرف	عـــدد تكـــرار الحرف
الام	20	الميم	17	الدال	30
الحاء	1	الكاف	7	الخاء	1
التاء ة	2	الياء	5	الألف	30
التاء ت	4	الصاد	5	الثاء	4
الهاء	4	الضاد	1	الواو	19
الجيم	5	الباء	7	الزاي	6
السين	3	العين	3	القاف	3
الطاد	1				

8) حروف موضع المدّ الازم

الحرف	عـــدد تكـــرار الحرف	الحرف	عـــدد تكـــرار الحرف	الحرف	عدد تكرار الحرف
الألف	65	الزاي	2	الراء	17
القاف	9	الدال	11	الباء	13
السين	9	الياء	24	العين	9
الميم	24	الهاء	14	التاء ت	11
الكاف	9	الثاء	9	الطاء	5
الحاء	17	الصاد	8	الغاء	2
الفاء	18	الجيم	6	النون	12
الذال	4	الخاء	3	الشين	3

9) حروف موضوع الخاتمة

الحرف	عـــدد تكـــرار الحرف	الحرف	عـــدد تكـــرار الحرف	الحرف	عدد تكرار الحرف
الواو	4	الألف	16	الهاء	5
التاء	8	النون	5	العين	4
الجيم	11	الظاد	1	الباء	6
الذال	2	الام	12	الدال	3
الياء	4	الرّاء	3	الشين	1
القاف	2	الثاء	1	الصاد	2
السين	2	الخاء	2	الحاء	2
الكاف	3				

الملاحظ حجم الحروف المتكررة في الأرجوزة، ومنه نستشف مدى إسهام التحفة في تثبيت الحروف الهجائية التي يتعلّمها الصبيان في البداية، ثمّ إنّ الحروف ترتبط بخصائص اللغة العربية فيتعلّم الطلبة والهمس والجهر والشدّة والرخاوة والاستعلاء والقلقة والتفشيّ والغنّة، ومنه يكتسب لغة عربية فصيحة. خصوصا وأنّ متن أرجوزة تحفة الأطفال كان يدرّس في الغالب في شكل حلقات سماعية مع إعطاء لحن لأبياتها فتتحفزّ الذاكرة ويثب الحفظ لدى المتعلّمين.

المعاني القرآنية الواردة في التحفة: توّضح الجداول الواردة المعاني القرآنية الواردة في التحفة، والغرض من ذلك الاطلاع على حجم المعاني القرآنية التي يتعلّمها الصبيان من أبيات التحفة، وهي في الأساس كما سبق ذكرها آنفا أنّ متن تحفة الأطفال نظمه الجمروزي لتسهيل تلّقي أحد علوم القرآن وهو علم التجويد.

الموضوع	المعانى
المقدمة	حمد الله، الصلاة على الرّسول، الاعتراف بفضل المعلّم، الدعاء بنيل الثواب
النون الساكنة والتنوين	الإظهار، الإدغام، الإقلاب، الإخفاء
الميم والنون المشدّدتين	الغنّة
أحكام الميم الساكنة	الإخفاء الشفوي، الإدغام الشفوي، الإظهار الشفوي
المثلين والمتقاربين والمتجانسين	المثلان، المتقاربان، المتجانسان، المتباعدان
لام ال ولا الفعل	لام الحرف، لام الاسم، لام الفعل، اللام القمريّة، اللام الشمسية
المد	المتصل، المنفصل، البدل، العارض للسكون، اللازم

وكلّ معنى وارد في التحفة من المعاني الآنفة الذكر يحتاج في حدّ ذاته لشروحات وتفسيرات، وهنا تكون الفرصة متاحة للمتعلّمين من الأطفال للتمكنّ من العلوم القرآنية فتصّح قراءتهم من جهة ومن جهة أخرى تنمو فيهم روح الإطلاع على ماوراء هذه المعاني.

خاتمة: بعد عرض عناصر البحث الموّضحة في بداية بالبحث والدراسة توّصلت إلى مايلي:

1. الكتاتيب قاعدة التعليم العربي وهي تمثّل المرحلة الأولى والأساسية لتعليم الأطفال ولأبالغ ان قلت أنّها هي من أسهمت في غرس روح التعلمّ وحبّ الدراسة عند الأطفال ، عكس حالنا اليوم أين أصبحت المدرسة مكانا لحراسة الأطفال وفقط .

2. ضرورة الرّجوع إلى المنظومة التعليمية التي كانت سائرة في الكتاتيب موازاة مع العلوم الحديثة فعندما تخّلينا عن الكتاتيب والمدارس القرآنية، تراجع المستوى التعليمي وابتعد الأطفال عن القرآن فلاغرابة فيما نشاهده اليوم من مشاكل يعاني منها الآبناء من أبنائهم، في حين أنّ هذه المشاكل لم يرد في الأثر ذكرها وهذا راجع للتنشئة

الصحيحة وحرص الآباء على تعليم أبنائهم القرآن الكريم وحفظه فيحصل له باقي العلوم.

3. حفظت الكتاتيب مكانة اللغة العربية وشجعّت على تحصيل علومها، فتحفة الأطفال مثال يمثّل قطرة من فيض، ذلك أنّ الكتاتيب كانت تعلّم الأطفال النحو والصرف والشّعر فيصّح بذلك لسان الطفل، ويصبح يتكلّم اللغة العربية بسلاسة وطلاقة، وهذا ماينقص أطفالنا اليوم فعند مشاركتهم في بناء التعلّمات في المدرسة أغلبهم يتكلّم بالدراجة، وعذره في ذلك أنّ العربية الفصحى صعبة ومن التخلّف التحدّث بها؟!! فكيف وصل المتمدرس إلى هذا التفكير؟. الاجابة لاتحتاج لتفكير عميق، التخلّي عن القرآن والدراسات القرآنية سبب مباشر في ذلك، وحجة القائمين على التعليم اليوم هي مواكبة الحضارة الغربية، لكنّ النتيجة أن تاهت الشعوب العربية بين الحضارتين الاسلامية والغربية، غير أنني لم أصادف أو أسمع بدول أوروبية تخلّت عن لغتها في سبيل التطوير و التحضّر، فلم نحن نتخلى عن قرآننا وعربيتنا؟.

4. تعتبر متن تحفة الأطفال من الأرجوزات الشعرية المعتمدة في الكتاتيب، وبعد عرض محتوى التحفة من خلال الجداول الإحصائية من حيث الكلمات و الأحرف والمعاني التي تضمّنتها، تظهر أهمّية الأرجوزة في إثراء الزاد اللغوي لدى الأطفال لذلك نجد أنّ المتعلّمين آنذاك وفي سن مبكرّة حافظين لكتاب الله متمكنين من اللغة العربية وآدابها ، يجيدون الفنون الأخرى على نحو الحساب و الشعر، مسترسلين في الكلام، يملكون ذاكرة قوّية تسمح لهم يتخزين ماحفظوه من قرآن كريم، وألفيات ومنظومات شعرّية وغيرها.

5. كما يقال العبرة بالنتائج، من هذا المنطلق يمّكن التخفيف من حدّة المتعصبين ضد التعليم القرآني والعربي معتبرين أنّ ذلك من أسباب التراجع والتخلّف، فبم يفسّروجود العلماء الذين يزخر بهم الوطن العربي والعالم الاسلامي على حدّ سواء والذين كان تعليمهم الأوّلي في الكتاتيب.

6. أثبتت الكتاتيب نجاعتها في ترسيخ علوم اللغة العربية خاصة للمبتدئين الذين يتعلّمون حروف الهجاء والخط العربي، والاعراب وبعض النحو وشيئا من البلاغة وبطريقة مبسّطة، جعلت الأطفال يحبون اللغة العربية ويهتمون بها لذلك برعوا فيها وهذا مانعاني منه اليوم في مدارسنا خصوصا اللغة العربية التي أصبحت البرامج فيها كثيفة ومعقدّة ولاتراعي الفئة الموّجهة لها، عكس ماكان رائجا في الكتاتيب فالبرامج التعليمية كانت مسايرة لسن الأطفال وقدراتهم على الاستيعاب ومثال على ذلك تحفة الأطفال التي برع الجمزوري في نظمها، فأسهم بذلك في تعليم الأطفال علم تجويد القرآن بأبسط الطرق.

7. وأخيرا وليس آخرا، أصبح أمر الإهتمام بالقرآن الكريم وعلومه أكثر من ضروري، اضافة إلى اعادة النظر في المنظومة التعليمية في المدارس الابتدائية التي أصبحت تشّكل عبئا على المعلّم والمتعلم معا، وبالتحديد برامج اللغة العربية ومايقاربها من علوم.

الهوامش:

1. رضا، أحمد، **معجم متن اللغة**، دار مكتبة حياة، بيروت، 1960، ص 18،ج5.
2. الجوهري، إسماعيل بن حامد، الصحاح،دار العلم للملاين، مصر، 1990، مادة الكتب.
3. بوغدّة، حسن، **دور الوقف في تعزيز التقدّم المعرفي**، منشورات الجامعة الاسلامية السعودية 2007،ص 201.
4. بن دهيش، عبد اللطيف، **الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما**، مكتبة النهضة الحديثة مكة،1986، ص 11.
5. بكراوي، عبد العالي، **دور المدارس القرآنية والكتاتيب في الحدّ من ظاهرة العنف** أبحاث الملتقى الوطني الرابع حول دور التربية في الحدّ من ظاهرة النعف، مخبر الوقاية جامعة الجزائر،2011، ص 211.
6. السهيلي، أبوالقاسم، **الروض الأنف في شرح السيرة النبوّية لابن هشام**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2000،ص 135،ج3
7. زيريوخ، عبد الحق، **المدرسة والكتاب وأصولهما اللغوية والتاريخية** ،مجلة التراث العربي ع 9،اتحاد الكتّاب العرب، دمشق،2004، ص 108.
8. الجابري، خالد، **الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر الملوكي، رسالة لنيل درجة الماجستير في الحضارة والنظنم الاسلامية**، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية جامعة أم القرى، السعودية 1993، ج2، ص 308.
9. ضيف، شوقي، **تاريخ الأدب العربي عصر الدول والامارات**، دار المعارف، القاهرة، دت ص 392.
10. ولدابّاه، مختار، **تاريخ القراءات في المشرق والمغرب**، منشورات المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم الثقافية، سحب مطبعة بني إزناسن، المغرب، 2001، ص 14
11. الغزّي، نجم الدين، **الكواكب السائرة باعيان المائة العاشرة**، دار الكتب العلمية بيروت 1997 مج1، ص 234.
12. الشاهري، زاخم، **الحضارة العربية الاسلامية في المغرب في العصر المريني**، مركز الكتاب الأكاديمي، الموصل، 2015، ص 167.
13. طلس، أسعد محمد، **التربية والتعليم في الاسلام**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة القاهرة 2014، ص 69

14. الطراونة، محمد مبارك، **الحياة الاجتماعية في بلاد الشام في عصر المماليك الشراكسة**، دار جليس الزمان، الأردن،2010، ص 165.

15. بن بوغزالة، محمد رشيد، **الكتاتيب و الرباطات منارات تعليم القرآن والعربية في بلاد المغرب الأوسط الحقيقة و المنهج**، أبحاث المؤتمر الثاني لتطوير الدراسات القرآنية، جامعة الملك سعود الرياض، 10-14 1436ه، ص 278.

16. عويس، عبد الحليم، **دولة بني حمّاد صفحات رائعة من التاريخ الجزائري**، دار الشروق الجزائر، 1980، ص 250.

17. بن بوغزالة، مرجع سابق، ص 289

18. بن بوغزالة، نفسه، ص 292.

19. بردي، صليحة، **الممارسة التعليمية في الجزائريأثناء الحكم العثماني**، مجلة الذاكرة،ع 11 مخبر التراث اللغوي في الجنوب الشرقي ، الجزائر، 2018، ص 129.

20. الوزاي، حسن، **وصف إفريقيا**، ترجمة: محمد حجابي،محمد الأخضر، دار الغرب الاسلامي بيروت، 1983، ص 19

21. زوزو، عبد الحميد، **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر**، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، دت، ص 209.

22. ابوالقاسم، سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1998 ص 37 ج#.

23. الكتّاني، عبد الحي، **التراتيب الإدارية**، تحقيق: عبد الله الخالدي، دار الأرقم بن أبي الأرقم بيروت، ط2،ج2، ص 191.

24. ابن سحنون،محمد بن عبد السلام، **آداب المتعلمين**، تحقيق: محمود عبد المولى الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981، ص80.

25. درويش، عبد الستار، **الإمارة الغورية في المشرق**، دار الأسر للإعلام، دار الثقافة للنشر دمشق، 2018، ص 537-583 نقلا عن ابن خلدون.

26. الكتاني، مرجع سابق، ص 199.

27. ابن سحنون، مرجع سابق، ص 44.

28. شاعري، محمد، **المختصر المفيد في قواعد التجويد**، دار الفكر للطباعة، دار المعرفة بيروت المغرب، 2002، ص 21.

29. العومري، عبد الحميد، **التعليم الابتدائي في الجزائر بين المدرسة الفرنسية والكتاتيب القرآنية** مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، ع 8، جامعة حمّة لخضر، وادي سوف ص 258.

30. الصاعدي، سلطان، **المنهج التربوي في تعليم القرآن الكريم وعلومه للصغار**، أبحاث المؤتمر الثاني لتطوير الدراسات القرآنية، جامعة الملك سعود، الرياض، 10-14 1436ه ص118.

31. ولد ابّاه، مرجع سابق، ص 188.

32. ابن سحنون، مرجع سابق، ص 69.

33. الشمرّي، سالم، **تطور أساليب التدريس في العصر العباسي الاخير و أثره على أساليب التدريس الحديثة**، مجلة المستنصرية،ع 59، كلّية الرشيد الجامعة، العراق، ص 82.

34. حمودة، عبد الحميد، **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي**، دار الثقافة للنشر، القاهرة 2007 ص 175.

35. تركي، رابح، **التعليم القومي والشخصية الوطنية**، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر 1981، ص20.

36. تراري، مختارية، **التعليم بالكتاتيب القرآنية بالجزائر في منظور الدراسات النفسية والتربوية المعاصرة**، مجلة انسانيات، ع 14-15، مركز البحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران ماي 2001، ص 7.

37. القابسي، أبو الحسن، **الرّسالة المفصلة لأحوال المتعلّمين وأحكام المعلمين والمتعلمين** دراسة وتحقيق: أحمد خالد، الشركة التونسية للتوزيع، 1986، ص 98.

38. ابن خلدون، عبد الرحمان، **مقدمة ابن خلدون**، تحقيق: علي عبد الوافي، القاهرة 1962 ص 573.

39. فندا، نوح، **دور المدارس القرآنية (الكتاتيب) في صيانة الرسم العثماني بالخط المغربي في ولاية هوسا**، مجلة ذخائر،ع4، مركز فاطمة الفهرية للابحاث و الدراسات مفاد، 2018، ص 48.

40. مجموعة مؤلفين، **المناهج التربوية و التعليمية في ظل الفلسفة الإسلامية والفلسفة الحديثة** منشورات المعهد العالي للفكر الإسلامي، الجمعية العربية للتراث الإسلامي القاهرة، 1990، ص 23.

41. شريفي، فاطمة، **المدرسة القرآنية ودورها في تعليم القراءة**، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر تخصص علم اجتماع تربوي، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة مستغانم، 2017-2018 ص 24.

42. كروش، حزية، **التنشئة الروحية للطفل الجزائري في الكتاتيب**، مجلة رسالة المسجد ع2 وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 2018، ص68.

43. البهاوي، إلياس، **إمتاع الفضلاء بتراجم القرّاء فيما بعد القرن الثامن هجري**، دار الندوة العالمية

44. غازي، حسن، **فتح الأقفال شرح تحفة الأطفال في علم التجويد** للجمزوري، منشورات جامعة بابل، العراق، 2010، ص 3.

إسهام الكتاتيب في تلقين الأبعاد الدينية واللغوية للناشئة وترسيخ سمة الانتماء

داه. سهيلة ناجوي
جامعة محمد بوضياف، المسيلة

ملخّص: تتمتع الكتاتيب بمكانة قيمة في الحياة الاسلامية؛ لأنه الملاذ الذي يتعلم فيه النشء القرآن، ومبادئ الدين وعلوم اللغة وكذا القراءة والخط وأسس الحساب، ومنه الرعاية العلمية والاجتماعية التي تضمن الإحاطة بالدين والقيم الأخلاقية، وغياب الكتاتيب يستدعي دق ناقوس الخطر؛ لأن من مميزات التعلم في الكتاتيب الاهتمام بالآداب الاجتماعية الصالحة لتكوين الشخصية السوية، وكذا اكتساب أفصح التراكيب اللغوية إثر حفظ القرآن، وإتقان قواعد النحو والصرف بحفظ الألفية، ناهيك عن الزخم المفرداتي والسعي إلى محاربة الأمية، والحفاظ على الهوية العربية، وتنمية ذكاء الفرد وتعزيز قدراته، والتخلص من ركاكة اللغة والأخطاء الإملائية عنده، لذا تعد الكتاتيب هي الحل الأنجع لحماية الأجيال الصاعدة، وصون هويتهم وثقافتهم العربية الاسلامية واللحاق بركب الحضارة.

ولهذا فإن هذه المداخلة ستحاول الإجابة على **الإشكالية** التالية:

– كيف يمكن الحفاظ على الكتاتيب لتحصين الناشئة وتثبيت الثقافة الدينية واللغوية؟

ومحاصرة لهذه الإشكالية، ستكون محاور هذه المداخلة كالآتي:

– المحور الأول: الكتاتيب وأسباب نشأتها؛

– المحور الثاني: شروط المعلم ومكانته؛

– المحور الثالث: المتعلم وشروط انتمائه؛

– المحور الرابع: مكان الكتاتيب ومنهج الدراسة؛

– المحور الخامس: دور الكتاتيب وأهميتها.

المداخلة:

المحور الأول: الكتاتيب وأسباب نشأتها

تعريف الكُتَّاب:

لغة: جاء في لسان العرب في مادة: "كتب" «والكتّاب: موضع تعليم الكتّاب والجمع الكتاتيب والمكاتب، والكتّاب: سهم صغير مدور الرأس يتعلّم به الصبيّ الرّمي، وبالثاء أيضا، والتاء في هذا الحرف أعلى من الثاء»[1]

لذا فإن كلمة كتّاب هي مفرد للكتاتيب التي هي مكان تدريس القرآن وتعليم الصبيان.

اصطلاحا: أما بالنسبة لمفهوم الكتاتيب اصطلاحيا، فإن «الكتّاب هو المكان الذي يتلقى فيه التلميذ دروسه الأولى، وتربيته الأساسية على يدي الطالب؛ أي الشيخ الذي يقوم بتلقين مبادئ القراءة والكتابة، مع تحفيظ القرآن الكريم على ظهر قلب، كما يطلق عليه أسماء عديدة كالجامع والشريعة والمحضر....إلخ، أما هيكله عبارة عن حجرة واحدة أو حجرات ملتصقات بمسجد أو زاوية، كان يطلق على التلاميذ المجتمعين حول أستاذهم لتلقي العلم "حلقة"»[2]، ومنه فإن الكتاتيب هي المدرسة الأولى للتلميذ قبل ولوجه للمدرسة الحكومية، وبها يتعلم أسس الكتابة والقراءة والدين.

إن الكتّاب وهو مكان تلقي العلم وتلقينه، وكذا حفظ القرآن والحديث ومبادئ الدين والأخلاق، وتعلم الأطفال للقراءة والكتابة، ويدير الكتاب معلم يسمى بعدة تسميات منها: **المؤدب** أو**الفقيه** أو**الشيخ**، وينوب عن المعلم إثر غيابه شخص يدعى **بالعريف:** وهو أذكى تلامذة المعلم. وعليه فإن الكتاتيب تسهم في غرس المبادئ الفاضلة[3].

تعتبر الكتاتيب المنبر الأساس الذي يُستمد منه تعاليم الدين الإسلامي بكل فروعه وتشريعاته، فهو الحلقة الشاملة التي تمثل كل أسس وقواعد ومفاهيم القرآن الكريم والتي يرتوي منها كل مسلم.

أسباب نشأة الكتاتيب: لقد نشأت الكتاتيب مع بداية نشوء الدولة الاسلامية في القرن الثاني(2) الهجري، حيث نجد بوادر ذلك في الرواية التي ذكر فيها النبي ﷺ، أن يجعل

فداء بعض من أسرى بدر من الفقراء تعليم الواحد منهم عشرة من الغلمان الكتابة فيطلق سراحه كمقابل لذلك. كما لم تقتصر دور الكتاتيب في تعليم الأطفال بل شمل الأميين من الكبار أيضا، فقد ذكر الإمام البخاري أن أصحاب النبي ﷺ قد تعلموا في كبر سنهم، كما انتشرت الكتاتيب أيضا في عهد عمر بن الخطاب الذي أمر بذهاب الأطفال إلى الكتاتيب عدا يوم الجمعة، الذي يعد راحة لهم ولغيرهم ممن يشتغلون في دواوين الدولة، وكذا إلزام الكبار بالتعلم بسن قوانين صارمة، بوضع من يختبر تعلم المارة من الناس، ومن وُجِد غير متعلم عليه الالتزام بالدراسة في الكتاتيب.[4]

كانت الكتاتيب أمرا مهما بعد مجيء الإسلام وضرورة ملحة؛ لأنها أسهمت في نشر تعاليم الدين الحنيف، وقضت على الأمية بتعليم الكتابة والقراءة وقبل كل هذا وذاك أسهمت في نشر الأخلاق الحميدة، والخصال النبيلة بين صفوف المتعلمين.

لقد دعت الحاجة لإنشاء الكتاتيب حفاظا على نظافة المساجد، وهدوئها من شغب الأطفال، وقد كثر انتشارها في عهد الاستدمار الفرنسي؛ حماية للهوية الوطنية فهي رمز للتعليم القرآني.[5]

وكانت الكتاتيب تتسم بالترتيب والانضباط، الذي يفرضه المعلم على المتعلم لوصول الرسالة التعليمية وبلوغ الهدف المنشود من إنشائها.

المحور الثاني: شروط المعلم ومكانته

شروط المعلم: يتمتع المعلم في الكتاتيب بشخصية فذة تساعده في نجاح الأهداف العلمية للحقة، وينبغي للمدرس أن تتوفر فيه جملة من الشروط الذاتية، المتعلقة بالسلوك والأخلاق، كأن يكون ذا عقيدة إسلامية سليمة بحيث يلتزم بالفرائض والسنن ويجتنب المحرمات ويراقب جل تصرفاته، كما عليه توسيع مداركه، وأن يتصف بالحلم والتواضع، إذ على المعلم أن يتمسك بدوافع التدريس المتمثلة بالاقتداء بالنبي ﷺ، ونشر القرآن وتعليمه[6].

فالمعلم قدوة لتلاميذه لذا يجب أن يكون بأحسن صورة في نظرهم ليجعلوه مثلهم الأعلى.

كما عليه أن يتصف بشخصية واحدة داخل وخارج الحلقة، وأن يكون زاهدا في الدنيا محافظا على وقته، بمساعدة الناس وعدم انتظار الشكر منهم أو مقابل مادي؛ لأن هذا ينقص من قيمته. وعليه أن يتصف بالرزانة وامتلاك نفسه عند الغضب وأن يحسن الجلوس وسط تلاميذه بوقار واحترام، كما يجب أن يلتزم المعلم بجملة من الشروط الشكلية: منها السلامة في النطق، وأن يكون حسن المظهر، نظيف البدن ملتزما بشروط اللباس الشرعي، مستخدما السواك والطيب، كما أن عليه أن تتوفر فيه عدة شروط مهنية، كإجادته للتلاوة وحفظه لقدر كبير من القرآن، واستعداده التام لمزاولة التدريس، وأن يعرف مستوى تلاميذه وشخصياتهم، وأن يكتسب محبتهم بقوة شخصيته وطيبته ،كما أن على المعلم أن يكون ملما بطرق التدريس وكيفية الإلقاء وكذا عليه تجنب الغياب، لذا وجب عليه أن يدخل للحلقة وهو مستعد نفسيا وجسديا وزمنيا وعلميا.[7]

ومنه فإن هذه الشروط واجب توفرها كي يحسن التحكم في سير أمور الحلقة وتعليم التلاميذ أحسن تعليم، وتنشئتهم على قيم وسلوكيات صالحة قصد تجسيدها في حياتهم اليومية.

مكانة المعلم: كما أن للمعلم مكانة إجتماعية تختلف باختلاف الزمن، ففي العهد الإسلامي كان له مكانة مميزة فهو المصلح التربوي ذو المكانة المرموقة والنسب المعروف، والملجأ الوحيد للمجتمع لتعليم أبنائهم أحسن تعليم، فأطلق عليه لقب: الشيخ الرحلة، والإمام، والفقيه، كما لايخفى على ذي نظر أن درجة المعلم في الكتاتيب أقل مكانة من معلمي المساجد والفقهاء، نظرا لأنهم على قدر كبير من العلم والثقافة، وعليه كان للاسلام دور في الرفعة من مكانة المعلم من خلال تقديسه للعلم والعلماء، والحث على طلب العلم، وأن المعلم بمثابة الرسول المبلغ للرسالة، كما اهتم الحكام والأمراء بشريحة العلماء ومنهم المعلمين وتنافسهم في ذلك، أما في العهد العثماني فبقيت مكانة المعلم كما هي رغم قلة التشجيع؛ لكن نظرا لصعوبة العيش وقلة الدخل الذي يتقاضاه نجد أن معظمهم قد بدأ يتخلى عن مهنة التعليم؛ لأنها لا تسد حاجاتهم، وبالرغم من ذلك

إلا فأن المعلم كان محل تقدير الأهالي وثقتهم، فكانوا يلجؤون إليه عند الفتن والمشاكل: كمثل عبد العميد بن باديس وغيره، أما خلال الاستدمار الفرنسي تدهورت مكانة المعلم؛ لأنها حاربت المعلم ودمرت مراكز العلم بشتى أنواعها، أما بعد الاستقلال في مراحله الأولى فقد تحسنت أوضاع المعلم من علو مكانته ووضعه المادي، ونال ألقابا أخرى منها سيدي، الشيخ، الطالب[8].

تذبذبت مكانة معلم الكتاتيب بحسب الحقبة الزمنية، والحالة السياسية التاريخية وكذا ثقافة العصر، ورغم كل هذا إلا أن المعلم يبقى أهم عضو فاعل في إنتاج جيل واع مفعم بالإجتهاد وروح المسؤولية.

أما في المراحل الأخيرة فقد المعلم مكانته بسبب تدخل الدولة في شؤون التعليم وكذا في إعداد المحتوى وسن القوانين التي قيدت المعلم وأثرت على مكانته، فمن العوامل المؤثرة أيضا نجد أن التكوين التربوي للمعلم وعلاقته بطلبته، ومعرفته لخصائصهم عامل مهم في ثبات مكانته، وكذا العوامل الاجتماعية من علاقات داخل الحلقة وخارجها، فهو مصلح اجتماعي إضافة إلى التأهيل الديني بغرس القيم داخل التلاميذ والتأهيل العلمي بثقته بنفسه إثر إتقانه للمادة العلمية ،إضافة إلى التأهيل النفسي واتزانه كما أن من أسباب انحطاط مكانة المعلم أنه لم يعد المصدر الوحيد للمعرفة، فأصبحت تنافسه وسائل التكنولوجيا المتطورة.[9]

لقد أصبح المعلم بتقدم الأجيال وتطور الزمن والتكنولوجيا، مصدرا ثانويا في تلقي العلم، بحيث نافسته عدة أمور منها الانترنت والكتب الورقية والالكترونية والتعلم عن بعد من خلال الفيديوهات، ومواقع التواصل الاجتماعي وما إلى ذلك

المحور الثالث: المتعلم وشروط انتمائه

المتعلم: تضم الكتاتيب ما بين عشرين إلى ثلاثين شخصا، كما أن من النقاط الهامة الواجب تسليط الضوء عليها، هي السن المناسبة للمتعلم وأنها تدور حول سن الرابعة إلى السابعة.

«وينقل محمد أسعد طلس قولة لابن الحاج العبدري في هذا الموضوع فيقول: قال ابن الحاج العبدري: وينبغي له (أي المعلم) أن يتمثل السنة في الإقراء، ومن جملة ذلك أن السلف الماضيين –رضي الله عنهم– إنما كانوا يقرئون أولادهم في سبع سنين؛ لأنه في تلك السن يؤمر الصبي بالصلاة وبالآداب الشرعية، فإذا كان الصبي في تلك السن فهو إذن غير محتاج إلى من يأتي به إلى المكتب»[10].

ففي سن السابعة تماما يكون الولد قادرا على التعلم؛ لأن قدرته الاستيعابية أكبر وفهمه للأمور أوضح، وقدرته للحفظ أعمق مما هو عليه الطفل في سن الرابعة وما دون ذلك.

وقد كان الأولياء في الأرياف مثلا هم من يقومون بتثقيف البنت وتعليمها الصلاة والقرآن في المنزل؛ خشية الاختلاط بالذكور «فتعليم البنت أمور دينها مطلوب شرعا وهذا الإمام البخاري يروي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه فيقول: قالت النساء للنبي صلى الله عليه وسلم غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوما من نفسك، فوعدهن يوما لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن»[11].

ومنه على البنت التعلم مثل الولد؛ لأن العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة وليست حكرا على أحد.

شروط انتماء المتعلم: من شخصية المتعلم الخلقية الأمانة والصدق والشجاعة وغيرهما، مما يكتسبه من أقرانه وأفراد مجتمعه ومعلمه [12]. «والأخلاق في خلاصتها تحمل الرذيلة والفضيلة ولا يتيسر الوصول إلى الفضيلة إلا بأمرين: التعليم والقدوة وإذا كانت القدوة لها دورها الفعال في التأثير على المتعلمين، ينبغي بل يجب أن يشترط الصلاح في معلمي الكتاتيب»[13].

يكمن صلاح الكتاتيب في صلاح المعلمين، فهم يمثلون الأخلاق الفاضلة التي يتربى عليها التلميذ، الذي يسير وفق خطى معلمه ويأخذ منه معظم خصاله وأفعاله وسلوكياته.

كما أن من وسائل التشجيع الاحتفال بالختمة؛ أي الوصول إلى سور معينة عند المعلم، وتقدم الهدايا للمتعلم والمعلم، وتقام مؤدبة لهم وهذا ينشر الحماس في التلاميذ الآخرين، أما أنواع العقاب والتأديب نجد منها المعنوي والمادي أيضا: كالعبوس والتأنيب والتوبيخ والزجر أمام زملائه، وكذا الحرمان والضرب الخفيف أو استدعاء الولي[14].

يعتبر عنصر التحفيز في العملية التعليمية من الأمور التي تشعل فتيل الحماس عند التلاميذ، والرغبة في الوصول والتميز والنجاح، وإسعاد الأهل والمعلم.

«أما رأي علماء النفس من المحدثين في العقاب، يلخصه سبنسر في رأيه التالي تحت عنوان: العقوبات التأديبية والجزاء الطبيعي فيقول: فلتكن الملاحظة الصادقة دليل المعلم في كشف هفوات الأطفال، قبل الشروع في اقترافها، ولـيكن النصح والتحذير والإرشاد كافيا في ترغيب الأبناء عنها وبعدهم منها، ولتكن المعصية سببا في فرض العقوبة، ولتكن العقوبة – بقدر الإمكان– وليدة المعصية، ولـتكن العقوبة تتناسب لا مع الجرم فحسب، بل تتناسب كذلك مع طباع المذنب وظروف ارتكاب الذنب، أثر العقوبة المفروضة في تهذيب نفس المسيء، وليكن التنفيذ حازما لا تشوبه هوادة أو تردد، فبهذا نستطيع أن نرى في الجزاء الطبيعي البصير، المثل الأعلى للعقوبات التأديبية الزاجرة، والتي تساعد على نجاح التربية الخلقية»[15].

على المعلم أن يفرض عقوبات على المتعلم تتناسب والخطأ الذي يقترفه؛ قصد تأديبه وتعليمه بأسلوب الترغيب والترهيب؛ كي لا يعود للطريق الخاطئ مجددا.

كما أن هناك من المتعلمين من يأتون من أماكن بعيدة للكتاب؛ قصد التعلم على اختلاف أعمارهم، فتكون لهم حقوق المبيت والإطعام والتعلم، وواجبات الطاعة والتأدب ومساعدة المعلم، كما يسهم أهالي القرية في إعطائهم بعضا من الطعام أو الثياب، وكذا عزيمتهم على مختلف المناسبات، فيقرأ المعلم وتلامذته بعض المدائح الدينية وتلاوة القرآن، كما يتولى التلاميذ غسل ملابسهم، أما عملهم اليومي فهو حفظ

القرآن وبعض نصوص الفقه أو القواعد والمدائح الدينية، والأحكام ومساعدة الفقيه في التعليم والآذان وإقامة الصلاة[16].

على المتعلم أن يقوم بعدة واجبات تفرض عليه حين انتسابه للكتاتيب، وذلك في مقابل تمتعه بحقوقه، ولكي يسير على انضباط مع ما يقره برنامج الكتاتيب.

المحور الرابع: مكان الكتاتيب ومنهج الدراسة

مكان الكتاتيب: كان منزل المعلم قديما هو مكان الدراسة؛ لكن بوجود المساجد تعددت أماكن التدريس فاتخذ معلمو الكتاتيب زوايا المساجد وبعض الغرف المحيطة بها مكانا للكتاتيب، مع الحرص على ملاحظة الطلاب وانضباطهم ومنعهم من العبث وتلويث المسجد أو إزعاج المصلين، وكان التلاميذ يجلسون على الأرض المفروشة بالحصير، وفيها زير ماء أعد لشرب التلاميذ مع وجود أماكن لدورة المياه والوضوء ومكان لتنظيف الألواح من الطين؛ قصد الكتابة فيها من جديد[17].

كان مكان الكتاتيب مكانا بسيطا جدا مقارنة بعظمة الرسالة التي يريد إيلاغها المعلم، لمختلف التلاميذ والأجيال التي تعلمت على يده، إلا أن بساطة المكان لم تمنع من تخريج علماء عظماء من الكتاتيب.

منهج الدراسة في الكتاتيب: أما منهج الدراسة فكانت يبدئ الدراسة من الفجر إلى الضحى، بحفظ الطفل الحروف الهجائية سماعا ثم يشرع في حفظ سورتها ويشكل كتابتها، ثم حفظ السور القصار ثم يستعين بالتكرار أمام معلمه؛ ليتأكد من سلامة نطقه ثم يقوم بكتابة ما حفظه على اللوح، ليعرضه على معلمه للتأكد من هيئة الحروف وسلامتها، ويتم تصحيح الأخطاء متبوعة بقراءة جماعية، ثم تليها مراجعة المكتوب عدة مرات حتى يتم حفظه، والعرض على المعلم بعد صلاة العصر غالبا وهكذا يكرر مع بقية السور حتى يختم القرآن الكريم ثم يعيد حفظه وكتابته، وهو ما يسمى بالسلكة فيبدأ بسورة الفاتحة فالبقرة وهكذا وصولا إلى سورة الناس، وتكون الكتابة بربع الحزب أو نصفه حسب قدرة التلميذ.[18]

لقد اعتمد المعلم في تلقينه أسلوب القراءة الجماعية والتكرير، بالحفظ والاستذكار والاظهار بوسائل شتى، والتطرق لعدة مواد ضرورية وهامة مبرمجة في منهاج خاص، وضعه المعلم للمتعلم؛ قصد تعليمه بأسلوب صحيح.

«ومن الوسائل التعليمية المعتمدة في الكتاتيب نجد: اللوح، الصلصال، القلم الدواة الصمغ، الهجاي»[19]، فللمتعلم لوازم بسيطة متوفرة في البيئة، تساعده في عملية التعلم بمختلف مناهجها وموادها، كما تدرس بهذه الكتاتيب عدة مواد مبرمجة للتلاميذ، نذكر منها باختصار:

الخط: وهو معرفة التلاميذ للحروف الهجائية، مركبة ومنفصلة صوتا وكتابة وبأسلوب وخط واضح وجميل؛

الرسم: إن رسم المصحف هو الوضع الذي ارتضاه عثمان رضي الله عنه، في كتابة كلمات القرآن وحروفه، وللمصحف العثماني قواعد في خطه ورسمه، حصرها علماء فن الرسم في ست قواعد، وهي: الحذف، والزيادة، والهمز، والبدل، والفصل والوصل، وما فيه قراءتان؛

القراءات: وهي علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها، فالكتاتيب تتبع في قراءتها رواية الإمام ورش عن الإمام نافع المدني.

التجويد: وهو تلاوة القرآن بإعطاء الحروف حقها نطقا، من حيث الترقيق والتفخيم والمد وسلامة مخارج الحروف، كما أن للتجويد أنواع منها: الترتيل المتمثل في القراءة على مهل، وحذر وهو الإسراع في القراءة، وتدوير وهو التوسط بين المقامين.[20]

«وقد نبه القرآن الكريم على هذا التجويد وأمر به فقال: "ورتل القرآن ترتيلا"، وقد سئل الرسول صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقال: بينه تبيينا، ولا تنثره نثر الدقل الرقل، ولا تهده هد الشعر، قفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة»[21]؛

القواعد: تدرس قواعد النحو والصرف بالكتاتيب، وقواعد الفرائض وكذا قواعد البلاغة والعروض، وقواعد الإملاء المتعلقة بالرسم القرآني، وقواعد الحساب الذهني

باقتضاب، أما التاريخ والجغرافيا فتذكران عرضا للتسلية، فيذكر تـراجم للشخصـيات والوقائع والمواقع؛

الحفظ: يكون بحفظ القرآن ثم الأحاديث، ثم أبياتا من بردة المديح، أو أبياتا من التجويـد أو الفقه، أو حفظ فقرات من الأجرومية والألفية، وطريقته بالسماع عن طريق الترديـد أي الحفظ والاستظهار، فيتم حفظ سطر أو جزء تلو الآخر حتى يصل إلى آخـر آيـة وهناك طريقة المحو بحيث يمحي المعلم بعض الكلمات، ليلفـت انتبـاه التلميـذ إلـى اكتشافها ثم حفظها، فهناك من يحفظ عن طريق البصر بـالقراءة الظـاهرة الصـامتة وهناك من يحفظ بالقراءة بالجهر بصوت عال، وهناك من يحفظ عن طريق الكتابة.

السيَّر: كدراسة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وسير الرسل الآخرين وكذا سـير الصحابة، ونساء المؤمنين المذكورين في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

التوحيد والعبادات: وهو دراسة صفات الخالق عز وجل، وكذا العبادات التي أمرنـا بها للتقرب منه ونيل رضاه.[22]

يتعلم التلميذ في الكتاتيب عدة مواد منوعة متصلة بالقرآن الكـريم والسـنة النبويـة الشريفة، إضافة إلى تعلم الكتابة ومنه القضاء على الأمية.

المحور الخامس: دور الكتاتيب وأهميتها

دور الكتاتيب: للكتاتيب دور هام في تخريج جيل صالح نافع، يخدم نفسـه وأمتـه ووطنه، ومن هذه الأدوار العدة التي تفيد بها الكتاتيب نذكر منها على سبيل المثـال لا الحصر:

1- تحفيظ القرآن وتعليم مبادئ وأسس الدين الإسلامي؛

2- المحافظة على الإطار العام للشخصية الوطنية، وذلـك بالحفـاظ علـى أهـم مقومات البقاء والاستمرارية للثقافة، والشخصية الوطنية الجزائرية؛

3- ضمان اكتساب المجتمع الحد الأدنى من الثقافة العامة والموحدة، والتـي لهـا تأثير مباشر على بقاء واستمرارية مختلف النظم الاجتماعية الأصلية؛

4- تعليم اللغة العربية التي تعتبر إحدى ثوابت الأمة الجزائرية؛

5- كما عملت هذه المؤسسة على تحصين المجتمع من الاستيلاب إبان فترة 132 سنة من الاستدمار الفرنسي»[23].

تعمل الكتاتيب على إثراء معارف المتعلم، وتزويده بالثقافة الدينية والأخلاقية والاجتماعية، وتعمل على حفظ هويته الوطنية ولغته العربية.

أهمية الكتاتيب: للكتاتيب أهمية بالغة على الفرد المتعلم، لما لها من خصائص مهمة نجمل أهمها فيما يلي:

1- تربية الناشئة على قيم وأخلاق وضرورة احترام الآخر؛

2- تثبيت مقومات الشخصية الوطنية، ومواجهة مظاهر التغريب والقيم التي تسربت مع الاستدمار؛

3- حفظ اللغة العربية وتوثيق الروابط معها؛

4- مقوم من مقومات النهوض المسند إلى التعليم»[24].

تسهم الكتاتيب في حفظ اللغة العربية والمتعلمين من اللحن، وتعلمهم لغة دينهم الحنيف وتنشئهم تنشئة صالحة؛

5- تسهم الكتاتيب في تنشئة الأجيال وتحفيظ القرآن والحديث، والقراءة والكتابة والحساب، والحفاظ على الهوية ومقومات الشخصية الجزائرية، فالكتاتيب تقوم بدور تربوي وتنمية شخصية المتعلمين، نفسيا واجتماعيا وتربويا وعقليا، بحيث تحضرهم للدخول إلى المدرسة.[25]

وعليه فالكتاتيب ذات أهمية بالغة في العملية التربوية، لما تقدمه من خدمات علمية ودينية للمتعلم.

6- تمسك النشء بالقرآن الكريم حفظا واستظهارا، وحسن تلاوة وفق قراءة نافعة والتعود على القراءة الجيدة يجعل التلميذ أكثر قدرة على حسن الحوار والإصغاء فتنمو لديهم قيم التواصل مع الآخرين.

7- تعويد النشء تدبر معاني القرآن الكريم والتعرف على أحكامه، استعدادا للفهم والتطبيق، فمن خلال هذا التدبر يكتسب التلميذ القيم الأخلاقية الإيجابية، التي تجعله عضوا فاعلا وصالحا في المجتمع»[26].

بالإضافة إلى تعلم الفرد القراءة والكتابة في الكتاتيب، يتعلم أيضا علوم دينه ودنياه والقيم والمبادئ الحقة، التي يتصف بها أي مؤمن ينتمي لهذا الدين الإسلامي الجليل.

وختاما: لقد حل الوهن على دور الكتاتيب حتى إنها ألغيت في عدة أقطار عربية وتم استبدال دورها بدور المؤسسات التربوية الحديثة، رغم رغبة العديد من ذوي العقول الراجحة في إعادة الاعتبار للكتاتيب، وتفعيل نشاطها بالتعاون مع المدارس التربوية، في تعليم اللغة العربية الفصحى، والقرآن الكريم، والسيرة النبوية الشريفة وغرس القيم الفاضلة، وتنشئتهم على أخلاق دينية حميدة.

قائمة المراجع المعتمدة:

[1] لسان العرب، ابن منظور، مادة "كتب"، ج1، دار المعارف.

[2]نصيرة بن عومر، المدارس الحرة في الجزائر (1900-1962)، إشراف الأستاذ مبخوت بوداوية، مذكرة ماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، جامعة مولاي طاهر سعيدة 2013، ص19.

[3]ينظر: بكراوي عبد العالي، مرشدي شريف، دور المدارس القرآنية –الكتاتيب– في الحد من ظاهرة العنف، فعاليات الملتقى الوطني حول دور التربية في الحد من ظاهرة العنف، العدد 04 مخبر الوقاية والأرغنوميا، جامعة الجزائر 2، 2011، ص211.

[4]ينظر: حسن عبد الغني أبو غدة، دور الوقف في تعزيز التقدم المعرفي، المؤتمر الثالث للأوقاف بالمملكة العربية السعودية، الجامعة الإسلامية، 1430ه -2009م ص202،201.

[5]ينظر: عبد الحميد عومري، التعليم الإبتدائي في الجزائر بين المدرسة الفرنسية والكتاتيب القرآنية (1880-1914)، جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد 8 ص258.

[6]ينظر: المدارس والكتاتيب القرآنية، وقفات تربوية وإدارية، مؤسسة المنتدى الإسلامي 1417ه ص 13.

[7]ينظر: المرجع السابق، من ص 14إلى ص22.

[8]ينظر: دخان سارة ، صورة المعلم في المجتمع الجزائري – دراسة ميدانية في منطقة سطيف جامعة محمد لمين دباغين سطيف2، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية ماجستير، 2015، من ص 96 إلى ص102.

[9]ينظر: المرجع السابق، من ص 96 إلى ص102.

[10]عبد الرحمن بن أحمد التجاني، الكتاتيب القرآنية بندرومة من 1900 إلى 1977، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص21.

[11]المرجع نفسه ص 23.

[12]ينظر: المرجع نفسه، ص 24.

[13]المرجع نفسه، ص25.

[14]ينظر: المرجع نفسه، ص 26.

[15]المرجع السابق، ص28، 29.

[16]المرجع نفسه، من ص 29 إلى ص 31.

[17]ينظر: عبد اللطيف بن دهيش، الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما، ط1: 1986/1406، ص45، 46

[18]ينظر: عمارة كريمة، حباس صفية، المؤسسات الدينية والتحصيل الدراسي، دراسة ميدانية للمدرسة القرآنية بمدينة مستغانم، ماستر، تخصص علم الاجتماع التربوي، جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم ،2017، ص13،14.

[19]عيسى بن ناصر الدريبي، تعليم القرآن في المؤسسات القرآنية وأثره العلمي والتربوي "الكتاتيب القرآنية في المغرب نموذجا"، ص643.

[20]ينظر: عبد الرحمن بن أحمد التجاني، الكتاتيب القرآنية بندرومة، من ص44 إلى ص 50.

[21]المرجع السابق، ص51.

[22]ينظر: المرجع نفسه، من ص 51 إلى 55.

[23]مختارية تراري، التعليم بالكتاتيب القرآنية بالجزائر من منظور الدراسات النفسية التربوية المعاصرة، إنسانيات، عدد 14- 15 ماي ، ديسمبر 2001، وهران، ص 5.

[24]عمارة كريمة، حباس صفية، المؤسسات الدينية والتحصيل الدراسي، ص17،18.

[25]ينظر: المرجع نفسه ص 37.

[26]المرجع نفسه ص 38

خصوصية نظام التدريس في الزوايا والكتاتيب
(زاوية اسماعيل جوامع في البويرة أنموذجا)

داه. سوهة رومي
جامعة البويرة

ملخص: ترقى الكتاتيب والزوايا بدورها الأساسي في تعليم اللغة العربية بعدة طرق واستراتيجيات متعددة؛ ولذلك تميزت زاوية اسماعيل جوامع باستراتيجية تعليمية لها خصوصيتها وذلك بتفعيل منهجية محددة تتمثل في نموذج التعليم الخاص بالمواد الدراسية. بالإضافة إلى الفرق بين التعليم النشط والتعليم التقليدي في طريقة استيعاب هذه المواد، وفي طريقة حفظ القرآن الكريم.

الإشكالية المطروحة: كيف يحافظ المتعلم على المعلومات والإتجاهات المكتسبة؟ وكيف يكتسبها؟ وكيف يحافظ على ما اكتسبه؟ وكيف يستطيع استدعاءه في الوقت المناسب؟ كيف يسهل ماكتسب على نحو مسبق تعلم شئ جديد؟ وهل للغة القرآن دور في تلك الإكتساب والتعلم؟ وماهو نظام التدريس الخاص في الزاوية؟ وفيم تتمثل خصوصيته؟

الكلمات المفتاحية: التدريس، النظام، الإستراتيجية، الزوايا، التعلم، المنهج.

مقدمة: لقد أكد الإسلام الحنيف العناية التامة بتربية الناشئة الذين هم ربيع الأمة وذخيرتها الثمينة وطاقاتها الكامنة ومصدر عزها وعامل بناء مجدها، تربية فاضلة مستقاة من تعاليم ديننا الحنيف، فبه لا بغيره عزة الدنيا والآخرة.

فمن المساجد والزوايا والكتاتيب تخرج العديد من العظماء أمثال الأمير عبد القادر والشيخ المقراني، وابن باديس، والبشير الإبراهيمي، فهذه الزوايا مؤسسة على تقوى الله ورضوانه، وعلى تعلم مبادئ اللغة العربية.

وتعتمد زاوية "الشيخ اسماعيل جوامع" على منهج محدد لتسيير نظامها بشكل متوازن ولتحقيق نتائج ممتازة، بما أن المنهج يعتمد على ((الركائز الفكرية والنظرية والعقدية))[1]

وفي تعلم اللغة العربية يقوم شيخ الزاوية بمساعدة الطلبة أفرادا بأفضل طريقة ممكنة وسنتعرف على هذه الطريقة في هذه المداخلة، بعد أن نزيل الغموض ونتعرف على زاوية الشيخ اسماعيل جوامع.

أولا: تاريخ نشأة زاوية الشيخ اسماعيل جوامع: تعتبر زاوية الشيخ اسماعيل جوامع منارة تعليمية تابعة لمسجد الأمير عبد القادر بولاية البويرة، وانطلقت الأشغال التوسيعية لهذا المسجد يوم الإثنين 6 مارس 1989م، وتم تدشين هذه الزاوية يوم الأربعاء 01 نوفمبر 1995م عل يد مؤسسها (الشيخ علي ربيع) [2]

وقد حظيت المدرسة القرآنية الى الآن بزيارات والي الولاية، ورئيس الدائرة ورئيس المجلس الشعبي الولائي، ورئيس المجلس الشعبي البلدي، وناظر الشؤون الدينية، كما حظيت بزيارة السيد الفاضل (أبو عبد السلام) سنة 1997م.

وتتمتع الزاوية بنظام داخلي يخص فئة الذكور الذين عمرهم أقل من 18 عاما والأولية لمن مستواه: السنة التاسعة فأعلى، وشهادة حسن السلوك لمن سبقت له الدراسة في أي زاوية أخرى، وأن لا يكون من المدخنين وغير ذلك من السلوك المذموم شرعا وعقلا، وأن يكون مصحوبا بأبيه لأول مرة فإن لم يكن له أب فأقرب الناس إليه.

أما الإناث فلهن يوم أو يومين في الأسبوع يدرسن بنظام خارجي، يتعلمن بنفس طريقة التعليم الخاصة بالذكور، وهن أيضا فئات متعددة لا يشترط القانون الخاص بأعمارهن أو مستواهن الدراسي كما يشترط ذلك في فئة الذكور.

ويتمثل دور الزاوية في تربية وتعليم كل من يأتيها بغير استثناء ولا تمييز، ويتم الاهتمام بتغذيته وإطعامه ومعالجته وتجهيز المراقد والأغطية والألبسة للطلبة، كل ذلك تقدمه الزاوية بالرغم من أن ليس لها أي مدخول مالي يأتيها من وزارة الشؤون الدينية

والاوقاف، وإنما تتكفل الزاوية بكل هذه التكاليف وتتحمل مصاريف الطلبة ومـــايخص المدرسة، من صدقات المحسنين الذين يتبرعون بالمال والأغطيـــة والملابـــس وكـــل مايخص المطعم من مواد غذائية، وجزاهم الله كل خير.

ولكي نتعرف على خصوصية الزاوية في تدريسها للطلبة ومهماتها الكاملة لابـــد أن نتعرف على إستراتيجية التدريس.

ثانيا: استراتيجية التدريس الخاصة بزاوية الشيخ اسماعيل جوامع.

أ_ مفهوم التدريس: يختلف مفهوم التدريس وفقا للفلسفة التربوية التي تـــنظم بهـــا المناهج الدراسية في دول العالم المختلفة والتي غالبا ماينظر إليها من اتجاهين أحـــدهما يطلق عليه الاتجاه التقليدي والآخر يطلق عليه الاتجاه التقدمي. [3]

وهو (مجموعة من الإجراءات والعمليات التي يقوم بها المعلم مع طلابـــه لإنجـــاز مهام معينة في سبيل تحقيق أهداف محددة)[4] معنى ذلك أن المدرس يؤثر فـــي المـــتعلم من أجل تدريسه وتحسين مستواه العلمي

ب_مفهوم نظام التدريس: هو (كيان متكامل أو مجموعة من العناصـــر المتداخلـــة والمترابطة تباديليا والمتكاملة وظيفيا والتي تعمل بانسجام وفق نسق معـــين مـــن أجـــل تحقيق أهداف محددة، وأي تغيير أو تطوير يطرأ على أي عنصر من عناصر النظـــام يؤدي إلى تغيير أو تطوير في غيره من العناصر من حيث عملها ووظيفتهـــا، وربمـــا يؤدي إلى تغيير في النظام ككل)[5]

ج _مفهوم إستراتيجية التدريس: وتعتمد علـــى الوجـــود الفيزيـــائي للمعلـــم، وإذا عوض المعلم بآلة التعليم أو الكمبيوتر؛ تصبح إستراتيجية التعليم بـــدلا مـــن التـــدريس ولكن النظام في الزوايا يعتمد على التدريس لأن وجود المعلم ضروري لذلك فإن هـــذه الإستراتيجية (هي مجموعة من القرارات التي يتخذها المعلم بشأن المحركات المتتاليـــة التي يؤديها أثناء تنفيذ مهامه التدريسية، بغية تحقيق أهداف تعليمية محددة سلفا)[6].

د_ تصنيف نماذج التدريس في الزاوية:

1 _ نماذج التدريس السلوكية: حيث يعتمد هذا النموذج على التعليم المبرمج بتحليل العمليات والتصميم التعليمي وهو عصر "سكنر" وينطلق من المدرسة السلوكية التي تعنى بالتعزيز، والمحاولة والخطأ، والتعلم للإتقان[7]

_ التعليم الإتقاني: وغرضه (إتقان المحتوى الأكاديمي والمهارات العلمية والفنية)[8] وذلك من خلال دراسة أهم المواد الدراسية المبرمجة للتدريس وهي:

_ التعليم القرآني ويتم ذلك بطريقة التحفيظ؛

_ أحكام التلاوة أو مايعرف بأحكام التجويد؛

_ الفقه؛

_ القواعد العربية ويدرس فيها النحو؛

_ الصرف؛

_ البلاغة؛

_ المواريث.

ويهدف هذا التعليم إلى نتيجة مفادها أن الطالب لابد أن يحقق مستوى عال من القدرة على التعلم إذا ما عرضت المادة الدراسية بشكل منظم، وأن تقدم لهم المساعدة كلما واجهوا الصعوبات، وأن يتاح لهم الوقت الكافي لتحقيق ذلك التمكن.

ولكي يتقن المتعلم ماتعلمه ويصل إلى النتيجة المرجوة والمتمثلة في حفظ القرآن حفظا سليما بدون أخطاء وتعلم علوم العربية المذكورة سابقا، لابد من تتبع المراحل الثلاث التي حددها **(بلوم)** وهي:

أولا_ مرحلة الإعداد والتخطيط: وتشتمل هذه المرحلة على الإجراءات التالية:

ويتم ذلك عن طريق تقسيم المقرر الدراسي إلى مجموعة موضوعات، وتحديد الخطة الزمنية لتدريسها. وكذلك تحليل محتوى كل موضوع على حدة، لتحديد عناصره الأساسية، فمادة أحكام التجويد مثلا تدرس برواية ورش عن نافع بطريقة الأزهر ومحتواها النظري يتضمن:

_ القرآن الكريم: تعريفه، فضل تلاوته، آداب تلاوته؛
_ الأحرف السبعة، وحكمة تنزيل القرآن على سبعة أحرف؛
_ جمع القرآن: الفرق بين جمع القرآن ونسخ المصاحف؛
_ منشأ القراءات المتواترة؛
_ أركان القراءة الصحيحة؛
_ حكم التجويد: تعريفه، حكمه، استمداده؛
_ ترجمة الإمام نافع، وترجمة الإمام ورش، وترجمة الإمام أزرق؛
_ اللحن: تعريفه، أنواعه، حكمه؛
_ مراتب التلاوة، الإستعاذة والبسملة؛
_ مخارج الحروف وصفاتها؛
_ أحكام النون الساكنة والتنوين، وأحكام الميم الساكنة؛
_ أحكام اللام الساكنة، وأحكام حرف اللام (في لفظ الجلالة قاعدة الأزرق)
_ أحكام الإدغام (التماثل، التجانس، التقارب، التباعد)؛
_ أحكام الفتح والإمالة؛
_ أحكام المد والقصر (المد الأصلي، المد الفرعي، المد بسبب السكون، المد العارض، والمد بسبب السكون اللازم)؛
_ أحكام الهمزات (الهمز المزدوج، الهمز المثلث، الهمز المفرد، نقل حركة الهمز همزة الوصل وتمييزها عن القطع)؛
– تعريف الوقف وأهميته (أنواع الوقف، الوقف على أواخر الكلم، القطع والسكن)
_ أحكام آيات الإضافة والزوائد؛
_ التحريرات.

وتدرس هذه الأحكام على يد أستاذ متخصص في أحكام التجويد متحصل على الإجازة فمنهم من يدرس فئة الذكور وهو **(الشيخ شاب الله)** ومنهم من يدرس فئة

الإناث وهي **(الأستاذة سمية ربيع)** ويكون درس الأحكام مرة في الأسبوع كيوم السبت مساء أو صباحا لمدة ساعتين.

وهذا المقرر الدراسي يسير به الأستاذ المدرس وفقا لإمكانات استيعاب كل طالب فالدرس الواحد قد يستغرق شهرا أو شهرين أو ثلاثة على حسب محتواه ومدى تمكن الطلبة من فهمه فهما جيدا. وبعدها يختبر كل واحد من هؤلاء الطلبة ومدى تمكنهم من استيعاب وفهم أحكام التجويد. ويكون هذا الامتحان كتابيا يتضمن أسئلة متنوعة ولكي ينجح الطالب في هذا الامتحان لا بد أن لا تكون علامته أقل من 10 على 20.

ثانيا_ مرحلة التنفيذ: في هذه المرحلة ينتقل الطالب من مرحلة الدراسة النظرية إلى الدراسة التطبيقية وتسمى بمرحلة السلكة وفي هذه المرحلة يسترجع الطالب مقرر أحكام التجويد الذي درسه واجتاز فيه الامتحان، ويقوم بتطبيقه على القرآن الكريم ويقرأه قراءة سليمة بالإضافة إلى استخراج هذه الأحكام من آيات القرآن على حدة. وتتم هذه العملية بكتابة هذه الأحكام بقلم الرصاص على هامش كل صفحة من المصحف.

ويجب على الطالب أن يختم القرآن الكريم قراءة سليمة وصحيحة مع اتباع طريقة الوصل، وهي قراءة القرآن الكريم وصلا بمعنى وصل الآيات بعضها ببعض وعدم الوقوف على أواخر الآيات، والغاية من هذه الطريقة هي النطق الصحيح للكلمة الإعرابية، حتى لايخطئ الطالب في رفع المنصوب أو جر المرفوع، وغير ذلك، وهنا تظهر خصوصية الزاوية في تدريسها للطلبة.

وهذه الطريقة المتمثلة في ربط النظري مع التطبيقي (ظهرت في السنتيات من تاريخ تكنلوجيا التعليم "شروط التعلم لجانيه" الذي ربط النظرية بالتطبيق، واختبار الكفايات لأداء المعلمين، وإنتاج الوسائل التعليمية المتنوعة)[9] .

ثالثا_ مرحلة التقويم والمتابعة: وتشتمل هذه المرحلة على الإجراءات التالية:

تطبيق الاختبار النهائي التحصيلي، بعد الانتهاء من تدريس محتوى المقرر الدراسي لهذه المادة، ويكون الاختبار نظريا وتطبيقيا، بمعنى يمتحن الطالب قراءة على يد أحد الشيوخ المتخصصين في أحكام التجويد، ويمتحن أيضا نظريا.

والهدف من هذا الإمتحان هو تمكين الطالب من استيعاب المقرر الدراسي وفهمه فهما جيدا وتحصيله على الإجازة في أحكام التجويد.

2_ نماذج التدريس المعرفية:

تعتمد هذه الإستراتيجية بشكل رئيس على مفاهيم إدراك العلاقات، واستخلاص المبادئ والقواعد والقوانين، وإن الكثير من الظواهر السلوكية لا يمكن تفسيرها إلا بإدراك العلاقات التي تحكم مفاهيمها، وباستقراء القواعد والمبادئ والقواعد والقوانين التي تنظم هذه العلاقات.

وبذلك فإن المنهج المتبع في التدريس في هذه الزاوية يعتمد على **طريقة الاكتساب** من خلال تعلم المفاهيم ودراسة استراتيجيات اكتسابها وتطبيقها؛ ويكون ذلك في مواد أحكام التجويد، والقواعد العربية، والبلاغة. حيث يعتمد النظام هنا على استنباط المفهوم اللغوي والاصطلاحي، وفي مادة الفقه يعتمد على المفهوم اللغوي والشرعي مثال:

في درس المنادى الخاص بقواعد اللغة العربية.

مفهوم المنادى: لغة: دعوة المخاطب للانتباه والاستماع بأي لفظ كان.

اصطلاحا: لدى النحاة هو الدعوة إلى الانتباه والاستماع بواسطة حروف خاصة وهي: يا وأخواتها...

أما المنهج الثاني المتبع هو **المنهج الاستقرائي** وغرضه (تنمية مهارات التصنيف ووضع الفروض واختبارها وإدراك كيفية تكوين أو تشكيل المفهوم، وصوغ تعليمات منطقية)[10] ويهدف هذا المنهج إلى تدريب الطالب على جمع المعلومات وفحصها وفرزها، وتنظيمها في مفاهيم ذات خصائص مشتركة.

فمثلا عندما يقدم الأستاذ درسا في قواعد اللغة العربية، فإنه يكتب في السبورة الأمثلة ويشارك الطلبة في الإجابة عن الأسئلة واكتشاف الاختلاف بين الجزئيات وربطها بالكل، وبعدها يطلب الأستاذ من الطلبة أن يكتبوا الدرس في دفاترهم.

مثال تطبيقي مختصر لدرس علامات الاسم في مادة النحو:

يقول ابن مالك في ألفيته:

بالجر والتنوين والندا والـــــــ ومسند الاسم تمييز حصل

وتتمثل هذه العلامات في (الجر، التنوين، النداء، والـ التعريف، ومسند الاسم والتمييز)، ثم نعطي مفهوما لكل علامة على حدة، مثال:

علامات الجر: وهي إما بحرف الجر مثل (خذ كتابك بيمينك) أو بالإضافة مثل (القرآن خير هاد) أو بالتبعية مثل (ساعات الدراسة الجادة مهمة) ونقوم بإعرابها ونستخرج الخاصية المشتركة لعلامات الجر.

وهكذا كل علامة نعطيها حقها من حيث المفهوم والإعراب، وبعدها نعطيها خاصيتها المشتركة وهي أنها علامات الاسم، مع إعطاء أمثلة بسيطة أو أبيات شعرية أو آيات قرآنية يمكن إعرابها لتبسيط المفاهيم وإزالة الغموض، وفي نفس الوقت نعطي فرصة للطالب بأن يفكر في أمثلة مناسبة فيها علامة أو اثنين أو ثلاث من علامات الاسم.

ونقصد بالتفكير هو **تدريس التفكير** ومساعدة الطلبة على التفكير من خلال (تشجيع المعلم للطلبة على طرح الأسئلة حول المعلومات والأفكار المعروضة ومساعدتهم على كيفية تحديد الافتراضات غير المحددة، وبناء الأفكار والآراء العديدة والدفاع عنها وفهم العلاقات بين الحوادث والأفكار المختلفة)[11]

فالغاية من هذا المنهج تتمثل في استقراء العلاقات بين المفاهيم، وصوغها في جمل تقريرية تعبر عن حكم كلي. وكذلك تدريب الطالب على التفكير الاستقرائي لأنه يمثل الميدان النشط للتفاعل بين الطالب من جهة والبيانات أو المعلومات من جهة أخرى.

ولا يكون هذا التفاعل إلا باستثارة الأستاذ للطلبة ذهنيا من حيث توسيع مدى نظامهم المفهومي، من خلال معالجة المفاهيم السابقة لديهم، باكتشاف الخلفية المعرفية لديهم إن وجدت، وتنميتها، فيطلب منهم تجميع المعلومات وتصنيفها في مجموعات والتعامل معها، حتى يتسنى لهم استقبال معلومات جديدة.

فالمنهج الاستقرائي يعتمد على عملية (انتقال العقل من الخاص إلى العام، أي من القاعدة الجزئية إلى القاعدة التي تحكم كل الجزئيات التي ينطبق عليها نفس القانون أو من المشكلة إلى الحل)[12]

فهذه الطريقة (تجعل المعرفة في أذهان التلاميذ أبقى أثرا "أي تثبتها" وأجدى فائدة "أي استخدامها في الحياة " لأنهم الذين توصلوا إليها بأنفسهم وجهدهم تحت إشراف المعلم)[13]

وبهذه الطريقة تقاس القدرات العقلية للطالب فليس كل الطلبة سواسية في التفكير والتحليل، فكلما اكتشف الأستاذ القدرات العقلية للطالب كلما توقع منه الأفضل ويشجعه بذلك ويساعده على تنمية مهاراته؛ (فهناك ثلاث مهارات عقلية ذات أهمية خاصة: أولا، القدرة التركيبية لرؤية المشكلات بطرق جديدة وللهروب من حدود التفكير التقليدي، ثانيا: القدرة التحليلية لإدراك أي من أفكار المرء تستحق المتابعة وأيها ليست كذلك، ثالثا: القدرة العملية المتوقفة على القرينة لمعرفة كيف تقنع الآخرين بشأن ما)[14]

فاجتماع هذه القدرات الثلاث في طالب من الزاوية سيحقق فعلا إبداعا ويسير في طريق الإبداع، وليس المحافظة فقط على ماتعلمه، لأنه إن بقي متعلما فقط فإنه سيتحول إلى مجتر للمعلومات، وأما إن طور قدراته الإبداعية سيخدم مدرسته ووطنه.

ه_ التعلم النشط: (هو كل مايتضمن قيام الطالب بأنشطة وأعمال تتطلب التفكير والتأمل، حيث إن كل استراتيجيات التعليم النشط دائما ماتتطلب أن يفكر الطالب في كل مايقدم له من معلومات وأن يتأملها)[15]

معنى ذلك أن التعلم النشط عبارة عن إستراتيجية تسمح للطالب بأن يتحدث ويقرأ ويسمع ويكتب ويفكر ويتأمل محتوى المنهج المقدم إليه. على عكس التعليم التقليدي

الذي يجعل الطالب مجرد متعلم يلقن له الأستاذ فقط وهو يأخذ المعلومات ولا يستطيع مناقشتها.

1_ أساليب التعلم النشط: وتتمثل في:

أولا: دور المعلم: متعدد الجوانب فهو الذي **يحافظ على النظام الداخلي للزاوية؛** من حيث أنه يحذرهم من بعض التصرفات التي لا تليق بالإنسان المسلم الذي يجب عليه أن يحب اهله ووطنه والمكان الذي يعيش فيه وينتمي أليه المتمثلة فيما يلي:

_ المادة 29: يحظر على جميع التلاميذ الخروج من الزاوية لأي مكان كان مهما كانت الدواعي والمبررات إلا بإذن خاص من شيخ الزاوية، محافظة على النظام العام وطمأنة أولياء التلاميذ؛

_ المادة 30: كل خروج من الزاوية بغير إذن سابق يعرض صاحبه إلى عقوبة مالية أقلها 300دج ويفصل عن الدراسة: أسبوعا كاملا مالم يتكرر منه الفعل ولا يقبل إلا بإحضار وليه؛

_ المادة 32: لكي يسمح للتلميذ بالذهاب إلى زيارة أقاربه لابد أن يكون مكثه في الزاوية شهرا فأكثر معتكفا على التعلم والتفقه في الدين، وللضرورات أحكام تقدر بقدرها؛

المادة 33: تمنع الكتابة على الجدران أو على الكراسي وعلى الطاولات... الخ لأن هذه الأفعال ومثيلاتها تدل على الدناءة النفسية والانحطاط الخلقي؛

المادة 34: يمنع كلية إحضار مذياع أو أي وسيلة أخرى ملهية عن التحصيل المنشود؛

المادة 35: كسر أي شئ أو إفساده يغرم صاحبه.

ويعتبر المعلم **محفزا وموجها؛** من حيث تعليمه الطالب الأخلاق الحميدة التي يجب على كل مسلم الإقتداء بها وتتمثل فيما يلي:

_ المادة 36: قال تعالى: (وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) ويقول ﷺ (الكلمة الطيبة صدقة)؛

المادة 37: وجوب تحية الشيوخ صبيحة كل يوم تحيـــة إســـلامية ملؤهـــا المـــودة والاحترام، احتراما لهم ببعض الفضل على سهرهم الدؤوب لتعليم وتقويم سلوك الناشئة على الفضائل والشمائل العليا. ومن كلام الحكماء (المشايخ أشـــجار الوقـــار ومنـــابع الأخبار، لايطيش لهم سهم ولايسقط لهم وهم، إن رأوك في قبيح صدوك وإن أبصروك في جميل أمدوك).

_ الصبر واحتمال المشاق وكضم الغيظ وصفاء الروح، قال بعض الحكماء (من لم يحتمل ذل التعلم ساعة بقي في ذل الجهل أبدا) وقال بعض الحكماء أيضـــا (إذا قعـــدت وأنت صغير حيث تحب قعدت وأنت كبير حيث لاتحب).

_ الإقتداء بالشيوخ في الأخلاق الفاضلة كما قال صلى الله عليه وسلم (خيار شبابكم المتشبهون بشيوخكم وشرار شيوخكم المتشبهون بشبابكم).

الحذر من الاستكفاء بالمعلم والاستغناء عنه، وإن كنت أعلم منه، فتكون كمن تقـــدم فيه المثل الشائع لأبي البطحاء.

أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رماني

_ المادة 40: سب الدين يعد صاحبه مرتدا، وكل من يسب الدين يطرد في حينه إلا إذاكان ممن لم يبلغ الحلم.

ويعتبر **مصدرا للخبرة المرجعية** التي على أساسها يتعلم الطالب من أســـتاذه وينفـــذ كل تعليماته من أجل الوصول إلى الهدف الذي جاء من أجله وهو حفظ القرآن وتعلـــم علوم العربية، ولكي يستفيد الطالب من توجيهات أستاذه ويحفظ القرآن الكريم عليـــه أن يتبع التعليمات الخاصة بالحفظ وهذه التعليمات هي أساسية في كل زاوية محافظة علـــى التعليم التقليدي وهي الكتابة بالقلم الخشبي والحبر التقليدي على اللوحة الخشبية فهذا يعد تعليما تقليديا، حيث يتبع الطالب تعليمات شيخه وهي:

_ المادة 16: بعد الاستيقاظ وأداء صلاة الصبح جماعة ككل الصلوات، يـــتم محـــو الألواح وكتابتها؛

_ المادة 18: يمنع التلميذ من قراءة لوحته إلا بعد تصحيحها وقراءتها مع أحد الشيوخ قراءة نموذجية؛

_ المادة 19: وجوب قراءة التلميذ لوحته على مسمع الشيخ، تفاديا لأي لحن قد يحدث؛

_ المادة 20: يمنع التلميذ من الانتقال إلى الحزب الأعلى إلا بعد استظهار الحزب المنتهي منه على الشيخ المعلم ثم على شيخ الزاوية نفسه، ثم يؤذن له بكتابة عبارة: يؤذن له بالانتقال إلى الحزب الموالي؛

_ المادة 24: استظهار اللوحة المحفوظة على الشيخ يكون قبيل أذان العصر ب/30 دقيقة فقط. ويمنع كتابة اللوحة من المصحف الشريف، وكل من يضبط مخالفا يعطل على المحو أسبوعا بالإضافة إلى تسجيل في ملفه غشاش.

_ وجوب سرد الثمن الأسبوعي، وهو بمثابة الفرض الفجائي كل يوم أربعاء بدءا من العاشرة صباحا.

ثانيا: الأهداف: في التعليم التقليدي عادة لا تحدد الصور السلوكية للطالب، أما في التعليم النشط فالأهداف التي تحدد عبارة عن نتائج سلوكية للتعلم توضح أنواع التعلم والأداءات التي يجب أن يحققها الطالب، والمهارات الحياتية التي يجب أن يكتسبها ومن بين هذه السلوكيات نذكر:

1_ **الحفاظ على نظافة الزاوية** عن طريق مجموعة من القوانين المتبوعة بغرامة مالية من أجل التشديد وتوضيح أن نظافة المكان مسؤولية الجميع ولايجب التهاون والتقصير أبدا، وكل مقصر ومتهاون لايحافظ على نظافة محيطه ومدرسته يعاقب بغرامة مالية وهذه القوانين تتمثل فيما يلي:

_ المادة 25: حفاظا على مظهر الزاوية العام، يمنع ترك الأقمصة، وغيرها من الثياب مبعثرة هنا وهناك، وكل تهاون أو إهمال يغرم صاحبه مبدئيا ب/50 دج.

_ المادة 26: يمنع رمي الأوراق أو مخلفات نجارة الأقلام والكتابة على الجدران الخ...

المادة 27: وجوب تنظيف المدرسة (الزاوية) يوميا، حسب الأفواج، والفوج يقصر في القيام بواجبه المنوط به يغرم ب/ 200دج بالتساوي على أعضاء الفوج.

_ المادة 80: على كل فوج القيام بدوره في تنظيف الحمامات والمرشات والمطاهر يوميا، وكل متهاون في تأدية المطلوب منه يغرم ب/50 دج.

2_ **الحفاظ على نظافة البدن والروح**، يعني طهارة معنوية وطهارة مظهرية، والالتزام بما يقوله الدين والشرع فيما يخص الطهارة والوضوء واللباس وهذه القوانين توضح ذلك:

_ المادة 81: وقت الاستحمام يكون كل يوم حسب الأفواج بعد صلاة العشاء أو بعد صلاة العصر تبعا للظروف المناسبة، وقد تضاف أوقات أخر للحصص الرياضية الأسبوعية وكذا صبيحة الجمعة تأية للسنة الشريفة وخاصة للبالغين.

_ المادة 11: يمنع منعا كليا لبس ثياب الغير أو أخذ أي شئ هو ملك للغير إلا بإذن صاحبه، وكل مخالفة لذلك، يعد اعتداء ضمنياعلى الغير، يغرم مبدئيا ب/ 100 دج.

_ المادة 13: يتحتم على كل تلميذ وضع ثيابه في إحدى الخزانات المخصصة لهذا الغرض.

_المادة 14: تقليم الأظافر أسبوعيا ويستحسن أن يكون يوم الخميس أو صبيحة يوم الجمعة.

_ المادة 15: (من كان له شعر فليكرمه) حديث شريف. لذايجب تقصير شعر الرأس كلما دعت الحاجة إلى ذلك مع الابتعاد عن القزع المنهي عنه شرعا.

_ المادة 10: وجوب الاهتمام والعناية التامة بالهندام، وطهارة القلب من الأحقاد والحسد وغيرها من الأمراض النفسية، وقد فسر الإمام الغزالي قوله صلى الله عليه وسلم (الطهور شطر الإيمان...)

3_ **الاتصاف بالصفات الحميدة والأخلاق الشرعية:** وتمثلها القوانين التالية:

_ المادة 42: كل لفظ قبيح (شتم، سخرية الخ) يعد ضربا معنويا، بل هو أنكى وأشد وقعا على النفس الشريفة من الضرب الفعلي.

_ المادة 43: كل من تمتد يده أو رجله إلى ضرب غيره: إن كان غير مبرح يفصل عن الدراسة أسبوعين ويغرم ب/500 دج ولا يقبل إلا بتعهد أبيه كتابيا.

_ المادة 45: كل من يضبط متلبسا بالسرقة، أو دلت على سرقته قرينة من القرائن: شهود، وجدت عنده بعد التفتيش، يطرد في حينه.

_ إياكم والكذب، فإن أوله فضوح وآخره جروح، والتزموا الصدق في الأقوال والأفعال فهو قمة من قيم الفضائل الموصلة إلى ساحل النجاة

_ كل من يشهد زورا يغرم ب/500دج ويؤدب ب/20 فلقة. وتنزع منه الثقة ولا تقبل شهادته. امتثالا لقوله تعالى (فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور).

– المادة 47: يمنع التدخين بجميع صوره وأشكاله لخبثه وتحريمه شرعا.

_ المادة 57: غسل اليدين قبل الأكل وبعده مع إظهارهما عند الدخول إلى المطعم للمراقبة.

_ المادة 58: يمنع التزاحم دخولا وخروجا وداخل المطعم مع ترك مسافة بين كل اثنين.

_ المادة 61: التسمية قبل الأكل والحمد لله بعده، مع مراعاة باقي آداب الأكل والشرب.

_ المادة 63: وجوب المحافظة على نعم الله، مما يحتم على كل واحد أخذ قدر حاجته فقط حتى لا يضطر إلى ترك بعض المأكولات على الطاولة، مما يعد إهانة لنعم الله تعالى (من كان في نعمة ولم يشكر خرج منها ولم يشعر).

– المادة 64: يمنع الأكل خارج المطعم، كما يمنع الخروج من المطعم بأي شئ من المأكولات سواء كانت في يده أم في جيبه أم في فمه، فبهذا السلوك المهذب وغيره من الآداب الفاضلة تكتسب المهابة والوقار، وما أصدق قول الشاعر:

مالحسن في وجه الفتى شرفا له إذا لم يكن في فعله والخلائق

_ المادة 66: يكون الصعود إلى المراقد بعد صلاة العشاء بحوالي ساعة حسب فصول السنة صحبة أحد الشيوخ أو أحد رؤساء الأفواج.

– المادة 71: يمنع استعمال أغطية وأفرشة الغير.

– المادة 72: وجوب طي الأفرشة والأغطية صبيحة كل يوم، ووضعها في مؤخرة السرير، ويمنع ترك أي شئ (ثوب أو أوراق...) مرمي هنا وهناك، وتفتح النوافذ لتجديد الهواء.

ثالثا: معدل التعلم: في التعليم التقليدي يفرض على كل الطلاب دراسة المقرر كله بالمعدل نفسه ويبدأ كل الطلاب في الوقت نفسه وينتهون في الوقت نفسه أيضا من المقرر، أما في التعليم النشط يستطيع بعض الطلاب التقدم في الدراسة حسب معدل التعلم ولهم حرية تخطي بعض الأجزاء السهلة بالنسبة لهم طالما أتقنوا التعلم.

لذلك فهناك تفاوت في حفظ القرآن الكريم بين الطلبة، ولتشجيع الحفظ خصصت الزاوية جوائز تكريمية محفزة ومشجعة لمواصلة الحفظ، لذلك تقدم الجوائز آخر كل شهر قمري أو شمسي لمن توافرت فيه هذه الصفات:

_ أكثرهم حفظا وأحسنهم أداء.

_ أكثرهم مكثا وصبرا على نعمة التعلم والتفقه في الدين.

_ أكيسهم وأحسنهم سلوكا وانضباطا، وصدق رسول الله ﷺ القائل: (أكثر مايدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق) وما أجمل الحكمة العربية القائلة: (من كانت بدايته محرقة كانت نهايته مشرفة).

وتخصص جائزة فصلية للثلاثة الأوائل طبقا لهذه للمواصفات المذكورة، وتخصص كذلك جائزة سنوية للخمسة الأوائل.

وبهذا التحفيز تخرج الكثير من حفظة القرآن الكريم من هذه الزاوية وشرفوها في مسابقات القرآن المتعددة كفرسان القرآن وغيرها، وشرفوا الجزائر في مسابقات دولية كالمسابقة الدولية لحفظ القرآن الكريم في السعودية والعديد من الدول العربية.

فكان للزاوية الفضل الكبير في تخرج هؤولاء الطلبة وتشريفهم لها، فكان من الواجب عليهم رد الجميل وذلك في بقائهم سنة بغية تعليم غيره، على غرار ماكان

معمولا به في الزيتونة، وليس ردا للجميل فقط بل وتدريبا لهم على رسالة التعليم والتربية.

رابعا: دور الطالب: في التعليم التقليدي كان دور الطالب سلبيا من حيث الاستماع فقط للمعلم أو القراءة من الكتاب المقرر، أما في التعليم النشط، فإن الطالب مشارك في العملية التعليمية عن طريق العمل والبحث والتفكير والتشاور والتعاون مع الأقران وتناول الأدوات والوسائل التعليمية وما إلى ذلك.

لذلك لا بد أن نركز على الطالب لا على تعليم المعلم (ففي عام 1936م استخلص **(ويليام فون همبولدت)** أن لا أحد يمكنه أن يعلم اللغة فعلا، بل يمكنه أن يوفر الظروف التي فيها سوف تتطور اللغة تلقائيا بطريقتها الخاصة، وكذلك أكد **(برونسون ألكوت)** التربوي البارز في القرن التاسع عشر، أننا يجب أن لا نعلم شيئا لا يستطيع التلاميذ تعليمهم لأنفسهم)[16]

فشيخ الزاوية لا يمكنه أن يدرس طالبا غير مستعد للدراسة، فالدور الأساسي للتعلم بيد الطالب، ويبقى الأستاذ موجها ومساعدا.

خامسا: أماكن التعلم: وتسمى بالبيئة المدرسية التي توفر المناخ المناسب للطالب من خلال (التنويع في أساليب التدريس، ووجود معلمين أكفاء، وتوافر مواد قرائية شائقة)[17]

في التعليم التقليدي كانت الزوايا تدرس أبناءها جالسين على الحصير ومكان تعلمهم ثابت، أما في التعليم النشط وطبقا للتطور التكنلوجي فإن مكان التدريس عصري لا يختلف عن المدارس، لما توفره من أقسام وطاولات وكراسي جديدة وحديثة ومريحة وفي كل قسم سبورة وتوفر الأقلام الخاصة بالكتابة على السبوة، بالإضافة إلى أن الطلبة يكتبون دروسهم في الكراريس وبالأقلام، وهذا في معظم المواد المقررة ماعدا مادة تحفيظ القرآن الكريم فالطلبة يكتبون على اللوحة الخشبية كما هو معروف في الزوايا القديمة.

ومن هنا نستنتج أن الزاوية تحافظ على طابعها التقليدي من جهة وتواكب موجة الحداثة والعصرنة من جهة أخرى، حتى لا تبقى منعزلة عن الحياة العصرية ولا تبقى جامدة في أرضية التراث، وكذلك ليحس الطلبة أنهم يعيشون في عصرهم ولا يحسون بالنفور والاشمئزاز من الطابع التقليدي الذي تربى عليه الشيوخ القدماء.

فالتعليم النشط يشجع التفاعل بين الشيوخ والطلاب، من حيث أنهم يقتدون بشيوخهم فيحفزهم ذلك للتعلم والنشاط سواء داخل الزاوية وخارجها، بل (يجعلهم يفكرون في قيمهم وخططهم المستقبلية)[18] ويشجع على التعاون بين الطلاب فيما بينهم فهم يتعلمون جماعة ويتشاركون الحياة الداخلية مع بعظهم البعض، فهذا يعلمهم السلام والإحترام والإيثار وحب الدين والوطن، وكما قال ﷺ (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه).

خاتمة: تتمتع زاوية الشيخ اسماعيل جوامع بخصوصية متميزة أكسبت الطالب القدرة على التعلم والسعي نحو الأفضل ليس تعلم المواد الدراسية فقط، بل تعلم أخلاقيات وفضائل تعود عليه بالنفع في حياته اليومية، خاصة وأن القرآن الكريم هو المادة الأساسية التي تنير عقل وقلب الطالب وتكسبه الوقار والهيبة، خاصة وأن شيوخ الزاوية يسهرون على تدريس الطلبة بأكثر المناهج ملاءمة للمهارات العقلية للطالب والتي تحوله من مكتسب إلى مبدع.

الهوامش:

[1]_ ماجد بن سالم الغامدي، الشامل في المناهج وطرق التدريس، في 300 معلومة، ط 2018م ص 18. [1]

[2]_ الاستاذ علي ربيع: ولد سنة 1940، ببلدية القصاب ولاية البويرة، من عائلة أمازيغية محافظة زاول تعليمه بمسقط رأسه ثم انتقل إلى زاوية علي يحيى بتيزي وزو، وبعدها انتقل الى زاوية الهامل ببوسعادة، تتلمذ على يد مجموعة من الأساتذة والأزهريين، وتحصل على شهادة الليسانس في الأدب العربي من جامعة الجزائر، ليزاول مهنة التدريس كأستاذ للغة العربية في الطور الثانوي بثانوية ميرة بالبويرة، وبعدها إماما بمسجد عبد الحميد بن باديس في البويرة والآن هو إمام مسجد الأمير عبد القادر بالبوير ومؤسس زاوية اسماعيل جوامع.

[3]_ ينظر، عبد الحميد حسن عبد الحميد شاهين، استراتيجيات التدريس المتقدمة واستراتيجيات التعلم وأنماط التعلم، كلية التربية بدمنهور جامعة الأسكندرية، 2010/ 2011م. ص 07.

[4]_ محمد السيد علي، اتجاهات وتطبيقات حديثة في المناهج وطرق التدريس، ط1، عمان 2011م، ص 141.

[5]_ محمد السيد علي، اتجاهات وتطبيقات حديثة في المناهج وطرق التدريس، ص 143.

[6]_ محمد السيد علي، اتجاهات وتطبيقات حديثة في المناهج وطرق التدريس، ص 151.

[7]_ ماجد بن سالم الغامدي، الشامل في المناهج وطرق التدريس، في 300 معلومة، ط 2018م ص 5.

[8]_ محمد السيد علي، اتجاهات وتطبيقات حديثة في المناهج وطرق التدريس ص 160.

[9]_ ماجد بن سالم الغامدي، الشامل في المناهج وطرق التدريس، في 300 معلومة، ط 2018م ص 5.

[10]_ محمد السيد علي، إتجاهات وتطبيقات حديثة في المناهج وطرق التدريس ص 183.

[11]– أسماء زين صادق الأهدل، تعليم التفكير من خلال تدريس الجغرافيا وأثره على تحصيل تلميذات الصف الرابع الابتدائي وتنمية تفكيره، كلية التربية للبنات – الأقسام الأدبية بمحافظة جدة 2006م، ص 07

[12]_ إيمان الحارثي، استراتيجيات التدريس، ص 14.

[13]_ صفوت توفيق هنداوي، استراتيجيات التدريس، جامعة دمنهور كلية التربية، وحدة التعليم المفتوح، ص 33.

[14]_ روبرت جيه، التدريس من أجل الإبداع، الفصل التاسع، من مجلة رعاية الإبداع في غرفة الصف الدراسي، ص 630.

[15]_ ص 225.

[16]_ ولجا ريفرز، مبادئ التعليم التفاعلي، ترجمة: عواد أبو زينة، كليات التقنيات العليا أبوظبي ص 04.

[17]_ هناء محمد أحمد خميس، درجة ممارسة معلمي الصف الأول لمسارات التدريس الفعال للقراءة، رسالة استكمالا للحصول على درجة الماجيستر في التربية، تخصص المناهج وطرق التدريس، إشراف الأستاذ د. غازي جمال خليفة، جامعة الشرق الأوسط، الفصل الدراسي الثاني 2015م، ص 23.

[18]_ صفوت توفيق هنداوي، استراتيجيات التدريس، جامعة دمنهور كلية التربية، وحدة التعليم المفتوح، ص 39.

المتون العلمية وأثرها في التكوين المعرفي عند روّاد الكتاتيب: المتون النحوية أنموذجا

عبد الناصر درغوم

جامعة باجي مختار، عنابة

الملخص: تعتبر المتون العلمية نظاما تعليميا مميزا، عرفه العرب منذ أزمنة طويلة، وشهد هذا الأسلوب نجاحا ملحوظا في حفظ علوم الأمة، ونقلها عبر الأجيال المتلاحقة، ولهذا لم يزل حضوره بارزا في التعليم المسجدي وفي أروقة الكتاتيب ومنه نبحث هذا الموضوع من خلال معالجة المتون العلمية مفهوما ونشأة وما لها وما عليها، ثم نعرض لمباحث من الفكر التعليمي في المتون النحوية كأنموذج، قصد تبيان أثرها في التكوين المعرفي للمتعلمين.

الكلمات المفتاحية: المتون، الكتاتيب، النحو، التكوين، المعرفة.

Abstract: "Mottouns" are considered a special educational system, which Arabs have known long time ago, and this method witnessed remarkable success in preserving nation's sciences, and transferring them through generations, this is why its present at mosques and Katateb. Hence, we treat Mottoun's subject, and it's educational rol especially grammatical "Mottouns" as a example, with the intention of showing its effect on the cognitive formation of learners.

Keywords: Mottoun, Katateb, grammar, formation, knowledge.

مقدمة: تعتبر الكتاتيب إحدى المصادر المهمة في تلقي العلم والمعرفة؛ وذلك لما تقدمه هذه المنارات العلمية من أصول ومبادئ في شتى العلوم الشرعية واللغوية كالفقه، والأصول، والنحو، والبلاغة...

ولعل أهم ما يميز منهجية التدريس في هذه الكتاتيب هو اعتماد طريقة المتون العلمية؛ حيث يخصص لكل فن يراد تدريسه مجموعة من المتون العلمية المختارة بعناية، ثم يتم تلقينها للمتعلمين بالتدريج شيئا فشيئا، قليلا قليلا كما قال (ابن خلدون) وموازاة مع الحفظ يقوم المعلمون باستشراح تلك المتون، وذلك باعتماد شروح مخصوصة تتناسب ومستوى المتعلمين وأعمارهم، وبعد الانتهاء من متن ينقل الضابطون له إلى مستوى أرفع في الفن نفسه، أو في الفنون الأخرى، والتي عادة ما تدرس بالتوازي، كما هو الشأن في المؤسسات التربوية الحكومية.

ومن هنا يعالج هذا البحث إشكالية تتعلق بمنهج المتون العلمية الموظف في الكتاتيب، ودوره في تكوين الملكة المعرفية لدى المتعلمين، ومدى نجاعته في توفير الخلفيات العلمية الضرورية للمتعلم في تلك المرحلة، وعليه نحاول مقاربة هذا الموضوع وفق منهج وصفي تحليلي نقدي، وذلك من خلال عينة من المتون النحوية المعتمدة في الكتاتيب الجزائرية خاصة، لنصل بذلك إلى تقييم التجربة التعليمية اللغوية في الكتاتيب في ضوء معطيات الدراسة العلمية المنهجية.

1.مفهوم المتن العلمي:

1.1. المتن لغة: المتن يطلق لغة ويراد به عدة معان، قال (ابن منظور) في لسان العرب: "المَتْنُ من كل شيء: ما صَلُبَ ظَهْرُه والجمع مُتُون ومِتَانٌ [...] ومَتْنُ كل شيء: ما ظهر منه [...] ومَتْنُ المَزادة: وجهُها البارزُ [...] والمَتْنُ ما ارتفع من الأَرض واستوَى، وقيل: ما ارتفع وصَلُبَ... والمَتْنُ والمِتانُ: ما بين كل عمودين والجمع مُتُنٌ [...] والمَتْنُ الظَّهْرُ، يذكر ويؤنث؛ عن اللحياني، والجمع مُتونٌ وقيل :المَتْنُ والمَتْنةُ لغتان، يذكر ويؤنث [...] والمَتْنُ الوَتر [...] ومَتَنَ بالمكان مُتُوناً: أَقام [...] ومَتَنَ المرأَةَ: نكحها"[1]، وجماع هذه المعاني يرجع إلى القوة والشدة في الشئ كما قال ابن فارس: "الميم والتاء والنون أصلٌ صحيح واحد يدلُّ على صلابةٍ في الشيء مع امتدادٍ وطول"[2].

2.1. المتن اصطلاحا: تعددت تعريفات المتن اصطلاحا، ولعل أبينها هو "ما جرى إطلاقه عند أهل العلم على مبادئ فن من الفنون، تكثف في رسائل صغيرة غالبا، وهي تخلو في العادة من كل ما يؤدي إلى الاستطراد أو التفصيل؛ كالشواهد والأمثلة إلا في حدود الضرورة، وذلك لضيق المقام عن استيعاب هذا ونحوه، لذلك عدت المتون الأقل ألفاظا، الأحسن في ذاتها، والأكثر قبولا عند الدارسين"[3].

فالمتون على هذا رسائل صغيرة الحجم في الغالب، تختصر في العبارة، وتبالغ في الإشارة، لتكون مفاتيح يستبين بها الدارس مبادئ الفن الذي يطلبه، فتكون لديه كالأصل، وما تعلَّق بها من معان وتفصيلات، وقواعد وتقريرات = فإنه يستحضرها حين الحاجة، ولا يتأتى ذلك إلا بحفظ تلك المتون حفظا متقنا، و لذلك يوصي العلماء ممن ينهجون هذا النهج في التعليم بأن تراجع وتستذكر دوريا "لتكون أرسخ في الحفظ وأظهر في الاستحضار، وأسرع في الاستدلال"[4]، وعلتهم في ذلك ابتغاء التأصيل والرسوخ في العلم المدروس، فإنه "لا يكون المرء راسخا في العلم بدون حفظ أصول العلم"[5].

هذا وإن المتأمل في تاريخ التأليف النحوي يرى أن مفهوم "المتن" في اصطلاح التأليف النحوي قد مر بمراحل متدرجة حتى آل لما هو عليه الآن؛ حيث كان التأليف النحوي في بداية الأمر متعلقا بتدوين المسائل النحوية على نسق أصلي دونما رجوع إلى مدونات سابقة، ويغلب على هذا الصنف المزج بين علوم متنوعة، وأبرز مثال لذلك كتاب (سيبويه) الذي حوى مزيجا من علوم شتى كعلم الأصوات، والصرف والبلاغة وغيرها.

ثم لما مضى ذلك الجيل خلفته طبقة من العلماء لم يجدوا موضعا للزيادة على ما ورثوه، فذهبوا يشرحون ويعللون لكتب من سبقهم، ثم جاء من بعد هؤلاء فريق رأى البعد قد اتصل بين جيلهم وجيل الأولين السابقين، ووجدوا ميراث هؤلاء قد قلَّ من يتعقله، وندر من يتفهمه، فراحوا ييسرون العلم للمتعلمين ناهجين في ذلك طريقة الاختصار، وتأليف المتون لتكون عونا لطالب العلوم على دراستها، فاشتهرت بذلك

مختصرات كثيرة تختلف في الحجم بين الطول والقصر، وفي كيفية التأليف بين النظم والنثر، ولكنها تتفق عموما في طلبها التسهيل والتيسير، أو على الأقل هذا ما كانت ترجوه.

ورغم جهود التيسير عند هؤلاء إلا أن مؤلفاتهم لم تسلم في كثير من الأحيان من التعقيد والغموض، والقصور عن استيفاء متطلبات الدرس النحوي خصوصا بالنسبة للناشئة والمبتدئين، فجاء فريق آخر بعدُ، اتخذ من هذه المتون مادة للشرح والبسط ففصل مجملها، وبين غامضها، وشرح شواهدها، وازدهر هذا النوع من التأليف –أي تأليف المتون وشروحاتها– في عصر المماليك في أواسط القرن السابع الهجري، ولا يزال يشهد حضورا واهتماما حتى عصرنا الحاضر، سواء في النحو أم في علوم أخرى كثيرة.

ثم تلا هذه الطبقة الأخيرة فريق اعتنى بالحواشي والتقريرات، وهي مزيد بيان وشرح على الشرح الأصلي للمتن المدروس، تُستدرَك فيها عادة الفوائت، وتقيد فيها الفوائد والشوارد، فتغدو مادة دسمة يحتاج معها الطالب إلى التأني، وشئ من التعني في الطلب حتى يلم بذلك كله، فإن قدر عليه استحكم مادة الفن وأخذ بناصيته[6].

2. نشأة المتون العلمية: يرى بعض الدارسين أن أصل طريقة المتون عموما يرجع إلى الشعر التعليمي؛ "هذا اللون من الشعر الذي يهدف به الشعراء إلى تعليم الناس شؤون دنياهم وأخراهم، وتزويدهم بالحقائق، والمعلومات المتعلقة بحياة الفرد والجماعة، وأسرار الطبيعة، وما وراء الطبيعة [...] ويعرض للعلوم، والفنون والصناعات، فيقرر الحقائق المتعلقة بشأنها، ويضع لها القواعد، ويستنبط لها القوانين. يقوم الشاعر بكل ذلك ليقدمها لقمة سائغة لمن يريد تعليمه، فتعيها ذاكرته، وتسجلها حافظته، فيسهل عليه استدعاؤها، واستحضارها في الوقت المناسب"[7] فالشعر التعليمي إذن ليس قصرا على لون معين من الفنون أو العلوم، بل كل ما قصد تيسره وتقريبه = يمكن نظمه شعرا، سواء كان ذلك في أمور الناس الدينية أم الدنيوية، وقد عُرف هذا اللون من الشعر عند أمم قبل العرب؛ كاليونان والهنود[8]

وقد تضاربت الآراء في تأصيل الفن عند العرب، وعمن أخذوه، فذهب بعضهم إلى أنه ذو نشأة عربية خالصة، ورأى بعضهم أن العرب إنما أخذوه عن اليونان، وعزاه بعضهم إلى الهنود.. ومهما يكن من أمر فإن العرب قد شهدوا ازدهار هذا الفن وحاولوا استثماره في ميدان التعليم خاصة، وهو ما عرف فيما بعد بالمتون العلمية.

فالمتون إذن "موجودة من قديم الزمان، ولكنها لم تعرف بهذا الاسم، بل باسم المختصرات، مثل: مختصر الخرقي (عمر بن حسين الخرقي) المتوفى سنة (334هـ) رحمه الله تعالى [...] وكان الغرض منها حكيما؛ وهو جمع المسائل الأولية البسيطة في متون صغيرة، بعبارة سهلة، لتكون بداية لنشأة الفقه، على نحو الآجرومية في النحو"[9]، فأول مختصر عرف بهذا الاسم هو مختصر (الخِرَقي)، وكانت الغاية في تأليف هذا النوع من التآليف هو تسهيل العلم، وتقريبه لمبتغيه، بعبارة يغلب عليها طابع السهولة، ونظمٍ يغلب عليه الإيجاز، وذلك بغية تحفظها واستذكارها، لتكون أساسا يبني عليه الطالب ملكته العلمية في النحو أو في غيره من العلوم.

3. محاسن المتون العلمية ومثالبها:

1.3. محاسن المتون: للمتون جملة من المحاسن، نذكر منها:

- جمع متفرقات العلم وفروعه وشوارده، وغايتها في ذلك: "تكوين صورة مجملة للفن الذي ألفت فيه، يستطيع الطالب الإحاطة بها في زمن قليل، وما هي إلا مدخل للعلوم، وليست هي الغاية وإليها النهاية، بل هي الأساس والبداية"[10]، فحفظ المتون ليس هو –كما يتوهمه بعض النقدَة– النهاية في سلم العلم، بل ما هي إلا البداية والأساس الذي يُبنى عليه ما بعده، فإن كان الأساس متينا كان ما بعده مجانسا له في المتانة، وإن كان فيه نوع صعوبة في إحكامه ابتداءً، فما بعده أسهل وأيسر.
- تأصيل العلم و تقريبه لطالبه في حسن سبك وترتيب، وجودة تقسيم وتبويب مما يسهل الإحاطة بمجمل القول في العلم المدروس، فإن المتون نظرًا لصغر حجمها فإنَّ طالب العلم يستطيع الاطلاع على فكر مذهب فقهي –مثلا– بكامله ويكون –غالبًا– قد اطّلع على أرجح روايات ذلك المذهب، وما يقال في الفقه يقال في النحو وفي غيره

من العلوم[11]؛ وذلك أن العلماء متفقون على أن العالم لا يسمى فقيهـا وإن كـان أعلـم الناس بدقائق المسائل، حتى يضبط الأصول الذي يبنى عليها الفن وهو ما يسـمى فـي الفقه بما دون درجة الاجتهاد، فيقلد أو يتبع من هو أعلى منه درجة، وأرفـع منزلـة نظرا لما حواه من سبق في علمه بالأصول والقواعد التي يبنى عليها العلم، وهو الأمر عينه في النحو؛ فإنه وإن كان أعرف الناس بدقائق الإعراب ونكت التصريف مثلا، فلا يصدق عليه وصف العالم النحوي إن لم يتقن أصول النحو ودلائله التي بنـي عليهـا وفي هذا يقول (ابن الأنباري): "فائدته [أي: العلم بأصول النحو] التعويـل فـي إثبـات الحكم على الحجة والتعليل، والارتفاع عن حضيض التقليد إلى يفـاع الاطـلاع علـى الدليل، فإن المخلد إلى التقليد لا يعرف وجه الخطأ من الصواب، ولا ينفك فـي أكثـر الأمر عن عوارض الشك والارتياب"[12].

- اختصار العلم بأوجز لفظ وأقصره، ليسهل حفظه واستذكاره، فإن "المتون تجمع حقائق العلم في ورقـات يسـهل حفظهـا، ويسـهل استحضـارها فـي الـدروس والمناسبات"[13]، فهي كالزاد للمسافر متى انقطع به الطريق، ولـيس لـه إلـى الأهـل والخلان سبيل، فتكون بذلك هي مؤونته الكافية، وهذا نهج العلماء السابقين، فإن المقرر عندهم أن: "العالم لا يكون عالما بدون حفظ المتون، يقول (شيخ الإسلام): 'مـن حفـظ المتون حاز الفنون'، و(الرَّحبيُّ) يقول: [الرجز]

والثلثان وهـــــــما التمام .:. فاحفظ فكل حافظ إمام

ولا يكون المرء راسخا في العلم بدون حفظ أصول العلم"[14] ؛ ذلك أن المتمرس في العلم، الذي يبغي البلغة فيه لا يكفيه أن يكون محيطا بالفروع –إن قدر علـى ذلـك أصلاً–، فالمسائل كثيرة، والعمر قصير، ومن هنا عمد أهل العلم إلى اتخـاذ أصـول يفرِّعُون عليها المسائل، ويقيسون عليها المُمَاثل، فيردون كل مسألة إلى بابها وينسـبون الأقوال إلى أصحابها، وذلك عين التأصيل في أي فن.

2.3. مثالب المتون: لعل أبرز ما عيب على المتون ما جمعه ابـن خلـدون فـي معرض كلامه في ذمها فقال: "...وهو فساد في التعليم، وفيه إخلال بالتحصيل وذلـك

لأن فيه تخليطاً على المبتدئ بإلقاء الغايات من العلم عليه، وهو لم يستعد لقبولها بعد وهو من سوء التعليم [...] ثم فيه مع ذلك شغل كبير على المتعلم، بتتبع ألفاظ الاختصار العويصة الفهم بتزاحم المعاني عليها وصعوبة استخراج المسائل من بينها لأن ألفاظ المختصرات تجدها لأجل ذلك صعبة عويصة، فينقطع في فهمها حظ صالح من الوقت"[15] ، فهو يشير في هذا إلى نوع من المختصرات يشيع فيه الاختصار المخل والتقسيم المضل، بما لا يخرج بعده الطالب إلا كليلَ الذهن ضعيف الملكة، عاطل التحصيل، وتابعه على ذلك (الثعالبي الفاسي) قائلا: "لما أغرقوا في الاختصار، صار لفظ المتن مغلقاً لا يفهم إلا بواسطة الشراح، أو الشروح والحواشي، ففات المقصود الذي لأجله وقع الاختصار، وهو جمع الأسفار في سفر وتقريب المسافة، وتخفيف المشاق، وتكثير العلم، وتقليل الزمن، بل انعكس الأمر إذ كثرت المشاق في فتح الإغلاق، وضاع الزمن من غير ثمن .. الخ"[16]، ولعل الحقيقة أن مجمل ما اعتبره (ابن خلدون) ومن رأى رأيه من المعايب هو عند التدبر عكس ذلك فإن "الغموض الذي عيبت به المتون ليس مما يعاب، بل هو في الحقيقة مدح لها لا قدح فيها؛ لأنه لا يستوي من يحصل العلم بيسر وسهولة، ومن يحصله بكد ومشقة، وعناء... وأين مستوى هذا من ذاك؟ وبهذا يشرف قدر العالم وتفضل منزلته و لو كان العلم كله بيناً لاستوى في علمه جميع من سمعه، فيبطل التفاضل، قال (الخليل بن أحمد) –رحمه الله تعالى–: "من الأبواب ما لو شئنا أن نشرحه حتى يستوي فيه القوي والضعيف لفعلنا ولكن يجب أن يكون للعالم مزية بعدنا"[17]، وعليه يظهر من هذا أن جملة ما عيب على المتون إنما هو لطريقة بعضهم في تصنيفها ولا شك أن ما ينطبق على البعض لا يصلح أن يعمم على الكل، وما ذكر في ذلك معروف أنه لا يختص بالمتون وحدها، بل هو عام في شتى ألوان التأليف، فلماذا كل هذا النكير على المتون كأنه وصف ملازم لها وحدها دون غيرها؟!

هذا ولا يمنع الاقتناع بفضل المتون وأهميتها في تأصيل العلم، أن تُنكر حقيقةٌ لصيقة ببعض المتون وهي فرط الاختصار الذي قد يصل إلى درجة الإلغاز، فبدل أن

يعنى طالب العلم ودارس المتن بتفهم معاني المتن التي يحملها إذا هو يُشغَل بفك العبارات، وتأويل الألفاظ المشكلات، حتى كأنها طلاسم؛ فيُصرَف عن الغاية ويستسلم في أولى درجات البداية، قال (الحطاب) في مواهب الجليل في شرح مختصر خليل: "إلا أنَّه لفرط الإيجاز، كاد يُعَد من جملةِ الألغاز"[18]، ولهذا وغيره لم تخلُ المتون من شروح وحواش تبين معناها، وتكشف مكنونها ومبتغاها، فتفصل المجمل، وتحل المقفل، حتى كأن المتون بعدها صارت كنوزا مفاتيحُها بأيدي العلماء.

4.الفكر التعليمي في المتون النحوية: المقدمة الآجرومية لابن آجروم أنموذجا:

يتميز نظام المتون العلمية –لاسيما النحوية منها– باعتماد منهجية تعليمية مثيرة للاهتمام؛ ذلك أنه بالرغم من قدم هذا النظام فإنه اشتمل على عدة مميزات توافق إلى حد كبير ما توصلت إليه الدراسات الحديثة في البيداغوجيا، والتربية، والتعليميات وهذا ما يكسبه تفرده، ودوام صلاحيته مع اختلاف الأعصر، وتباين الأمكنة ونعرض فيما يأتي لجملة من تلك الخصائص:

1.4. الإجمال قبل التفصيل: من أبرز المبادئ التعليمية التي نستشفها في نظام المتون ما يتجلى في التعميم قبل التخصيص، والإجمال قبل التفصيل، والمقصود بالإجمال والتعميم إلقاء المسائل على المتعلم على سبيل التعميم لا التفصيل، ثم التدرج معه رويدا رويدا، قليلا قليلا في بسط ما سبق إجماله، وتفصيل ما سلف تعميمه، وذلك على مراحل حتى يستولي المتعلم على ناصية المتن الذي يدرسه والعلم الذي يطلبه.

وإذا طلبنا هذا المعنى في متن الآجرومية وجدناه حاضرا، مثاله:

– قول المؤلف: "أقسامه [أي: الكلام] ثلاثة: اسم، وفعل، وحرف جاء لمعنى. فالاسم يعرف [...]، والفعل يعرف [...]، والحرف [...]"[19]، وهذا فيه زيادة على التفصيل بعد الإجمال ملمح تعليمي مميز، وهو ذكر العدد قبل بيان المعدود، ومن فوائده: حصر مفردات المعدود فلا يغيب واحد منها، و كذا فهو إعانة على حفظ المذكور، واستبعادٌ لسرعة نسيانه؛ إذ تقييده بالعدد أدعى لذلك، وكذا تجنب لنسيان ذكر شئ من المعدودات؛ إذ عددها معلوم مسبقا، وهو منهج تعليمي نبوي نجده في أحاديث

كثيرة كقوله صلى الله عليه و سلم: "سبعة يظلهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله"[20]، وقوله: "أربع من كن فيه كان منافقا"[21] و قوله: "خمس من الفطرة"[22] ومثل هذا كثير.

– وقوله: "أقسامه [أي: الإعراب] أربعة: رفع، ونصب، وخفض، وجزم، فللأسماء من ذلك الرفع، والنصب، والخفض، ولا جرَّ فيها، وللأفعال من ذلك الرفع والنصب والجزم، ولا خفض فيها"[23]، فهذا ذكر لأقسام الإعراب على سبيل الإجمال، ثم فصل ذلك في الباب الذي بعده، فقال: "باب معرفة علامات الإعراب، للرفع أربع علامات: الضمة، والواو، والألف، والنون؛ فأما الضمة فتكون علامة للرفع في أربعة مواضع [...]، وأما الواو فتكون علامة للرفع في موضعين [...]، وأما الألف فتكون علامة للرفع في تثنية الأسماء خاصة، وأما النون فتكون علامة للرفع [...]، وللنصب خمس علامات [...]، وللخفض ثلاث علامات [...]"[24]، وهكذا في بقية الأبواب تذكر للمتعلم إجمالا مع بيان عددها وأقسامها، حتى إذا استقر ذلك في ذهنه بدأه المعلم باستشراح ذلك وتفصيله شيئا فشيئا، قليلا قليلا، وذلك يشمل ما يكون في المتن أصلا، وما يكون في الشرح تاليا، فتلك ثلاثة تكرارات، وهذا من قبيل ما ذكره (ابن خلدون) في مقدمته في بيان وجه التعليم المفيد، حيث قال: "اعلم أن تلقين العلوم إنما يكون مفيدا إذا كان على التدريج شيئا فشيئا، وقليلا قليلا؛ يلقى عليه أولا مسائل من كل باب من الفن، هي أصول ذلك الباب، ويقرب له في شرحها على سبيل الإجمال [...]، ثم يرجع به إلى الفن ثانية، فيرفعه في التلقين عن تلك الرتبة إلى أعلى منها ويستوفي الشرح والبيان ويخرج عن الإجمال [...]، ثم يرجع به وقد شدا، فلا يترك عويصا ولا مبهما، ولا مغلقا إلا وضحه، وفتح له مقفله، فيخلص من الفن وقد استولى على ملكته. هذا وجه التعليم المفيد، وهو كما رأيت إنما يحصل في ثلاث تكرارات"[25] وإذا تأملنا ثلاثة التكرارات التي ذكرها (ابن خلدون) وجدناها تنطبق تماما على ما ذُكر آنفا، وما سُطر سالفا، ولعل هذا المبدأ يتقاطع مع النظرية الجشتالطية في النظريات التعليمية المعرفية

الحديثة؛ حيث ينبني كل منهما على الانتقال من الكل إلى الجزء، ومن العموم إلى الخصوص، وبالأخص فيما يتعلق بمفهوم البنية والتنظيم عند أصحاب هذه النظرية.

2.4. التقسيم والتقعيد: يعتبر التقسيم والتقعيد من السمات الظاهرة والمميزة للمتون، والمقصود بالتقسيم: ذكر أقسام الشئ المدروس وهي أجزاؤه، والمقصود بالتقعيد: ذكر القاعدة التي تضم مسائل الباب.

وذكر أقسام الشئ وأجزائه التي يتكون منها ذو فائدة كبيرة للمتعلم؛ إذ الغالب في أبواب النحو كغيره من العلوم أن يكون مركبا من عدة أجزاء تكوِّن كلا متكاملا يسمى فصلا أو بابا، ولا شك أن معرفة جزئيات هذا الباب مقدمة تعين على معرفة كلياته وهذا دور التقسيم، وفائدته: تنشيط ذهن المتعلم، وتسهيل ضبط المعلومات عليه، قال (ابن عثيمين) عن هذه الطريقة: "أكثر المؤلفات يأتي الكلام فيها مرسلا [...]، ثم يذكر التقسيم، فتجد الإنسان إذا قرأها يجد نشاطا لأنها مبنية على إثارة العقل"[26].

والتقعيد كذلك، فائدته جمع ما تفرق من مفردات الباب في كلمات وجيزة، إذا ضبطها المتعلم سهل عليه بعد ذلك رد ما اشتبه عليه من أحكام إعرابية لألفاظ أو تراكيب إلى القاعدة، فيعود إليها ويقيس عليها بكل يسر وسهولة.

وإذا طلبنا هذين الملمحين في متون النحو وجدنا أنهما يشكلان -كما أسلفنا- ميزة ظاهرة فيها، ومن ذلك في باب التقسيم:

- قول (ابن آجروم): "الكلام هو اللفظ المركب المفيد بالوضع، وأقسامه ثلاثة: اسم وفعل وحرف جاء لمعنى"[27]، فبعد أن ذكر الكلام وتعريفه، عرج على بيان أقسامه التي يتألف منها، وهي الاسم والفعل والحرف كما ذكر.

- وقوله في باب الإعراب: "الإعراب هو تغيير أواخرِ الكَلِم، لاختلافِ العوامل الداخلة عليها لفظا أو تقديرًا، وأقسامُه أربعة: رَفع، ونَصب، وخَفْض، وجَزْم. فللأسماء من ذلك الرفع، والنصب والخفض، ولا جزم فيها، وللأفعالِ من ذلك: الرفع، والنصب والجزم, ولا خَفضَ فيها"[28]، وتظهر هنا فائدة حصر أقسام الإعراب، فبعد أن تقدم تعريفه انبرى لحصر أقسامه، واستعمل لذلك طريقة ذكر العدد قبل تفصيل المعدود وقد

نبهنا إلى فائدة هذه الطريقة في مبدأ الإجمال قبل التفصيل، وأن من شأنها جمع ذهن المتعلم، وحصر المادة له، وتيسير ضبطها وحفظها عليه، وكذا استبعاد النسيان لأحد أفراد المعدودات باعتبار حصر عددها، وهو في هذا الموضع وما تقدمه قد نبه صراحة على أنه بصدد ذكر الأقسام، ولكنه في مواضع أخر لم يصرح بذلك، ومنها:

– قوله: "فالذي يعرب بالحركات أربعة أنواع: الاسم المفرد، وجمع التكسير، وجمع المؤنث السالم، والفعل المضارع الذي لم يتصل بآخره شئ"[29]، فهو هنا يذكر أقسام المعربات بالحركات دون أن يبين صراحة على أنه يقصد أقسامها وإن كان واضحا من السياق.

ومثل ذا نجده عند الحريري في ملحته إذ يقول:

وَالِاسْم ضربَانِ فضَربٌ نَكِرَهْ والآخَرُ المعرِفَةُ المُشتَهِرَهْ[30]

فهو هنا يعمد إلى بيان أقسام الاسم وأن ذلك بحسب التعريف والتنكير قسمان: نكرة ومعرفة كما تقدم، ثم ينتقل إلى بيان أقسام الفعل، فيقول:

وَإِن أردتَ قِسمَةَ الأفعالِ لِينجَلِي عنكَ صَدَا الإشكَالِ

فَهْيَ ثَلاثٌ مَا لهُنَّ رابعُ ماضٍ وفِعلُ الأمرِ والمُضارِعُ[31]

ولم تخرج ألفية ابن مالك عن هذا النسق، حيث نجده يستعمل طريقة التقسيم في كثير من المواضع منها قوله في باب المعرب والمبني:

والاسم منه معرب ومبني لشبه من الحروف مدني[32]

وكذا قوله في بيان أنواع الظرف و أنه ينقسم إلى نوعين:

الظرف وقت أو مكان ضمنا (في) باطراد كهنا امكث أزمنا[33]

وأما التقعيد في طريقة المتون فهو كثيرا ما يقترن بالتقسيم، وعادةً ما يكون سابقا له فيذكر الماتن تعريفا جامعا لأحكام الباب الذي هو بصدده، ثم يذكر أقسامه، ومن ذلك:

– قول (ابن آجروم) في تعريف الفاعل: "الفاعل: الاسم المرفوع المذكور قبله فعله"[34]، ثم يعرض بعد ذلك إلى أقسام الفاعل: "وهو على قسمين: ظاهر، ومُضمَر.

فالظاهر نحو [...] والمُضمَر اثنا عشر..."[35]، وعلى هذا درج الحريري في ملحته فقال في باب التوابع:

والعَطفُ والتّوكيدُ أَيْضا والبَدَلْ توابِعٌ يُعرَبْنَ إعرابَ الأُوَلْ

وَهَكَذَا الوَصفُ إِذا ضاهَى الصِّفَهْ مَوصوفُهَا مُنَكَّرًا أَو معرِفَهْ[36]

فهو قد ذكر القاعدة في التوابع وهي أنها تعرب إعراب متبوعاتها، وسبق ذلك وأردفه بأنواع التوابع وأقسامها، وهي كما ذكر: العطف، والتوكيد، والبدل، والوصف.

وهذا نجده في الألفية في غير ما موضع، ومن ذلك:

الحال:

وصف فضلة منتصب مفهم في حال كفردا أذهب[37]

وقوله في التمييز:

اسم بمعنى (من) مبين نكره ينصب تمييزا بما قد فسره[38]

والحاصل أن مبدأ التقعيد والتقسيم حاضر بقوة في المتون النحوية، وكثيرا ما يقترن هذان لتكاملهما، جريا على مبدأ الإجمال فالتفصيل كما سلف آنفا.

3.4. الأمثلة والشواهد: بالمثال يتضح المقال، هي مقولة وعاها النحاة القدماء جيدا، وجسدوها تجسيدا بينا في مؤلفاتهم خاصة ما تعلق منها بالمتون، حيث شكلت دورا محوريا في تقديم المادة التعليمية عبر مستويات عدة؛ فتارة نجدهم يستعملونها كدعم للقاعدة ونموذجا لها وهو الغالب، وتارة نجدهم يستعملونها كجزء أساس في تقعيد القواعد، فمن الأول:

– قول (ابن آجروم): "الخبر قسمان: مُفرد؛ وغير مفرد. فالمفرد نحو قولك: زيدٌ قائم. وغير المفرد أربعة أشياء: الجارُّ والمجرور، والظَّرف، والفِعل مع فاعله، والمبتدأ مع خبره، نحو قولك: زيدٌ في الدارِ، وزيدٌ عندَكَ، وزيدٌ قامَ أبوه، وزيدٌ جاريتُهُ ذاهبَة"[39] فهذا مثال بيّن يوضح كيف توسل الماتن إلى توضيح القاعدة بالأمثلة التي أردفها؛ فمثل للخبر المفرد بقوله: زيد قائم، ومثل لغير المفرد بأربعة أشياء بعد أن

ذكرها كما تقدم، ولا شك في فائدة هذا النظام للمتعلم حيث ترفق كل قاعدة بما يمثل لها، فتكون توضيحا وتبيينا لها، فإن عزب عن فهمه شئ مما ذكر له، تداركه في المثال وكفى به موضحا، والسر في ذلك أن المثال يضع القاعدة في إطارها الوظيفي حيث تخرج من ضيق التنظير إلى سعة الاستعمال، فتعطي المتعلم نموذجا يحتذيه في استعمالاته اللغوية، فيقيس عليه، وإن خرج عنه رد إليه.

وما سبق نوع، ومن النوع الثاني: المثال الذي يستعمل في تقعيد القاعدة وهو ملمح تعليمي مميز؛ حيث يخرج المثال من كونه عنصرا تعليميا إضافيا أو ثانويا إلى كونه عنصرا أساسيا في تركيب الصياغة اللفظية للقاعدة، خاصة إذا علمنا أن النحاة في تأليفهم المتون إنما ينتهجون منهج الاختصار والإيجاز قدر المستطاع، فلا مكان للحشو والتطويل، و من هذا النوع ما نجده عند ابن مالك في قوله:

كلامنا لفظ مفيد كاستقم .:. واسم وفعل ثم حرف الكلم[40]

فاستغنى عن ذكر بضعة شروط أساسة في تعريف الكلام، مختزلا إياها في المثال الذي ساقه بقوله (استقم)، فالكلام في عرف النحاة ما اجتمعت في أربعة شروط: اللفظية، والتركيب، والإفادة، والوضع، فذكر ابن مالك شرط اللفظية والإفادة صراحة واكتفى بالمثال (استقم) عن الشرطين الباقيين؛ إذ المثال يتوفر على كل منهما، فيكون كالدليل عليهما، فهو مركب من الفعل وفاعله المستتر، وهو على الوضع العربي كما هو ظاهر، ويتواتر هذا في منظومته في مواطن عدة، منها قوله:

بتا فعلت و أتت و يا افعلي و نون اقبلن فعل ينجلي
سواهما الحرف كهل و في و لم فعل مضارع يلي لم كيشم[41]

فهو في البيت الأول يعرض لعلامات الفعل التي يتميز بها، فذكر جواز اتصاله بضمير الرفع المتحرك (ت) وكذا اتصاله بتاء التأنيث الساكنة (ي)، وكذا اتصاله بياء الفاعلة (ي) في الأمر ونون التوكيد (ن) فهذه علامات الفعل التي ينماز بها فلخص ذلك كله بمثال لكل منها، فأغناه ذلك عن عرضها سردا، وكان المثال بذلك جزءا مهما

في تكوين القاعدة وهي هنا: علامات الفعل، والمعنى نفسه نجده في ملحة الحريري إذ يقول في تعريف الكلام:

حد الكلام ما أفاد المستمع نحو: سعى زيد وعمرو متبع[42]

فذكر شرط الإفادة صراحة واكتفى بالأمثلة عن بقية الشروط، وضرب الأمثلة للقواعد التي يذكرها مطرد عنده بكثرة، ومن أمثلة ذلك قوله:

فالاسمُ مَا يَدخُلُهُ مِنْ وَإِلَى أَو كَانَ مَجروراً بِحتّى وعَلَى
مثَالُهُ زيدٌ وخَيلٌ وغَنَمْ وذَا وتلكَ وَالَّذِي ومَنْ وكَمْ[43]

وقوله في باب الفعل:

والفِعلُ مَا يَدخُلُ قَدْ والسّينُ عليهِ مِثلُ بَانَ أَو يَبِينُ
أَو لَحِقَتْهُ تَاءُ مَن يُحدّثُ كقولِهم فِي لَيسَ لستُ أَنفُثُ[44]

والشاهد أن هذا كثير مطرد في استعمالات الماتنين، إدراكا منهم لأهمية المثال في العملية التعليمية إذ يغني مثال واحد عن كثير من الأسطر، وقد لا تبلغ مبلغه في توضيح القاعدة للمتعلم، وتجسيدها له في قالب وظيفي يقيس عليه ويركن إليه.

هذا والملاحظ للأمثلة التي يستعملها أصحاب المتون يجد أنها لم تختر إلا بعناية ولم تحط إلا برعاية؛ فتجدهم يختارون من الأمثلة أدلها، ومن الشواهد أحسنها وأكثرها نفعا للمتعلم في دينه وأخلاقه وتعاملاته، كل ذلك في قالب علمي لا يخل بالعملية التعليمية في شئ، ومن ذلك نجد قول الحريري:

تقولُ يَا زيدُ اغدُ فِي يومِ الأحَدْ .:. واسعَ إِلَى الخَيراتِ لُقِّيتَ الرَّشَدْ[45]

وقوله:

وَإِن يكُن أمرُكَ للمُؤنَّثِ فقُلْ لهَا خَافي رِجَالَ العَبَثِ[46]

ومثل ذا كثير عنده، وعند غيره كابن مالك مثلا إذ يقول:

وحذفها للجزم والنصب سمه كلم تكوني لترومي مظلمه[47]

وتتخذ بعض الأمثلة –مع تأديتها الغرض منها في توضيح القاعدة– طابعا تحفيزيا كقوله:

والحرفُ مَا ليستْ لهُ عَلامَهْ فَقِسْ على قَولي تَكُنْ عَلامَهْ[48]

وتجدر الإشارة أن هذا ليس ملتَزَما عند أصحاب المتون، إذ ضرورة النظم، وقيد الاختصار، والإيجاز، والتماس التسهيل = يحتم عليهم في كثير من الأحيان استعمال الأمثلة البسيطة التي مدارها على زيد وعمرو، وهو ما أخذ على بعضهم الإكثار منه كعتب (مقبل بن هادي الوادعي) في تقريضه لأحد شروحات الآجرومية بقوله: "وفرق كبير بين أمثلته وأمثلة محي الدين صاحب التحفة؛ هذا يمثل بآية قرآنية أو حكمة وذاك يمثل بأي مثال يخطر في نفسه"[49].

فالمثال على هذا ملمح تعليمي مهم جدا، والعناية به من أهم ما ينبغي التركيز عليه لما له من دور في إكساب المتعلم الجانب التطبيقي للقواعد التي يتعلمها، وكذا تبيانا لاستعمالاتها، وفضلا عن ذلك المعاني القيمةُ التي يتعلمها من خلال الأمثلة المختارة بعناية.

خاتمة: مما سبق نستطيع أن نستشف جملة من النتائج:

–المتن عبارة عن مادة علمية مكثفة في رسائل صغيرة عادة، تهدف لاختصار العلم المؤلفة فيه لتسهيل حفظه واستحضاره عند الحاجة؛

–للمتون عدة محاسن منها: اختصار العلم على مبتغيه، وتسهيل حفظه، وتأصيل المعارف لطالبها، وإن عيب عليها في كثير من الأحيان المبالغة في الاختصار والإيجاز حتى شبهت بالأحاجي والألغاز؛

–مهارة الحفظ ركن أساس في نظام المتون، وهي السر في تحصيل من حصل من العلماء، ويحرص نظام المتون على تنمية هذه الملكة لدى المتعلم بالإقلال من المحفوظ، والإكثار من تكراره؛

–تعرضنا لمبدأ تعليمي أصيل في نظام المتون، وهو الإجمال قبل التفصيل، ورأينا أهميته في إكساب المتعلم التصور الكلي وإن كان مبدئيا لما سيتعرض له، وفائدته في

ذلك تسهيل ضبط العلم، واستحضار مسائله عند الحاجة، وهو المبدأ نفسه الذي قامت عليه النظرية الجشتالطية وغيرها؛

– رأينا أهمية مبدأ التقسيم والتقعيد، وكيف أنه قد شكل سمة بارزة في المتون لما فيه من فائدة في تيسير العلم على المتعلم حتى يسهل عليه ضبط تفريعاته وتقسيماته وكيف أنه ارتبط كثيرا بالتقعيد الذي وقفنا على أهميته، وكبير فائدته للمتعلم في إطار تنظيم المعرفة، الذي يعد من أهم المبادئ النفسية التربوية الحديثة؛

–ختمنا في الأخير بمبدأ غاية في الأهمية في نظام المتون وهو التمثيل والاستشهاد للقواعد النحوية، ووقفنا عند الفائدة التعليمية لذلك، والمتمثلة في وضع القاعدة في إطارها الوظيفي، ورأينا كيف أن تلك الأمثلة كانت مختارة بعناية لتؤدي أغراضا تربوية وخلقية وسلوكية.

الإحالات والمراجع:

[1]– ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة – مصر، د.ت، ج46/ص4130 (مادة متن).

[2]– أحمد ابن فارس، مقاييس اللغة، دار الفكر، 1979، د.ط، ج5/ص294، (مادة متن).

[3]– عبد الكريم الأسعد، مقالات منتخبة في علوم اللغة، دار المعراج الدولية، الرياض – السعودية 1994، ص430.

[4]– عبد المحسن القاسم، خطوات إلى السعادة، ط4، 1427، ص129.

[5]– عبد المحسن القاسم، خطوات إلى السعادة ، مرجع سابق، ص124.

[6]– عبد الكريم الأسعد، الوسيط في تاريخ النحو العربي، مرجع سابق، ص288–289 ملخصا.

[7]– صالح آدم بيلو، حول الشعر التعليمي، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة السعودية العدد 52، د.ت، ص206.

[8]– ينظر: المرجع نفسه، ص207.

[9]– عبد العزيز بن قاسم، الدليل إلى المتون العلمية، دار الصميعي، الرياض – السعودية 2000 ص68.

[10]– المرجع نفسه، ص72.

[11]– ينظر: عبد الله الشمراني، دروس في علم المختصرات – الدرس الثالث 2020/01/25 www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=50155

12– عبد الرحمن ابن الأنباري، الإغراب في جدل الإعراب و لمع الأدلة، ، مطبعة الجامعة السورية، سوريا، 1958، ص80.

[13]– عبد العزيز بن قاسم، الدليل إلى المتون العلمية، مرجع سابق، ص72–73.

[14]– عبد المحسن القاسم، خطوات إلى السعادة، مرجع سابق، ص124.

[15]– عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، دار نهضة مصر، مصر، د.ت، ط3 ج3/ص1242

[16]– الثعالبي الفاسي، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، المكتبة العلمية، المدينة المنورة – السعودية، 1396، ج2/ص399–400.

[17]– عبد العزيز بن قاسم، الدليل إلى المتون العلمية، مرجع سابق، ص72.

[18]– محمد الحطاب، مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، مكتبة النجاح، ليبيا، د.ت ج1/ص5.

[19]– محمد ابن آجروم الصنهاجي، متن الآجرومية، دار الصميعي، السعودية، 1998 ص5.

[20]– أخرجه البخاري (660)، ومسلم (1031)، والترمذي (2391)، والنسائي (5380) وأحمد (9665) باختلاف يسير، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (794) واللفظ له.

[21]– أخرجه البخاري (2459)، ومسلم (58) واللفظ له.

[22]– أخرجه البخاري (5889) واللفظ له، ومسلم (257)، من حديث أبي هريرة.

[23]– محمد ابن آجروم الصنهاجي، متن الآجرومية، مرجع سابق، ص6.

[24]– المرجع نفسه، ص7–6.

[25]– عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، مرجع سابق، 1243/3.

[26]– محمد ابن عثيمين، شرح حلية طالب العلم، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية السعودية، 1434هـ ، ص93–94.

[27]– محمد ابن آجروم الصنهاجي، متن الآجرومية، مرجع سابق، ص5.

[28]– المرجع نفسه، ص6.

[29]– المرجع نفسه، ص8.

[30]– القاسم الحريري، ملحة الإعراب، دار السلام، مصر، 2005، ص6.

[31]– المرجع نفسه، ص8.

[32]–محمد ابن مالك الأندلسي، متن ألفية ابن مالك ، مكتبة دار العروبة للنشر و التوزيع الكويت 2006، ص2.

[33]– المرجع نفسه، ص20.

[34]– محمد ابن آجروم الصنهاجي، متن الآجرومية، مرجع سابق، ص11.

[35]– المرجع نفسه، ص11.

[36]– القاسم الحريري، ملحة الإعراب، مرجع سابق، ص65.

[37]– المرجع نفسه، ص22.

[38]– المرجع نفسه، ص24.

[39]– محمد ابن آجروم الصنهاجي، متن الآجرومية، مرجع سابق، ص13.

[40]– محمد ابن مالك، متن الألفية، مرجع سابق، ص1.

[41]– المرجع نفسه، ص1.

[42]– القاسم الحريري، ملحة الإعراب، مرجع سابق، ص4.

[43]– المصدر نفسه، ص5.

[44]– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[45]– المرجع نفسه، ص10.

[46]– المرجع نفسه، ص11.

[47]– محمد ابن مالك، متن الألفية، مرجع سابق، ص3.

[48]– القاسم الحريري، ملحة الإعراب، مرجع سابق، ص6.

[49]– مالك المهذري، الممتع في شرح الآجرومية، مكتب صنعاء الأثرية، اليمن، 2004 ص3.

رهانات النهضة الروحية في الفكر العربي بين الأصالة والمعاصر
ـ دراسة في أسس التنمية اللغوية والعقدية من منظور الكتاتيب ـ

داه. حواء بيطام

محمد الصديق بن يحي، جيجل

ملخص: بفعل الأفكار القاتمة وانصهار السيادة وانتشار الثقافة الاستهلاكية، توسعت الهوة و زاد عمقها و طغى السواد والضبابية عليها ما أدى إلى الضياع والتحلل وانتشار الثقافات السطحية و التصورات الوهمية، ما جعل الفكر العربي يخوض صراعا بين أناه الغائبة التي غربها الآخر الحاضر فيها وبين روحه الحاضرة التي تجردت من أصالتها هو صراع قديم حديث تتطلع الروح من خلاله أن تبعث كوجود حاضر مكين لها خصوصيتها العقدية و اللغوية و الهووية بعيدا عن حدود الاستلاب الفكري.

هي مسألة هوياتية وجودية لا تختص بها الأدبيات العربية وحسب، بل هي قضية استوطنت حتى الأدبيات الإنجليزية بيد أن كثيرا منها مشحونة بالعواطف ولكن هذا لا ينفي وجود إنتاجات علمية عربية، ما حضنا على أن نحاول ساعين إلى تبني منظومة بحثية متماسكة، من أجل خلق حلول عملية، تمكننا من الخلوص إلى نتائج سوية ولذلك وجب علينا العمل على الإجابة عن التساؤلات التالية:ــ ما هي أسباب إخفاق مختلف المشاريع النهضوية التي قام بها الرواد الأوائل من دعاة حركة الإصلاح الديني أو دعاة القومية العربية؟ ما هو المشروع النهضوي البديل الذي به يمكن أن تتحقق نهضة شاملة لكل الأطر كانت عقدية أو لسانية أو تأصيلية؟ ما هو الطرح الذي قدمه التصور الإسلامي لمواجهة الأزمة الروحية التي يعيشها الإنسان العربي؟ هل استطاع الفكر النهضوي تجاوز الثنائية الإشكالية، أصالة/ معاصرة؟ ما امتدادات التصورات التأسيسية للكتاتيب وكيف شكلت منحى تطوريا في الفكر العربي؟

الكلمات المفتاحية: النهضة الروحية، الكتاتيب، الأصالة، المعاصرة، التنمية اللغوية، التنمية الروحية والعقدية.

تمهيد: قد تتعرض أمة في لحظة من تاريخها للانحطاط والسقوط، فتنتكس حركة التقدم والتطور فيها، وتتخذ من حضاراتها موضوعا للفخر والتباهي والتغني بالماضي المجيد فقط، وتتوقف عن روح الإبداع، بعد أن كانت لها إسهامات في المسيرة الحضارية للإنسانية، ودورها في دفع عجلة التاريخ في أوروبا، ذلك ما حصل للأمة العربية والإسلامية في محطات تاريخية مختلفة.

وقد شكل عصر النهضة العربية مرحلة تاريخية مهمة بالنسبة للعرب، نظرا لدوره الكبير والفاعل في تشكيل الوعي العربي، ففيه تبلورت للمرة الأولى ملامح ما يمكن دعوته بالمشروع النهضوي للعالم العربي والإسلامي، وفي هذا المشروع يمكننا رؤية الملامح العامة والخاصة أيضا لرغبة العرب في إصلاح أحوالهم والنهوض بها، وهي ملامح تكونت مع تنامي الإدراك المتنوع لقيمة الإصلاح.

ونتيجة للوهن الذي أصاب الأمة الإسلامية تحت يد المستعمر الغربي الذي عمد إلى تجهيل المجتمعات الإسلامية، وسد في وجهها أبواب الرقي والتطور جميعها وسخر في ذلك كل ما تحت يده من إمكانات ووسائل، فشوه الدين الحنيف، ونشر الفساد في الأخلاق والآداب، حتى ظن أن لغة القرآن الكريم قد انطفأت في الأمة الإسلامية.

إن ظروف التراجع والانكسار، هي البيئة التي تنتج عادة السؤال التاريخي، ما العمل؟ وهذا السؤال هو أحد العوامل التي تؤسس لمشروع النهضة كانت روحية أو عقدية أو فكرية، ولسانية، ما العمل في مثل هذه الظروف؟ وعلى الوعي أن يأخذ معركة الإبداع بحثا عن أجوبة كبرى، عن معضلات الهزيمة والتراجع.

وعليه انبرى البحث محاولا معالجة أهم الإشكاليات التي شكلت كنه المشاريع النهضوية الروحية التي كانت السبيل الأوحد إلى تحقيق التمنية العقدية واللغوية في ذات الإنسان العربي، انطلاقا من الإشكالية العمدة:

ما هو المشروع النهضوي البديل الذي به يمكن أن تتحقق نهضة شاملة لكل الأطر كانت عقدية أو لسانية أو تأصيلية؟ ما هو الطرح الذي قدمه التصور الإسلامي لمواجهة الأزمة الروحية التي يعيشها الإنسان العربي؟ هل استطاع الفكر النهضوي تجاوز الثنائية الإشكالية، أصالة/ معاصرة؟ ما امتدادات التصورات التأسيسية للكتاتيب وكيف شكلت منحى تطوريا في الفكر العربي؟

القسم الأول:

أولا: في مفهوم وخصائص النهضة الروحية

1/ النهضة الروحية:

1/1 النهضة: يعتبر مصطلح النهضة حديث التداول في الفكر العربي، وبالعودة إلى القواميس العربية لن يخرج اللفظ عن الفعل الثلاثي "نهض" والنهوض: البراح عن الموضع والقيام عنه، نهض ينهض نهضا ونهوضا، وانتهض أي قام، وأنهضته أنا فانتهض، وانتهض القوم وتناهضوا: نهضوا للقتال وأنهضه: حركه للنهوض واستنهضته لأمر كذا إذا أمرته بالنهوض له، وناهضته أي قاومته، والنهضة بسكون الهاء، العتبة من الأرض تبهر فيها الدابة، أو الإنسان يسعد فيها من غمض، والجمع نهاض.[1]

والنهضة من الفعل (نهض) نهضا ونهوضا: قام يقضا ونشيطا، ويقال: نهض من مكانه إلى كذا، ونهض إلى العدو: أسرع إلى ملاقاته، والنهضة الطاقة والقوة والوثبة في سبيل التقدم الاجتماعي أو غيره.[2]

ولكلمة نهضة التي نستعملها " Renaissance " معنيان اثنان: أحدهما تجدد الأمة في مجموع أحوالها بعامل أو عوامل استفزتها وتغلبت على العوامل الأخرى، أما المعنى الآخر فهو الانتباه لوجوب إحداث التغيير والشعور بابتداء وقوع ذلك التغيير[3]

والنهضة عموما هي عمل وفكر جماعي، فلا يمكن لأي إنسان مهما بلغ من قدرات أن يقوم بنهضة بمفرده، بل إن الفكر النهضوي وكل الأفكار العظيمة هي أفكار تتناقل وتنضج من جيل إلى جيل، لكي تستطيع أن تصنع التغيير المرجو[4]

½ مفهوم الروح: جاء في مقاييس اللغة أن الروح: " الراء والواو والحاء أصل كبير مطرد، يدل على سعة وفسحة واطراد، وأصل ذلك كله الريح، وأصل الياء في الريح الواو، وإنما قلبت ياء لكسرة ما قبلها، فالروح روح الإنسان، وإنما هو مشتق من الريح وكذلك الباب كله والروح نسيم الريح، ويقال أراح الإنسان إذا تنفس والروح جبريل عليه السلام"[5]

أما الروح في الاصطلاح فهي لفظة ذات كنه ديني وفلسفي عميق، لذا نجد تعريفه وتحديده بحسب تنوع الأديان وتعدد الفلسفات، على أن تقاطع جميع التعريفات ينص على أن الروح شيء معنوي قائم في الذات الإنسانية وعلى أساسه يتم الإدراك والوعي والتفكير والشعور الإنساني.

نستطيع أن نقول أن الروح هي مبدأ الحياة العقلية، ومفهوم الروح أكثر دقة من مفهوم النفس، التي قد تعني في آن واحد، مبدأ الحياة ومبدأ الفكر، وبالمقابل يعتبر مفهوم الروح أو العقل أكثر اتساعا من مفهوم الوعي الذي يشكل موضوع التحليل النفساني، فمفهوم الروح تأملي أو ما ورائي، وهي ليست ملكة بل فعلا ندركه بالحدس وتقابل الروح المادة، والروحانية هي المذهب الذي يقول إن المادة تعود في نهاية المطاف إلى طبيعتها الروحية"[6]

3/1 النهضة الروحية: هي إيقاظ الحياة الروحية التي اعتراها الفتور وهي عودة الانتعاش والمشاعر الروحية التي تلبي لوازم الاستقامة والرفعة الأخلاقية المجيدة، فهي صحوة تنقل الناس من حالة التبلد واللامبالاة إلى الحاجة للتغيير فهي تثبيت وبناء للنمو السليم الصحيح، الذي يود تحريك القوى الإنسانية الفكرية والعاطفية والإرادية فتهذب كيانه وتسوي لسانه وتحدد مساره.

إن علينا أن نولي اهتماماً كبيراً لجوانب النهضة الروحية والمادية معاً، كأسس لازمة للحياة الطيبة، وذلك في مواجهة الأفكار التي تروجها الاتجاهات العلمانية الداعية لاقتفاء أثر الغرب في كل شيء، حتى في الفصل التعسفي بين الناحيتين المادية والروحية. إن الأمة تحتاج في نهضتها إلى الإيمان القوى المرتكز على قواعد ثابتة من

روحها ونظريتها، وإلى القوة المادية التي يظهر بها هذا الإيمان فيعرب للناس عن وجوده ويبرهن للخصوم على قوته وثباته[7] .

ويشمل الجانب الروحي كأساس للنهضة مجموعة من الأخلاقيات والفضائل النفسية كلها ترتبط وتصدر عن «الإيمان بالله»؛ هذا الإيمان الذي يقتضي الإيمان بعظمة الرسالة الإسلامية، والاعتزاز باعتناقها والأمل في تأييد الله لأهلها لخير الإنسانية جمعاء، وليس لخير أمة المسلمين وحدهم .

ولهذا فإن من المهم تبديد مشاعر اليأس لدى أبناء الأمة وترسيخ الأمل في نفوسهم. وكل العبر والعظات التي أشار إليها القرآن والتي نبهت إليها السنة وكذلك عبر التاريخ وسنن الاجتماع، كلّها تؤكد ما ذكرنا؛ فالقرآن يضع اليأس في مرتبة الكفر، وكذلك يقرن القنوط بالضلال: ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ (سورة الحجر الآية 56) وإن القرآن ليقرره ناموساً كونياً لا يتبدل ونظاماً ربانياً لا يتغير أن الأيام دول بين الناس وإن القوى (الغرب الآن) لن يستمر على قوته أبد الدهر، والضعيف (أمة المسلمين الآن) لن يدوم عليه ضعفه مدى الحياة، ولكنها أدوار وأطوار تعترض الأمم والشعوب كما تعترض الآحاد من الأفراد[8] .

ومن الأخلاق المرتبطة بالجانب الروحي والتي يجب أن يتحلى بها إنسان النهضة الإسلامية المنشودة «خلق الصبر»، وهو أول اللبنات القوية في بناء الأمم الناهضة وذلك هو السر في أن الله فرضه على المؤمنين وأمرهم به «فلا نهوض إلا بعزيمة ولا نصر إلا مع الصبر». إن تلك الأخلاق وغيرها من الفضائل لن تأتي من «الغرب» صاحب المدنية الحديثة؛ إذ إنه مفتقر إليها أصلاً، وإنما مصدرها الوحيد بالنسبة لشعوب الأمة العربية والإسلامية هو (الإسلام)

وإذا كنا نرى ضرورة قيام النهضة على أسس تجمع بين الروح والمادة، فإن أنصار التغريب ما زالوا مصرين على آرائهم في ضرورة تقليد الغرب وإلقاء قنبلة الاستسلام للأوربي – حسب وصف على شريعتي – هذا في الوقت نفسه الذي سبق أن انتقد فيه كبار مفكري الغرب حضارتهم ويضجون بالشكوى من المأساة الروحية

التي تعيشها المجتمعات الغربية ومن هؤلاء على سبيل المثال: المؤرخ الإيطالي الشهير فريرو الذي عبر عن تلك المأساة في قوله:

أعتقد أن الشرق والغرب يلتقيان في ذهن كل فرد متحضر ... إن الشرق اليوم في أمس الحاجة لأسباب حضارتنا المادية، ونحن كذلك في أشد الحاجة لأصول حضارة الشرق الروحية... لهذه الأسباب نتجه بقلوبنا صوب ماضي الشرق الذي توشك أن تهدم حضارتنا بقاياه .

علينا أيضاً ألا نغفل الجانب المادي كأساس للنهضة، وأن نؤكد أهميته الروحية ذاتها ومنظومة الأخلاق الفاضلة التي حض عليها الإسلام. وإذا كان كثير من الناس يظن أن الشرق تعوزه القوة المادية من المال والعتاد وآلات الحرب لينهض ويسابق الأمم التي سلبت حقه وهضمت أهله، فإن ذلك صحيح ومهم، ولكن أهم منه وألزم القوة الروحية من الخلق الفاضل والنفس النبيلة، والإيمان بالحقوق ومعرفتها، والإرادة الماضية في سبيل الواجب، والوفاء الذي تتبني عليه الثقة والوحدة، وعنهما تكون القوة. إن العالم الإسلامي لو آمن بحقه وغير من نفسه واعتنى بقوة الروح وعنى بتقويم الأخلاق لأتته وسائل القوة المادية من كل جانب وعند صحائف التاريخ الخبر اليقين[9].

إن التراث الروحي «لأمتنا» إذا فهمناه وقُدمناه بشكل صحيح، سيكون من شأنه أن ينقذ حضارة الغرب الحديثة من عثراتها الروحية، بل إن الغرب نفسه مضطر إن عاجلاً أو آجلاً إلى الاقتباس من «روحانية الشرق» لتتكامل مع مادية الحضارة المعاصرة.

2/ إشكالية الأصالة والمعاصرة: ينطلق الجابري في تحديد هذه الإشكالية متسائلا عن كيفية فهم العلاقة بين الفكر والواقع، وهل الأصالة والمعاصرة ازدواجية مفروضة أم اختيار، فكثيرا ما تطرح على أنها مشكل الاختيار[10]، بين النموذج الغربي في السياسة والثقافة واللسان...الخ، وبين التراث بوصفه يقدم أو بإمكانه أن يقدم نموذجا بديلا أصيلا يغطي جميع ميادين الحياة المعاصرة من هنا يصنف الجابري المواقف إزاء هذا الاختيار إلى ثلاثة أصناف رئيسية: مواقف عصرانية تدعو إلى

النموذج الغربي المعاصر بوصفه نموذجا للعصر كله، للحاضر والمستقبل، ومواقف سلفية تدعو إلى استعادة النموذج العربي، الإسلامي كما كان قبل الانحراف والانحطاط، أو على الأقل الارتكاز عليه لتشييد نموذج عربي إسلامي أصيل يحاكي النموذج القديم، في الوقت ذاته، الذي يقدم فيه الحلول الخاصة لمستجدات العصر ومواقف انتقائية تدعو إلى الأخذ بأحسن ما في النموذجين معا والتوفيق بينهما في صيغة واحدة تتوافر لها الأصالة والمعاصرة معا.

هكذا نرى أن الشكل الذي يواجهنا ليس شكل أن نختار بين أحد النموذجين التراثي أم الغربي وإنما الشكل الذي نعانيه وهو الازدواجية بين النموذجين التي تطبع كل مرافق حياتنا الفكرية، بحيث نبني مخططات على أساس هذا الواقع المزدوج منصرف على القطاعات التقليدية، من أجل الإبقاء عليها، وإحياء المؤثر منها باسم الأصالة والحفاظ على التقاليد، ونصرف على القطاعات العصرية من أجل تدعيمها وتدعيمها من أجل التحديث، الأمر الذي يجعلنا عدة فرق على صعيد الحياة؛ حيث نرى فريقا يدعو إلى تبني الفكرية العصرية التي تشكل جزءا لا يتجزأ من النموذج الحضاري الغربي، وفريق آخر يدعو إلى التمسك بقيمنا التراثية وحدها وينتج عن هذه الازدواجية، فريق ثالث يلتمس وجها للتوفيق بين الموقفين، من أجل التخفيف من وقع الازدواجية.

ثانيا:

1/ مفهوم الكتاتيب

أ/ التعريف اللغوي: جاء في لسان العرب لابن منظور المكتب والكتاب موضع تعلم الكتاب، وجمع كتاب كتاتيب، والمكتب موضع التعليم القرآني[11].

ب/ التعريف الاصطلاحي: المقصود بالكتاب أو الكتاتيب "المدارس" المخصصة لحفظ القرآن والتي غالبا ما تكون ملحقة بأحد المساجد، وهي عبارة عن قاعات صغيرة كثيرا ما تكتظ بأطفال لهم أعمار متفاوتة يجلسون على الأرض، أمام معلمهم الشيخ أو الطالب ويقرؤون القرآن بهدف حفظه إما من المصحف أو لوحة خشبية

وغالبا ما يكتب الطفل على اللوحة سورة بأكملها أو عدة آيات من القرآن الكريم، ثم يكرر قراءتها حتى يحفظها عن ظهر قلب، ثم يستظهر ما حفظه أمام شيخه (معلمه) الذي يؤشر له بالحفظ وإذا وافق الشيخ على الحفظ ذهب الطفل (التلميذ) ومحى لوحه استعدادا لحفظ آيات أخرى، وهكذا يتم الحفظ، حيث تحدث منافسة بين الأطفال في الحفظ ويتفاوتون في ذلك حسب استعداداتهم وظروفهم النفسية والاجتماعية[12].

ج/ التعريف الإجرائي: الكتاتيب هي عبارة عن حلقة منظمة في المساجد لتعليم القرآن والكريم وتعليم القراءة والكتابة، وتلقين الأطفال الصغار للدين الإسلامي الحنيف وهي جزء من حياة الناس في المجتمع الجزائري التي ارتبطت بواقعهم الديني والثقافي وتوجد في كل قرية من قرى الجزائر، وهي من التقاليد العريقة، وتحتل موقعا خاصا في قلوب المسلمين العرب، وهي من أعظم وأهم الوسائل التي من خلالها يظهر أثر ارتباط الجيل بالقرآن[13]

2/ نشأة الكتاتيب: لقد كان دور الإقراء في البلاد الإسلامية على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، متعددة وكثيرة، لا شك أنها تخرج من كل دار أعداد لا تحصى من قراء القرآن الكريم، أما بعد انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى قد زادت دور الإقراء، وعند اكتمال نزول القرآن كثر إقبال الناس على تلقيه أضعافا مضاعفة، وكثرت الفتوحات شرقا وغربا، واتسعت الأقطار الإسلامية وزاد عدد الأمة وكثرت دور الإقراء بكثرة من يرتادها.

أما الكتاتيب هي جميع كتاب والمراد بها المكتب الذي يحفظ فيه القرآن الكريم فقد أنشأت في عصر مبكر وهي من أسبق أنواع المعاهد التعليمية وجودا في العالم الإسلامي بعد المسجد.

وكانت بداية ظهور الكتاتيب في عهد عمر بن الخطاب، وقد أنشأ رضي الله عنه إلى جانب مسجده أو في بعض زواياه، كتاتيب للأطفال يتعلمون فيها كتاب الله وهنا بدأ بعض التنظيم والإشراف وأنشأت الأقسام الداخلية، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أو من أصدر التعليمات بصرف التلاميذ ظهر يوم الخميس استعدادا لاستقبال يوم

الجمعة والخلود إلى الراحة، وقد انتشر هذا التقليد في ربوع العالم الإسلامي وظلت الكتاتيب المكان الرحيب للقرآن، حتى جاء العصر العباسي فتنافست الدول المستقلة في إنشائها بعد أن اتضح مشكل احتمال المسجد للصلاة والتدريس معا.

انتشرت الدور الخاصة بالقرآن الكريم وتعلمه في البلاد الإسلامية انتشارا واسعا ففي دمشق مثلا كانت في القرن الخامس إلى القرن العاشر هجري ومنها:

ـ دار القرآن الخيضرية؛

ـ دار القرآن الرشانية؛

ـ دار القرآن السنجارية؛

ـ دار القرآن الوجيهية.

وفي بلاد المغرب يرى البعض أنه لا توجد أمة خدمت القرآن الكريم وتفانت في حبه والاهتمام بشأنه مثل بلاد المغرب، فقد كثرت الكتاتيب بكثرة حتى لا توجد منطقة إلا وفيها كتاتيب، دون أن ننسى الأزهر الشريف وعمره الآن يزيد عن الألف عام، فقد كان طوال هذه الفترة لا يزال يخدم العلوم الشرعية عامة، وفي مقدمتها القرآن الكريم حفظا وفهما وفي تلك العصور، يرحل إليه طلاب العلم من جميع بلدان العالم الإسلامي ينهلون من علومه.

وهكذا انتشرت دور الإقراء وتنافس الناس فيها في جميع قرى الإسلام ذلك أن تعليم القرآن شعار من شعارات الدين الإسلامي وكان نتيجة هذا الاهتمام تخرج العديد من حفظة القرآن الكريم على مدى العصور المختلفة.[14]

3/ خصائص التعليم الكتابي:[15]

يتميز التعليم الكتابي بعدة خصائص تميزه عن بقية المؤسسات التعليمية الأخرى ويمكن إيجازها فيما يلي:

أ ـ شعبية التعليم الكتابي، معناه أن التعليم مرتبط بمناطق ظهور التجمعات السكانية مهما كان مستواها الاقتصادي؛

ب ــ إمكانية التعليم الكتابي، معناه أن هذا التعليم لجميع أفراد المجتمع والفئات الاجتماعية بما فيها الغنية والفقيرة؛

ج ــ لا يتطلب نفقات تسيير هامة فهو بذلك اقتصادي من ناحية التكاليف المادية ومن حيث التجهيز والتخطيط؛

د ــ ارتكاز هذا التعليم على اتجاهات نفسية دينية لدى المعلم وهذه الاتجاهات توفر جوا خالصا للعمل والفعالية.

4/ دور الكتاتيب في حفظ الهوية العربية الإسلامية:

لعبت الكتاتيب الدور الرئيسي في الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية دورا متميزا في تكوين الخلفية القرآنية الإسلامية في عقول الكثير من أبناء المجتمع الإسلامي لفترة زمنية طويلة، وكانت تلك الكتاتيب قد انتشرت في ربوع العديد من الدول الإسلامية من جنوب شرق آسيا عبر اندونيسيا وماليزيا مرورا بباكستان ودول شرق آسيا إلى أقصى المغرب الإسلامي في الغرب وموريتانيا ثم الجنوب وغيرها.

وقد وجهت كثرا من المخططات الجيشية المنظمة للقضاء على الآثار الإيجابية لتلك الكتاتيب في العالم الإسلامي، حتى أصبحت الكتاتيب تلك المؤسسات الصغيرة العتيقة مهددة بالانهيار التام، ونحن في السطور نحاول معا إلقاء نظرة عابرة على تلك الكتاتيب ودورها وكيف ينظر إليها.

العشرات من الأناشيد والأغاني والأشعار والحكايات الأخرى قد احلت مسألة كبيرة في عقول الأطفال الناشئة وذلك على حساب حفظ القرآن الكريم في تلك المرحلة العمرية الهامة عند الأطفال التي استوعبت حفظ ملايين الكلمات.

وقد نجد أطفالا قد أتموا حفظ أجزاء كبيرة هامة من القرآن الكريم قبل دخول المدرسة ويرجع ذلك إلى الكتاتيب[16].

القسم الثاني: التنمية العقدية واللغوية من منظور الكتاتيب

أولا: الكتاتيب حفاظ على اللغة العربية وصمود ثقافي عقدي:

ارتبطت الكتاتيب بالمساجد كما ارتبطت الزوايا بالطرق الصوفية، فإنشاء تلك المؤسسات التعليمية الصغيرة تاريخيا عبارة عن انشقاق عن المؤسسة الأم (المسجد) فوظيفة الكتاتيب تحفيظ القرآن الكريم للأطفال وترتيلهم له.

أصبحت الكتاتيب رمز استمرار التعليم القرآني فكانت السبيل الأوحد من أجل تحقيق الرفعة الروحية التي تنم عن اليقظة والنقاوة، فقد شملت المبادئ المتلقيات حفظ القرآن والكتابة والرسم القرآني وكذلك التربية الدينية وحفظ الأحاديث وأداء الصلوات وحسن الأخلاق[17] .

كان الطالب ينصت إلى قراءة الأطفال ثم يملي عليهم آيات يكتبونها مع حث الكبار على احترام قواعد الرسم الاملائي، كان تعليمهم مقتصرا على ذلك، والفائدة التربوية الوحيدة هنا هي أن الأطفال يتعلمون الكتابة باللغة العربية أو بالنقل الصوتي للغة المنطوقة من غير مراعاة لأي قاعدة نحوية وهو المنهج المتبع في أغلب مناطق الجزائر[18].

وعليه فإن الكتاتيب بنت أسسا مكينة جعلتها متأصلة فعمدت إلى الحفاظ على الثقافة العربية الإسلامية:

أ ــ الحفاظ على اللغة العربية:

ــ فاللغة العربية هي اللغة الوطنية لأفراد المجتمع العربي تلعب دورا كبيرا في تماسكهم الاجتماعي؛

ــ اكتساب الأطفال ملكة لغوية سليمة وفصيحة النطق؛

ــ اكتساب الطفل المعلومات والمهارات بواسطة تدريبه على الكتابة

ب ــ الحفاظ على الدين الإسلامي:

ــ إن الدين الإسلامي عامل هام من عوامل التماسك الاجتماعي والوحدة الوطنية؛

ــ تمكن الطفل من حفظ مجموعة من السور القرآنية والأحاديث النبوية؛

ـــ تحفيظ القرآن الكريم للصغار والكبار.

ج ـــ الحفاظ على الثقافة العربية الإسلامية:

ـــ تحمل مواصفات ومميزات المجتمع الجزائري من عادات وقيم إسلامية؛

ـــ تعليم الطفل على حب المبادئ والقيم الإسلامية؛

ـــ تعليم مبادئ القراءة والكتابة والآداب الإسلامية

ثانيا/الكتاتيب في الجزائر وخطاب النهضة الروحية:

إن الذين أرخوا لتطور الفكر التربوي في الجزائر يجمعون على حقيقة مفادهـــا أن طبيعة التجديد التي تميز الكتاتيب قد بدأ بتوعية الشعب الجزائري واكتمل في المحافظة على هويته الوطنية والاعتزاز بأصالته التي احتفظت بعمقها التاريخي في اللغة العربية والدين الإسلامي، وهذا ما أسهم في إعادة قراءة هذا الموروث القيمـــي والحضـــاري الذي استنسخته لغة التقليد عند الكتاتيب مما أحدث أزمة تواصل بين الماضي والحاضر وأزمة فهم الآخر من خلال التعصب الديني والحضاري، ومن ثم فإن هـــذا الخطـــاب ليس مجرد اجترار للبنى الثقافية وإنما وعيا قائما بذاته في العقـــل والشـــعور والفكـــر والسلوك وهو ما عزز دور الحركة الوطنية في المحافظة على مقومات الهوية الوطنية لدى الشعب الجزائري، هذه الحقيقة التاريخية جسدت رسالة الكتاتيب والمداس القرآنيـــة التي أسهمت في تماسك عناصر هذه الوحدة الروحية.[19]

إن الطابع القومي الذي يميز الثقافة العربية يشكل تلك القيم التي تمثل اللسان الـــذي يتحدث به الشعب الجزائري وهو ما يظهر جليا من خلال التكـــوين العقائـــدي الـــذي صاحب وعيه الذي تخلق في رحم الثورة التي منحت الشعور بـــالاعتزاز الـــذي نمـــا ضمن هذا الخطاب الذي صاغت المساجد دلائله الروحية التي اختزلت تلـــك الدينامية التي هيأت الشعب الجزائري نفسيا لاحتواء ضعفه.[20]

إن المتأمل للغة الروحية التي طبعت الزوايا يعتقد بحضور القـــيم الصـــوفية التـــي ارتقت بالضمير الوجداني للشعب الجزائري ليرتمي المواطن في أحضـــان الصـــوفية

ويعيش في عالم الروح والتخيلات متخلصا من القهر والحرمان في ظل المخططات الاستعمارية التي ترمي إلى سلب الجزائريين هويتهم.

إن ما يشكل فلسفة البناء الروحي ينطلق من التأصيل الإسلامي لهذه العناصر التي تسمو بأدوات التجديد والاندماج لغويا ودينيا وهو ما منح للشعب الجزائري الشعور بالاعتزاز الذي يمنح لها في إجلاء هذا التأصيل في مجال التربية العقدية واللسانية.

وبذلك فإن طبيعة هذا الوازع الروحي قد أسهم في تقوية عناصر الذاكرة الجماعية لاحتواء كل التحديات، ومن ثم فإن الواقع الحالي للكتاتيب قد جعل من التقليد يختزل دورها السلبي الذي مارس على الفرد الجزائري اغترابا دينيا وهو ما فسح المجال للعولمة في تمييع العقيدة والروحانيات واللسان للإنسان العربي.

إن طبيعة النموذج الروحي الذي أرست دعائمه الكتاتيب والزوايا يشكل حلقة الوعي الإسلامي الذي استوعب هذا الخطاب الذي جدد آليات فهم الهوية وعزز في نفسية الشعب الجزائري سيادته الجغرافية والدينية واللغوية [21]

ثالثا: الكتاتيب والتحصيل اللغوي:

الطفل العربي حصيلته اللغوية 16000 كلمة وهو في عمر ثلاث سنوات في حين أن الطفل العربي محصور في اللغة العامية وهي لغة الأم في البيت والعامية للأسف الشديد محدودة ومحصلتها 3000 كلمة فقط يتعلمها الطفل أي أن الفارق بين حصيلة الطفل الغربي والطفل العربي 13000 كلمة لصالح الطفل الغربي، وبالتالي يصبح عقل الطفل العربي يعيش في حدود ضيقة جدا من التحصيل اللغوي وهذه معلومة مفزعة وخطيرة ومعناها أن الأمة ضائعة أو تكاد في كتاب " الإسلام الثوري" لجيسين يقول: أن الإنجليز والفرنسيين عندما انهارت دولة الخلافة وورثوها كمحتلين قاموا مشتركين بعمل دراسة عن سبب قوة الإنسان أو الفرد المسلم والتي أدت هذه القوة الجبارة إلى أن المسلمين غزوا العالم من المحيط الأطلنطي إلى فيينا وضواحي باريس إلى الهند وأدغال أفريقيا.

فوجدوا أن الطفل المسلم من عمر 3 سنوات إلى 6 سنوات يذهب إلى الكتاب ويحفظ القرآن وبعد أن يحفظ القرآن يدرس ألفية ابن مالك وهي 1000 بيت شعري والتي بها كل قواعد اللغة العربية الفصحى، إذا الآن لدينا طفل عمره 7 سنوات وهذه محصلته اللغوية فهو طفل ليس عاديا بالنسبة للطفل الغربي.

فخلص الإنجليز والفرنسيون من هذه الدراسة أن سبب قوة المسلمين هي القرآن الكريم وكتاتيب تحفيظ القرآن.[22]

خاتمة: إن التربية الروحية و الدينية التي حملت رسالة الكتاتيب تمثل تجديدا حضاريا أسهمت في ممارسة قيم أخلاقية تشكل استثمارا حقيقيا انتقل من خلاله الفكر الجزائري نقلة نوعية أسهمت في تحقيق الأصالة والتحضر، وهكذا قاوم هذا التطور خطاب الكتاتيب الذي أصبح مسؤولا عن تكوين العناصر التي تعمل على تعزيز الفكر والعقيدة واللسان، حتى لا يتحول منطق الجزائريين منطق اقتداء المغلوب بالغالب.

حضور الكتاتيب كان بمثابة مؤسسة ثقافية تعليمية انصرفت إلى ترقية اللسان وبث تلك الروح التي أعادت بناء الوعي النهضوي الذي يتعايش من خلاله الماضي مع الحاضر لتصبح حلقة التواصل التاريخي والروحي مع مقومات هذا البناء الذي يقوم على بث تقديس العقيدة واللغة والهوية.

الهوامش:

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، دت، ص:4560

[2] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004، ص: 958ـ959

[3] جيرار جهامي، موسوعة مصطلحات الفكر العربي والإسلامي الحديث والمعاصر ج3 مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 2002، ض: 2001

[4] ينظر: حسين مؤنس، تاريخ موجز الفكر العربي، دار الرشاد، القاهرة، ط1، 1996م،ص: 349

[5] مقاييس اللغة، مادة الروح، موقع الباحث العربي: الموقع على النت: مادة الروح

[6] نهى حنا، رشيد فرحات، موسوعة كنوز المعرفة ــ الأديان ــ جونيه، دار نظير، بيروت مجلد2، ط2002،4،ص: 326

[7] مقال منشور على: https//mawdoo3/com

[8] المرجع نفسه

[9] المرجع السابق

[10] محمد عابد الجابري، إشكالية الفكر العربي المعاصر،مطبعة الاتحاد، دمشق، ص:9

[11] ينظر: آسيا بلحوسي رحوي، وضع التعليم غداة الاحتلال الفرنسي، جامعة مولود معمري تيزي وزو،ع7، ديسمبر2007،ص:73

[12] ينظر: وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، ظاهرة الغلو في التكفير، إشكالية العنف، المصطلح والمفهوم، مدونة الأقراء الجزائرية، ع5، 2007، ص:57

[13] ينظر: كمال قدة، القراءة والأقراء في العصر الحديث، مجلة رسالة المسجد، تصدر عن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، ع5، 2015، ص:7

[14] ينظر: كمال قدة، القراءة والأقراء في العصر الحديث، ص:20

[15] تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر طبعة خاصة، ط5، وزارة المجاهدين، ص:370

[16] مختار تراري، التعليم بالكتاتيب القرآنية في منظور الدراسات النفسية والتربوية المعاصرة مجلة الأنتروبولوجيا والعلوم الاجتماعية، ع7، وهران، الجزائر، ص:20

[17]ينظر: عمارة كريمة، المؤسسات الدينية والتحصيل الدراسي، مذكرة تخرج، مستغانم،2017 ص:14

[18] ينظر: المرجع نفسه

[19] ينظر: بن ترات جلول، مقال منشور في خطاب الزوايا وتجلياته في فهم الهوية الوطنية بين التقليد والتجديد، جامعة الجيلالي ليابس، سيدي بلعباس

[20] المرجع نفسه

[21] ينظر: بن ترات جلول، مقال منشور في خطاب الزوايا وتجلياته في فهم الهوية الوطنية بين التقليد والتجديد، جامعة الجيلالي ليابس، سيدي بلعباس

[22] رياض فالحي، مقال منشور https//io.hsoub.com

دور الكتاتيب القرآنية في تكوين الأجيال
جمعية العلماء المسلمين الجزائريين انموذجا

داه. مريم بن الاحرش
جامعة زيان عاشور، الجلفة

ملخص: تروم هذه الورقة البحث في موضوع يعد لبنة من لبنات المجتمع ألا وهو الكتاتيب التي ظلت ولا تزال حاضرة علما ودينا وفقها. خاصة بالنسبة للأطفال الذين عبرها يتمكنون من اتقان اللغة العربية نطقا وفصاحة؛ كما يكتسبون ملكة الحفظ ويطورونها، هذه الكتاتيب انتشرت عبر ربوع الجزائر وتعددت من بينها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي يعد دورها بارزا وفعالا سواء بالنسبة لتحفيظ القرآن الكريم أم تمكن اللغة العربية، وكما لعبت دورا أثناء الحقبة الاستعمارية لا يزال وهجها حتى الآن ولايزال تأثيرها قائما؛ وخير نموذج على ذلك فرع الجمعية بولاية الجلفة من خلال قسم فاطمة الزهراء للنساء والأطفال الذي سيكون نتاجه محور هذه المداخلة. فهل فعلا يقوم هذا القسم بدور فعال؟ وما مدى اسهامه في تعليم الأطفال؟

منذ الانتشار الأول للإسلام بدأت ارهاصات انتشار تعليم القرآن الكريم، حيث كان تعلمه مطلبا وشرفا، "وكان الأطفال يبدؤون بقراءة القرآن وحفظه في الكتاب حتى إذا شبوا عن الطوق ودخلوا المسجد الجامع في المدن لتعلم الفقه وآداب اللغة العربية وكان ذلك منذ القرن الأول للهجرة."[1].

وكلمة كتاب بضم الكاف وتشديد التاء وجمعها كتاتيب تعد كلمة عربية أصيلة يقصد بها المكان الذي يتعلم فيه ما يتعلق بالقراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم، ويعد من أقدم معاهد التربية في المغرب العربي جاء في مقدمة ابن خلدون "أما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط وأخذهم أثناء المدارسة بالرسم ومسائله، واختلاف حملة القرآن فيه، لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس

تعليمهم، لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب، إلى أن يحذق فيه..."[2].

وكان هذا دأب الجزائريين في تدريس أولادهم؛ غير أنه كان في بادئ الأمر مخصصا للكبار فقط ثم تدرج الأمر شيئا فشيئا وصار للأطفال نصيب في الدرس كذلك؛ وفي هذا السياق يقول عبد الحميد بن باديس: " إن التعليم المسجدي في قسنطينة كان قاصرا على الكبار ولم يكن للصغار طريق إلى الكتاتيب القرآنية، فلما يسر لي الله الانتساب للتعليم سنة 1913 جعلت مهمة حملة دروسي تعليم صغار الكتاتيب القرآنية بعد خروجهم فكان ذلك أول عهد للناس بتعليم الصغار"[3].

وتشكل طرق التدريس في الكتاب منهجا بيداغوجيا لايزال معتمدا حتى الآن في الجزائر العميقة، الطرق القائمة أصلا على التلقين والحفظ؛ والتي تسهم بقوة في تكوين ملكة الحفظ لدى الطفل، والحفاظ على نقل وتواتر النص القرآني من التلف والتحوير وفضلا عن الحفظ فإنها تمكن من تشكيل قاموس لغوي فخم وفصيح لدى الطفل، وإن كانت هذه الطرق مستعملة حتى الآن فإنها تختلف اختلافا كليا عن المدارس الحديثة وتتميز بجملة من الخصائص هي[4]:

1. إمكانية التعليم الكتابي لجميع أفراد الفئات الاجتماعية بما فيها الغنية والفقيرة
2. شعبية التعليم الكتابي، معناه أن هذا التعليم مرتبط بمناطق ظهور التجمعات السكانية مهما كان مستواها الاقتصادي؛
3. التعليم الكتابي لا يتطلب نفقات تسيير هامة، فهو بذلك اقتصادي من ناحية التكاليف المادية ومن حيث التجهيز والتخطيط؛
4. إن التعليم الكتابي عاش برفقة الجماعات الرعوية، وهذه ميزة فريدة من نوعها؛
5. ارتكاز هذا النوع من التعليم على اتجاهات نفسية دينية لدى المعلم وهذه الاتجاهات توفر جوا خالصا للعمل والفعالية؛

6. إن التعليم الكتابي نابع من حاجات المجتمع المحلي، فهو بذلك نتاج مبادرات شعبية؛

7. ارتباط التعليم الكتابي في نشأته وتطوره بالمجتمعات العربية الإسلامية، حيث كان الكتاب وسيلة حيوية من أهم وسائل تحفيظ القرآن الكريم؛

8. إن الوسائل التربوية المستخدمة كاللوحة، والحبر المحلي وأدوات المحو... الخ، هي أدوات زهيدة التكاليف، يمكن العثور عليها في البيئة المحلية؛

9. إن الكتاب مؤسسة متواضعة من حيث المظهر الخارجي، إلا أن الطريقة التربوية التعليمية بها عرفت نجاحا كبيرا، وخير دليل على ذلك ظهور العلماء الأجلاء وحفظة القرآن الكريم، قد تلقوا تعليما بهذه المؤسسة الدينية.

الجهود التعليمية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين: تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الخامس من شهر ماي سنة 1931 على يد الشيخ عبد الحميد بن باديس والبشير الابراهيمي وعصبة أخرى من مشايخ الجزائر، كان هدفهم الأساسي تنقية الدين الإسلامي ومحاربة أصحاب الزوايا والطرق المتواطئين مع الاستعمار يقول الشيخ عبد الحميد بن باديس: "إنني أحارب الاستعمار لأنني أعلم وأهذب، فمتى انتشر التعليم والتهذيب في أرض أجدبت على الاستعمار، وشعر في النهاية بسوء المصير"[5]. كما أسهمت الجمعية في الحفاظ على الثقافة القومية وفي نشر التعليم؛ وتميز عملها بالنجاح حيث لا يذكر التعليم العربي الحر إلا وكانت جمعية العلماء رائدة ومتواجدة عبر ربوع الجزائر، وقد بلغ مجموع مدارسها ابان الاحتلال وحتى 1954 أكثر من 150 مدرسة يرتادها أكثر من خمسين ألف طفل وبنت يدرسون فيها مبادئ اللغة العربية وآدابها، وأصول الدين الإسلامي، والتاريخ الجزائري والإسلامي طبق برنامج يجمع بين ضرورات العلم، وبين إيجابيات التربية الإسلامية، والقومية والوطنية الصحيحة[6].

إن جمعية العلماء المسلمين تستند مناهجها على الأسس التي يعبر عنها شعارها: الإسلام ديننا والعربية لغتنا، والجزائر وطننا، جاء في سجل الجمعية ما يلي: "وليس لنا أن ندعي بأن لنا تعليما عربيا صحيحا، لكن اليوم الذي نرى فيه:

- أقلاما تجول في مختلف الميادين؛
- ألسنا تتفجر عن ينابيع الحكمة؛
- شبابا يعتز بلغته؛
- عامة قادرة على التمييز بين الإسلام والخرافة، بين الحق والباطل؛
- في ذلك الوقت فقط نكون قادرين على إقامة الحجة على كل من يرمينا بكسل... ونطمئن إلى مستقبل اللغة العربية في وطننا"[7].

بني منهج الجمعية على أساس قوي متين اتفق عليه الشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ البشير الابراهيمي حين اتفقا على الرجوع إلى الجزائر من المدينة المنورة بعد تخطيطهما لإنشاء الجمعية حيث يقول الابراهيمي: "كانت الخطة التي اتفقنا عليها أنا وابن باديس في اجتماعنا بالمدينة المنورة في تربية النشء هي: ألا نتوسع له في العلم وإنما نربيه على الفكرة الصحيحة، ولو مع علم قليل، فتمت لنا هذه التجربة في الجيش الذي أعددناه من تلامذتنا"[8].

طرق التدريس بجمعية العلماء المسلمين: انصب كل اهتمام الجمعية على تطوير طرق التدريس وتوحيدها ودعت لتجنب الطرق التقليدية، وتزعم هذا التغيير عبد الحميد بن باديس، وتمثلت طرق تطويره في اللغة والنحو مثلا فهو يشترط "تطبيق قواعدها على الكلام الفصيح لتحصيل الملكة" معتبرا دراستها بالطرق التقليدية " تضييعا للوقت وتعطيلا وقلة تحصيل"[9]، ويؤكد على حسن الأداء في القراءة والإلقاء، ويؤكد على تدريس التربية الأخلاقية والاعتماد في ذلك على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

ولا يقتصر الدرس عنده في العلم الشرعي وما تبعه من لغة، بل ركز على أهمية تدريس التاريخ الإسلامي لأن معرفة التاريخ عنده ضرورية للنهضة، كذلك الجغرافيا والهندسة، كل هذا عن طريق الحوار واستعمال مختلف وسائل الايضاح بعيدا عن

الطريقة التقليدية التي تعتمد التلقين والحشو التي تضيع الوقت وتقلل الفائدة. وبنى ابن باديس منهجه أساسا على علم النفس، إذ أن التربية ما هي إلا تطبيق لنظريات علم النفس.

تركز عمل جمعية العلماء المسلمين في جوانب ثلاثة متنوعة ولكنها متكاملة في نفس الوقت وهي الميادين العلمية، والدينية، والثقافية؛ ففي الميدان العلمي مثلا: كانت تدعو إلى العلم وترغب فيه وتعمل على نشره وتمكينه في النفوس عن طريق المساجد والنوادي.

وفي الميدان الديني كانت تعلم الدين واللغة العربية لأنهما شيئان متلازمان، وتدعو إليهما، وترغب فيهما، وتعمل على تطهير الدين مما علق به من خرافات وبدع والعودة به إلى نقاوته الأولى وإلى سماحته في العقائد والعبادات لأن هذا العمل يدخل في باب الإصلاح والسلفية الذي كانت تبشر به جمعية العلماء باعتبارها صاحبة دعوة إصلاحية سلفية.

وفي الميدان التهذيبي كانت تعمل على غرس مكارم الاخلاق التي حث عليها الدين والعقل في نفوس المتعلمين في مدارسها وفي نفوس المترددين على مساجدها، ونواديها بالليل والنهار.

وبهذا حرصت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والتي تخرج من مدارسها عشرات الآلاف على ترقية الجزائريين فكريا، واجتماعيا، واخلاقيا، والارتفاع بمستواهم الاجتماعي والديني والعلمي، حتى يصبحوا أمة عزيزة الجانب يحترمها الأصدقاء ويرهب قوتها الأعداء[10].

يمكننا القول إن المدارس القرآنية أدت دورا هاما في تشبث الأجيال وحفظهم القرآن الكريم وبعض مبادئ القراءة والكتابة والحساب عبر العصور .والبقاء في مقومات الشخصية الجزائرية تعود إلى تعلم القرآن بمعاهده المختلفة .ولا تزال هذه المؤسسات موجودة إلى يومنا هذا تستقبل الصغار لتنشئتهم وتحفيظهم القرآن الكريم ولتعليمهم مبادئ القراءة والكتابة والحساب. فتقوم بدور تربوي فعال معاصر. وهو تحضيرهم

للدخول المدرسي الرسمي فأصبحت المدارس القرآنية اليوم تقوم بـــالتعليم التحضـــيري كغيرها من المؤسسات التربوية الأخرى، وتكوين الأجيال من كل جوانب شخصـــيتهم سواء تربويا ونفسيا واجتماعيا وأخلاقيا وعقليا، وتسهم في تربية صغار المستقبل.

هذا الجهد العظيم الذي قام به شيوخ جمعية العلماء المسلمين لا تزال آثاره ونتائجـــه ملموسة حتى يومنا هذا ويتمثل في مدارس وشعب جمعية العلماء المسلمين المبثوثة في مختلف ربوع الوطن؛ والتي تتميز بنتائج رائعة ومبهرة تظهـــر ثمارهـــا مـــن خـــلال المتمدرسين بها؛ من نماذجها فرعها بولاية الجلفة:

المدرسة القرآنية النسوية

فاطمة الزهراء –رضي الله عنها–

المدرسة حديثة عهد بالولاية تم افتتاحها في: 03/ أكتـــوبر/ 2017، يبلـــغ تعـــداد مرتاديها نساء وأطفالا حوالي 80 بمن فيهم طالبات محو الأمية، تقدم مجموعة مختلفـــة من النشاطات.

- محو الأمية
- قسم مخصص للأطفال: تحفيظ القرآن برواية ورش. حفـــظ تحفـــة الأطفـــال. نشاطات (اشغال يدوية، أناشيد تحفظ للمجموعة الصوتية الحفلات كعيد الأم /يوم العلـــم /المولد النبوي).
- قسم الأمهات: دروس أحكام التلاوة برواية ورش عن طريق الأزرق، تحفـــيظ القرآن برواية ورش، تحفيظ تحفة الأطفال ومتن الجزرية.
- كما أن الطالبات تستفدن من دروس الفقه والحديث وتفسير القرآن.
- دروس الحديث الشريف (الاربعون النووية) مع الأستاذة قوادري الخنساء.
- دروس في الفقه كذلك مع الأستاذة الخنساء.
- دروس تفسير القرآن والنحو مع الأستاذ الفاضل مسعودي يحيى.

قمنا بجولة بين أطفال المدرسة و سألناهم عن مدى استفادتهم مـــن الكتـــاب؛ ومـــن خلال الأطفال الذين استجوبناهم كان ترتيب الإجابات للاستفادة من الكتاتيـــب كـــالآتي

اللغة العربية ثم الأخلاق ثم التربية ثم قيم بينية وبعدها الانضباط وبعدها قدرات الحفظ إذ تبين لنا أن الإجابات تقاسمت ما بين اللغة العربية وتؤكد على الأخلاق والتربية والسلوك من خلال انخراط الأطفال في الكتاتيب فهي تجمع بين الجانب العلمي والروحاني فلا تقتصر على الحفظ فقط لقوله عز وجل في سورة الرعد الآية 28﴿:الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ ومن خلال كتاب الله عز وجل تبين لنا أن التعليم القرآني نمى الجانب الروحي وطمأن النفس البشرية إلى ذلك.

كما قمنا بعملية إحصائية لعدد الاناث والذكور والمعدل العمري للالتحاق بالكتاب لكليهما كانت النتائج حسب ورودها في الجدول الآتي:

الجنس / سنوات الانخراط	ذكور		إناث		المجموع	
	تكرار	%	تكرار	%	تكرار	%
من سنة إلى سنتين	3	10	6	20	9	30
من 3إلى 5 سنوات	3	10	8	26,66	11	36,66
من 6إلى 10 سنوات	4	13,33	5	16,66	9	29,99
أكثر من 10سنوات	0	0	1	3,33	01	3,33
المجموع	10	33,33	20	66,66	30	100

نلاحظ من خلال الجدول: المتمثل في تاريخ الانخراط في الكتاب تبين أن سنوات انخراط الأنثى أكثر من سنوات انخراط الذكور وذلك دليل على حبها للتعليم القرآني في حين أن الذكر لا يلق بالا للتعليم القرآني، كما لاحظنا كذلك أن الأقدمية في سنوات الانخراط في المدرسة القرآنية تعتبر مؤشرا ودليلا على حفظ أكبر عدد وجزء من القرآن الكريم، واستيعابه أكثر وأكثر ويظهر تأثيره على الحفاظ لكتاب الله عز وجل حتى ختمه وترسّخه في الذاكرة.

عند جلوسنا مع مديرة المدرسة السيدة حوري القيزي أكدت لنا على وجود عائقين يواجهان استمرار الكتاب يتمثل الأول في غياب أي مورد مادي للمدرسة، أما العائق الثاني هو غياب الرغبة لدى الأولياء في تحصيل أبنائهم التعليم القرآني واعتباره أمرا

ثانويا إذ لا يدفعون مقابله مالا، كما أنهم يرسلون أبناءهم فقط في فترة العطل اعتقادا منهم أنه نشاط زائد يعرقل تحصيل أبنائهم المدرسي، وهو اعتقاد خاطئ بدليل أن جل المتفوقين في الامتحانات الرسمية من حفظة كتاب الله.

نتائج وتوصيات:

1. تأطير أقسام خاصة بالبنات وأخرى بالذكور وتمويلها تمويلا خاصا؛
2. الاهتمام بالمدرس وإدخاله في المنظومة التربوية من حيث الرتبة والصنف والراتب؛
3. تدريس اللغة العربية قبل المرحلة الابتدائية كونها طريقا للرقي؛
4. اعتماد الطريقة التقليدية في التدريس القائمة على اللوحة والصلصال؛
5. الابتعاد تماما عن التكنولوجيا؛
6. التركيز على الاهتمام بتدريس البنات ليكنّى مدرسة في البيت يعلمن أبناءهم أصول اللغة العربية والقرآن ومختلف المبادئ.

وفي الختام يمكننا أن نقول إن الكتاتيب نسق فرعي داخل النسق التربوي العام ولها علاقة مع الأنساق الفرعية الأخرى، وهي بمثابة مؤسسة ومركز يلتقي فيه الناشئة يتلقون المبادئ الأولى في حياتهم من تعليم لغوي أو ديني. وتعتبر الكتاتيب مؤسسات علمية تربوية إسلامية، كان التعليم فيها وما يزال يركز أساسا على تحفيظ النشئ كلام الله تسعى المدارس القرآنية إلى جعل الأطفال ُيكتسبون تدريجيا المقدرة اللغوية التي تتيح لهم التعبير عن أفكارهم تعبيرا واضحا وصحيحا. ومن ثم إثراء رصيدهم اللغوي. حيث إن الكتاتيبَ القرآنية شعاع ثقافي مهم في المجتمع المسلم، فهي تسهم في الحفاظ على اللغة العربية ونشر العلم، وتمسك الناس بحبل الله المتين، فإذا عمّت وانتشرت هذه الكتاتيب في مجتمعاتنا بتلك المعايير التي سبق أن ذكرناها؛ فسيكثر الخير والنفع والفضيلة ببركة القرآن الكريم، وينشأ جيل قرآني يحفظ عرى الإسلام، فمن أراد الدنيا فعليه بالقرآن ومن أراد الآخرة فعليه بالقرآن، ومن أرادهما معا فعليه بالقرآن، ففيه عز الدين والدنيا.

الهوامش:

[1] رضوان السيد: "الجامع والمدرسة والجامعة" مجلة الفكر العربي، معهد الإنماء العربي، ع20 مارس-أفريل،1981، بيروت، ص05.

[2] ابن خلدون: "المقدمة"، بيروت، ط2، 1998، ص494.

[3] رابح، تركي: الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر. - الجزائر الطبعة الثالثة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1981، ص.79.

[4]مختارية تراري: التعليم بالكتاتيب القرآنية في الجزائر في منظور الدراسات النفسية والتربوية المعاصرة مجلة إنسانيات ع15 2001، ص 61.

[5] محمد الحسن فضلاء، المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر، ج1، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1999، ص15.

[6] رابح تركي، مرجع سابق، ص359.

7 سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين، دار الكتاب، الجزائر، د ت، ص 100.

[8] جريدة البصائر، العدد 44، 26 جويلية 1948، ص 10.

[9] عمار طالبي، ابن باديس: حياته وآثاره، الشركة الجزائرية لتأليف والترجمة والطباعة والتوزيع والنشر، الجزائر، 1986، ج1، ص110.

[10] تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس، مرجع سابق ص 364.

الكتاتيب وتصديها للمخططات الاستعمارية في تدمير الانتماء الحضاري للفرد الجزائري

أ. بوخاري مليكة
المدرسة الوطنية ع. ع. إ. والصحافة، الجزائر

مقدمة: تحدت الكتاتيب رفقة الزوايا والمساجد المخططات الاستدمارية الفرنسية التي كانت تريد أن تمحوالشخصية الجزائرية والانتماء الحضاري للفرد الجزائري من خلال القضاء على الدين واللغة بشكل خاص ومختلف مقومات التنوع الحضاري والثقافي للفرد الجزائري الذي هوجزء من الأمة العربية الإسلامية والتي تختلف وتتميز من مصر لآخر، وأسهمت الكتاتيب في إجهاض هذا المخطط الشيطاني الذي حملت لواءه قوى الظلام التي كانت تتوسع في خط مستمر يدعم مساعي الحروب الصليبية والمستمرة لغاية الآن ولكن بأشكالٍ مختلفةٍ أكثر تطوراً تحت ظل مسميات متعددة كالانفتاح والعولمة وغيرها.

ومن خلال ما ذكرناه ننطلق من سؤال إشكالي مهم يحاول أن يوضح هذه المساعي التي تتبناها كل قوى استدمارية وهو: كيف أسهمت الكتاتيب في الحفاظ على الانتماء الحضاري للجزائري في ظل المخططات الاستدمارية الفرنسية؟

1- **الكتاتيب والتعليم الحر في الجزائر:** تعتبر الكتاتيب من بين أقدم أشكال التعليم الحر ليس فقط في الجزائر وإنما في مختلف أمصار الخلافة الإسلامية حيث يتعلم الطالب فيها القرآن الكريم وأصول الدين بالإضافة للغة العربية التي عملت فرنسا الاستعمارية على استئصالها كمقوم حضاري في الجزائر لتولد فرداً هجين اللسان والانتماء أيضاً، في حين أن هذه الكتاتيب كانت بمثابة الجندي المجهول الذي تصدى في صمت لهذه المخططات ويذكر ابن خلدون ذلك في كتبه حيث يعدد فضل الكتاتيب في الحفاظ على الدين والقرآن بشكل خاص وكذا اللغة العربية.

" وتأتي أهمية الكتاتيب دون غيرها من المؤسسات التعليمية الأخرى كونها قائمة على تحفيظ القرآن الكريم بشكل جماعي يساعد على سرعة الحفظ والاستيعاب ويؤكد علماء التربية أن حفظ القرآن في المرحلة العمرية الصغيرة يظل ثابتا في الذاكرة ويقوّم منذ البداية اللسان العربي ويقوي مخارج الحروف."[1]، وهوما يوضح الدور الكبير الذي تلعبه ولعبته الكتاتيب التي تعتبر أول مدارس الطفل في الأرياف خاصة، ونشير إلى أن انتشار هذه الكتاتيب كان في مناطق الجزائر باعتبار أن الدين الإسلامي يعتبر من بين أهم مقومات الوحدة التي تربط الجزائريين، وكعامل موحد لم تتنبه له فرنسا بشكل كبير التي دمرت المدارس الجزائرية وحولت دور العبادة أي المساجد إلى مجرد أماكن للصلاة فقط بعد أن كانت هذه المساجد بمثابة دور علم وتأثير وريادة وقيادة للحياة الاجتماعية والفكرية التي كانت مزدهرة قبل استعمار فرنسا والتي كانت تهدف للاستيطان وتهجير ليس فقط الفرد من أراضيه وممتلكاته المادية بل بتشويه انتماءاته الحضارية الفكرية واللغوية وخلق إنسان مستلب وهجين عن تاريخه وهويته لكن الطبيعة الإنسانية تتصدى لمختلف الأنماط التي تفرض بالقوة والعنف ولوبأبسط الإمكانيات المتاحة له، ولقد لعبت الكتاتيب رغم بساطتها هذا الدور المهم في الحفاظ على الإنسان الجزائري الذي ينتمي للأمة الإسلامية " فالكتاتيب هي مراكز صغيرة نسبياً غالباً ما تتضمن حجرة أوحجرتين مهمتها الأساسية تتمثل في تحفيظ وتعليم القرآن الكريم للصبيان، وقد تكون ملحقة بمسجد كبير، وقال ابن باديس في هذا الشأن أن التعليم المسجدي في قسنطينة كان قاصراً على الكبار ولم يكن للصغار إلا الكتاتيب القرآنية فما إن يسر لي الله الانتساب للتعليم سنة 1913 جعلت من حملة دروسي تعليم صغار الكتاتيب القرآنية يعد خروجهم فكان ذلك أول عهد للناس بتعليم الصغار."[2] وهويوضح إيمان ابن باديس أن صناعة الرجال تصنع قلاع المقاومة والتحدي وتبنى الفرد الذي سيقاوم قوى الظلام بتمكينه من الدين واللغة في بدايات حياتهم الأولى.

هذا الدور كما سبق الذكر كان في مختلف الدول العربية التي تعتبر فيها الكتاتيب المدافع الأول وصمام الأمان الذي حفظ الدين واللغة العربية التي اشرأب منا الأطفال

خاصة بحفظهم للقرآن الكريم الذي يعد معجما لغويا يغني الطفل عن أي مصدر آخر لتعلم اللغة في سنن مبكرة " وقد نجد أطفالا قد أتموا حفظ أجزاء كبيرة من القرآن الكريم قبل دخول المدرسة وخصوصا في الكتاتيب ، ويعرف الجميع دور الكتاب أومكتب تحفيظ القرآن الكريم على مستوى القرى والأحياء الشعبية في حفظ القرآن ونشره في بلادنا على امتداد القرون الطويلة، كما يعرف عن حكام مصر السابقين أمر اهتمامهم بالكتاتيب، وأبرزهم صلاح الدين الأيوبي، الذي أخذ على عاتقه إصلاح شأن الكتاتيب والاهتمام بها على مدى عشرين عاما قبيل انتصاراته التاريخية الباهرة على الصليبيين وتحرير بيت المقدس"[3]

ولعلنا أشرنا لأهمية الكتاتيب في مصر لنبين الدور المهم لهذه المكاتب التي لم تعرها فرنسا بالاً، ورغم أن التكوين لا يكون كاملا إلا أن حفظ الدين واللغة يعتبران البداية في التصدي والمكافحة.

وتذكر في ذات السياق الباحثة مختارية تراري الدور الكبير الذي لعبته الكتاتيب في مجال التعليم الحر فتقول: "ارتبطت حركية التعليم بالجزائر منذ عهد قديم بتعليمية اللغة العربية وحفظ القرآن الكريم في مؤسسات خاصة تشرف عليها السلطة الحاكمة أحياناً ويتولى تسييرها وتمويلها في أحيان كثيرة خواص من أهل الخير والصلاح وتنسب أحياناً إلى الزوايا ورجال الدين، وقد مثلت هذه المؤسسات بنظامها وبرامجها البيداغوجية والمعرفية تراثاً علميا ما يزال جزء كبير منه في طي النسيان." [4]

ونشير إلى أن هذه الكتاتيب ورغم بساطتها من حيث الإمكانيات المادية قديماً إلا أنها كانت اللبنة الأساسية في البناء اللغوي للطفل الصغير الذي يمكن أن يكتفي بمرحلة الكتاب كما يمكن أن يواصل تعليمه في الزوايا التي عادة ما تشرف على هذه الكتاتيب أوفي الجوامع وهنا على حسب القدرة المادية لأهل الطفل والتي بالنظر للظروف الصعبة التي فرضتها فرنسا عليهم كثيراً ما كانوا يكتفوا بتدريس طفل واحد في العائلة ويفضلون الذكور على الإناث وهوظرف تاريخي فرض بشكل تعسفي على الإنسان الجزائري الذي كان مستواه المعرفي يتجاوز المستوى المعرفي الأوربي بشهادة كتابهم

مثل **برنار لويس** في كتابه **اكتشاف المسلمين لأوربا:**" عندما كان الإسلام يشهد أزهى عصور تقدمه وتفتحه الحضاري وانتشاره السياسي، كان لدى أوربا القليل بل لا شيء لتقدمه بالنسبة للمسلمين في العصور الوسطى، وكانت أوربا ما تزال مظلمة، ولم يكن عالم الإسلام المشرق يجد فيها إلا القليل ليخاف والأقل ليتعلم".

ويشير لذات الفكرة الباحث **عبد المالك مرتاض** في كتابه **فنون النثر الأدبي** فيقول " أن الثقافة العربية في الجزائر قبل الاستعمار الفرنسي كانت مزدهرة نسبيا، وان معظم السكان الجزائريين – لدى احتلال الجزائر – كانوا يتقنون القراءة، والكتابة والحساب." ما يحيلنا إلى محاولة معرفة أوضاع اللغة العربية بعد الاحتلال الفرنسي إذ أن السياسة الاستدمارية كما يقول الباحث الجزائري **مولود قاسم نايت بلقاسم** معروفة وواضحة المعالم والملامح للقضاء على الهوية الوطنية الجزائرية وجعل الشخصية الجزائرية شخصية مستلبة للآخر، فسياسة فرض اللغة الفرنسية على المدارس وإجبار الأطفال على النهل منها ليس كلغة أجنبية وإنما كلغة وطنية يوضح المشاريع الاستعمارية التي يسير عليها كل احتلال.

ويمكن أن نلخص دور الكتاتيب في التعليم الحر وفي الحفاظ على الهوية الجزائرية إلى النقاط التالية:

"لاسيما أنَّ الكتاب مؤسسة من المؤسسات القديمة في المجتمع الجزائري حيث كانت تقوم بدور هام في خدمة النسق العام خلال فترة زمنية طويلة.

1. تحفيظ القرآن وتعليم مبادئ وأسس الدين الإسلامي؛
2. المحافظة على الإطار العام للشخصية الوطنية، وذلك بالحفاظ على أهم مقومات البقاء والاستمرارية للثقافة والشخصية الوطنية الجزائرية؛
3. ضمان اكتساب المجتمع الحد الأدنى من الثقافة العامة والموحدة والتي لها تأثير مباشر على بقاء واستمرارية مختلف النظم الاجتماعية الأصلية؛
4. تعليم اللغة العربية التي تعتبر إحدى ثوابت الأمة الجزائرية؛

5. كما عملت هذه المؤسسة على تحصين المجتمع من الاستيلاب إبان فترة 130 سنة من الاستعمار الفرنسي."[5]

2- فرنسا وتدمير الهوية العربية الإسلامية للجزائر:

تعد المخططات التي تهدف لمحوالانتماء الحضاري واللغوي للجزائر ليست وليدة اليوم وإنما هواستمرار للرؤية الاستدمارية التي تقودها الدول التي تريد أن تنهب من خيارات البلدان التي تسقط، وتصبح لقمة سائغة للمتربصين، ولضمان الاستمرار والبقاء لابد من تدمير "الهوية" بمختلف أشكالها وجعلها دونية بالمقارنة مع الآخر هذه المنظومة الشيطانية التي تقدم الآخر كنموذج وجب الاقتداء به في حين أن الهوية الحقيقية يعبر عنها بغيرية واحتقار لتصبح شيئا يشمئز منه الفرد ويعتبره دونياً.

وهوما تحدث عنه المؤرخون عبر صفحات التاريخ والتي تشرح هذه السياسة المنتهجة في طرف فرنسا وهذا بتدمير المدارس وإفراغ المسجد من دوره الفعلي المنوط عبر الحقب لاسيما في الفترة العثمانية التي عرفت فيها الجوامع ازدهارا كبيراً ودوراً مهما للإمام في نشر العلم والمعرفة وكذا الكتاتيب التي كانت تعرف انتشاراً كبيراً في المدن الجزائرية والقرى " ولقد بدأت هذه الكتاتيب القرآنية تظهر منذ صدر الإسلام بالمدينة، ثم انتشرت في سائر البلدان الإسلامية، ومنها الجزائر حديث تحدث الفاسي عن الكتاتيب القرآنية في مدينة الجزائر فقال: وقد كان بهذه الحاضرة نحومائة مكتب ملأئ بالأولاد حيث أن المحل الذي لا يسع التلاميذ يجعلون فيه سدة يصعدون عليه الدرج يتعلمون القراءة والكتابة ويحفظون القران الكريم وحفاظه كثيرين."[6]، وهذا يعني أن بلاد الجزائر كانت بلاد علم وتحافظ على الانتماء اللغوي والديني لها من خلال هذه الكتاتيب التي تعتبر بالأهمية ما كان في ترسيخ هذا الانتماء الحضاري الذي أرادت فرنسا أن تشوهه.

ونذكر أهم قانون شرعته فرنسا لتحقيق أهدافها فنجد مرسوم **شوطون** الذي بمنع استخدام اللغة العربية وتعتبر لغة أجنبية يتحدث بها الأهالي وليست لغة معاملات كما أن التعليم في المدارس الفرنسية كان يتم باللغة الفرنسية، وجاء هذا القانون ليجسد

حقيقة القضاء على اللغة العربية التي تعتبر جزءا من الأمة الجزائرية وينص المرسوم على ما يلي: " هوالمرسوم الذي أصدره رئيس وزراء فرنسا، "كاميي شوطون– Camille Chautemps في 8 مارس/ آذار 1938، حيث يمنع استعمال اللغة العربية الأم للجزائر واعتبارها لغة أجنبية، كما منع مدارس جمعية العلماء المسلمين من مزاولة نشاطها إلا برخصة، في حين امتنعت عن إصدار الرخص رغم الطلبات المكثفة والملحة، للجمعية التي قررت محاربة الجهل ونشر الوعي والعلم بين أفراد الشعب الجزائري ذكورا وإناثا، وقد نص المرسوم بحسب المصادر الجزائرية على "إغلاق المدارس العربية الحرة التي لا تملك رخصة العمل، ومنع كل معلم تابع للجمعية من مزاولة التعليم في المدارس المرخصة إلا بعد أن يتحصل على رخصة تعليم تقدمها له السلطات المعنية." [7]

ولكن فرنسا الناقمة على اللغة العربية والدين الإسلامي والتي بنت حقدها على طمس مقومات الهوية لتتمكن من البقاء في الجزائر لم تتفطن لدور الكتاب الذي تحدى بشكل صريح الترسانة الفرنسية التي كانت تمنع الأطفال الجزائريين من الدراسة إلا نادراً وفي حالات استثنائية كما أن الاستعمار الفرنسي لم يتنبئ لهذا الدور الريادي للكتاتيب الذي يبتنى ثقافة ولغة ودين الطفل الصغير منذ سنن مبكرة جداً وتشير دراسة أعدتها **فاتي كولونا**، وهي رئيسة مخبر بالمدرسة التطبيقية بباريس إلى إن أكبر خطأ وقع فيه الاستعمار الفرنسي إبان وجوده بالجزائر، هو السماح للكتاتيب القرآنية والزوايا بالتعليم القرآني، فالاستعمار لم يقدرها حق قدرها وهذا بالنظر لدورها في تكوين أجيال بقية محافظة على الانتماء الحضاري الديني اللغوي والثقافي للجزائر والذي واجه ويواجه حروب الاستيلاب التي نجحت في تدمير جزء من الشخصية الجزائرية " أكدت رئيسة مخبر بالمدرسة التطبيقية بباريس، فاني كولونا، أن عدم تمكن الثقافة الفرنسية من النفوذ إلى العمق الجزائري، وتوقف العملية الاستعمارية في الجزائر، مردهما إلى الكتاتيب القرآنية، إذ أنها رسخت مفاهيم أساسية ورؤية كونية في الصغار لم تتمكن البرامج الاستعمارية من القضاء عليه"[8]

لكن كان لهذه البرامج أثر كبير في تجهيل أغلب الشعب الجزائري الذي باتت فرص التعليم أمامه غير متاحة وكان حفاظه على بقائه واستمراره أولويته الأساسية في حين يصبح التعليم والمعرفة في هذه الحالات ثانوية جداً له، لاسيما وأن الجزائري فقد كل المقدرات المادية التي كانت له من أراضي ومنازل ومراكز علم وتعليم للكبار والصغار بعد أن كانت الحواضر العلمية الجزائرية تعد منبراً في شمال إفريقيا فيقصدها المتعلمون من مختلف الدول والأمصار، لكن الاستدمار الفرنسي وبسنه لهذه القوانين والمراسيم كان قد وجه بندقيته ودبابته نحوالفرد الجزائري وشخصيته وهويته " حيث بادرت في 14 جويلية 1850، بتأسيس مدارس فرنسية، في عدة مناطق في البلاد، وفي 24 ديسمبر 1904، منع الحاكم العام الفرنسي للجزائر، فتح مدارس لتعليم اللغة العربية، وفي 21 مارس/ 1908م، طالب المستوطنون الفرنسيون الذين افتكوا الأراضي بإلغاء التعليم الابتدائي للجزائريين، لغاية توفير اليد العاملة الرخيصة لخدمة مزارعهم."[9]، وبات الجزائري مستعبداً في أرضه ومجبراً على خدمة المستوطن الذي عاث فيها فساداً على حساب صاحب الأرض.

3- **الكتاتيب الشوكة في حلق فرنسا الاستدمارية:** يقول أحمد طالب الإبراهيمي "عملت فرنسا المعروفة بمكائدها نحو الجزائريين واتجاه الثقافة العربية الإسلامية على إفساد العقول حيث تعمدت القضاء على المراكز الثقافية وذلك بتحويل العديد من الزوايا إلى أوكار تدين بالولاء مع الاقتصار فيها على حفظ القران وبهذا قامت بتهديم الكثير منها مستهدفة في ذلك الثقافة الوطنية ونشر التعليم الفرنسي مكانها"، لكن الجزء اليسير والذي تبقى من هذا التعليم البسيط أصبح لاحقاً حجرة عثرة للمشروع الفرنسي وشوكة في حلق دحض الهوية الجزائرية التي أبقت على الجزائري جزائرياً رغم التشوهات التي لحقت به وبهويته لاسيما مظاهر الاستيلاب التي لا نزال نعيشها خاصة وأن معاملاتنا الإدارية لا تزال تكتب باللغة الفرنسية، التي تعد فاعلاً من فواعل الدبلوماسية الفرنسية والتي تعول عليها في فرض نفوذها في الدول الناطقة باللغة الفرنسية من خلال منظمتها الفرانكفونية الملحقة بالرئاسة الفرنسية مباشرة.

هذه الكتاتيب والتي لم تعر لها انتباهاً حلت بشكل طبيعي للمؤسسة الدينية التي سعت فرنسا لتدميرها بمجرد دخولها الجزائر فيذكر الباحث **سعيد بوخاوش** في تفاصيل دراسته فيقول " من عوامل تدهور اللغة العربية في الجزائر القضاء على الهيئة الدينية بمفهومها الواسع، فقد وجد الفرنسيون ساعة الاحتلال هيئة دينية قائمة وكانت تتألف من العلماء الذين يشملون القضاة والأئمة والمفتين والمدرسين، وكان على رأس هؤلاء شيخ الإسلام ... ونص اتفاق 1830 على حرية العقيدة واحترام الدين الإسلامي والمساجد لكن هذا الاحترام لم يدم طويلاً، كما قال كلوزيل وهويرد على حمدان خوجة مجرد لعبة حرب في نظرهم، وهكذا بقي الإسلام تحت النفوذ الفرنسي مضطهداً أكثر من قرن كما قال ماسيون، ويمكن أن نوضح ذلك بما فعلته السلطات الفرنسية في أوائل الاحتلال حيث نفت شيخ الإسلام محمد بن العنابي وألغت المنصب وألغي منصب شيخ الإسلام من قسنطينة سنة 1837."[10]

غير أن الكتاتيب وفي بساطة تكوينها وإمكانياتها تحدّت السلطة الفرنسية ليس فقط بما تعلمه بل بالمنهج العلمي المعتمد على التلقين والتعليم الذي تتميز به الكتاتيب ولعل هذا الاستشهاد دليل على قوة هذه الكتاتيب في التلقين والتعليم " فقد قام جلبرت دي لاندشير بدراسة ميدانية وملاحظات دامت خمسة وعشرين عاما في البلدان النامية. وقد أصدر تقريرا جاء فيه:

"آمنت إيمانا عميقا بأنه كلما شرعت مراكز للتعليم قبل الابتدائي مزودة بالمعلمين الأكفاء في العمل بالبلاد النامية، فإنها تكون مراكز لتنمية المواهب، أقترح تطوير دور الحضانة ورياض الأطفال وفتح أبوابها لجميع الناس ويقيني أن للسنوات الأولى من الحياة تأثيرا كبيرا على نمو الرجال والأمم، لوكنت وزيرا للتعليم بإحدى الدول النامية لما هدأ لي بال حتى أرى بجانبي فريقا يؤمن حقا بأهمية التعليم قبل الابتدائي"[11]، هذه الشهادة التي اعتمدت على الملاحظة والتتبع لمدة ربع قرن توضح أسهمت وتسهم في الحفاظ على لغة الطفل وانتمائه وحتى عقيدته فالملكات التي يتميز بها الطفل تجعل قابلا للتعلم والحفظ بشكل كبير جداً مقارنة مع كبار السن لاسيما فيما

يتعلق باللغة التي تعتمد على حفظ القرآن وفهم المبادئ الأساسية للدين الإسلامي، وهي النقاط التي أرادت فرنسا أن تقضي عليها في الجزائر من خلال إقصاء اللغة وتشويه الدين وحصره في الممارسات الخرافية خاصة" حيث أقصت اللغة العربية وحلَّت مكانها اللغة الفرنسية، وذلك باتباع مخطط واضح المعالم فاستهدف التخطيط ضمان الوصول إلى الغايات المجتمعية المرغوبة، كما وفرت الوسائل المناسبة، ورصدت ميزانية وأعدت الموارد البشرية، كما أقامت مؤسسات تقوم بترقية اللغة الفرنسية بالجزائر ونشرها على أوسع نطاق"[12]

بالمقابل عملت الكتاتيب على الحفاظ على اللغة من خلال النطق وتعلم اللغة وأيضا الكتابة فمن بين أساسيات التعليم في الكتاتيب هو الاعتماد على الحفظ بالكتابة والإملاء فيكون الطفل الصغير بحفظ القرآن الكريم وفي ذات الوقت يتعلم الكتابة بالخط العربي وبمجرد حفظه للقرآن الكريم يكون قد أصبح عنده رصيد لغوي لا يستهان به يحدد بحوالي 50 ألف كلمة وهوما يدافع عنه العديد من علماء اللغة مثل الباحثة المصرية سهير السكري " وتتلخص طريقة د. السكري في نقاط محددة وواضحة، وهي تعليم إلزامي يبدأ من سن الثالثة ويتركز حتى السادسة على الحفظ والتغييب والتكرار لآيات مختارة من القرآن الكريم بالتجويد المصري الذي به إيقاع موسيقي، ولجميع الأطفال بصرف النظر عن أديانهم، ولا يسمح وفق هذه الطريقة للمحفّظ، بتقديم أي شرح أو تفسير للأطفال. وهو في رأيها ما يساعد على بناء النطق السليم وإتقان مخارج الألفاظ وتعلم المفردات والتراكيب. كما يتم تحفيظ أبيات من ألفية ابن مالك عبر أغنيات وبنغمات سهلة لمعرفة قواعد اللغة العربية معرفة تامة. وبدءاً من سن الخامسة حتى السادسة يتم تعليم الكتابة. وفي رأيها أن هذا يقضي على الأمية بشكل كامل ويوفر الميزانيات التي باتت تهدر دون طائل"[13]

وأما فيما يخص فرض الوصاية الفرنسية على الدين فقد استحوذت فرنسا على دور المساجد والوظائف التي كانت ذات رمزية كبيرة في الحياة الاجتماعية والسياسية في الجزائر وترمز للمعاملات الدينية التي يلجأ لها الفرد لتنظيم حياته العامة " فوضعت

السلطات الفرنسية يدها على الأحباس (الأوقاف) والتي هي ممتلكات غير قابلة للتصرف تستخدم إيراداتها في صيانة المساجد، وتم دمجها في المجال العام، ثم وضعت تدريجيا تحت إشرافها وتدريبها مختلف الشخصيات التي تخدم الدين الإسلامي، كالأئمة والقضاة الشرعيين، وحولتهم إلى موظفين يتقاضون رواتبهم من خزينتها، كما هي حال الأديان الأخرى في فرنسا"[14]، أي إفراغ دور المساجد وجعلها مجرد هياكل تقام فيها العبادات فقط، في الجهة المقابلة كانت الكتاتيب وحسب الباحث رضوان لحسن ومن خلال دراسته تلعب الدور الكبير في تلقين مبادئ التربية الإسلامية " إن التعليم بالكتاتيب يهتم بالتربية الإسلامية حيث يخصص لها وقتا في برنامجه اليومي لما لها من أهمية في تكوين الطفل فالهدف من التربية الإسلامية في نفوس الأطفال وذلك بتوجيه سلوكاتهم وتهذيبها لتتلاءم مع المجتمع وبما أن الطفل يتأثر بالمواقف السلوكية العملية أكثر مما يتأثر بالتوجيهات اللفظية. فإنه ينبغي على المدرس أن يتحلى في معاملاته بالأخلاق الحميدة ليكون قدوة فيعمل الكتاب على تهذيب الطفل وتربيته على المواقف الأخلاقية النابعة من الحضارة الإسلامية إضافة إلى تسميعهم القصص الأخلاقية التي تدعو إلى تهذيب سلوكهم وتقام في غالب الأحيان هذه الدروس في شكل نظام الحلقات ونماذج هذه القصص يتعلق بسيرته صلى الله عليه وسلم من أجل تقديم نماذج طيبة للبطولة الدينية والخلقية ليقتدي بها التلاميذ وتنمية ثقافتهم الدينية إضافة إلى إشباع ميولهم نحوالقصص"[15]

خاتمة: ما يمكن أن نستخلصه من خلال ما ذكرناه هوأن الحرب الحقيقية التي قادتها فرنسا في الجزائر ويغض النظر عن كونها حروب توسعية فإن أساليبها تجعلنا نصنفها ضمن الحروب الدينية واللغوية التي تفرض من خلالها هيمنة المستعمر على كل مقدرات الهوية الأساسية والتي تتكون من مختلف العناصر الأساسية التي تشكل التميز الهوياتي في الحروب الطاحنة التي خصصت لها إمكانيات كبيرة وضخمة كان هدفها تدمير الفرد الجزائري وتصنيفه في المرتبة الثانية بعد المستوطن الفرنسي، لذا فقد وجهت خططها لإقصاء اللغة العربية وأيضا الدين الإسلامي الذي جعلته مجردا من

كل روح وجعله مجرد شعائر تمارس دون روح بعد أن دمرت الدور الحقيقي للمساجد، لكن فرنسا لم تنتبه لتلك الحجرة البسيطة في تلك القرية النائية والتي تكون الأطفال الصغار في الحفاظ على اللغة والدين تلك الكتاتيب تصدت لمختلف المضامين الفرنسية والمشاريع والقوانين ببساطة كبيرة تتمثل في لوح وقلم، رغم عدم التساوي بين الترسانة الفرنسية الاستدمارية في محاربة الانتماء الحضاري للفرد الجزائري وبين قلاع المقاومة التي تعتبر الكتاتيب واحدة منها في جزئية حفظ القرآن واللغة العربية من الاندثار، فقد كانت تعمل في صمت في غفلة من قوى الظلام التي وجهت كل قوتها نحو تدمير دور العلم لاسيما المساجد رغم بنود وثيقة الاستسلام التي صنفت لاحقاً ضمن أساليب الحروب فقط، وما نشير له أن هذه الصراعات والتحديات لم تنته في ظل التحديات القيمية والحروب والصراعات الدينية الثقافية والتي لا تزال مستمرة لغاية الآن.

الهوامش:

1- ليلي بيومي دور الكتاتيب في الحفاظ على الهوية لأبنائنا: http://almoslim.net/node/83277 2019/10/12 على الساعة 12:00.

2- مختارية تراري، **التعليم بالكتاتيب القرآنية في الجزائر، في منظور الدراسات النفسية والتربوية المعاصرة**، مجلة إنسانيات، عدد 14-15، 2001، الجزائر، ص 5.

3- http://almoslim.net/node/83277 نفس المصدر السابق، نفس المكان.

4- مختارية تراري، مرجع سبق ذكره، ص 5.

5- https://journals.openedition.org/insaniyat/9664

6- دلباز محمد، **الحركة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، المساجد والكتاتيب أنموذجاً**، ص 118.

7- وفاء الحكيري، **مرسوم شوطون شاهد على نقمة الاستعمار الفرنسي على اللغة العربية:** https://meemmagazine.net/2018/05/09/%D9%85%D8%B1%D8%B3%D

8- عبد السلام سكية، **الكتاتيب القرآنية أجهضت الغزوالفرنسي لأصالة الجزائريين:** https://www.echoroukonline.com/%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%AA

9- وفاء الحكيري، مرجع سبق ذكره.

10- سعيد بوخاوش، **من مظاهر سياسة الفرنسة ومحاربة اللغة العربية في الجزائر إبان الاحتلال**، مجلة اللغة العربية وأدابها، عدد 2، جامعة البليدة، ص 16.

11- رضوان لحسن، الكتاتيب القرانية كفضاء واستراتجية لطفل ما قبل المدرسة: https://cahiers.crasc.dz/index.php/ar/25-les-cahiers/le-prescolaire-en-

12- سعيد بوخاوش، مرجع سبق ذكره، ص 18.

13- لانقاذ العربية عودوا إلى الكتاب أوتصالحوا مع العامية: https://aawsat.com/home/article/1020996/%D9%84%D8%A5%D9%86%D9%8

14- قناة الجزيرة، هكذا خدعت فرنسا الجزائر في التعامل مع الإسلام: https://www.aljazeera.net/news/politics/2019/8/18/%D8%A5%D8%B3%

15- لحسن رضوان، مرجع سبق ذكره.

عَوَامِلُ النُهُوضِ بِالْكَتَاتِيبِ وَالارْتِقَاءِ بِهَا

داه. وليد خنّيش
جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة

بسم الله الرحمن الرحيم

محاور المداخلة: انتظمت هذه المداخلة في مقدمة ومبحثين وخاتمة، على النحو الآتي:

مقدمة.

المبحث الأول: الكتاتيب مفهومها وتاريخها.

أولا: مفهوم الكتاتيب لغة واصطلاحا.

ثانيا: نشأة الكتاتيب وتطورها في البلاد الإسلامية.

ثالثا: أسماء بعض الكتاتيب.

المبحث الثاني: عوامل النهوض بالكتاتيب.

أولا: عوامل تكنلوجية.

ثانيا: عوامل بيداغوجية.

الخاتمة: وتضمنت أهم النتائج.

مقدمة: اُشتهر المغرب العربي – ومنه الجزائر – بعنايته بالقرآن الكريم حفظا لـه وفهما لِمَا تضمَّنه من أخبار وأحكام، ومن لوازم ذلك الاعتناء باللغة التـي نـزل بهـا دراسةً لها، وعلما بها. وقد اُعتنى الناس في ذلك القطر، وتلـك الأمصـار الجزائريـة بتربية النّاشئة على هذا، فأنشأوا الكتاتيب لتكون مُنطلقا لهم في تعليم الصـغار القـرآن ومبادئ العربية والحساب.

لقد تخرَّج من تلك الصُّروح العلمية كثير من حُفَّاظ القرآن، وعلماء اللغة والفقه، في غيرها من العلوم، وهذا شاهد صدق على أن العملية التَّعلّميّة التّعليميّة كانت وفق منهج رصين لا يتغير ولا يتبدل.

على أنّا نرى تراجعا كبيرا لدور الكتاتيب، خاصة في هذه الأزمنة المتأخرة؛ سواء من حيث التحصيل العلمي، أو من حيث استشعار أهميتها من قِبَل الآباء؛ وهذا ما يجرُّنا إلى البحث عن أسباب هذا التراجع، ثم إيجاد الحلول الناجعة لترقية الكتاتيب لتصير عوامل مؤثرة في المجتمع.

هذا؛ وإن لتغير معطيات العصر دورا كبيرا في تراجع الكتاتيب وعدم الاحتفاء بها لا سيما مع هذا التسارع التكنلوجي، وٱنتشار الوسائل التي قد تكون مَشْغَلَةً عن أمور أهمّ.

وعليه، فما الذي ينبغي فعله للنهوض بالكتاتيب، واستعادة تأثيرها، خاصة في هذا الزمن؟

المبحث الأول: الكتاتيب مفهومها وتاريخها

أولا: مفهوم الكتاتيب لغة واصطلاحا.

مفهوم الكتاتيب لغة: قال ابن فارس: «الكاف والتاء والباء: أصلٌ صحيح واحد يدلُّ على جمع شيءٍ إلى شيءٍ؛ من ذلك الكِتَابُ والكتابة»[1]. والكَتْبُ: الجمع[2] بين الشيئين[3].

وسُمِّيَتِ "الكتيبة" لاجتماعها، و"تَكَتَّبَ الْقَوْمُ": تَجَمَّعُوا. وقال عُبَيْدُ بْنُ الْأَبْرَصِ:

أُنْبِئْتُ أَنَّ بَنِي جُذَيْلَةَ أَوْعَبُوا // سُفَرَاءَ مِنْ سَلِمٍ لَنَا وَتَكَتَّبُوا

أي: تجمَّعوا[4].

وفي تهذيب اللغة: «كَتَّبْتُ الْغُلَامَ تَكْتِيبًا، وَأَكْتَبْتُهُ إِكْتَابًا: إِذَا عَلَّمْتُهُ الْكِتَابَ»[5].

مفهوم الكتاتيب اصطلاحا: قال اللّيث: «الْكُتّاب: اسم المكتب الذي يُعلّم فيه الصّبيان». وقال المبرِّد: «المكتب: موضع التعليم»[6].

وبهذا يكون: للكُتَّاب والمَكْتَب معنى واحد، والجمع: الكتاتيب[7].

وَقال الفيُّومي: «الْمَكْتَبُ -بِفَتْحِ الْمِيمِ وَالتَّاءِ-: مَوْضِعُ تَعْلِيمِ الْكِتَابَةِ»[8].

وفي أساس البلاغة: «فلان مُكْتِبٌ ومُكَتِّبٌ: يُكَتِّبُ النَّاسَ، يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَةَ»[9].

وقال أبو جعفر النّحاس: «الذي يُعَلَّمُ فيه يقال له: مَكْتَبٌ»[10].

وبهذا يظهر أن تعريف الكتَّاب يكون على النحو التالي:

هو المكان الذي يعلم فيه الصبيان القرآن ومبادئ العلوم، كالكتابة، والقراءة والحساب.

وكان الكتّاب يشبه المدرسة الابتدائية في عصرنا الحاضر، وكان من الكثرة حيث عدّ ابن حوقل ثلاثمائة كتّاب في مدينة واحدة من مدن صقلية[11].

ثانيا: نشأة الكتاتيب وتطورها في البلاد الإسلامية[12].

ظهر الكُتَّاب عند المسلمين منذ عهد الرسول ﷺ، وانتشر مع انتشار الإسلام في مختلف البلدان، وأنشئ من خلال عمل إسلامي بحت، وكان المكان الرئيسي في العالم الإسلامي لتعليم الصغار، وقد تمتع بمكانة كبيرة الأهمية في الحياة الإسلامية خاصة وأنه المكان الذي يتعلم فيه الصبيان القرآن، إضافة إلى ما للعلم من مكانة في نظر الإسلام حيث هو فريضة على كل مسلم، وكذلك تلك القدوة التي نأخذ بها من خلال أقوال وأفعال الرسول صلى الله عليه وسلم حيث حض على ضرورة التعلم فكلف كل أسير من أسرى الحرب بعد موقعة بدر بتعليم اثني عشر طفلاً من أطفال المسلمين على سبيل الفدية.

ولقد قسمت الكتاتيب إلى قسمين:

1ــ كتاتيب أولية: وكان يتعلم الأطفال فيها القراءة والكتابة، ويحفظون القرآن ومبادئ الدين وأوليات الحساب.

2ــ كتاتيب ثانوية: –إن صح هذا التعبير– كانت لتعليم الأطفال والشباب علوم اللغة والآداب، وكانوا يتوسعون فيها بعلوم الدين والحديث وسائر صنوف العلوم الأخرى بصورة عامة.

إلا أن أحد الباحثين يفْصل بين الكتاتيب بحيث يرى أنه "كان من الشائع المتعارف عليه أن يقوم غير المسلمين بمهنة تعليم القراءة والكتابة، وكان هذا النوع من التعليم يجري في منازل المعلمين، وربما خصص هؤلاء حجرة في بيوتهم لاستقبال الطلاب وقد حافظ الكتّاب من هذا النوع في الكثير الغالب على استقلاله التام عن الكتّاب الآخر الذي كان يجري به تعليم القرآن الكريم ومبادئ الدين الإسلامي. على أن كثيرا من

الباحثين لم يفرقوا بين نوعي الكتّاب هذين؛ وقرروا أنه كان هناك نوع واحد من الكتاتيب، تعلم فيها القراءة والكتابة، ويحفظ فيه القرآن، وتدرس به علوم الدين.

نستنتج من هذا أنه كان هناك نوعان من الكتاتيب، أحدهما لتعليم القرآن ومبادئ الدين الإسلامي، وثانيهما لتعليم القراءة والكتابة والحساب، إلا أن هذا لا يمكن تعميمه حيث كان ثمة كتاتيب تجمع بين تعليم هذه المواد، لكن نستطيع القول إن الكتاتيب القرآنية قد انتشرت بشكل واسع وبارز؛ نتيجة تحمس الناس الشديد للقرآن الكريم وكثرة الفتوحات الإسلامية، وبالتالي اتساع رقعة الدولة الإسلامية.

كذلك ظهر نوع من الكتاتيب اختص بالأيتام، وكان الغرض من إنشائها، تعليم الأيتام وأبناء الفقراء ورعايتهم، إلى جانب التقرب إلى الله تعالى[13].

ولم تقتصر هذه الكتاتيب على تعليم الأيتام بل "أضيف إليهم أولاد الفقراء والجند والبطالين، وقد وفر هذا النوع من التعليم الرعاية العلمية والاجتماعية لهذه الفئة غير القادرة، والذين لم يكن في وسع ذويهم إرسالهم إلى المكاتب الخاصة، أو إحضار مؤدبين لهم إلى المنازل.

ولقد كثر الاهتمام بكتاتيب الأيتام خلال عهود الزنكيين، والأيوبيين والمماليك فهذا نور الدين زنكي يبني في كثير من بلاده مكاتب للأيتام ويجري عليهم وعلى معلميهم الجرايات الوافرة.

واختلفت أحجام الكتاتيب صغراً وكبراً، "فكتاب أبي القاسم البلخي كان يتعلم فيه (3000 تلميذا) وتدل رواية ياقوت على أن هذا الكُتَّاب -بجانب استقلاله عن المسجد- كان فسيحاً ليتسع لهذا العدد الكبير، ولهذا كان يحتاج البلخي أن يركب حمارا ليتردّد بين هؤلاء وأولئك؛ وليشرف على جميع تلاميذه[14].

وكان المكان المخصص للكتاب يختلف باختلاف المعلمين ومشاربهم، فمِنْ مكانٍ مُتَّسِعٍ طلْق الهواء، يساعد الصبية على الإقبال على الدرس، إلى مكان مظلم، لا تدخله الشمس يَحُدُّ من استعداد الصبية للحفظ والإفادة من التعليم.

أما أثاث الكُتَّاب فكان يفرش بالحُصُرِ غالبا، يجلس عليها الصبيان متربِّعين حول معلمهم، وكانت أدوات الدراسة تتضمن مصحفا شريفا، وعدَّة ألواح، وعددا من الدويّ[15] والأقلام. وقد يختص المعلم بسرير أو كرسي مرتفع، وربما عُوِّضَ الكرسيّ بمصطبة مبنية ليس عليها سوى بساط صغير.

أما سن ذهاب الصبي إلى الكتاب فيلاحظ بصفة عامة أن هناك اتجاها نحو التبكير في التعلم بالكتّاب، فمنذ السنة الخامسة، أو السادسة، أو السابعة، ينتقل الطفل إلى بيئة جديدة هي الكتّاب، حيث يبقى فيها إلى أن يتم حفظ القرآن بأكمله، أو يحفظ جزءا منه إلى جانب تعلّمه القراءة والكتابة، وبعض النحو والعربية، وشيئا من الحساب، وما إلى ذلك من الأمور التي كانوا يعتبرونها وسائل للإحاطة بالدين.

ولعله من الأرجح أن يبقى الصبي في الكتاب حتى سن الثانية عشرة أو ما دون ذلك، ولكن لا يمنع الأمر أن يكون هناك من هم في سن أكبر من الثانية عشر.

ولما كان الصّبيان يأتون إلى الكتاب صغار السن، كان على الأهل أن يؤمّنوا من يرافقهم في غدوهم ورواحهم إلى الكتّاب، وأُطلق على هذا المُرافق اسم "السائق" واشتُرِط فيه أن يكون أمينا، ثقة، مُتَأَهِّلًا.

وتُعَدُّ مثل هذه الأمور ظاهرة اهتمام واضحة من المسلمين بسلامة أطفالهم وخاصة من خلال تلك القواعد التي وضعوها، وراعوْا فيها الظروف الاجتماعية والأخلاقية للمجتمع، فوضعوا شروطا وقيودا للمحافظة على الأطفال من بعض الأمراض الاجتماعية التي كانت منتشرة، وقد امتد الاهتمام بالأطفال ليشمل أوقات الراحة والذهاب إلى المنزل والعودة منه.

أما معلم الكتّاب فقد جمع مهامّ متعددة بيده، ومهمته تشبه إلى حد ما مهمة المعلم المنفرد، لكنه يتصرف ضمن لوائح وإرشادات معينة لا يحق له الخروج عنها.

وقد تحرَّى أجدادنا –رحمهم الله– جهدهم في انتخاب المعلم الذي يتولى تعليم صبيانهم، فلا يختارون لهذه المهمة إلا من تقرَّر عندهم حسن أخلاقه، وتوفرت فيه خصال رشيدة جمَّة، منها الاشتهار بالاستقامة والعفاف، والعدالة مع الخبرة العامة

بالقرآن وعلومه. وقد وضع الفقهاء المسلمون خصالا ينبغي توفرها في معلم الكتّاب فالْقَابِسِيُّ يرى أنه ينبغي أن يكون مهيبا لا في عنف، لا يكون عبوسا مغضبا، رفيقا بالصبيان، وينبغي أن يخلص أدب الصبيان لمنافعهم.

أما منهج التعليم ومواده المقررة، فكان يطلب من الصبي أن يحفظ القرآن الكريم كله أو بعضه عن ظهر قلب أو رواية واتقانا، ويتعلم القراءة والكتابة والخط، ومبادئ الحساب الأولية.

وقد اهتم المربون المسلمون بتكوين الشخصية السوية لأطفال الكتّاب بتعويدهم الكتابة للناس، وتعليم بعضهم بعضا، وخاصة من خلال ذلك الصبي المتميز بعلمه والمعروف بـــ: "العريف"، وإملاء بعضهم على بعض، وإمامة من بلغ سن الاحتلام وصلح لإمامة غيره في صلاة الجماعة، مع ما في ذلك من اهتمام في التطبيق العملي لما يتعلمونه.

وقد يُفَرَّغُ المعلم من تعليمهم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم، فيعلمهم مبادئ علوم الدين واللغة، أي أن النشاط التعليمي داخل الكتاب كان يمتد ليشمل تعليم الأطفال بعض الأحاديث النبوية وآداب الدين، ويعلمهم عقائد أهل السنة والجماعة ومما يتناسب مع السن والفهم، وكذلك قواعد اللغة، وما يستحسن من المراسلات والأشعار، ويدرجه بذلك حتى يألفه طبعا.

أما تنظيم التعليم في الكتاب فقد قام الفقهاء بمحاولات تنظيمه قدر الإمكان وأخضعوا الكتاتيب لشروط موحدة، بالإضافة إلى ما كانت تقوم به الدولة بالإشراف عليها، وعلى أنظمتها من خلال المحتسب، ومراقبته لها، والذي له الحق أن يمنع من لم تتوفر فيه الشروط اللازمة لممارسة المهنة.

وكانت الحياة في الكتاتيب "فطرية في الغالب" وأوقات الدراسة فيها كانت تحدد بعلامات طبيعية، فشروق الشمس كان بدء اليوم الدراسي، يطول ويقصر تبعا لشروق الشمس، وأذان العصر.

وأما بالنسبة للراحة والعطل المدرسية، فقد لوحظ اهتمام المسلمين بإعطاء الصبي قسطاً من الراحة بعد عناء الدراسة، فهذا ابن الحاج العبدري (ت 737هـ/ 1336م) يقول: «إن ذلك مستحب لقوله عليه الصلاة والسلام: «روحوا القلوب ساعة بعد ساعة» فإذا استراحوا يومين في الجمعة[16] نشطوا لباقيها»[17]. وهناك تعطيل في أيام الأعياد، وحالات المرض، والرياح، والعواصف، والبرد، والمطر الشديد.

أما المعلم فإذا تغيَّبَ لشغل طارئ فعليه أن يستأجر للصبيان من يكون فيهم بمثل كفايته إذا لم تطل مدة ذلك؛ كذلك إن هو سافر فأقام من يوفيهم كفايته لهم، إن كان سفرا لا بد منه، (اليوم واليومين، وما أشبههما) فيستخف ذلك إن شاء الله، وأما إن بعد أو خيف بُعْدُ القريب؛ لما يعرض في الأسفار من الحوادث فلا يصلح له ذلك.

أما الحياة الاجتماعية في الكتاب، فلم يسمح المسلمون أن تقوم عزلة وحواجز بين الكتاب والمجتمع، ولذلك فهو يتفاعل مع مجتمعه، ويشارك في حياته اليومية فإذا مات عالم جليل أفاد العباد بعلومه، أو رئيس نفع البلاد بآرائه وأعماله، أو أميرٍ عادلٍ أنصف في أحكامه، أغلقت الكتاتيب أبوابها، وعطل الأحداث دراستهم يوم دفنه مشاركة في المصاب العمومي، وإظهاراً للتأسي وإجلالاً لخدمة الصالح العام.

ويشارك الصبيان في القضايا العامة التي تُلِمُّ بالمجتمع فيقول ابن سحنون: «إذا أجدب الناس، واستسقى الإمام، فأحب للمعلم أن يخرج بهم من يعرف الصلاة منهم وليبتهلوا إلى الله بالدعاء ويرغبوا إليه، فإنه بلغني أن قوم يونس –صلى الله على نبينا وعليه السلام– لما عاينوا العذاب خرجوا بصبيانهم، فتضرعوا إلى الله بهم».

وقد تميز التعليم في الكتاب بالاهتمام بالآداب الاجتماعية حيث يقوم المعلم بتأديب الأطفال، وتربيتهم التربية الصالحة، وتعويدهم العادات الحسنة، وتعليمهم كيفية احترام الناس، ومراعاة الذوق والأدب طبقا للعرف الجاري، وأن يلقي السلام على من يدخل عليهم، أو يمر بهم من الناس، ويأمرهم ببر الوالدين، والانقياد لأمرهما بالسمع والطاعة، والسلام عليهما، وتقبيل أياديهما عند الدخول إليهما، ويضربهم على إساءة الأدب، والفحش من الكلام وغير ذلك من الأفعال الخارجة عن قانون الشرع.

والملفت للنظر اهتمام الفقهاء المربين المسلمين بصحة الصبيان في الكتاب فنصحوا بعزل الصبي المريض عن رفاقه حتى لا ينتشر المرض بينهم، يقول ابن الحاج العبدري: «وينبغي له إذا اشتكى أحد من الصبيان وهو بالمكتب بوجع عينيه أو شيء من بدنه، وعلم صدقه أن يصرفه المعلم إلى بيته ولا يتركه يقعد في المكتب»[18]. وذلك ليترك لأهله الاهتمام به، والعمل على معالجته؛ خوفا من انتشار عدوى المرض بين الصبيان.

وطلب إلى معلم الصبيان منعهم من أكل الطعام والحلوى المكشوفة والمعروضة من قبل الباعة الجوالين فلا يدع المعلم أحداً من الباعة يقف على المكتب ليبيع للصبيان، إذ فيه المفاسد إن اشترى منه، وبلغ الحرص عندهم لدرجة ترتيب طبيب يحضر بالمكتب في كل شهر.

ووصلت عناية المربين المسلمين بنظافة الصبيان في المكتب بأن أوجبوا عليهم أن يكون لمسح الألواح مكان طاهر نظيف، وأن يستخدموا الخرق الطاهرة لمسح الألواح ولا يستخدموا البصاق بل الماء الطاهر، لأن البصاق فيه القذارة وعدم الاحترام للمادة المكتوبة على الألواح.

أما تمويل التعليم في الكتاب فكان يتم عن طريق ما يقوم به الآباء نحو أبنائهم وما يدفع لمعلمهم من أجر مشاهرة (أي: معاملة بالشهر)، أو مسانهة (أي: معاملة بالسنة) أو مقاطعة (أي: يقطعه مقاطعة مقابل تعليم الطفل) أو بما يقوم به القادرون ماديا، نحو أقاربهم الفقراء وغير أقاربهم من أبناء المسلمين، مما يدخل في باب التكافل العلمي عند المسلمين.

ولقد أبرز التطبيق العملي لمبادئ الإسلام صورا من التضامن الشعبي في مجال الخدمات التعليمية، مما رفع عن كاهل الدولة الصرف على التعليم وتمويله إلا في أضيق الحدود، ولعل ذلك كان سببا للانتشار الواسع لمؤسسات التعليم الأولي في العالم الإسلامي.

ثالثا: أسماء بعض الكتاتيب: وهذه أخبار بعض الكتاتيب وأسماؤها:

مكتب علقمة بن أبي علقمة: علقمة بن أبى علقمة: مولى عائشة رضي الله عنها كان يروي عنه مالك بن أنس، وكان له مكتب يعلّم فيه العربية، والنحو، والعروض، ومات في خلافة المنصور[19].

مكتب السبيل (وهو مكتب خاص بالأيتام): رُتّب فيه فقيهان يعلمان ستين صغيرا من أيتام المسلمين، كتاب الله تعالى. ورتب لهما جامكية في كل شهر، وجراية في كل يوم، وهي لكل منهما في كل شهر ثلاثون درهما، وفى كل يوم من الخبز ثلاثة أرطال، وكسوة في الشتاء، وكسوة في الصيف. ورتّب للأيتام، لكل منهم، في كل يوم رطلان خبزا، وكسوة في الشتاء، وكسوة في الصيف[20].

مكتب الضحاك بن مزاحم الهلالي: وهو الضحاك بن مزاحم الهلاليَ صاحب التفسير، وثَّقَهُ الإمام أحمد وغيره؛ وورد أنه كان فقيه مكتب عظيم فيه ثلاثة آلاف صبي، وكان يركب حماراً ويدور عليهم إذا عيي، توفي بخراسان [21].

مكتب الرّملة[22].

مكتب عَبْد الحميد بْن عَبْد الهادي: وهو عَبْد الحميد بْن عَبْد الهادي بْن يوسف بْن مُحَمَّد بْن قُدَامة بْن مِقْدام بْن نصر، عماد الدّين المقدِسي، الجمّاعيليّ، ثُمَّ الصّالحيّ المقرئ الحَنْبليّ، المؤدّب... لَهُ مكتب بالقصّاعين[23].

مكتب جَمَالُ الدِّين الْإِسْكَنْدَرِيُّ الْحَاسِبُ: وهو جَمَالُ الدِّين الْإِسْكَنْدَرِيُّ الْحَاسِبُ بدمشق، وكان له مكتب تحت منارة كيروز، وَقَدِ انْتَفَعَ بِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَكَانَ شَيْخَ الْحِسَابِ فِي وَقْتِهِ[24].

مكتب المدرسة السلطانية بمصر[25].

مكتب المدرسة المزلقية: وهو مكتب المدرسة المزلقية بمحلة مسجد الذبان[26].

وقد كانت الكتاتيب أوقافا يوقفها بعض التجار وأصحاب المال: قال ابن فضل الله: رأيت إلى جانب تربته – أي: سبط السّلفي– مكتب أيتام وهم يكتبون القرآن في

الألواح، فإذا أرادوا مسحها غسلوا ألواحهم وسكبوا ذلك على قبره فسألت عن ذلك فقيل لي: هذا شرط الواقف، وهذا قصد حسن وعقيدة حسنة[27].

مكتب الأيتام بمدرسة صرغتمش: وفيها درس القاضي زين الدّين عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن بن علي بن هاشم التَّفِهْني – بفتح المثناة الفوقية، وكسر الفاء وسكون الهاء، ونون–، نسبة إلى تفهن قرية بمصر– الحنفي[28].

مكتب مسجد ناصر الدّين بدمشق: درَّس فيه: زين الدّين أبو الفرج عبد الرحمن بن إبراهيم الشيخ الإمام القدوة الزاهد الرّبّاني الدمشقي الصالحي الحنبلي[29].

مكتب خان الجراكسة بمصر: وخان الجراكسة وهو عبارة عن بابين عظيمين كل باب بمصراعين وعلى يمينهما منارة وفوقه مكتب أيضا[30].

مكتب المدرسة السنانية بمصر[31].

مكتب حوش السراية بمصر، وهو مكتب خاص بتعلم الرياضيات: أمر الباشا في ذلك الوقت ببناء مكتب بحوش السراية ويرتب فيه جملة من أولاد البلد ومماليك الباشا وجعل معلمهم حسن أفندي المعروف بالدرويش الموصلي، يقرر لهم قواعد الحساب والهندسة، وعلم المقادير، والقياسات، والارتفاعات، واستخراج المجهولات، مع مشاركة شخص رومي يقال له: روح الدين أفندي، بل وأشخاص من الافرنج وأحضر لهم آلات هندسية متنوعه من أشغال الإنكليز يأخذون بها الأبعاد والارتفاعات والمساحة؛ ورتب له شهريات وكساوي في السنة، واستمروا على الاجتماع بهذا المكتب وسموه (مهندس خان) في كل يوم من الصباح إلى بعد الظهيرة، ثم ينزلون إلى بيوتهم، ويخرجون في بعض الأيام إلى الخلاء لتعليم مساحات الأراضي وقياساتها بالأقصاب وهو الغرض المقصود للباشا[32].

مكتب الشيخ محمد المكّي الإبراهيمي بـ: (ريغة): يقول الشيخ محمد البشير الإبراهيمي: «وكانت الأسر العلمية بوطننا قائمة على تقليد قديم متوارث، وهو أنها تقوم بوظيفة المدرسة المعروفة، فيأوي إليها المنقطعون لطلب العلم عشرات ومئات وتتكفل الأسرة بإطعام الغرباء منهم مهما كان عددهم احتسابًا، ويقوم عالم الأسرة أو

علماؤها بتعليمهم دروسًا منظمة على ساعات اليوم لكتب غالبها مما يدرس في الأزهر إلى عهد قريب وإلى الآن؛ ومن هذه الأسر أسرتنا التي توارثت العلم من خمسة قرون مضت في ما هو معروف، ومن نوابغها المعروفين الذين ما زالت أسماؤهم دائرة على الألسنة، المعدودين من أعلام الفتيا والتدريس والانقطاع للنفع ابتغاء مرضاة الله: الشيخ محمد الشريف العمري الإبراهيمي، والشيخ المبارك الإبراهيمي، والشيخ القريشي الإبراهيمي، وكل هؤلاء وغيرهم عاشوا في القرون الثلاثة الأخيرة[33].

أما مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فيما بعد، فأشهر من أن تذكر.

المبحث الثاني: عوامل النهوض بالكتاتيب.

أولا: عوامل تكنلوجية:هناك عوامل كثيرة، وأسباب جمَّة، يمكن أن تسهم في الارتقاء بالكتاتيب في العصر الحديث، وجعلها أكثر فعالية، وهذه بعض الاقتراحات من أجل بلوغ هذه الغاية.

1. **إدخال التكنلوجيا في العملية التعليمية:** لا شك أن مواكبة التطورات الحاصلة ومسايرة ركب الحضارة أمر مهم، لا سيما وأن التكنلوجيا أصبحت جزءا من حياة الناس اليوم؛ وإدخالها إلى الكتَّاب لتكون أداة للتعليم أمر لا بد منه؛ فإن النفوس مطبوعة على النظر لكل جديد بعين الفضول، لا سيما في نفوس الناشئة.

هذا؛ ولا شك عند كل من له صلة بالتعليم، أن وجود فواصل للتسلية بين فترات التّعلم باستعمال هذه الوسائل، وكذا استغلالها في العملية التعليمية، يجعل المتعلم يسترجع قدرا من نشاطه، كما تجعله يقبل على الحفظ بعزم وحب، دون أن يشعر أنه مجبر على التعلم في الكتّاب، كما تجعله ينتظر بشوق فترة التسلية.

إن وجود هذه التكنلوجيا يجعل الطفل –وأولياء الأمور– ينظرون إلى الكتّاب بعين الإكبار، عكس النظرة السائدة بأن التعلم في الكتّاب سائر على النمط التقليدي؛ الذي لا يسير في طريق التقدم، وبالتالي ستكون النتائج سلبية، وعليه فسيكون الإقبال ضعيفا وإن كان هذا الكلام له حظ من النظر؛ فكم من العلماء وحفظة القرآن تخرجوا من تلك الكتاتيب، وإن الناظر في تراجم كثير من ذوي الشأن في العلم، يراه أولا درس في

الكتّاب وتعلم القرآن الكريم؛ فمن ذلك ما ذكره الجبرتي في تاريخه قال: «ومات الشيخ الإمام العلامة والنحرير الفهامة محمد بن عبد ربه ابن علي العزيزى الشهير بابن الست ولد سنة 1118 بمصر...وقرأ القرآن مع الشيخ علي العدوى في مكتب واحد»[34]. وهذا الشيخ محمد البشير الإبراهيمي إضافة إلى ما كان يخصه به عمه من العلم، فقد كان يدرس أيضا في كتاب عمه الشيخ محمد المكّي الإبراهيمي، ثم خلفه فيه بعد وفاته وهو لم يتجاوز الرابعة عشرة[35].

على أن استعمال التكنلوجيا للتعليم في الكتاتيب لا يعني التخلي عن الطرق التقليدية جملة؛ إذ حفظ القرآن بألواح الكتابة أثبت نجاعته في قدرة المتعلم على حفظ القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، كما أن الحفظ بالكتابة أفضل بكثير من الحفظ المجرد عنها.

يبقى أن استعمال التكنلوجيات الحديثة له طرق كثيرة، وباب الابتكار مفتوح لكل مدرس يسعى لنفع المتعلمين، وتأسيسهم علميا وأخلاقيا. كما أن مرافقة المتعلمين من قبل المعلمين يجعلهم في منأى عن الآثار السلبية للوسائل الحديثة.

وبهذا يتخرج من الكتاتيب جيل حافظ للقرآن الكريم، عارف بمعانيه، عالم بالضروري من دينه، مهما كان تخصصه، ومهما كانت وظيفته، وستؤتي هذه الكتاتيب ثمارها، وستظهر في واقع الناس، فلن يُخاف على جيل متأدب بآداب القرآن متخلق بأخلاقه، مقتدٍ بنبيه ﷺ في كل صغيرة وكبيرة، وفي وصف عائشة رضي الله عنها خلقَ رسول الله ﷺ قالت: «كان خلقه القرآن»[36].

2. **إنشاء مواقع الكترونية ومنصات للتعليم عن بعد:** إن إنشاء مثل هذه المنصات يسهم بشكل فعَّال في مد حبل التواصل بين المعلمين والمتعلمين؛ فقد يحتاج المتعلم إلى السؤال عن أشياء متعلقة بما هو بصدده من حفظ أو مراجعة، أو بحث عن حل مشكلة تعترضه، فلا يجد سوى التواصل عبر هذه الوسائل الحديثة.

3. **تعليم أحكام التجويد عبر العارض الضوئي (Data show):** وهذا يعين على تفهم بعض أحكام التجويد، وذلك بالاستعانة بصور توضيحية، لا سيما في المباحث

المتعلقة بمخارج الحروف وصفاتها. وكذا الاستعانة على التعليم بواسطة مخططات تفصيلية.

4. **تزويد المكاتب ببرامج تعين على تثبيت المحفوظ:** إن هذه البرامج تساعد على مراجعة المحفوظ، وحتى اختبار الحفظ فيما بعد، فما على المتعلم سوى تحديد (اختبار) حتى يجد السؤال أمامه، كما نراه في برنامج (آيات).

وحبَّذا لو يعمم ذلك فيشمل الحديث النبوي، واللغة العربية، ويُستعان على ذلك بهيئة تضم أساتذة في الحديث واللغة، وخبراء في البرمجة الحاسوبية.

ثانيا: عوامل بيداغوجية.

1. اعتماد طبعات للكتب تحبب التعلم: لا شك أن طباعة المتون والكتب طباعة جيدة، وتنسيقها تنسيقا يناسب المتعلمين، وتدعيم ذلك بالألوان المناسبة، والصور الموضِّحة، سيكون له الأثر الإيجابي على الناشئة.

2. ضبط المقررات التعليمية بالشكل التام، ومراعاة علامات الترقيم، وقواعد الإملاء على ما تقتضيه اللغة العربية؛ فإن سوء إخراج المقررات يؤثر سلبا على المعارف التي يكتسبها المتعلم؛ لا سيما وأن مقررات الكتاتيب متعلقة بالقرآن والحديث، والغلط فيهما ليس كالغلط في غيرهما.

مثال لمراعاة قواعد الإملاء:

همزة الوصل: وهي من المواضع المشكلة عند أكثر المتعلمين بل والمعلمين فينبغي تمييزها، وقد ذكر علماء الإملاء أنه يوضع على همزة الوصل (صاد صغيرة) وهو أول حرف من كلمة: (صِلْ)، وذلك عند ضبط الكلمة بالشكل[37].

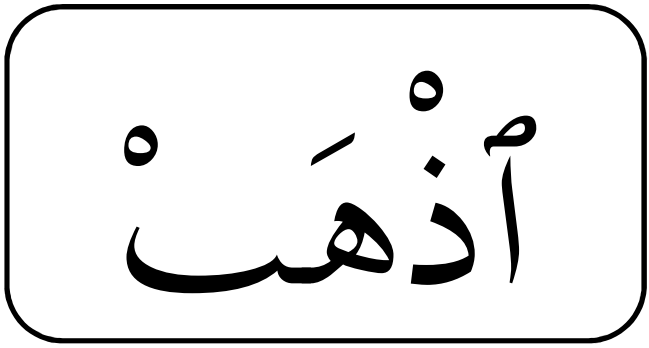

صورة للضبط الصحيح لهمزة الوصل

ومما شاع عند كثير من المتعلمين جعل علامة التأثر(!) للتعجب فقط؛ وحصرها في هذا خلاف ما يقتضيه وضعها، لأنها علامة توضع في نهاية كل جملة تعبر عن عاطفة، كالتعجب، والفرح، والحزن، والاستنكار، والتهديد، والدعاء، وبعد الاستفهام الذي خرج عن غرضه الأصلي[38].

3. تجهيز الكتاتيب بكل الوسائل التي يحتاجها المتعلمون، وتوفر لهم الراحة والاطمئنان حال التعلم.

الخاتمة: وبعد؛ فهذه أهم نتائج:

– ظهر مما سبق أهمية الكتاتيب، ودورها في بناء مجتمع متماسك، لما توفره من جوٍّ إيماني، والحث على التخلق بأخلاق القرآن؛

– إدخال الوسائل التكنلوجية الحديثة وتسخيرها فيما ينفع المتعلم، أمر لا بد منه للتخفيف من الآثار السلبية لهذه الوسائل؛

– الدعوة إلى استعمال الوسائل الحديثة، ليس دعوة لترك المنهجية المعتادة والتي سارت عليها الكتاتيب منذ قرون.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الاحالات:

[1]- مقاييس اللغة. أبو الحسين أحمد بن فارِس بن زكريّا، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر د.ط، 158/5.

[2]- تاج اللغة وصحاح العربية. إسماعيل بن حماد الجوهري، تح: أحمد عبد الغفور عطار دار العلم للملايين، ط1، 1407ه/ 1987م، 208/1.

[3]- تهذيب اللغة. (الأزهري) أبو منصور محمد بن أحمد، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م، 87/10.

[4]- أدب الكتاب، (الصّولي) أبو بكر محمد بن يحى، تح: محمد بهجة الأثري، المطبعة السلفية – بمصر، د.ط، 1341ه، 114/1.

[5]- تهذيب اللغة، مصدر سابق، 87/10.

[6]- المصدر نفسه، 87/10.

[7]- تاج اللغة وصحاح العربية، مصدر سابق، 208/1.

[8]- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، (الفيومي) أبو العباس أحمد بن محمد بن علي مكتبة لبنان، د.ط، ص200.

[9]- أساس البلاغة، (الزمخشري) أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط1، 1419ه/1998م، 121/2.

[10]- عمدة الكتاب. (أبو جعفر النَّحَّاس) أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي تح: بسام عبد الوهاب الجابي، دار ابن حزم، ط1، 1425ه/2004م، ص108.

[11]- من روائع حضارتنا. مصطفى السباعي، دار الورَّاق، بيروت، ط1، 1420هـ/1999م ص206.

[12]- ينظر: الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل، جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود، من ص246 إلى ص253. (مجموع مقالات بصيغة word) https://www.saaid.net/book/open.php?cat=83&book=3807

[13]- ينظر: ص10 من هذا البحث.

[14]- ينظر: ص9 من هذا البحث.

[15]- جمع "دواة".

[16]- أي: في الأسبوع.

[17]– المدخل. (ابن الحاج) أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري، دار التراث د.ط 321/2.

[18]– المدخل، مرجع سابق، 323/2.

[19]– المعارف. (ابن قتيبة الدِّينَوَرِيّ) أبو محمد عبد الله بن مسلم، تح: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2، 1992م، ص549.

[20]– نهاية الأرب في فنون الأدب. (النويري) أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط1، 1423ه، 112/31.

[21]– العبر في خبر من عبر. (الذهبي) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز تح: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية–بيروت، د.ط، 94/1.

[22]– تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، (الذهبي) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، تح: بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1 2003م، 14/10.

[23]– المرجع نفسه، 882/14.

[24]– البداية والنهاية. (ابن كثير) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تح: علي شيري دار إحياء التراث العربي، ط1، 1408ه/1988م، 349/13.

[25]–المرجع نفسه، 317/14.

[26]– مفاكهة الخلان في حوادث الزمان. (ابن طولون) شمس الدين محمد بن علي بن خمارويه تح: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1418ه/1998م، 159.

[27]– شذرات الذهب في أخبار من ذهب. (ابن العماد) عبد الحي بن أحمد بن محمد العَكريّ الحنبلي، تح: محمود الأرناؤوط، و عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط1 1406ه/1986م، 28/8.

[28]– المرجع نفسه، 311/9.

[29] –المرجع نفسه، 99/10.

[30]– تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار. (الجبرتي) عبد الرحمن بن حسن الجبرتي المؤرخ، دار الجيل، بيروت، د.ط، 492/1.

[31]– المصدر نفسه، 174/2.

[32]– ينظر: تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، الجبرتي، 523/3.

[33]– آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، محمّد بن بشير بن عمر الإبراهيمي، جمع وتقديم: نجله الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1997م 164/5.

[34]– تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، مرجع سابق، 604/1.

[35]– آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، المصدر السابق، 165/5.

[36]– أخرجه أحمد، برقم: 24601.

ينظر: مسند الإمام أحمد ابن حنبل. (أحمد ابن حنبل) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1 1421ه/2001م 148/41.

[37]– ينظر: كتاب الإملاء. حسين والي، دار القلم، بيروت–لبنان، ط1، 1405هـ/1985 ص165.

[38]– قواعد الإملاء وعلامات الترقيم. عبد السلام هارون، دار الطلائع، تنقيح وتعليق: محمد إبراهيم سليم ونبيل عبد السلام هارون، د.ط، ص73.

زاوية عبد الرّحمن اليلولي، قرون من العطاء...من زاوية لتحفيظ القرآن وتجويده إلى صرح إسلاميّ لنهل العلوم والمعارف

أ. حنيسة كاسحي

المجلس الأعلى للّغة العربيّة

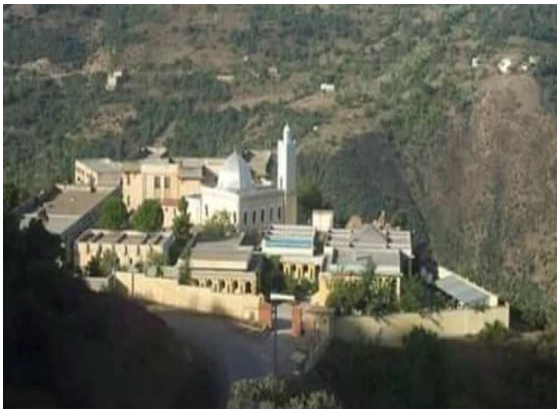

الملخّص: نروم من خلال هذه الدّراسة التّعريف بزاوية سيدي عبد الرّحمن اليلولي، وإعطاء هذا المعلم الدّينيّ التّعليميّ حقّه من التّعريف الصّحيح والدّور الجليل الّذي لعبه عبر العصور بمنطقة القبائل، وإبراز الدّور الرّائد لهذه الزّاوية في مكافحة الأميّة والحفاظ على ثوابت الهويّة الوطنيّة وتحفيظ القرآن الكريم للنّاشئة، ونشر المعرفة الصّحيحة بتعاليم الإسلام وعقائده وأحكامه وآدابه، وتعليم اللغة العربيّة ومحاربة الجهل والشّعوذة والبدع والإصلاح بين النّاس وتقويّة أواصر الأخوّة، وغرس القيّم الوطنيّة، وحبّ الدّين والوطن فكوّنت العلماء والفقهاء وحفظة القرآن الكريم. وسوف نتعرّض من خلال بحثنا هذا إلى تقديم الموقع الجغرافيّ لهذه الزّاوية، ودورها الّذي اضطلعت به في الماضي، والتّعريف بالبرامج الدّراسية المتّبعة، ومركزها حاليّا كمعهد إسلاميّ لتكوين الإطارات الدّينيّة.

الكلمات المفتاحيّة: زاوية عبد الرّحمن اليلولي، زوايا منطقة القبائل، الزّوايا في الجزائر، معاهد تكوين الإطارات الدّينيّة–الجزائر، معهد عبد الرّحمن اليلولي.

المقدّمة: تعتبر منطقة القبائل من أغنى مناطق الجزائر بالزّوايا وأهمّها في ميدان التّعليم ونشر الوعي الدّينيّ بين السّكان، ولعبت دورا بالغ الأهمّيّة في نشر الإسلام واللغة العربيّة، وأسهمت في بروز نخبة متميّزة من العلماء والفقهاء وحفظة القرآن الكريم، نذكر منها زاوية تيزي راشد، زاوية محمد الشيخ التواتي ببجاية والأزهري بآيت اسماعيل وزاوية عبد الرحمن اليلولي محلّ الدّراسة.

1- تعريف زاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي: تتميز زاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي عن باقي الزّوايا بعدة خصائص ومميزات جعلتها مدى سنوات مركز اشعاع في بلاد القبائل والتي ما فتئت عبر سنين عطاءها تستدعي اهتمام أعداد متزايدة من جمهور المتعلمين والشيوخ. ومن أبرز هذه الخصائص التي جعلت من زاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي تتبوأ هذه المكانة المرموقة بين المؤسسات الدينية والتعليمية الأخرى طيلة ثلاثة قرون من الزمن مايلي :نظام التسيير واستقلالية الطلبة .تطور النظام التعليمي المعتمد على منهج التخصص في القراءات. شهرة الشيوخ ومكانتهم العلمية والاجتماعية وكذا دورها في المقاومة وأثناء الثّورة التّحريرية. وهي كانت ولا تزال المصباح الذي يضيء منطقة القبائل ويمد بإشعاعه الى كامل أرجاء الوطن ويتوافد إليها الطلبة الجدد ويشارك القدماء في إثراء نظام التسيير. قامت الزّاوية منذ تأسيسها سنة 1635م، بالوظائف التّعليمية والاجتماعية وهذا معتمدة على تناوب الطّلبة على شؤون التّسيير من خلال مجالس خاصة وعامّة فهي مؤسّسة فريدة من نوعها ووحيدة في القطر الجزائريّ، لم يعرف لها نمط مماثل؛ فطلبتها يتمتّعون بالاستقلال في تسييرها فلا يتدخّل أحد في شؤونهم وشؤون مؤسّستهم. أسّسها سيدي عبد الرحمن اليلولي، وتخرج على يده أئمة وعلماء كبار.اشتهرت زاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي بتعليم القرآن الكريم والجهاد خلال فترة الاستعمار الفرنسي أدّت دورا عظيما في مقاومة الاحتلال الفرنسي واستشهد الكثير من طلبتها الثوار.كانت سابقا زاوية قرآنية بعد استقلال الجزائر أعادت وزارة الشؤون الدّينيّة بناء الزّاوية؛ حيث حوّلتها إلى معهد شامخ البنيان قويّ الأركان، اعترافا وعرفانا بما قدّمته هذه الزّاوية طيلة اشتغالها في

نشر العلم وروح المقاومة، وتخصّص المعهد في تكوين الإطارات الدّينية، حيث دشّنه وزير الشؤون الدينية بتاريخ 1جويلية 1985 ومدّة الدّراسة فيه سنتين، وتمنح بعدها للطّلبة شهادة الكفاءة.

2- موقع زاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي: تقع هذه الزّاوية في بلدية إيلولة أومالو بدائرة بوزقان، 70 كلم شرق تيزي-وزو، فوق ربوة صخرية تسمّى" تيزيبرث "[1] تطلّ في ارتفاعها الشّاهق على سهل وادي سيباو، وعلى القرى المتناثرة على سفوح جبال جرجرة، حيث يبدو كالمنارة للزّائرين والقادمين إليه عن طريق عزازقة وعين الحمام و أقبو.

وظلّت خلوة "تيزيبرث" رمزا للتجرد والعبادة خلال عقود كثيرة، وشاهدا على مرور رجال عظام ازدانت بهم منطقة القبائل حيث انتشروا عبر أرجائها معلّمين ملهمين ليؤسّسوا قلاعهم العلميّة في شتّى الربوع كأكبر حركة للدّفاع عن هويّة المنطقة وأصالتها. ولم تكن زاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي سوى ثمرة من ثمار هذه الخلوة والتي مربها الشيخ أبو زيد خلال إقامته بزاوية الإدريسي في فترة شبابه. ويعتبر موقع الزّاوية استراتيجيا بالنظر إلى كونها نقطة اتصال بين ولايات تيزي -وزو وبجاية والبويرة عبر مرتفع شلاّطة الشّهير؛ لذلك فهي عصب التقاء عروش ومداشر القبائل الكبرى والصّغرى على السّواء.

أعجب العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس بموقع الزّاوية نقلا عن الأستاذ باعزيز بن عمر الصّحفي المعروف بجمعية العلماء، الذي رافق الشيخ أثناء زيارته لها في ربيع سنة 1930 م اذ يقول" وكان الشيخ الإمام قد سمع عن هذه الزّاوية ما راعه وملك إعجابه من جمال الموقع وروعة الطّبيعة، ومزايا وخصائص تنفرد بها عن جميع الزّوايا المعروفة بالجزائر وغيرها، وعندما وصلها آسره ما رأى ولم يجد للتعبير عن إعجابه وافتتانه إلا التّهليل".

3- نبذة عن حياة مؤسّس الزّاوية[2]:

1.3 مولده ونسبه: هو أبو زيد عبد الرحمن بن يسعد المصباحي الخردوشي اليلولي الزواوي، ولد في حدود سنة 1030 هجري الموافق سنة 1601 م في قرية اخردوشن وهي قبيلة صغيرة في سفح جبل ايلولة وهي من قرى عرش تابودة.نشأ أبو زيد عبد الرحمن اليلولي في قريته حيث ولد، وكانت نشأته الأولى على يد والده يسعد بن محمد وعلي، ثم انتقل إلى زاوية. سيدي أحمد بن إدريس؛ حيث كانت محطته الأولى في حفظ القرآن الكريم وتلقي مبادئ العلوم أين بدأت ملامح النبوغ تظهر عليه وهو ما جعل والده ينقله إلى زاوية بعيدة عن مكان إقامته، كما هو شأن طلبة العلم آنذاك، فاختار أن تكون وجهته إلى زاوية العلامة الشيخ محمد السعدي البهلولي الكائنة بغابة ميزرانة بناحية دلس. وكان انتقال أبي زيد إلى هذه الزّاوية رفقة شيخه المسماة على اسمه محمد السعدي البهلولي الذي درّسه في زاوية سيدي أحمد إدريس والذي كان له الفضل الكبير في استقراره وتعلمه فيها.

ويعتبر الشيخ محمد السعدي البهلولي من أبرز شيوخ زاويته وهو الذي أخذ العلم عن تلامذة الإمام الفقيه عبد الواحد بن عاشر الأنصاري الأندلسي، صاحب المرشد المعين ومنهم شيخه عبد القادر بن القاضي الفاسي.

2.3 آثاره[3]: ترك أبو زيد عبد الرحمن اليلولي لمن خلفه ميراثا هائلا في عدد من التلامذة الذين نشروا العلم في ربوع الوطن مشرقا ومغربا، ومن أشهرهم محمد بن عشر الحزروني البتروني والذي اشتهر بنسخ تسعة وتسعين مصحفا بيده، وهو دفين قبة واحدة مع شيخه أبي زيد؛ ولعلّ أجلّ ما تركه الشّيخ زاويته التي قام بتأسيسها في النصف الأول من القرن السابع عشر الميلادي والتي اشتهرت بتحفيظ القرآن الكريم وتجويده بالإضافة إلى تعليم العلوم الشّرعية واللغويّة بمنهج تربوي فريد مما جعلها تتميّز عن غيرها من الزّوايا.

وقد تخرج من هذه الزّاوية عبر القرون المتعاقبة علماء أجلاء، ولم تكن قساوة الطّبيعة حولها عائقا من وفود طائفة من هؤلاء للتّعلّم فيها أو للتّدريس بها، وكان منهم

الشّيخ أبو القاسم البوجليلي صاحب التّبصيرة في علم القراءات 1316م، والشيخ الشريف الافلسي الذي كان مضرب المثل في العبادة والتّقوى، توفّي سنة 1918م والشّيخ السّعيد اليجري النّحوي، توفّي سنة 1951 م، والشيخ السعيد أبو يعلي صاحب التآليف والمقالات القيمة في الشهاب والبصائر وغيرها، وافته المنيّة سنة 1952م والصّحفيّ الشّهير الأستاذ باعزيز بن عمرالذي توفّي عام 1911 م وغير هؤلاء من العلماء.

3.3 مواقفه :ومما نقل عن أبي زيد بعد تأسيسه لزاويته سنة 1635 م أنه جمع إخوته وأعمامه وبعض أقاربه– ولم يخلف ولدا–وطلب منهم بأن لا يتسموا باسمه عبد الرحمن، وألا يدخلوا زاويته للسّكن بها ولو للقراءة وألا يتصرّفوا فيها بأي وجه من الوجوه، ودعا على من يفعل ذلك بالموت كلالة. ويعتبر هذا الموقف أثرا عظيما من الآثار التي تركها بعده، إذ لم يجرؤ أحد من أقاربه أن يتصوف في زاويته بأي وجه من الوجوه مما مكنها من أداء رسالتها، واستمرارية أدائها التعليمي كما وضعه طلبتها عبر أجيال وعصور.

4.3 مناقبه: يعرفه العامة على أنه ولي من أولياء الله كان مهابا محترما، عند جميع القبائل ترتعد فرائصهم عند سماع ذكره، وقد عيّنت الحكومة الفرنسية معمرته لآداء اليمين الشّرعية ومن مناقب الشيخ أنه اعتبر وحيد زمانه وعصره في الرواية بقراءة السبعة والعشرة وهو ما لم يحصل لأحد من معاصريه مما جعله مقصد طلبة العلم من أنحاء زواوة كلها وخارجها، كما أصبحت زاويته في بضع سنين أهم مركز لتعليم القراءات بالمنطقة رغم ما في زواوة وما جاورها من زوايا وشيوخ.

ومما نقل رواية عن رواية أبي زيد وزاويته أنه استشار شيخه محمد السعدي عن مكان تأسيسه لزاويته فأشار عليه بأن يؤسّس الزّاوية بالموقع القريب من معهد ابن إدريس.

وعندما أظهر التلميذ التعجب من هذه الوصية لعامل القرب، ولما قد ينشأ بينهما في المستقبل من تنافس إذ كيف يؤسّس معهدا قرب معهد أحمد بن إدريس وهو المتلألئ

كالمصباح على كامل الرّبوع تقول الرواية أن شيخه أجابه" كان معهد ابن إدريس مصباحا فان معهدك سيغدو صباحا" انبلج صباح العلم في هذه الزّاوية في وقت مبكّرمن تأسيسها لتضيئي العالم من حولها دون أن تطفئ مصباح ابن إدريس المتلألئ دائما.

4.4 وفاته: توفّي الشّيخ عبد الرحمن اليلولي سنة 1105 هـ الموافق 1693 م عن عمر يناهز 92 سنة ودفن قرب زاويته المعروفة باسمه بأعالي ايلولة .ولا يزال قبره موجودا إلى الآن ولم يخلف ذكرا ولا أنثى بعد وفاته[4].

4. تأسيس الزّاوية: تشير عدد من المراجع إلى أن نشأة زاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي كان في النصف الأول من القرن السّابع عشر الميلادي، وبالتّحديد سنة 1635 م، وكان ذلك بإيعاز من شيخه أبي زيد الشيخ محمد السعدي البهلولي، وكان عمر أبي زيد حينها يقارب الأربعة والثلاثين. ولم يلبث الشيخ أبي زيد أن استقطب إليه عددا كبيرا من جمهور الزوايا المجاورة طلبة وشيوخا، إيذانا بظهور علامات الشهرة والنبوغ لزاويته الحديثة. من الأسباب التي ساعدت في تأسيس هذه الزّاوية الفريدة من نوعها هي تأثر الشيخ أبي زيد عبد الرحمن بمستوى التعليم في زاوية ميزرانة، والتي كانت تبث تعليما في المستوى العالي خصوصا في علم القراءات. كل ذلك دفع بالشّيخ أبي زيد إلى التفكير في تأسيس زاويته بمبادئ سليمة وقيم صالحة تتماشى والإسلام الصّحيح، وتعبّر عن طموحات الطّلبة وجمهور الزّوايا المتعطّشين إلى مؤسّسة صادقة متميّزة في نظام تسييرها مستقلّة بمجالسها وطلبتها وبصورة لم تعرف من قبل. تحقيق رغبة الشيخ محمد السعدي صاحب الفضل على أبي زيد ومعلمه الذي لازمه طويلا وتأثر به تأثرا بالغا، اذ كانت نصيحة الشيخ له بتأسيس زاوية لتعليم القراءات بالقرب من زاوية ابن ادريس تدفعه كل مرة إلى تجسيدها في الميدان، لعلها تكون معلما هاديا وصباحا مشرقا.

كما جاء في الزّاوية وهو ما ألهم التلميذ المطيع إلى تحقيق رغبة شيخه بتأسيس هذه الزّاوية. وأوّل ما بنيت عليه هذه الزّاوية هي طريقة صاحبها وهي قراءة القرآن الكريم

برواية السبعة والعشرة المشهورين في فن القراءات على طريقة الإتقان والأحكام والضبط حتى حصلت لرجال منهم ملكة راسخة في الحفظ والرسم والرّواية، واستمر الأمر في هذه الزّاوية على هذا النمط زمنا ثم ادخلوا فيها العلوم العربية مثل النحو والصرف والمعاني والبيان والمنطق وغيرها من العلوم.

إن سيدي عبد الرحمن قد أغلق الأبواب في وجه الطامعين وقطع الطريق أمام المستغلين لذلك لم يترك زاويته للأقارب والورثة بل تركها تحت تصرف طلبة العلم ووضع حدا لتدخل الورثة في شؤون زاويته، وتركها مفتوحة لكل طالب علم ولكل المتوافدين إليها من الشرق والغرب والشمال والجنوب فهي منارة هداية وملتقى طلاب العلم.

سيدي عبد الرحمن اليلولي أول من وضع نظرية التّسيير الجماعيّ للمؤسّسات التّعليمية من طرف الطّلاب أنفسهم، فكانت تجربته ناجحة للغاية، وقد سبق الغربيين الذين وضعوا نظرية التسيير الاشتراكي للمؤسسات الاقتصادية، ولذا نرى هذه الزّاوية تتفوق على جميع الزوايا في الجزائر في تعليمها ونظامها ونتائجها إنها زاوية متفتّحة ومتحرّرة لا جمود فيها ولا تعصّب والطّالب فيها يتمتّع، بحريّة الفكر والتّعبير ما دام في حدود الدين والأخلاق، وكان معظم طلبة سيدي عبد الرحمن منخرطين في الحركة الوطنية ويدخلون المناشير اليومية والجرائد السياسية إلى الزّاوية فلا أحد يمنعهم بل يشجعون على كل عمل يهدف لتحرير الوطن وهدم الاستعمار ولا يخافون من السلطة الاستعمارية أن تغلق زاويتهم حيث نجد بعض الزوايا وهي قليلة لحسن الحظ منغلقة على نفسها وكان أصحابها يمنعون طلبتهم من السياسة و قراءة بعض الجرائد التي تصدرها الهيئات السياسية والجمعيات الوطنية المعادية للاستعمار كجريدة البصائر التي تصدرها جمعية العلماء. أما زاوية سيدي عبد الرحمن فكانت ملجأ للسّياسيّين وكان بعض طلبة الزّاوية قد رفضوا الخدمة العسكرية الإجباريّة وأبوا الالتحاق بالثكنات الفرنسية وكم من مرة تردّد رجال الدرك الفرنسي على الزّاوية يسألون ويبحثون عن هؤلاء الطلبة الرّافضين للخدمة العسكرية الإجبارية لا سيما أواخر الأربعينات فيجيبهم

طلبة الزّاوية بأنهم لا يعرفون هؤلاء الذين يبحثون عنهم مع أنهم زملاؤهم في الدرس وعندما اندلعت ثورة التّحرير كان هؤلاء الطلبة المخبؤن من الرعيل الأول الذي التحق بالجهاد وهكذا كانت الزّاوية معقل الثورة ومقرّ المجاهدين.

1.4 مرحلة المقاومة الشعبية وثورة التحرير: لعبت زاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي دورا مهما ومشرّفا في تاريخ الثورة إذ كانت إلى جانب مظهرها التعليمي ملجأ لأبطال الثورة الذين كانوا يمارسون العلم والتعليم ويحملون إلى جانب ذلك المدفع والبندقية ولم يكتفوا بذلك بل وزعوا أنفسهم على مختلف الزّوايا يعلّمون الأهالي ويؤجّجون في نفوسهم نيران الثّورة على الاستعمار.

ويشهد الأستاذ محمد الصالح الصديق بدور هذه الزّاوية مشيدا به وبوعي طلبتها لانتمائهم للوطن بقوله" ولعلّها الزّاوية الوحيدة التي كان طلابها يقرؤون الشّهاب البصائر والمنار، المغرب العربي والزّاوية الوحيدة التي من طلبتها مناضلون ومجاهدون ومصلحون يوم كان النضال والإصلاح والجهاد يعاقب عليها أشدّ العقاب[5] .ولما أدركت فرنسا ما تحمل هذه الزّاوية من خطر على أطماعها قرّرت هدمها والقضاء عليها في فجر شهر ماي 1957 م أين تعرّضت الزّاوية لعملية قصف مكثّف وهجوم مسلّح وعنيف أدّى إلى احراقها ونهب مكتبتها الثّمينة التي كانت تحتوي على مخطوطات نادرة ومتنوّعة وكانت حصيلة المعركة استشهاد أربعين فدائيّا. ولا يستطيع أحد انكار تميز هذه الزّاوية عن غيرها في منطقة القبائل في الدفاع عن هويّة الشّعب الجزائريّ وأصالته، وردّ مطامع الاحتلال ومقاومته.

2.4 زاوية اليلولي بعد الاستقلال: بعد الاستقلال أعادت وزارة الشّؤون الدّينية بناءها اعترافا لها بالماضي العريق في المقاومة ونشر العلم وجعلتها معهدا لتكوين الإطارات وتمّ إدخال علوم العربيّة والدّين ما أعطى دفعة قويّة لزاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي، وساعد على تطويرها وانتشار صيتها وجعلها تتفوّق على العديد من الزوايا في القطر الجزائري إذ يقصدها الطلبة من جميع جهات الوطن.

5- فئات الطّلاب في الزّاوية: يعتبر نظام زاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي في تصنيف الطلبة فريدا من نوعه بالمقارنة مع أنظمة الزّوايا الأخرى المعروفة. فالطالب في سيدي عبد الرحمن هو محور العمليّة التّربويّة، وهو المشرف على دواليب التسيير وفي نفس الوقت هو الشّيخ المؤطر الذي يتدرّج في مراحل التعليم المختلفة فتكون بيده الفتوى والتوجيه العلميّ والمشاركة في عمليات الإصلاح وغيرها.وليس من الغريب أن يستمر الطالب في الزّاوية مدة ربع قرن بين التعلم والتّسيير، ومنهم من يفارق الحياة ولا يزال متمدرسا. والطلاب في الزّاوية على أربع فئات هي:

1.5 الطّلبة الصغار: القدّاش" أو " أقدّاش" ويتراوح سنّهم ما بين 12 و 17 سنة وقد يزيد عن هذا السن، وتسمية القدّاش في العرف القبائليّ لفظ خاص يطلق على الشّخص القائم بخدمة شيخ الطريقة والزّاوية ممن ترجى بركته، ووصف القدّاش وصف يفتخر به صاحبه، ومنهم من ينذر ابنه لخدمة الزّاوية ويتمناه قدّاشا فيها لعله ينال الأجر والثواب، ويمنح الطالب الصغير هذا الوصف بعد قبوله بالزّاوية، بعد مداولة المجلس الخاص وموافقته، ويتم ذلك أمام الملأ في الاجتماع الصباحي، ثم يباشر مهامه بعد ذلك [6].

2.5 الطلبة الكبار– الجدد–: ويعرفون باسم" الجديد "وهم كل من ليس عضوا في مجلس المتصرفين المعروف بالمجلس الخاص، وسنّهم أكثر من 16 عاما، وربّما كان السّن من ذلك إلى ما فوق 18 سنة ، حسب النظام المعتمد في كل مرحلة. ومن بين الطلبة الكبار الجدد يختار القدماء أعضاء المجلس الخاصّ.

3.5 السباقون: وهم مجموعة من الطلبة الذين يتلقون الدروس عن الشيخ كل صباح ثم يقدمون هذه الدروس لباقي الطلبة طلبة المستوى المتوسط والثانوي تحضيرا لهم لدرس الشّيخ، بحيث يكونون مستعدّين له ومسايرة مستواه العالي. ومن السباقين من يتولى تلقين الدروس والقرآن الكريم للطلبة الصغار وهم الهجائين أو المبتدئين حسب التصنيف السابق، وهو وصف الذين سماهم هانوتو ب "الحجارين" ويقصد "المحجور عليهم" وهو وصف القدّاشين الموضوعين تحت المراقبة. والسباقون في

معاوني الشيخ الأساسيين، وليس كل سباق عضوا في المجلس الخاص بالضّرورة ولكن لهم مكانة خاصة لا تقل كثيرا عن مكانة الشيخ، يأخذون في مقابل إعفائهم من مهام الخدمة الذاتية المتعلقة بشؤون الزّاوية.

4.5 المعيدون: وهم نوع آخر من الطلبة الممتازين في الزّاوية، ممن أجازهم الشيخ وشهد لهم بالتحصيل، وهؤلاء يقومون بدور الشيخ في مراجعة الدروس أمام الطلبة المبتدئين والمتوسطين ليتمكنوا من حفظ الدرس وإتقانه، ويقوم المعيدون على فترتين بمراجعة هذه الدروس، صباحا ومساء فيسمون بمعيدي الصباح ومعيدي المساء حسب الدور والفترة. ويسمى المعيدون أيضا بالدوالين، ويقومون بقراءة نص سيدي خليل جملة بعد جملة وبصوت مرتفع حتى يترسخ المعنى ويثبت النص في الذهن.

6- التربية والتعليم في زاوية عبد الرحمن اليلولي: قسم ابن زكري أطوار التعليم إلى ثلاثة أقسام

أ- **الطور الابتدائي المبتدء:** ويضم هذا الطور الطلبة الذين شرعوا في حفظ القرآن الكريم، ولم ينتهوا بعد من حفظه، ويسمون بالمبتدئين وعادة الزّاوية أن يبدأ الحفظ فيها من سورة الناس إلى سورة البقرة لتيسير الحفظ على الطالب، وكل من لم يختم سورة البقرة فهو مبتدئ، ويستمر هذا الطور اثنتي عشرة سنة.

ب- **الطور المتوسط والثانوي:** ويضم هذا الطور الطلبة الذين أكملوا حفظ القرآن الكريم وشرعوا في الإعادة، ويسمون بالمتوسطين، وتكون الإعادة أيضا بدءا بسورة الناس بصورة فردية أو ثنائية أو جماعية...ويستمر هذا الطور لمدة تصل إلى عشر سنوات.

ج- الطور العالي (المنتهي): ويضم هذا الطور الذين أتموا حفظ القرآن الكريم حفظا جيدا وأعادوا حفظه عدة مرات، وتفرغوا لعلوم القراءات وأحكام الترتيل، ويسمى هؤلاء بالمنتهين، وهم الذين يساعدون الشيخ في تعليم الطلبة المبتدئين والمتوسطين.

والملاحظ هنا أن الأطوار الثلاثة المذكورة معتمدة في الزّاوية منذ عهد المؤسس ومنصوص عليها في النظام الداخلي للزاوية منذ ذلك التاريخ حسب شهادة ابن زكري ولا عبرة للانتقال من طور إلى آخر بإتقان العلوم الأخرى، وإنما المرجع في ذلك القرآن الكريم وعلومه مراعاة لتخصص الزّاوية ومنهجها في تحفيظ القرآن الكريم.كما كان لتطور نظام التعليم في الزّاوية في الفترة الأخيرة تأثير على عملية الانتقال من مستوى إلى آخر حيث أصبحت علوم اللغة العربية ذات أثر لارتباطها بعلوم القراءات وترتيل القرآن الكريم ومراعاة مخارج الحروف وضبطها.

7- البرنامج الدراسي اليومي: أما المواد الدراسية التي تدرس في الزّاوية فهي المواد الشرعية، واللغوية والاجتماعية ومواد حسب متطلبات المرحلة.

وتنقسم المواد الدراسية إلى مواد نظرية وأخرى تطبيقية. ولكل مادة معاملها الخاص وحجمها الخاص وحجمها الساعي حسب أهميتها، فالمواد الأساسية كالقرآن الكريم تحظى بنصيب كبير من الوقت والاهتمام وبرنامج تطبيقي مكثف كالحزب الراتب، وتخصص لها تمارين وواجبات بينما يكون نصيب علم المنطق والمطالعة ساعة أو ساعتين في الأسبوع. وتصنف المواد الدراسية في الزّاوية- عموما- كما يلي:

التقسيم الأول: وهي إما **مواد أساسية أو ثانوية:**

الأساسية :هي التي يتجاوز حجمها الأسبوعي ساعتين أو أكثر وتشمل: حفظ وتلاوة القرآن الكريم، علم القراءات، التفسير وعلوم القرآن الكريم، اللغة العربية وعلومها، الفقه الإسلامي، الفرائض، الحديث والحزب الراتب.

الثانوية :وهي التي يتجاوز حجمها الأسبوعي الساعتين وتشمل: علم التوحيد والمنطق والحساب، وعلم الفلك، والمطالعة، والرياضة.

التقسيم الثاني: وهي إما مواد نظرية أو تطبيقية:

فالنظرية :هي التي تعتمد على التلقين وقوة الحفظ وتشمل: حفظ القرآن الكريم وحفظ المتون في اللغة العربية والفقه الإسلامي، والتفسير والتوحيد والمنطق.

والتطبيقية: وهي التي تعتمد على عرض المسائل وحلها وآداء الأحكام وتطبيقها وتشمل تلاوة القرآن الكريم، علم القراءات، مسائل اللغة العربية والفقه الإسلامي والفرائض وعلم الفلك والحساب، والحزب الراتب.

التقسيم الثالث:

وهي إما **تعليمية أو ترفيهية أو روحية:**

التعليمية: هي المواد المقصود منها تعلم القواعد والأحكام والمسائل المختلفة ومنها القراءات واللغة العربية، والفقه، والحديث، والفلك والحساب. والترفيهية: فهي المقصود منها الترفيه على نفس الطالب وتشمل البرنامج الثقافي والرياضة وأما **الروحية:** فهي حضرة يوم الجمعة، وإقامة الشعائر، والصيام وتعلم مظاهر الزهد ولبس المرقعة الحمراء وغيرها.إن هذا التقسيم هو عبارة عن خلاصة لبرنامج الزّاوية المتسم بالتكامل بين عناصره،فهو من جهة برنامج متوازن يستجيب لمتطلبات الروح والجسد بأسلوب تربوي حديث، لا نكاد نجده في أي زاوية أخرى من زوايا المنطقة.

البرنامج الدّراسي للزّاوية:

نستعرض المواد الدراسية بالتّفصيل:

حفظ وتلاوة القرآن الكريم :يمثل حفظ القرآن الكريم وتلاوته المادة الأساسية في برنامج الزّاوية اليوم، فهو معمم على مختلف الأطوار الدراسية في المرحلتين الابتدائية والمتوسطة والثانوية ويستغرق حفظ القرآن الكريم مدة لا تقل عن خمس ساعات يوميا، تستعمل فيها الألواح بصورة أساسية .ويشمل مقرر حفظ القرآن الكريم يوميا ما يلي:

أ- القراءة الحرة فرديا أو ثنائيا من اللوح وبالتكرار، وذلك من الثلث الأخير من الليل إلى غاية صلاة الفجر؛

ب- محو الألواح وكتابتها وتصحيحها، مع مراعاة تسلسل الأثمان والأرباع من المصحف الشريف أو بإملاء مساعدي الشيخ، ويكون البدء بسورة الفاتحة ثم سورة الناس ثمنا ثمنا، أو ربعا ربعا حتى سورة ودعاء ختم القرآن الكريم .ويكون هذا صباح

كل يوم بعد الاجتماع العام للطلبة– حسب نظام الزّاوية–ويستمر إلى غاية وجبة الغداء قبيل صلاة الظهر؛

ج–مواصلة القراءة بصورة فردية مع المراجعة فيما بين صلاتي الظهر والعصر.

د–قراءة القرآن مثنى مثنى للضبط والمراجعة من بعد صلاة المغرب إلى وقت صلاة العشاء. هذا البرنامج الذي ذكره ابن زكري في أوضح الدلائل مطبق في الزّاوية منذ عهد الشيخ المؤسس واستمر كذلك إلى عهود متأخرة مع بعض التعديل في عهد الشيخ الشرفاوي كما يرويه تلامذته.

علم القراءات بالروايات السبع والعشر:

وهذا العلم الخاص بالطلبة المنتهين الذين أتموا حفظ القرآن الكريم، وارتقوا بنجاح إلى مرحلة التعليم العالي. والمقصود بعلم القراءات في هذه الزّاوية تدريس مادة التجويد رسما وضبطا وتلاوة وتطبيقا على القراءات المشهورة وهي: [7]

1– قراءة نافع بن عبد الرحمن المدني؛

2– قراءة عاصم بن أبي النجود؛

3– قراءة عبد الله بن كثير المكي؛

4– قراءة عبد الله بن عامر؛

5– قراءة أبي عمرو بن العلاء؛

6– قراءة حمزة بن حبيب؛

7– قراءة علي بن حمزة الأسدي المعروف بالكسائي؛

8– قراءة يزيد بن القعقاع المدني؛

9– قراءة محمد بن عبد الرحمن بن محيضن؛

10– قراءة يعقوب ابن إسحاق.

والقراءة المعتمدة في الزّاوية للمبتدئين هي قراءة نافع بروايتي ورش وقالون؛ ثم تضاف إليها باقي القراءات حسب شهرتها كقراءة عاصم برواية حفص، ويختص ذلك بالطلبة المنتهين. وفي الواقع فإن تعليم القراءات هو ميزة هذه الزّاوية منذ تأسيسها

حيث تخصص شيوخها وطلبتها في ذلك حتى كانت مقصد الراغبين في الاستزادة ،منه وقد اعتبرها الدكتور ناصر الدين سعيدوني بأنها تقدم تعليما متطورا ذا مستوى عال وقد يتفوق على ما تقدمه بعض المعاهد الدراسية بالمساجد الكبرى بمدن الجزائر وقسنطينة وتلمسان، وهي أكبر الحواضر العلمية في الجزائر آنذاك.

وكانت مدة تدريس هذا العلم في اليوم بالنسبة لمرحلة التعليم العالي تصل إلى حدود أربع ساعات تتوزع كما يلي:

أ- التفرغ للتلقي عن الشيخ المقرئ مقرر المادة بالتفاصيل المعروفة عنها، وذلك في الفترة ما بين الغداء وصلاة الظهر، وربما وقت استراحة الطلبة الصغار فيما بين العصر والمغرب؛

ب-التطبيق أثناء قراءة الحزب الراتب في فترته المسائية، بعد صلاة المغرب مباشرة حيث كانت التلاوة بالجهر ومد الصوت ترتيلا؛

ج-عقد جلسات للمذاكرة والمناظرة فيما عدا ذلك.

وقد اعتمدت الزّاوية على المنظومات الشهيرة في علم القراءات كمنظومة الجزري والخزار وابن بري والشاطبتين الصغرى والكبرى على عادة المؤسسات الدينية والمعاهد ذات المستوى العالي وتعتبر منظومة ابن بري الأكثر تداولا في عهد الشيخ المؤسس وبعده، وفي ذلك تأثر واضح بالشيخ البهلولي الذي اعتمد هذه المنظومة في زاوية ميزرانة من قبل.

- **التفسير وعلوم القرآن الكريم:** في الحقيقة لم نجد من نص على تدريس هذا العلم في زاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي في الفترة الأولى من نشأتها، فلا البوجليلي ولا ابن زكري وكلاهما من طلبة الزّاوية ممن وصلتنا مؤلفاتهم قد ذكر ذلك لكن اقتصار الزّاوية على مادة القرآن الكريم قرنين من الزمن) قبل إصلاح سنة 1845 م (يجعلنا نتصور طبيعة حفظ القرآن الكريم وتعليم القراءات،ومدى أهميتها دون تفسير الآي والسور ودراسة المباحث المعروفة في علوم القرآن كالمكي والمدني وأسباب النزول وغيرها، وتعتبر القراءات نفسها جزءا من مباحث علوم القرآن الكريم ومن ثمة

نتصور بأن مادة التفسير كانت من أهم المواد المعتنى بها في الزّاوية، وان لم يذكرها من كتب عن هذه الزّاوية لدلالة طبيعة التخصص في القراءات. نجد من المتأخرين الأستاذ محمد الصالح الصديق يذكر هذه المادة في حديثه عن منهج شيخه محمد الرزقي الشرفاوي في التفسير وذلك قبل سنة 1938 م حيث يقول":وكان الشرفاوي رحمه الله يفسر القرآن الكريم بتفسير الإمام الآلوسي البغدادي المسمى روح المعاني وطريقته كما يلي:

أ- يعنى أولا بشرح الألفاظ والتراكيب دلالة وبلاغة ونحوا؛

ب-ويستعرض مختلف الآراء والمذاهب؛

ج- ثم يرجح أقواها؛

د- وصاحبها بالتدليل والتعليل والموازنة؛

ه- ثم يأخذ في عرض معاني الآية؛

و- ويتدرج من الظاهر إلى الباطن، ومن السهل إلى الصعب ومن القريب إلى البعيد؛

ز- ويغوص في أسرار الآية ودقائقها؛

ح- وإذا كان في الآية ما يدعو إلى نقد عمل أو سلوك أو خلق فانه يستطرد له بالنقد. ويسهب في طرق علاجه.

- **الفقه الإسلامي:** لقد منعت هيئة التسيير في زاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي تدريس مادة الفقه

لطلبتها، للأسباب التي ذكرناها من قبل، إلا أن ضرورة الإصلاح اقتضت إدخال هذا العلم في برنامج الزّاوية مع مطلع القرن العشرين عن طريق الشيخ محمد بن عمارة.

وكان البرنامج المقرر لهذه المادة هو تدريس متن ابن عاشر، ورسالة ابن أبي زيد القيرواني، وقد ذكر ذلك العديد من طلبة الزّاوية الذين درسوا فيها ما بين 1910 م و1930م، منهم الشيخ محمد السعيد اليجري والشيخ السعيد عدة والشيخ أحمد حسين

عضو جمعية العلماء المسلمين الجزائريين .ثم اعتمد شرح خليل في المرحلة الموالية ابتداء من عهد الشيخ الحافظي، اقتصر على شرح الدردير لما له من مزايا الاختصار والوضوح. وقد ذكر طالب الزّاوية خلال الثلاثينات الشيخ أحمد قادري تقسيما جيدا للبرنامج الدراسي لمادة الفقه الإسلامي والموزع على مستويين؛ حيث كان برنامج الطور الثاني المتوسط من رسالة ابن أبي زيد القيرواني بينما كان برنامج الطور العالي وهو للمنتهين من متن الشيخ خليل بشرح الدردير.

ويعبر هذا التقسيم عن المستوى العالي السائد في الزّاوية، والتي جعل من طلبتها هم الأوائل دائما إذا ما قورنوا بطلبة الزوايا الأخرى وحتى بطلبة معهد ابن باديس بقسنطينة بشهادة الشيخ البشير الابراهيمي، ونظرا لأهمية مادة الفقه في الزّاوية، فقد جرت العادة أن ينظم فيها احتفال كلما ختم الشيخ تدريس متن خليل ويكون ذلك مرة كل عام،ويدعى لهذا الاحتفال الأعيان والعلماء من أنحاء القطر، كما يدعى له الحاكم الفرنسي والقايد ويحضره طلبة الزّاوية وأهالي المنطقة وعدد كبير من الزوار والضيوف، يعدون بالآلاف ويدرس الفقه غالبا بعد صلاة العصر، وتنعقد له مجالس للفتوى يشرف عليها الشيخ نفسه لمدارسة المسائل المختلفة، ومنها القضايا المستعصية في منطقة القبائل والمطروحة منذ أمد بعيد كميراث المرأة، وقضايا الدماء وغيرها. وتدريس مادة الفقه في الزّاوية أملته ضرورة الإصلاح وخاصة مع بروز سلطة الزّاوية في المنطقة ولجوء العديد من الأهالي إلى الاحتكام إليها، رغبة منهم في التكفل بقضاياهم وانشغالاتهم، خصوصا بعد تراجع الزّاوية المجاورة أحمد بن ادريس عن آداء هذه المهام وانشغالها بأشياء أخرى.

- **اللغة العربية وعلومها:** كانت علوم اللغة ولا تزال من أبرز العلوم التي تدرس في الزوايا ،بل كان البدء بها وضرورة تقتضيها عملية تعليم القرآن الكريم وتحفيظه ،إذ لا يمكن للطالب المبتدئ أن يشتغل بكتابة لوحته والقراءة منها،إلا بعد تعلم أصول الكتابة والقراءة بالطريقة المعروفة في الكتاتيب القرآنية والزوايا.ولم تكن هذه المبادئ إلا ضرورة أوجبتها مادة القرآن الكريم،لذلك لم تسم مادة مستقلة أوعلما قائما بذاته إلا

بعد تطوير أسلوب تعليم اللغة العربية مع أول إصلاح تعرفه الزّاوية على يد محمد الطاهر الجنادي، وقد أشرنا إلى ذلك في موضعه .وقد شمل تدريس اللغة العربية منذ ذلك التاريخ والى غاية تدمير الزّاوية المواد التالية:

أ-**النحو:** وهو أكثر فروع علوم اللغة العربية تكفلا به؛ حيث أدرج في أطوار التعليم الثلاثة المعروفة في الزّاوية وقد اعتمدت المقدمة الأجرومية بشرح خالد

الأزهري برنامجا للمبتدئين، وقطر الندى لابن هشام برنامجا للمتوسطين أو الثانويين، بينما خص المنتهون ببرنامج أعلى وهو ألفية ابن مالك بشرح ابن عقيل وبشرح الماكودي؛

ب-الصرف: وكان المرجع المعتمد له في كتاب" لامية الأفعال" لابن مالك وخص به طلبة الطورين المتوسط (الثانوي) والعالي؛

ج-البلاغة: واعتمد لها كتاب" الجوهر المكنون"حسب الأستاذ محمد الشريف بن الشيخ؛

د-الأدب: واشتمل على شرح النصوص الأدبية خصوصا المعلقات السبع وقراءات أدبية في شعر امرئ القيس؛

هـ-الإنشاء: وهي عبارة عن إملاء نصوص وشرحها مع مطالبة الطلبة بالتعليق عليها لتعويدهم

على الخطابة وكتابة المقالات

و-اللغة: وكان يدرس فيها مخطوط بعنوان رسالة الوضع، ذكره الشيخ أحمد حسين؛

ز-البيان والمعاني: وقد ذكرهما ابن زكري في أوضح الدلائل

- **العقيدة وعلم الكلام:** مما لا شك فيه أن علم العقيدة، هو من أجل وأولى العلوم بالتدريس والتلقين نظرا لأهمية وحاجة الطالب المبتدئ إليه، ونظم الجوهرة المعروف هو البرنامج المعد للحفظ، والمعتمد في الزوايا مع الشرح والتعليق عليه.

ولم نجد من نص على ذلك من المتقدمين، وهو لا ينفى وجوده، بينما ذكره الشيوخ أحمد قادري وأكد تدريس علم التوحيد في الزّاوية، وبأن الطلبة مطالبون بحفظ نظم الجوهرة. في مرحلة التعليم الابتدائي وكان ذلك قبل التحاقه بالزّاوية سنة 1935م بينما ذكر الأستاذ محمد الصالح الصديق متن السنوسية كمقرر آخر لمادة التوحيد.

الحديث: وقد اعتمد لتدريس هذه المادة في الزّاوية على شرح ابن حجر العسقلاني وكتاب سبل السلام للصنعاني.

الفرائض: وكان برنامج المادة هو عبارة عن مسائل يقتبسها الشيخ من الكتب ويقدّمها للطّلبة على شكل تمارين للتّدريب على حلّها.

المنطق: وقد أدخلت هذه المادّة في عهد محمد الطاهر الجنادي في وقت مبكر من عهد أول إصلاح، واعتمد فيها برنامج السلم المرونق للأخضري، وبقيت هذه المادة حتى قنبلة الزّاوية في الخمسينيات.

علم الفلك والحساب: ازدهر علم الفلك في الزّاوية على عهد الشيخ المولود الحافظي الأزهري، وهو المتخصص فيه ومدرسه في الأزهر الشريف مدة من السنين واشتمل برنامج علم الفلك على دراسة المجموعة الشمسية وظاهرة الأفلاك والنجوم وآثار دورة الأرض حول نفسها وحول الشمس...وغير ذلك.

وقد أقام طلبة الزّاوية آنذاك بمعية الشيخ الحافظي نموذجا للساعة الشمسية صنعت من الحجر والخشب في جهة قريبة من موضع المسجد على صخرة عالية ولا يزال الأثر باقيا حتى الآن.

أما الحساب فقد كان من إعداد الشيخ نفسه حيث يعد مسائل حسابية في العمليات الأربع والكسور وغيرها، ويذكر الأستاذ ابن الشيخ اعتماد القلصادي في الحساب وتدريسه في الزّاوية.

- **المطالعة:** لقد اعتنت زاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي بالمطالعة لغرض تثقيف طلبتها، وتمكينهم من الاطلاع على فنون العلوم المختلفة كالتاريخ والجغرافيا وسير

الملوك والدول والزجل والمقامات وغيرها. وتعتبر زاوية سيدي عبد الرحمن اليلـــولي من الزوايا القليلة التي اهتمت بموضوع المطالعة بمفهومها الواسع.

وكان توقيت المطالعة في الزّاوية أوقات الفراغ بصورة حرة، ودون تكليف مـــن الشيخ، بينما ألزم الطلبة بمطالعة الكتب يوم الخميس من كل أسبوع وهو يوم راحـــتهم الاسبوعية.

وقد اعتمدت حصة المطالعة قبل نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، ولعل من أبرز ما دعا الى ذلك نداءات الإصلاح التي رفعها الجنادي ومن بعده ابن زكري وأبو يعلـــي الزواوي وغيرهم.

الحزب الراتب: وهو من سمات الزوايا والكتاتيب القرآنية وكل المؤسسات الدينيـــة سواء أكانت للعبادة أم للتعليم أم لكليهما معا. والحزب الراتب هو اجتماع يومي لطلبـــة القرآن الكريم من الحفاظ وغير الحفاظ حول الشيخ أو من يمثل الشـــيخ مـــن الطلبـــة الكبار، ويلتف الجميع على هيئة الدائرة بتنظيم متناسق لتلاوة المقدار المحدد من كتاب الله وهو لا يقل عن حزبين اثنين.

والحزب الراتب واجب الحضور في الزّاوية، ويكون على فترتين، الأولـــى بعـــد صلاة الصبح، والثانية بعد صلاة المغرب وهو ذو طابع تعليمي فـــي الغالـــب، كمـــا يتضمن المعنى التعبدي والاجتماعي فالاجتماع ذاته مقصود في العمليّة وهو يدفع إلـــى التنافس والإجادة والإتقان.

ويتميّز الحزب الراتب المقام في المساء بعد صلاة المغرب بحرارة خاصة، حيـــث يحرص الجميع على التلاوة الحسنة وبحركات تنشط الروح والجسد، بصـــوت واحـــد مرتفع عن طريق المد والتطويل من أول الحزب إلى آخـــره، حتـــى تســـمع القـــرى المجاورة. هذا الصوت الجميل المندفع نحوهم كأنه يترتل من جديد.

الحضرة الأسبوعية :هي حصة أسبوعية إجبارية تبدأ بعد صلاة العشاء ليلة كـــل جمعة، وهي من الواجبات المكملة للدراســـة النظريـــة المســـتمرة طـــوال الأســـبوع. واختيرت ليلة الجمعة لأن من عادة زوار الزّاوية أن يقصدوها يوم الخميس ويقيمـــون

بها تلك الليلة خاصة من يقطن بعيدا عن الزّاوية من بني يراثن وبني وغليس وقشطولة فيجتمع تلك الليلة الطلبة والشيوخ بين الزوار عند قبة الولي الصالح أو بجوارها.

وتقتصر الحضرة على ترتيل القرآن الكريم بصوت مرتفع ويتخلل الترتيل دعوات وابتهالات ومدائح، يعضدها مديح الأخوان الأجانب والزوار بالتناوب بالعربية تارة وبالقبائلية تارة أخرى حسب نوع المديح وقدرة المجتمعين حوله.

والحضرة في الواقع عبارة عن نشاط ثقافي أدرجه القائمون على شؤون الزّاوية في البرنامج الأسبوعي الإجباري الحضور. ولم تكن الحضرة على طريقة الصوفيين بالجذب والرقص والغناء تتخللها الأدعية والابتهالات.

- **الرياضة:** وتعتبر الرياضة من الأنشطة الترفيهية للزاوية، وهي غير واجبة على الطلبة وتمارس في فترة الراحة الأسبوعية ابتداء من أمسية يوم الأربعاء ويوم الخميس صباحا ومساء، وقد اقتصرت على لعبة كرة اليد وأحيانا كرة الطائرة.

الخاتمة: الزوايا مؤسّسات اجتماعية، وثقافية، ودينية، تربوية وتعليمية تعرّضت لظروف تاريخيّة مختلفة، ظهرت متواضعة وبسيطة في كيانها وعظيمة في رسالتها في قول الأستاذ محمّد الصّالح الصّدّيق: "الزّوايا التي أُسّست لعبادة الله تعالى وتحفيظ القرآن الكريم، وتعليم الدّين، ونشر القيم والفضائل الإسلامية، ودراسة العلم، وهذه في الحقيقة مدارس للتّربية والتّعليم وتهيئة النّشء للمعاهد الإسلامية العالية. " ومؤسّسو هذه الزّوايا والمعلّمون فيها أصحاب رسالة وذوو وزن عند الله تعالى، وعند النّاس لأنّهم صانِعو أجيال وبناةُ مجد، احتفظ التّاريخ في صفحاته الوضيئة المشرقة بأسمائهم لنذكرهم بالإعجاب والتّقدير، ونترسّم خطاهم ونحذو حذوهم.

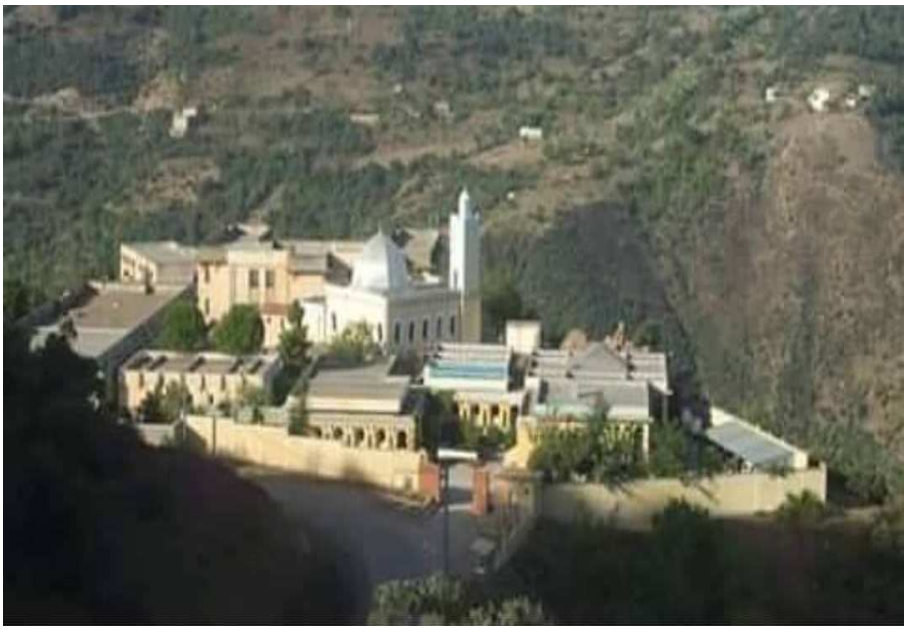

صورة رقم :01 مبنى زاوية عبد الرحمن اليلولي

صورة رقم 02:المشهد الجماهيري لاستقبال الامام الشيخ عبد الحميد بن باديس أثناء زيارته لزاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي سنة 1930 م.

الاحالات:

[1] كلمة بربرية تعني عرين اللبؤة أو عرين الأسد.

[2] سامية اخلف، جريدة النصر، 2019، زاوية عبد الرحمن اليلولي.

[3] سي فضيل منى، عبد الغني مغربي، الزوايا بين الماضي والحاضر: دراسة سوسيولوجية مونوغرافية لزاوية شرفاء سيدي بهلول وزاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي بمنطقة القبائل، رسالة لنيل شهادة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية–الجزائر، السنة الجامعية 2004–2005.

[4] سي فضيل منى، عبد الغني مغربي، المرجع السابق ص80.

[5] سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج.10 .الجزائر: عالم المعرفة 2011.ص.112

[6] سي فضيل منى، عبد الغني مغربي، المرجع السابق ص.102

[7] سي فضيل منى، عبد الغني مغربي، المرجع السابق ص.145

فاعلية الكتاتيب الرقمية في تنمية الملكة اللسانية للطفل

داه. حيزية كروش.
جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف

ملخص: الانتقالية التكنولوجية التي يشهدها التعليم شيدت صرحا جديدا في مجال تعليم القرآن الكريم، إذ تم خلق فضاءات رقمية مشابهة للكتاتيب التقليدية التي تهدف إلى تحفيظ القرآن الكريم، وتعليم اللغة العربية، باعتماد وسائل وبيداغوجيات قديمة.

الكتاتيب الرقمية هي مقارئ مشابهة للكتاب، تكون على الشبكات العنكبوتية وتقوم على جملة من الآليات التعليمية، فهي مشابهة في عناصرها ومقوماتها وأسسها للكتاب الموجود على أرض الواقع.

الملكة اللسانية للطفل تحتاج إلى تنمية وتطوير، ونظرا للدور الفعال الذي تقوم به الكتاتيب في تقويم اللسان، وتنمية المهارات اللغوية (القراءة والكتابة والاستماع والحديث)، عمل الباحثون على تيسير الوصول إليها والتعامل معها، وإيجاد بيئات رقمية مشبعة بكل الآليات التكنولوجية التي تسمح بتأسيس عملية تعليمية موافقة للعملية التي تحدث على مستوى الكتاتيب الموجود في الواقع.

الإشكالية: ماذا نقصد بالكتاتيب الرقمية؟ وكيف تسهم في تطوير ملكة الطفل اللسانية؟

الكلمات المفتاحية: الملكة اللسانية، الكتاتيب الرقمية، الطفل، التعليم.

The technological transformation witnessed in education constructed a new edifice in the field of teaching the Noble Qur'an, as digital spaces were created similar to the traditional katibs, which aim

to memorize the Holy Qur'an and teach the Arabic language by adopting old methods and pedagogies.

Digital pamphlets are readers similar to the book, they are on the spider webs, and are based on a number of educational mechanisms, they are similar in their components and components, and their foundations for the book on the ground.

The linguistic queen of the child needs development and, given the effective role that the writers play in straightening the tongue, and developing language skills (reading, writing, listening and speaking), researchers have worked to facilitate access to and deal with them, and create digital environments saturated with all technological mechanisms that allow the establishment of an educational process Approval of the attic that occurs at the level of the Kataeb in fact.

The problematic: What do we mean by digital writers? How do you contribute to the development of the child's lingual queen?

Key words: linguistic queen, digital schools, child, education.

1- مفهوم الكتاتيب: تتعدد السبل التعليمية للغة العربية، من حيث المكان والزمان والهيئة، والكتاتيب هي أحد السبل الفعالة التي أسهمت في تعليم اللغة العربية، وتقويم اللسان، وخاصة في البلدان التي كانت تحت وطأة الاحتلال، على غرار الجزائر.

مرت الجزائر بحقبة مريرة من الاحتلال، حيث كان الاحتلال الفرنسي يعمل على هدم الكيان الجزائري من خلال محو الهوية العربية، منطلقا من محاولة طمس رموز العروبة، وأولها اللغة العربية التي كانت هاجس المستعمر الذي أنكب على تحطيم التعليم وفرنسته، وإنشاء جيل فرانكفوني خاضع لسلطة اللسان الفرنسي.

"إن التعليم المسجدي في قسنطينة كان قاصرا على الكبار و لم يكن للصغار إلى الكتاتيب القرآنية، فلما يسر لي الله الانتساب للتعليم سنة 1913 جعلت من حملة

دروسي تعليم صغار الكتاتيب القرآنية بعد خروجهم فكان ذلك أول عهد للناس بتعليم الصغار"[1].

من خلال تصريح ابن باديس نستشف بداية النشاط التعليمي في الكتاتيب، حيث كانت تركز على التربية اللغوية للطفل الجزائري، وكأنهم بذلك يتبعون بيداغوجية مبنية على المثل الشائع" التعليم في الصغر كالنقش على الحجر"، وذلك حتى يستقيم اللسان، وتترسخ العروبة في السيكولوجية الجزائرية.

الكُتَّاب هو مكان من الأماكن الأولية لتعليم الناشئة القرآن الكريم والدين ومبادئ القراءة والكتابة والخط والحساب ويشرف عليها شخص يسمى (المطوع)[2]، شكل الكلمة للتفريق بينها وبين مصطلحات أخرى.

أما الشخص الذي يدرس في الكُتّابِ فيسمى المُكَتِّب، كما يلقب أيضا بالمعلم حسبما ورد عن الجاحظ في "البيان والتبيين" وأما الصبي الذي يدرس في الكتاب فيسمى "المحصل" و"طال العلم" و"التلميذ"[3].

الكتاب هو ذلك الهيكل المؤسساتي الذي يعمل على إعطاء القيم الروحية والمبادئ الإسلامية التي تنشئ الطفل على أسس سليمة، باعتباره مكملا للتعليم البيداغوجي في المؤسسات التربوية، ويعد تعليم القرآن ومبادئ الدين الإسلامي الركيزة الأساسية للتعليم في الكُتَّاب.

2- مميزات التعلم في الكُتَّاب: يتميز التعليم الكُتَّابِي بخصائص لا تتواجد في المؤسسات التربوية الأخرى، فهو مبني على نمط إسلامي قائم على إعطاء الإيديولوجيات الدينية كلبنة أساسية لها البصمة الأكبر في تشييد الصرح التعليمي للمتعلم:

❖ تحفيظ القرآن هو الهدف الأول للتعليم في الكُتَّابِ، وبالتالي فإن تعلم اللغة العربية وسيلة حتمية للوصول إلى هذه الغاية؛

❖ عمومية التعليم في الكُتَّابِ، فلا فرق بين غني وفقير بل هو مكرس لجميع فئات المجتمع؛

❖ مرونة التعليم في الكُتَّابِ، حيث يتمشى مع كل المؤثرات التي يتعرض لها المجتمع؛

❖ بساطة التعليم الكُتَّابِي، من حيث التعليم والتعلم؛

❖ تلازمية الكتاب والريف الجزائري، فهو كان بمثابة المدرسة اللاحكومية فهو لا يحتاج لمناشير وزارية، ولا لقوانين تعليمية، بل هو تعليم طيّع لا يحكمه إلا المعلم الذي ينتهج منهجا عفويا يناسب المستوى الإدراكي لطلابه؛

❖ ارتكاز هذا النوع من التعليم على اتجاهات نفسية دينية لدى المعلم وهذه الاتجاهات توفر جوا خالصا للعمل والفعالية؛

❖ إن الوسائل التربوية المستخدمة كاللوحة، والحبر المحلي وأدوات المحو... الخ هي أدوات زهيدة التكاليف، يمكن العثور عليها في البيئة المحلية؛

❖ قدرة الكتاب على تربية جيل له مستوى علمي جيد، وخير دليل أولئك العلماء الأجلاء الذي كانت بداياتهم الأولى مرتكزة على التعليم الكتابي[4].

3-فاعلية الكتاب في تنمية القدرات المعرفية للطفل:

يمثل التعليم المسجدي أهم الديناميات الفاعلة في تنشيط الحركة التعليمية، في كل المجتمعات الإسلامية، بل يمكن اعتبارها الأساس الأول لاكتساب الحس التعليمي فغالبا ما نجد المتعلم الذي تربص في المساجد والكتاتيب يتميز بسمة تعلمية خاصة والجزائر على غرار كل المجتمعات كان لها لمسة فريدة في مجال التعليم فالمتقصي للتطورات الدياكرونية والسانكرونية للحركة التعليمية يجد أن هذه الأخيرة منبثقة من حلقات التحفيظ، وجمعات الكتاتيب التي يترأسها شيخ فصيح قويم اللسان.

للكتاتيب دور تاريخي لا يمكن إنكاره في تحفيظ القرآن الكريم وتفسيره، وكذا تلقين اللغة العربية، فعندما أغلقت فرنسا المساجد وعممت تعليم اللغة الفرنسية كانت الكتاتيب تشتغل خفية ودون انقطاع، لتنجب جيلا حافظا للقرآن الكريم متميزا من حيث الفصاحة اللغوية، والإتقان لقواعدها وأحكامها، فالغاية الأسمى التي هدف إليها الكتاب هي المحافظة على أسس الدين الإسلامي من خلال تحفيظ القرآن.

بمقتضى هذا الهدف كانت النتيجة الحتمية لإثبات وجودية الأول وتفعيله في الحيز الاجتماعي هو تعليم اللغة العربية التي تعتبر إحدى ثوابت الأمة الجزائرية.

مر التعليم الجزائري بعدة عهود، وتدرج على جملة من المراحل، حيث تعد مرحلة الكتاتيب المرحلة البدائية في نظر البعض، إلا أنها تعد مراكز تعليم النشء أساسيات اللغة العربية والقراءة والكتابة، بل جزءا لا يتجزأ من المنظومات التربوية التي تنتهج سبلا بيداغوجية تقوم في غالبيتها على النمط التعليمي الشعبي.

الكتاتيب تؤدي رسالتها التعليمية والتربوية في حدود إمكانياتها المادية والفنية والبشرية وفي ظل وظيفتها الدينية، فقد كان الأطفال في الكتاتيب يُعلّمون احترام اللغة العربية، خاصةً إذا كتبوا في ألواحهم آيات من القرآن الكريم، أو أحاديث النبي ﷺ.

4/ أهداف التعليم الكُتَّابِي: الروح الجماعية: توفر الكتاتيب لطلبتها العمل في جماعات حيث تميز الجماعة بخلق تفاعل بين الأفراد، وتوفر أهداف مشتركة.

❖ الاشتراك: يتجلى في وجود هدف مشترك بين أعضاء هذه المدارس وتحقيق الانسجام والتفاهم؛

❖ التنافس: بما أن هذه المؤسسات تسعى لتحفيظ طلابها القرآن، وتنشئتهم على جملة من القيم والمبادئ، فإنه من الطبيعي وجود تنافس من قبلهم يسمح بإشعال فتيل المثابرة بينهم، والاجتهاد مما يسهم في تعزيز قدراتهم، وتنمية مكتسباتهم؛

❖ للكتاتيب دور تربوي يتمثل في إعداد المنصة الروحية التي تبنى عليها شخصيات الجيل؛

❖ تنمية مدارك الطفل وتعليمه تعاليم الدين، وتزويده بالقيم الخلقية والأخلاقية؛[5]

❖ فاعلية الكتاتيب في حفظ الهوية الثقافية للتلاميذ.

5- الكتاب الرقمي: هو عبارة عن حلقات تعليمية مشابهة للحلقات التعليمية التي تكون في الواقع المعيش، وتحتوي على نفس العناصر الديداكتيكية إضافة إلى تلقين

نفس المحتوى، لكن الاختلاف يكمن في الانتقاليات الفعلية لمسيري العملية التعليمية، ولربما هي أيسر وأسهل من حيث التكييف التكنولوجي للمفاهيم التعليمية التي يتبناها الكُتَّاب.

من الحلقات تعلم القرآن الكريم حول شيخ الكتاب، أتبت مرحلة الكتاتيب الإلكترونية التي تؤدي ذات الوظائف التقليدية في تحفيظ القرآن الكريم وتعليم اللغة العربية، فهي بكل ما تحويه من ميزات تكنولوجية حديثة إلا أنها تهدف إلى نفس الغاية التعليمية، حيث تقوم على تفعيل الملكات اللسانية للمتعلمين، أو لرواد الكتاب ومن ثم العمل على تطويرها وتقويمها بناء على المعطيات المعرفية التي يملكها الطالب.

والكتاتيب الإلكترونية التي يتبلور جوهرها على مستوى الشبكة العنكبوتية تجسد التعامل مع الواقع بمستجداته بما يتناسب مع المنتمين إليها (الكتاتيب الإلكترونية) فهي تقوم على عملية تعليم القرآن الكريم عبر وسيط إلكتروني (تقنيات الاتصال بشبكة الإنترنت أو ما يقوم مقامها) وتشمل عملية التعليم تصحيح التلاوة وشرح الأحكام التجويدية ودراسة المنظومات في علم التجويد والقراءات كالجزرية والشاطبية وغيرهما .ويُعَدُّ الإقراء الإلكتروني من التقنيات الحديثة والمفيدة في تعليم القرآن الكريم بصورة صحيحة لفئات كثيرة من المسلمين قد يصعب الوصول إليهم لتعليمهم مثل الدول الأوربية والأمريكيتين، ولا يوجد في بلادهم أساتذة مؤهَّلون يقومون بالتعليم القرآني وإن وجد الأساتذة فعددهم لا يكفي وذلك لدخول كثير من الناس في الإسلام. الكُتَّاب الرقمي يتيح فرصة تعلُّم القرآن الكريم وحِفْظِه وتجويده لكثير من الناس الذين لا يستطيعون الالتحاق بالحلقات القرآنية في المساجد ودور التحفيظ لتعدد المشاغل وصعوبة التنقل، وبهذه الوسيلة يتمكَّنون من التعلم في منازلهم وفي أوقات فراغهم. وكذلك بالنسبة للنساء وربَّات البيوت فبإمكانهن الاستفادة من المقارئ والمدارس الإلكترونية على شبكة الإنترنت دون الحاجة إلى الخروج من بيوتهن[6].

يمثل الكتاب الإلكتروني الوسيلة الأيسر لتعلم القرآن الكريم واللغة العربية، حيث لا يجبر طلاب العلم على الانتقال إلى المقر، وإنما تحدد الفترة والمكان على حسب اختيار الطالب، إضافة إلى أن الأدوار التي يقوم بها الكتاب الإلكتروني هي نفسها الفرق الوحيد هو طبيعة الفضاء التعليمي، فالأول يكون بشكل مباشر دون تدخل وسائط تكنولوجية، في حين الكتاب الرقمي قائم على برامج رقمية، ووسائط تكنولوجية.

6- عناصر الكتاب الإلكتروني: يقوم التعليم القرآني في الكتاب الإلكترونى على أربعة أركان، هي:

أ-المُعلِّم (المُقرِئ): هو الذي تلَقَّى قراءة القرآن الكريم بإحدى رواياته المتواترة وأُجيزَ بالإقراء والتعليم؛

ب- المُتعلِّم (الطالب): هو الذي يتلقى العلم من مُعلِّمه من خلال وسيطٍ إلكتروني، وينبغي للطالب الدارس في المقرأة الإلكترونية أن تتوفر فيه شروط أهمها : المعرفة الجيدة باستخدام الحاسب الآلي، وطريقة الاتصال بشبكة الإنترنت .

الإلمام بكيفية الدخول إلى غرفة الإقراء في المقرأة الإلكترونية . تسجيل مواعيد شرح الدروس النظرية في التجويد، والقراءة في المقرأة الإلكترونية .

كثرة تكرار ما سمعه من المعلم على الوجه الصحيح، وحبذا لو يقوم المتعلم بتسجيل تعديلات أستاذه له ليتمكن من الرجوع إليها ومراجعتها .

ج-المنهاج: ويقصد به ما يتِمُّ دراسته في المقرأة الإلكترونية من علوم، ومنها

. القرآن الكريم تلاوةً وحفظاً وتجويدًا .

. دراسة وقراءة الروايات القرآنية المشهورة

. دراسة شرح المتون العلمية في التجويد والقراءات كالجزرية والشاطبية .

ب–بيئة الإقراء: وهي الأخرى لابد من توفر بعض الشروط فيها:

أ– التجهيزات المادية :

• وتتكون من جهاز حاسوب مُجهَّز بالتوصيلات اللازمة لدى المعلم والمتعلم .

• الاتصال بشبكة الإنترنت بسرعة مناسبة لنقل الصوت والصورة بشكل واضح ومطابق للواقع.

ب– التجهيزات البرمجية :

• وجود برنامج الاتصال الصوتي والمرئي المباشر، والتأكُّد من عمله قبل موعد الإقراء .

هذه الصورة تجسد الحالة التي يمكن أن يكون عليها المتعلم أثناء اشتغال الفترة التعليمية للكتاب الإلكتروني، حيث لابد من توافر كل الأركان سابقة الذكر حتى تتم العلمية التعليمية الموافقة لمقاييس الكتاب الواقعي، والتي تضمن اكتمال عملية التعلم والتعليم.

جدول مقارن بين الكتاب الواقعي والكتاب الإلكتروني:

الكتاب الواقعي	الكتاب الرقمي
طلاب حقيقيون	طلاب حقيقيون
شيخ معلم	شيخ معلم
حيز مكاني واقعي (مسجد-غرفة-مساحة معينة مخصصة للكتاب)	الفضاء الإلكتروني (الشبكة العنكبوتية)
لا يوجد وسيط	الحاسوب
الانتقال إلى مقر الكتاب	الدراسة من البيت أو أي مكان يختاره المتعلم

7- شروط التعليم في الكتاب الإلكتروني:

أولاً: ضوابط بيئة الإقراء (وسيلة الاتصال):

- أنْ يكون الصوت على درجة عالية من الوضوح، بحيث يَسمع الشيخُ الهمسَ والرخاوةَ والتفخيمَ والترقيقَ والتسهيلَ والرَّوْمَ والنَّبْرَ والغُنةَ في أحكامِها المُختلفة مع قُدرةِ الدارس على استيعاب الملاحظات من الشيخ في هذه الدقائق وغيرها؛
- أنْ يتأكَّدَ الشيخُ المُجيزُ أنَّ هذا الدارسَ هو الذي أكمَلَ معه الختمةَ في مَجالِسِها المختلفةِ، وذلك في حالات عدم وُجود رؤيةٍ مُباشِرةٍ بين الطرفَينِ؛
- في حال الاتصال المَرئيِّ يجِبُ أنْ يَتزامَنَ ويَتطابَقَ نُطقُ الحروفِ والكلماتِ مع شَكْلِ الشفَتَينِ قِراءةً ووَقْفًا؛
- أنْ تَكون سُرعةُ الاتصال بشبكة الإنترنت عاليةً تَسمَحُ بسماع الملاحظات مُباشَرةً عند حُصولِها، وليسَ بعدَ أنْ يَكونَ الدارسُ قد تَجاوَزَ مَحِلَّ المُلاحَظةِ إلى غيرِها؛

• عندما يتغيّر الصوْتُ أو يتقطّعُ بسبب وَسيلةِ نَقْلِ الصوْتِ أو يَتَضَخَّمُ أو يَتَباطَأُ أو يَنقَطِعُ جزْءٌ مِن الآيةِ؛ فعَلَى الشيخِ أن يطلب من الدارسِ إعادةَ المَقْطَعِ مرّةً أُخرَى؛

• إذا لمْ يستطعِ الدارسُ تمْيِيزَ ملاحظة الشيخِ مع تَكرارِ نُطْقِها وشَرحِها مِن قِبَلِ الشيخِ، وعدم قُدرةِ الدارسِ على نُطقِها بِشَكلٍ صحيحٍ وكان ذلك بسببِ الوسيلةِ الصوْتيةِ، في هذه الحالةِ "تُحصَرُ هذه الملاحظات"، ويُحدَّدُ موعِدٌ للقاء المُباشِرِ بيْن الطَرفَيْنِ لتصحيح جميع الملاحظات .

ثانياً: ضوابط تصحيح التلاوة (الفردي والجماعي) :

• يشترط أن يكون المعلِّم متقنًا لقراءة القرآن الكريم، ويُفضَّل أن يكون حافظاً . أن يكون لدى المعلم القدرة على تقويم تلاوة المتعلِّم وتحديد الخطأ وإيصاله بشكل يَفهمُه، ومن ثَمَّ تسجيل الملاحظات على تلاوته لإرسالها للمتعلِّم بعد التلاوة . أن يراعي المعلِّم أحوال الدارسين من ناحية أعمارهم ومستوياتهم في التلاوة، ومعرفتهم باللغة العربية .

ثالثاً : ضوابط شرح قواعد علم التجويد (أو الجزرية، أو التحفة): يشترط فيها:

• أن يكون المعلِّم متقنًا لقراءة القرآن الكريم، ويُفضَّل أن يكون حافظًا

• أن يكون المعلم ذا دراية تامة بأحكام التجويد، ويُفضَّل أن يكون حاصلاً على سند بإحدى منظومات علم التجويد .

• أن يكون لدى المعلم المهارات اللازمة للتعليم وإيصال المعلومة للمتلقي . أن يكون لدى المعلم القدرة على تقييم تلاوة المتعلم وتحديد الخطأ وإيصاله بشكل يَفهمُه، ومِنْ ثَمَّ تسجيل الملاحظات على تلاوته لإرسالها للمتعلم بعد التلاوة .

• أن يُراعي المعلِّم أحوال الدارسين من ناحية أعمارهم ومستوياتهم في التلاوة ومعرفتهم باللغة العربية.

8- آلية الكتاب الرقمي في تنمية الملكة اللسانية:

يعمد المعلم في الكتاب القرآني إلى جملة من البيداغوجيات التعليمية التي تتكامل مع بعضها البعض لإحداث تفاعل ديداكتيكي يسمح بتفعيل العملية التعليمية منطلقا في ذلك من جملة من الخطوات الإجرائية كالآتي[6]:

الحرف	النطق	تحفيظ للترسيخ	أوصاف الحروف	مجموعة الحرف
أ	ألف	لا شان علي -لا ينقط	مطيرق - تصغير مطرق	01
ب	باء	نقطة من تحت أسفل	أثينة	03
ث	ثاء	ثلاثة من وفق	ثنينة	02
ت	تاء	اثنين من فوق	ثنينة	02
ج	جيم	نقطة من تحت	مخيطف	03
ح	حاء	لا شان عليه	مخيطف	01
خ	خاء	نقطة من فوق	مخيطف	02
د	دال	لا شان عليه	بوجناحين	01
ذ	ذال	نقطة من فوق	بوجناحين	02
ر	راء	لا شان عليه	معرق...	01

ز	زاي	نقطة من فوق	معرق...	02
ط	طاء	لا شان عليه	بوقرن- بوقارون	01
ظ	ظاء	نقطة من فوق	بوقرن- بوقارون	02
ك	كاف	لا شان عليه	بوجناح واحد	01
ل	لام	لا شان عليه	معرق	01
م	ميم	لا شان عليه	دوويرة	01
ن	نون	نقطة من فوق	معرفة	02
ص	صاد	لا شان عليه	مزود	01
ض	ضاد	نقطة من فوق	مزود	02
ع	عين	لا شان عليه	فم الديب	02
غ	غين	نقطة من فوق	فم الديب	01
ف	فاء	نقطة من فوق	أم رقيبة	02
ق	قاف	اثنين من فوق	بورقيبة	02
س	سين	لا شان عليه	ثلاث سنينات	02
ش	شين	ثلاثة من فوق	ثلاث سنينات	01

و	واو	لا شان عليه	أم كرشتين	01
هـ	هاء	لا شان عليه	معرق-بوطيطة	01
لا	لام	لا شان عليه	بوقحيحة	01
ي	ياء	نقطتين من تحت	مكورة معرقة	03
ء	همزة	لا شان عليه	مردودة	01

الملاحظ من الجدول أن المعلم في الكتاب يلجأ إلى أسلوب التصوير المرئي القائم على ربط المدلول الصوتي للحرف، بالمجردات الموجودة في الأعيان داخل المحيط الذي يعايشه المتعلم، فهو ينطق الحرف نطقا صوتيا يدعو إلى المحاكاة اللفظية، ثم يعمد إلى ترسيخة الصورة الأصلية له باستغلال مخيلة الطفل الذي يتلقى الفكرة.

تقسم الحروف إلى مجموعات محددة، بحسب التشابهات الموجودة في رسم الحروف، ثم إعطاء صفة مبسطة تمكن المتعلم من تخزين المعلومة اللغوية، وبذلك فإن معلم الكتاب يكون ذا مستوى إدراكي متميز لكي تتكون للمتعلم المعرفة الكاملة لحروف اللغة العربية.

خاتمة: تمخضت هذه الدراسة عن جملة من النتائج، نذكر منها:

- ❖ الكتاتيب هي مدارس عريقة تعمل على تنمية الملكات المعرفية للطلاب؛
- ❖ هدف الكتاب الأول هو ترسيخ القيم الإسلامية؛
- ❖ تشكل الكتاتيب أحد المقومات التعليمية البارزة التي تحفظ هوية الأجيال؛
- ❖ لعب الكتاتيب دورا تاريخيا مهما في حياة الشعوب المسلمة؛

❖ نظرا لما للكتاتيب من فاعلية كبير إلا في تقـويم الألسـنة أصـبح مـن الضروري تحيينها وفقا لمقتضيات العصر؛

❖ الكتاب الإلكتروني يسر على المتعلمين تلقي العلم من البيوت؛

❖ بناء الأفق التكنولوجية للكتاب بناء على مستجدات العصر الحديثة نتيجـة حتمية للعولمة.

❖ لا فرق بين الكتاب الإلكتروني والكتاب الواقعي إلا مـن حيـث الفضـاء الحيزي الذي يضمه، فالأول افتراضي، الثاني واقعي يشغل رقعة جغرافية معينة؛

❖ ينتهج الشيخ في الكتاب الإلكتروني نفس الأساليب التعليمية التي ينتهجهـا الشيخ في الكتاب الواقعي العادي؛

❖ لابد من توافر حزمة من الشروط التي تضمن قيام العملية التعليمية داخـل الكتاب الإلكتروني.

قائمة المراجع:

أحمد عاصم عامر، ضوابط الإقراء عبر المقارئ الإلكترونية، ملتقى أهل التفسير *vb.tafsir.net › tafsir33988*، 2020/01/10، 12:34.

بكراوي عبد العالي، ومرشدي شريف، دور المدارس القرآنية –الكتاتيب– في الحد من ظاهرة العنف، فعاليات الملتقى الوطني حول دور التربية في الحد من ظاهرة العنف ع04، مخبر الوقاية والأرغنوميا، جامعة الجزائر 02، 2011/12/8/7.

رابح، تركي، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح و التربية في الجزائر– الجزائر الشركة الوطنية 1981، ط1.

زايد، مصطفى: المؤسسات التربوية القديمة في الجلفة.– الجزائر، مجلة الثقافية وزارة الثقافة والسياحة،الجزائر، ع93 1986، ص.129.

عبد اللطيف العرابي وآخرون، معجم علوم التربية، مطبعة النجاح الجديدة، دار البيضاء المغرب. ط1، 1994.

الكتاتيب في الخليج العربي – ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، https://ar.wikipedia 2018/02/12، 14:48.

مختارية تراري، التعليم بالكتاتيب القرآنية في الجزائر في منظور الدراسات النفسية والتربوية المعاصرة، http://journals.openedition، 2018/02/12، 14:18.

هوامش:

1- رابح، تركي، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح و التربية في الجزائر.-الجزائر الشركة الوطنية 1981، ط1، ص.79.

2- **الكتاتيب** في الخليج العربي - ويكيبيديا، الموسوعة الحرة https://ar.wikipedia 2018/02/12، 14:48.

[3]-عبد اللطيف العرابي وآخرون، معجم علوم التربية، مطبعة النجاح الجديدة، دار البيضاء المغرب. ط1، 1994، ص 16.

[4]- ينظر: زايد، مصطفى: المؤسسات التربوية القديمة في الجلفة.- الجزائر، مجلة الثقافية وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، ع93 1986، ص.129.

[5]- ينظر: بكراوي عبد العالي، ومرشدي شريف، دور المدارس القرآنية -الكتاتيب- في الحد من ظاهرة العنف، فعاليات الملتقى الوطني حول دور التربية في الحد من ظاهرة العنف ع04، مخبر الوقاية والأرغنوميا، جامعة الجزائر 02، 2011/12/8/7، ص212-213.

6-ينظر: أحمد عاصم عامر، ضوابط الإقراء عبر المقارئ الإلكترونية، ملتقى أهل التفسير *vb.tafsir.net › tafsir33988*، 2020/01/10، 12:34.

7- **مختارية** تراري، التعليم بالكتاتيب القرآنية في الجزائر في منظور الدراسات النفسية والتربوية المعاصرة، http://journals.openedition، 2018/02/12، 14:18.

الإشعاع المعرفي والتربوي للمدرسة القرآنية في تعليم اللُّغة العربيَّة وترسيخ القيم الإسلاميّة ـ دراسة ميدانية وصفية ـ

أ. هدى عماري
جامعة أمحمد بوقرة، بومرداس

الملخص: تعد المدرسة القرآنية دعامة أساسية لتحفيظ القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وتعليم الناشئة بتقديم المعارف والعلوم الشرعيّة وترسيخ القيم الإسلامية، والجزائر كسائر الدول الإسلاميّة حريصة على تفعيل دور الكتاتيب والمدارس القرآنيّة في المجتمع حتى تكون مراكز للإشعاع العلمي والإسهام في تكوين الشخصيّة الإسلاميّة للفرد الجزائري والتمسك بالمرجعيّة الدينيّة، وهي التي أدّت دورا رياديا في الحقبة الاستعماريّة بنشر الوعيّ وحماية الجزائريين من هجمات التنصير وتشويه الدين بالخرافات وبقيت صامدة في وجه الحملات الشعواء للمستعمر، فكانت بمثابة حصون منيعة للحفاظ على مقومات الهوية والمبادئ النضاليّة الساميَّة للقضية الوطنية.

تسعى هذه الورقة البحثية إلى الوقوف على دور المؤسسة التعليميّة الدينيّة ممثلة في المدرسة القرآنية التي نراها لا تقل أهمية ومكانة من المنظومة التربوية التّعليميّة بل تقوم المناهج في بعض مواد اللغة العربيّة والعلوم الإسلاميّة والأحكام الشرعيَّة وبهذا فإنَّها تعمل بشكل مستمر للمحافظة على التعاليم والعقائد.

وعليه، نتساءل عن واقع التعليم الديني في الجزائر، وقد وقع اختيارنا على المدرسة القرآنية – سي بالكبير– بمدينة البيض لنكشف عن مناهج تحفيظ القرآن الكريم للناشئة، ونبرز خصائص التعليم القرآني فيها وإكساب المتعلمين مهارات التعلم والكتابة وتنمية قدراتهم العقليّة واللّغويّة.

مقدمة: لا تختلف آراء العلماء والدارسون المشتغلون في ميدان تعليميّة اللّغة العربيّة على أنّ للقرآن الكريم فضل كبير في صون العربيّة وتطويرها، في الوقت

نفسه يعد دستورا يعمل على تقويم سلوك الفرد وفق تربيّة إسلاميَّة صالحة، لهذا نهدف من خلال هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على واقع التّعليم القرآني الّذي تقدمه المدرسة القرآنيّة خاصة فيما يتعلق بمعرفة مخارج الحروف وإدراك معانيها للوصول إلى إتقان قراءة القرآن الكريم، ومن ثمة إجادة التجويد والإحاطة بالتفسير؛ إذ لا يمكن أن يتلى القرآن بدون تجويد ومعرفة تفسيره.

وعليه فإنّ الإشكاليَّة الرئيسة التي تطرحها الدراسة هي: ما دور المدرسة القرآنيّة في ترسيخ القيّم الإسلاميّة؟ وما مدى إسهامها في تعليمية اللُّغة العربيّة؟ وتتفرع عنها الإشكالات الثانوية الآتية:

- كيف نشأت الكتاتيب في المجتمع الجزائريّ؟
- ما هي وظائف المدرسة القرآنيّة وما برامجها التعليميّة؟
- وما هو واقع التعليم القرآنيّ في الجزائر؟
- ما الاستراتيجيات المعتمدة لتعزيز وجود المدرسة القرآنيّة؟

وللإجابة عن هذه الإشكاليات نقسم الدراسة إلى العناصر الآتيّة:

- الكتاتيب السمات، الوظائف، منهجها التعليمي؛
- واقع المدرسة القرآنية في الجزائر؛
- فضل التعليم القرآني في بناء الشخصية الإسلاميّة وتعليم اللغة العربيّة؛
- خاتمة وتوصيات.

1. الكتاتيب: السمات، الوظائف، منهجها التعليمي.

الكتاتيب جمع لكلمة كُتَّاب، تلك الكلمة التي تطلق على مكانٍ أو فضاءٍ واسعٍ يكون بجوار المسجد غالبًا، يُشرِفُ فيه شيخُ الحيِّ أو إمامُ المسجد على تعليم الأطفال أساسيّات القراءة والكتابة العربيَّة والقرآن الكريم. ويظهر " أن كلمة كتاب يقابلها في مناطق أخرى كلمات كالمسيد في الجزائر العاصمة"[1] وهي مؤسسات تابعة لمديريات الشؤون الدينيَّة يلتحق بها الطلبة من مختلف الأعمار، عبارة عن حجرات في المساجد أو أقسام ملحقة بالزوايا، كما قد تكون وقفا سخره شخص

احتسابا لمرضاة الله، قد يكتري المعلم أحد منازل الحيّ ويتقاضى أجرته من أولياء التلاميذ. وبالتالي يتبين لنا أن الكتاتيب في مجتمعنا بسيطة المبنى قليلة التجهيزات إذ تقتصر على افتراش الحصير واستخدام الألواح والأقلام الخشبية ودواة من الصمغ، تتكون في الغالب على قاعة التحفيظ ومرفق للوضوء وتخصيص مكان لمحو الألواح.

ومن الملاحظ أن التعليم بالكتاتيب ضارب في جذور التاريخ على مدى عصور في المجتمعات الإسلاميّة، والجزائر من الدول التي ارتبط انتشار الإسلام وحفظ القرآن الكريم والحديث الشريف والمتون التعليمية وإدراك علوم الشريعة بوجود الكتاتيب، ففي العصر الحديث يؤكد الإمام عبد الحميد بن باديس اهتمامه بربط المتعلمين المبتدئين بكتاب الله ومحو الأميّة عن أذهانهم وصقل ألسنتهم تنوير عقولهم، ولا يقتصر على تعليم الكبار، يقول " فلما يسر لي الله الانتساب للتعليم سنة (1913) جعلت من حملة دروسي تعليم صغار الكتاتيب القرآنية بعد خروجهم فكان ذلك أوّل عهد للنّاس بتعليم الصغار " [2]

عطفا على هذا القول، يتضح لنا أنّ تاريخ التعليم في الجزائر ارتبط بالحضور القوي للزوايا وحلقات تحفيظ والذكر، فقد حرص الآباء على إرسال أبنائهم إلى الكتاتيب بغية " تعليم المبادئ العامة للدين وحفظ القرآن الكريم، وكان هدف التعليم فيه غرض ديني بالدرجة الأولى " [3] حيث كان المتعلمون ينهلون منها شيئًا من العلوم الإسلاميّة والفقه المالكي والحديث الشريف مما أسهم بشكل كبير في رسم معالم الشخصية الإسلاميّة وتفعيل المشهد الثقافي الجزائري في حقبة عصيبة من تاريخ الجزائر الحديث، حاولت فيه السلطات الاستدماريّة تغريب المجتمع الجزائري والقضاء على لغته العربيّة واستبدالها باللّغة الفرنسيّة، وطمس ملامح الشخصية الجزائرية الإسلاميّة من خلال ممارسات الإدماج والتنصير.

فما كان إلاَّ أن تصدى علماء الجزائر للمدرسة الفرنسيّة العصريّة بتأسيس المدارس الإسلامية الحرّة والمحافظة على نظام التعليم الكتابيّ، وهذا ما تترجمه

إحصاءات تؤكد أنّ " جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أسست عددا كبيرا من المدارس العصريّة الحرّة في سبيل إحياء اللغة العربيّة والنهوض بها تعمل إلى جانب ما أبقت عليه الأيّام من الكتاتيب القرآنيّة العتيقة، فلا تكاد تخلو اليوم مدينة أو قرية من مدرسة أو عدّة مدارس عربيّة حرّة تشرف على نحو ثلاثمائة تعلم القرآن والعربيّة ومبادئ العلوم العصريّة"[4].

ويبدو أنّ المدرسة القرآنية في الجزائر حافظت على دورها الإصلاحي الإرشادي عملت على نشر العربيّة وأسهمت في حملة التعريب التي انتهجتها الجزائر عقب الاستقلال، بخاصة أنَّ نظام التعليم فيها يسمح باستقبال فئات عمرية متفاوتة من سن الطفولة المبكرة والشّباب والشيوخ، ومن أطياف المجتمع بطبقاته المختلفة ولا يُكلَف المتعلم فيها مصاريف ماديّة كونها يُقدَّم في العموم بالمجان.

2.1. وظائف الكتاتيب: وإذا ما أردنا الحديث عن وظائف المدرسة القرآنية فنجد أنّها تتخذ أدوارا كثيرة بعضها تعليميّة وأخرى تربويّة أخلاقيّة، وتضطلع بأداء مهامها الاجتماعيّة في صون المجتمع والحفاظ على تماسكه والاستمرار في تكافل أفراده وتقوية أواصر الأخوة بين أبنائه. ويمكننا أن نحدد جملة من هذه المهام في النقاط الآتية:

– إعداد الطفل قبل مرحلة التمدرس بتقديم المبادئ التعليميّة الأوليّة نطق الحروف بشكل سليم، تعليم الكتابة وتحسين الخط؛

–تحفيظ القرآن الكريم والإسهام في تطوير المهارات اللّغويّة تحضيرا لانتقال إلى التّعليم الرّسميّ، حتّى يشبوا على التّعلق بكتاب الله ويقبلوا عليه إقبال المتلهفين

–المساهمة في عملية محو الأمية من خلال فتح أقسام في المدارس القرآنيّة لبرامج تعليمية للكبار والمتسربين من المدارس؛

–تربية الناشئة على تحفيظ القرآن الكريم وغرس العقائد، وذلك بتكوين الشّخصية الوطنيّة الإسلاميّة المتمسكة بالقيّم الإيمانيّة والآداب الأخلاقيّة؛

– العمل على توجيه سلوك الطفل من خلال عرض القصص القرآني، وتقديم نفحات من السيرة النبوية الشريفة حتى تكون قدوته في الحياة؛

– تربية الناشئة على أداء العبادات منذ الصغر (صلاة الجماعة، الصيام، تلاوة القرآن، حلقات الذكر) ما ينجم عنه تحصين المجتمع من الرذيلة والآفات والجرائم...

–ترسيخ قيم الوحدة الوطنيّة في أذهان الناشئة الأمر الذي يسهم في بناء مجتمع تسوده روح التآخي والتضامن بعيدا عن التعصب الهادم والتطرف الصادم الذي لا يُجنى منه غير التفرقة والتشتت.

2.1. منهج التعليم الكتّابيّ: أمَّا عن منهج التعليم في الكتاتيب، فإنّه في الغالب يخرج عن التقاليد التعليمية المتعارف عليها قديما، وإن كانت تختلف في بعض التفاصيل وذلك بحسب ثقافة المعلم ودرجة تكوينه وطبيعة بيئته.

ومن التقاليد التعليمية في المدرسة القرآنيّة أن يشرع المعلم بتعليم المبتدئين الحروف الهجائية وكتابتها على اللوح حتّى يدركها التلميذ ويتعلمها بشكل جيّد، ثم يلقّنُهُ الشيخُ سورة الفاتحة وبعدها قصار السور إلى أن يصبحَ ماهرًا في هذه المرحلة يتولى المعلم أو أحد مساعديه الكتابة على اللوح للتلامذة المبتدئين، وحينما يتقنون الخط والإملاء بدون أخطاء يمكنهم كتابة السور لوحدهم، ويتعود المتعلم على استظهار القديم قبلَ الجديدِ من السور المحفوظة، ويلتزم ترتيل القرآن وفق أحكام التلاوة والتجويد وإن أخطأ فهو مطالب بإعادة الحفظ مرات عديدة حتى يستظهره.

ومن القواعد الأساسيّة في تحفيظ القرآن الكريم أن يتلقاه المتعلم سماعاً وقراءةً وكتابةً، فمعلوم أنّ الرسول ﷺ تلقى الوحي وآيات القرآن الكريم بوساطة جبريل عليه السلام عن طريق السماع وحفظه والقراءة عليه من غير كتابة لأنَّ النبي ﷺ لم يكن يعرف الكتابة؛ وقد أشار الله عزّ وجلّ في مستهل سورة العلق (اقرأ باسم

ربّك الّذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربّك الأكرم الّذي علّم بالقلم. علم الإنسان ما لا يعلم)

وقد درج المتقدمون لحفظ القرآن الكريم في الجزائر وسائر البلاد العربيّة والإسلاميّة على كتابة القرآن على اللوح والأقلام الخشبيّة ودواة الصمغ، وهي طريقة تقليديّة متوارثة لا تزال الكثير من الكتاتيب والزوايا تعمل بها، وتوجد طريقة حديثة للحفظ من المصحف المجزأ أو بالكتابة في سجلات بحيث يكتب كلّ طالب الآيات أو السورة التي هو بصدد حفظها. ويحرص المؤدبون على تقليل عدد الآيات القرآنية عند الحفظ حتى يتمكن المتعلم من إدراكها وإتقانها.

وتجدر الإشارة إلى أنّ برنامج التعليم القرآني للمزاولين بالنظام الداخلي يأخذ من الطالب معظم النهار من بعد صلاة الصبح إلى بعد صلاة العصر باستثناء يومَ الجمعةِ. ويشتمل برنامج التعليم القرآني على الدمج بين تحفيظ القرآن والمواد الإسلاميّة علم الحديث الشريف، وتعلم أحكام الشريعة ومبادئ علم العقيدة والتوحيد والتفسير وغرس القيم الأخلاقيّة، ونتيجة لحفظ القرآن الكريم منذ الصغر يحذق فهم المتعلمين وتتوقد ذاكرتهم وتستقيم فصاحتهم ويصبحون من المتميزين المتفوقين في المدارس الرسمية. ذلك أنَّ أوَّلَ ما يتَعلَّمه الطِّفلُ من العلوم بعد تلقينه الإيمان والتَّوحيد هو القرآنُ؛ قراءةً وتجويدًا، حفظًا وإتقانًا؛ لأنَّ حفظَ الصَّبيِّ لكتابِ الله في سنِّ الصِّغَر عونٌ له على بقاء الفطرة على سلامتِها، واللِّسان على فصاحتِه، والعقلِ على قوَّةِ تفكيره وسلاسة نظره.[5]

وهذا يؤكد أنّ أطياف المجتمع الجزائري تعي فضل تعلم القرآن في التقرب من الله عزّ وجل ونيل رضاه والفوز بالجنّة، وقد حث الرسول ﷺ على تعلم القرآن فقد روى البخاري عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أن رسول اللّه قال: "خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه" [6]

وقد شَبَّه الرسول ﷺ المؤمن الذي يقرأ القرآن، ويتعلمه بالطعام اللذيذ في مذاقه ورائحته، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عليه أنّ رسول اللّه ﷺ قال: "مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب" (7)

2. واقع المدرسة القرآنية في الجزائر: مرّ التعليم القرآني في الجزائر بمراحل مختلفة قبل الاحتلال الفرنسي وأثناءه وبعد الاستقلال، وأخذ يتطور شيئا فشيئا محافظا على وظيفته في بث الوعيّ الاجتماعي حريصا على صون الدين من الخرافات والبدع والعناية بتربية التلامذة والطلبة على ثوابت الهوية الإسلاميّة وهذا ما نلمسه من حجم مشاركة الجزائريين من حفظة كتاب الله في المنافسات المحلية والعالمية لحفظ القرآن وحصولهم على المراتب الأولى

ونرى أنّ الهدف من ذلك تكوين جيل قرآني متشبع بالثقافة العربية الإسلاميّة ولعل هذا يتقاطع مع ما رأى الشيخ عبد الحميد بن باديس في المدارس الإسلامية والكتاتيب مراكز للإشعاع المعرفي ومدارات تمحو عنها عتمة الجهل والتخلف وتنشر القيم التربوية والمبادئ الأخلاقية؛ إذ يقول: «فإنَّنا ــ والحمدُ لله ــ نُربِّي تلامِذَتَنا على القرآنِ من أوَّلِ يَومٍ، ونُوجِّهُ نُفوسَهم إلى القرآنِ في كلِّ يوم، وغايَتُنا الَّتي سَتتحَقَّقُ أن يُكَوِّنَ القرآنُ منهم رجالاً كرجالِ سَلَفِهم"(8)

لهذا تبنت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إستراتيجية التصدي للحملة الاستعماريّة المسعورة على اللّغة العربيّة والدين الإسلاميّ، فاتجهت إلى تطوير التعليم التقليدي إلى تعليم ديني إصلاحيّ، فأنشأت مدارس قرآنيّة في ربوع الجزائر متبنية شعار " الجزائر وطننا، والعربيّة لغتنا والإسلام ديننا ".

وفي جانب ثان المدرسة القرآنيَّة تعمل على تقويم السلوك انطلاقا من القيّم الإسلاميَّة والتركيز على التربيّة الخلقية للناشئة من خلال القرآن الكريم، وهذا ما تؤكده إستراتيجيّة وزارة الشؤون الدينية والأوقاف في تكوين المعلم بتنظيم المدارس القرآنيّة ودفعها نحو التطور وإعادة هيكلتها وإعداد البرامج والمناهج التي تتلاءم مع متطلبات العصر ورهانات المجتمع.

وعلى الرغم من الاهتمام المجتمعي بالتعليم القرآني بكل أصنافه من الكتاتيب والزوايا والمدارس القرآنية إلا أن بعض المشكلات المعيقة والمآخذ تحول دون القيام بدورها الإيجابي والفعَّال، ويمكننا أن نقسمها إلى مشكلات تتعلق بالمعلم وأخرى ترتبط بواقع المدرسة القرآنيّة وثالثة تتصل بقضايا الأسرة والمجتمع.

فقد يتوهم بعض المعلمين أن التلامذة لا يمكنهم حفظ القرآن واستظهاره نظراً لعدم رغبتهم في الحفظ، وفي جانب موازٍ يحاول بعض المعلمين إرغام الطلبة على حفظ قدر كبير من دون مراعاة الفروق الفردية.

كما أنّ المتعلم قد يقع في اللحن والزلل حينما يتركه المعلم يحفظ بمفرده من المصحف دون متابعة لتصويب الأخطاء مما يترتب عنه حفظ آيات القرآن بأخطاء في القراءة إذا ما كان الطالب يعاني مشكلات في نطق بعض الحروف فيشعر بحالة من الخجل أمام زملائه، ليبقى أكبر عائق يتعلق بغياب برنامج الإتقان والمراجعة والاستظهار والاكتفاء بالتحفيظ فقط نظرا لضعف التكوينِ العلميّ والمنهجيّ لبعض المعلمين الملقنين، دون إلمامٍهم بعلومِ اللغة أو علم النفس

أمّا عن المشكلات المتعلقة بالأسرة والمجتمع؛ فتعلل ضعف التحصيل الدراسي عند التلاميذ بالانشغال بحفظ القرآن، فيتوهم المتعلم وأهله أنَّ الوقت المخصص للمدرسة القرآنيَّة قلل من فرص المذاكرة، وبالتالي لا يجتاز التعليم الرسمي إلا بصعوبة. فنظرا لكثافة الحجم الساعي الدراسي في المؤسسات التعليمية وعدم تلاؤمه مع جدول التوقيت الخاص بالمدرسة القرآنيّة، فإنّ المتعلمين ينصرفون عن مزاولة حفظ القرآن خاصة في طوري التّعليم المتوسط والثانوي، والاكتفاء بالتعليم القرآنيّ في نهاية الأسبوع وأيَّام العطل الموسمية وأثناء العطلة الصيفيّة من دون أن ننسى تأثير المعلوماتية وشبكة الأنترنت وباقي التّحديات خاصّة مع انتشار الثقافة الالكترونيّة الاستهلاكيّة، وهناك مشكلات تظهر نتيجة تهلهل منظومة القيم الأخلاقية في المجتمع، فأحكام الشريعة تفرض على المسلم حفظ كتاب الله والعمل

بأحكامه غير أنّ ضعف الوازع الديني عند بعض المتعلمين جعلهم لا يفكرون في التعلم بالمدارس القرآنيّة.

تلك إذا بعض العوائق الّتي تقف حجرة عثر أمام تأدية المدارس القرآنيّة لوظائفها التعليمية وأدوارها التربويّة الإرشاديّة، وبالتالي فإنها تحتاج إلى عملية إصلاح شامل وإعادة النظر في عناصر العملية التعليمية – المعلم، المتعلم، المدرسة.

3. فضل التعليم القرآني في بناء الشخصية الإسلاميّة وتعليم اللغة العربيّة.

لقد انطلقت دراستنا من فرضية أنّ للمدرسة القرآنية دورا في التحسن الأداء اللغوي للتلميذ وتقوية ملكته للعربيّة، في وقت يعتقد البعض أنّ دور الكتاتيب اضمحل وحل محلّه التعليم الرسميّ في زمن أصبحت العناية الشديدة بالتعليم الرقمي وتكنولوجيات الاتصال. لهذا وقع اختيارنا على مدرسة قرانية لنثبت حضور التعليم القرآني في المجتمع الجزائري. يقينا منّا أنَّ المنظومة التعليمية القرآنيّة عملت تاريخيا على الحفاظ على مقومات الشّخصية الإسلاميّة والتمسك بمظاهر الهوية الوطنيّة ولا تزال تمارس الدور نفسه وإن اختلفت الظروف والحيثيات.

المدرسة القرآنيّة سيدي محمد بالكبير من أحدث المدارس القرآنية في مدينة البيَّض، يرجع تأسيسها إلى سنة 2006 لتحفيظ القرآن الكريم والحديث الشّريف تحت وصاية مديرية الشؤون الدينيّة والأوقاف لولاية البيَّض تقوم على النظامين الداخلي والذي يستقطب التلاميذ المتسربين دراسيا أمّا النظام الخارجي فيقدم تعليما قرآنيا طيلة أيام الأسبوع عدا يوم الجمعة وأيام المناسبات والأعياد. يبلغ عدد التلاميذ خلال الموسم الدراسي (437 تلميذ)، وفي العطلة الصيفية يصل عددهم إلى حوالي (500 تلميذ) يتوزع التلاميذ على عشرة أقسام قسمين لأطفال ما قبل التمدرس، وقسمين للبنات وقسمين للذكور، وأربعة أقسام للطلبة الذكور المقيمين

القادمين من القرى والبلديات المجاورة لمقر ولاية البيض. ويسهر على الإشراف على المدرسة طاقم يضم ثمانية معلمين وأربع مرشدات.

أمّا عن نشاط المدرسة فيتحدد أساسا في تنمية القدرات اللّغويّة واكتساب العربيّة وترسيخ القيّم التربوية والثوابت الإسلاميّة في أذهان الأطفال نذكر؛ أركان الإسلام معنى الإيمان، كيفية الوضوء والصلاة، التعرف على نفحات من السيرة النبوية حفظ الأدعية، تحفيظ القرآن الكريم، ولتحفيز التلاميذ يتم إجراء مسابقات في نهاية كلّ سداسي بين المتعلمين في حفظ كتاب الله والحديث الشريف. وتكريم الطلبة المتفوقين في المناسبات الدينية.

وفي المقابلة التي أجريناها مع معلمات في الطور الابتدائي بالمدرسة الابتدائية (ابن خلدون) المجاورة للمدرسة القرآنية محمد بالكبير أكدن أنَّ المستوى التعليمي للتلاميذ الملتحقين بالتّعليم القرآني أحسن مقارنة بزملائهم غير الملتحقين. ويتجلى ذلك في القراءة السليمة والمسترسلة للنّصوص " إذ أنّ الانصات للقرآن الكريم باعتباره عملا لغويا يعدّ درجة متقدّمة في فعل السمع والتلقي الصوتي، ويؤدي إلى ترسيخ الأصوات والألفاظ والآيات المسموعة في ذهن المستمع، فتتمكن منه لتصبح مع مرور الزمن وتكرار العملية ملكة راسخة لديه "[9].

ليتضح لنا أثر التعليم القرآني في تسهيل تعلم القواعد الأساسية للغة العربيّة خالية من الأخطاء والنطق الصحيح للحروف وقراءة السور وفق أحكام التلاوة واكتساب سلامة اللّغة ومهارات التعبير الكتابي في موضوعات عديدة لامتلاكه رصيد لغوي عن طريق السماع والتكرار والاستظهار وبالمداومة على الكتابة يتحسن خطه ومستواه في الإملاء. كما تبين أنّ التعهد بحفظ القرآن الكريم يزود التلاميذ بملكة لغوية ويرسخ الفصاحة عندهم من دون حاجة لحفظ القواعد النّحويّة والصرفيّة.

وفي جانب آخر تجعل المتعلم متشبعا بالقيم الإسلاميّة مدركا لأحكام الشريعة مطلعا على القصص القرآني محبا لطلب العلم، ويظهر ذلك من خلال الشغف بالمطالعة وقراءة الكتب في شتى أصناف المعرفة.

وقد خلصت المقابلة إلى النتائج الآتية:

-إنّ المتعلمين المتعهدين بحفظ القرآن الكريم وتلاوته وتكراره يمتلكون فصاحة اللسان قادرون على امتلاك صناعة ملكة لغويّة رصينة

التأكيد من أنَّ تعلم العربيّة وإتقان آدابها لا يتأتي إلا بالتعهد بالقرآن الكريم والانغماس في حفظه وتدبره.

-التعليم القرآني يكسب المتعلم ثقافة دينية واسعة واكتساب المعارف.

-تشكل المدرسة القرآنية لبنة أساسية لتحضير الطفل لمرحلة التمدرس من خلال تنمية مهارات وزيادة قوة تركيزه، وانضباطه داخل الصف، وتعوده على الحفظ، إقامة الشرائع والتحلي بالخصال والأخلاق الإسلاميّة.

4.**خاتمة:** خلاصة لما سبق ذكره؛ نقول إنّ الكتاتيب تعمل على نشر الإشعاع العلميّ وتعليم اللغة العربيّة وتنمية الكفاءات والقدرات اللّغويّة وتسهم في الحفاظ على اللغة العربيّة وتكوين جيل قرآني متمسك بتعاليم الدين، وتؤدي فاعليتها في مناحي الحياة الاجتماعيّة حيث تُعنى بمحو الأميّة وفي جانب التوجيه والإرشاد تعمل على تربية المتعلمين وتحصينهم بقيم إسلاميّة لمجابهة الآفات التي تنخر بناء المجتمع.

5.**توصيات:** نختم هذه الدراسة بجملة من التوصيات نراها ضرورية للرفع من أداء الكتاتيب والمدارس القرآنيّة في تحقيق الرفاه اللّغوي وصون القيّم الإسلاميّة، نوردها كالآتي:

-توفير الدّعم المادي للمؤسسات التعليميّة القرآنيّة باعتبارها دعامة أساسية للحفاظ على العربيّة؛

-ضرورة إقامة دورات تكوينية لمعلمين والمرشدات لمعرفة طرائق التعامل مع المتعلمين الراغبين في حفظ القرآن؛

-وضع برامج تعليمية وتربويّة تساعد الناشئة على الحصول على تعليم قرآنـــي يتمشى مع المعطيات التي تفرضها التقانة والمعلوماتية وتكنولوجيا التعليم.

هوامش البحث:

1-مختارية تراري، التعليم بالكتاتيب، أنسانيات عدد 14، 15، ماي ديسمبر 2001، ص 6

2-تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتّربيّة في الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط3 ،1981، ص79.

3-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائـــر 1981 ج1، ص314-315

4- أحمد توفيق المدني، جغرافية القطر الجزائري للناشئة الإسلاميّة، دار المعارف، القاهرة، ط3 1962، ص90.

5-عز الدين رمضاني، التعليم القرآني، موقع راية الإصلاح، ذو الحجة 1438 ــ أوت 2017 https://www.rayatalislah.com/index.php/month-word/item/4920-12-1438

6- البخاري، كتاب فضائل القرآن، ج4، ص1911

7-صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ج1، ص549.

8-عمار طالبي، آثار ابن باديس، الشركة الجزائرية، ط3، 1997، مج2، ص 142 .9-9-يحي بن يحي، أثر حفظ القرآن الكريم على تعليميّة اللّغة العربيّة، ص، 6.

الكتاتيب والمكتبات: أي دور، أي علاقة، وأي أهداف؟

د. محمد بوقاسم

داه. فريزة لعزيزي

جامعة الجزائر 02 أبوالقاسم سعد الله

الملخص: أدت المكتبات على مر العصور أدوارا متعددة واحتلت مكانة هامة في النظام العلمي التربوي الديني في مختلف المجتمعات وخاصة منها الإسلامية فإذا أردنا العودة إلى الجذور التاريخية لهذه المؤسسات التربوية التعليمية، فإننا نجد بأنها متجذرة في الحضارة الإسلامية وداعمة للدين وهذا ما يعد دلالة واضحة على التطور الفكري والحضاري الذي بناه المسلمون على أسس متينة. يرجع الفضل في إنشاء المكتبات في العالم الإسلامي حسب الشيخ عبد الحي الكتاني في كتابه **تاريخ المكتبات الإسلامية ومن ألف في الكتب** إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فلكثرة وجود المصاحف عنده احتاج إلى وال يلي أمرهم ويضبطهم ويحضرهم له متى أرادهم فهذه إذا مكتبة وقيم، إلى غاية أن تطورت المكتبات في الحضارة الإسلامية وظهر ما يعرف بمكتبات المساجد وهي المعمول بها في وقتنا الحاضر ونجد أنه ثمة تزامن في ظهور المكتبات وتطورها في العالم الإسلامي مع مؤسسات تعليمية أخرى أدت جزءا من الدور المماثل وهي الكتاتيب، التي كان المسلمون يتعلمون فيها القراءة والكتابة بلغة القرآن، إضافة إلى تلقيهم لتعاليم الدين الإسلامي الأساسية إذ نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان المعلم الأول لأصحابه، يحثهم على طلب العلم ويقرئهم القرآن الكريم، أما في العصر الحديث وبعد سقوط الخلافة العثمانية وقيام الجمهوريات، حلت المدرسة مكان الكتاتيب وتنوعت المناهج الدراسية والمناهج التعليمية وأصبحت المساجد تؤدي جزءا من دور الكتاتيب من خلال تخصيص قاعات لتدريس الأطفال وهو ما قرب بين هذه

المدارس إن صح التعبير ومكتبات المساجد، وسنتطرق من خلال هذه الدراسة للسياق التاريخي لهذه العلاقة والتأثير المتبادل بين الكتاتيب والمكتبات وهذا من خلال الإجابة على السؤال المحوري التالي:

ماهي العلاقة القائمة بين مكتبات المساجد والكتاتيب على مر العصور؟ وماهي الأهداف المشتركة التي تسعى لتحقيقها؟

الكلمات المفتاحية: الكتاتيب؛ مكتبات المساجد؛ العالم الإسلامي؛ اللغة العربية الجزائر.

مقدمة: لا يخلو زمن من الأزمنة إلا وكان العلم مفتاحا لأبواب التقدم والرقي والازدهار فيه، فبالعلم تتطور الشعوب والأمم وبه تنمو وتسمو وتحافظ على مكانتها بل وتضمن ديمومتها وتقدمها، وللعلم منبع ومصدر يضمن تدفقه في شرايين المجتمع ليمده بالحياة، فنجد المسجد والمدرسة والجامعة والمكتبة على حد سواء كل منها تمثل شريانا للعلم، وهي مكملة لبعضها البعض، فالمسجد يزرع الوازع الديني والمدرسة تربي وتعلم والجامعة تكون، أما المكتبة فتضمن توفير مصادر المعلومات المختلفة التي يحتاجها الإمام في المسجد والأستاذ في المدرسة والباحث في الجامعة، لتكون كل هذه العناصر حلقة مغلقة متكاملة الأجزاء، وقد عملنا في دراستنا هذه على معرفة العلاقة التبادلية بين عنصرين من عناصر هذه الحلقة وهي المكتبات والكتاتيب في عالمنا الإسلامي على وجه التحديد.

لقد عاش العرب في شبه عزلة عن العالم قبل الإسلام وهو ما تثبته العديد من الشواهد والكتابات على مر العصور، فيقول سعود جابر في هذا السياق من خلال كتابه مدخل إلى علم المكتبات: «عاش العرب في الجزيرة العربية قبل الإسلام وهم في شبه عزلة عن العالم الخارجي، وكانت لهم تجارتهم واتصالهم المحدود بمن يحيط بهم. فكانوا على اتصال محدود بالروم والفرس والأحباش عن طريق التجارة. ولم تكن تلك الاتصالات من النوع الذي يؤثر في الثقافة والفكر. وكانت الأمية منتشرة ومتفشية بينهم. وكان جل اهتمامهم بأنسابهم وأيامهم ووقائعهم.

وكانت البلاغة والشعر أساس ثقافتهم. واهتموا بالسماع والحفظ في تناقل الأشعار والأخبار أكثر من اهتمامهم بالتدوين والكتابة.» [1] لذلك فنجد أنه مع بعثة النبي صلى الله عليه وسلم قد فتح الإسلام الآفاق للتعايش ونقل الأفكار والدين الإسلامي إلى مختلف الأمم والشعوب، وهذا من خلال مراكز العلم والتعلم، أما في دراستنا هذه فقد ركزنا على مؤسستين اثنين وهما الكتاتيب ومكتبات المساجد وهو ما استطردنا فيه بالدراسة والتحليل.

1. **تعريف المكتبات:** تعد المكتبات وعلى مر العصور منبعا للعلم والمعرفة ومنهلا للعلوم المختلفة، فرغم الاختلاف في التسمية وفي الأهداف، غير أنها بقيت محافظة على مبادئها وأهدافها الرئيسية وهي نقل المعارف والعلوم عبر الأجيال ولكي نخوض في سياق موضوع بحثنا هذا ارتأينا أن نمهد له بتقديم تعريف جامع وشامل للمكتبة حتى تتضح لنا معالمها، فقد عرفها محمد حمادة بأنها: « مؤسسة ثقافية اجتماعية توجد في مجتمع من المجتمعات، وتهدف لخدمة ذلك المجتمع عن طريق جمع المواد الثقافية التي تساعد ذلك المجتمع، أفرادا وجماعات، على زيادة ثقافته، وترقية حصيلته الحضارية، وتحقيق متعة وتسليم تلك المواد للأجيال القادمة سليمة متطورة، وتنظيمها تنظيما يتضمن حسن الاستفادة منها.» [2] فمن خلال هذا التعريف نرى أنه تم التركيز على طبيعة المؤسسة والفئة المستهدفة منها إضافة إلى طبيعة الخدمات التي تقدمها، وكيفية خدمة المجتمعات وضمان رقيها وإستمراريتها. أما ميلفل ديوي فقد تطرق لتعريف المكتبة بقوله: « مضى الوقت الذي كانت فيه المكتبة أشبه شيء بالمتحف، وكان فيه المكتبي فأرا بين الكتب العفنة، وكان فيه الزوار ينظرون نظرات الاستغراب والفضول إلى المجلدات والمخطوطات العتيقة. إن المكتبة اليوم هي مدرسة، والمكتبي هو معلم بأسمى معنى من المعاني، والزائر هو قارئ بين الكتب كأنه عامل بين أدوات العمل.» [3] من خلال هذا التعريف يمكن أن نرى أن ميلفل ديوي قد أشار إلى التطور عبر السياق التاريخي للمكتبات والنظرة السائدة حولها والتي كان الناس ينظرون بها إلى هذه المؤسسة، وصولا

إلى وقتنا الحالي الذي أصبحت فيه المكتبة بمثابة مؤسسة تعليمية إضافة إلى دورها التثقيفي البحثي الذي يعد جوهر العمل المكتبي.

2. **تاريخ المكتبات في الحضارة الإسلامية:** إن تاريخ المكتبات في الحضارة الإسلامية يرتبط ارتباطا وثيقا بالبعثة النبوية للرسول عليه الصلاة والسلام وأساسا مكتبات المساجد التي كانت منهلا للعلوم والمعارف في الدين، وسنسرد بعض المحطات التاريخية لتطور المكتبات في عهد الخلفاء.

بداية القصة أن صناعة الورق بمفهومها التقليدي البدائي كانت بمثابة الدافع الذي مهد لصناعة الكتب، وبالتالي ظهور المكتبات في العالم الإسلامي كغيره من ربوع العالم، فكما يقول فرغلي جاد أحمد: « مع انتشار الورق من منتجات مصر في ربوع الدولة الإسلامية كثرت الكتب وتفنن العرب في تجليدها وتجميعها وظهرت مكتبات وحوانيت الوراقين على أن هذه المكتبات والحوانيت لم تقتصر على بيع الكتب والتجارة، بل كانت أمكنة يجتمع فيها الأدباء والمتكلمون، وتتحول مناقشاتهم إلى ندوات ومناظرات، وغالبا ما كان أصحاب هذه الحوانيت من المهتمين بالأدب والعلم والدين ومنهم من تفقهوا فكانوا يجذبون إليهم محبي العلم والمعرفة، ويذكر أن الباحث كان يبيت بهذه الحوانيت للقراءة والإطلاع والبحث. [4] وهنا تبرز مكانة المكتبة لدى العلماء على اختلاف مشاربهم وديانتهم ومذاهبهم والتي تتوحد كلها في هدف واحد وهو طلب العلم من خلال الاستفادة من الكتب المتوفرة في المكتبات.

لقد تميز العهد العباسي بانتشار واسع للمكتبات لارتباطها بالجانب العلمي ونقل المعارف الدينية، «ومن أشهر هذه المكتبات في العصر العباسي مكتبة الخليفة أبي جعفر المنصور ومكتبة الرشيد والمأمون والمستنصر بالله والناصر لدين الله والمعتصم بالله آخر الخلفاء العباسيين الذي أنشأ خزانتين للكتب نقل إليهما من نفائس الكتب وجعل المتولي على الأولى شخصا إسمه عبد المؤمن بن فاخر الأرموري. وكان الخليفة يجلس بعض الأحيان في الخزانتين بالتناوب.» [5] من هنا

يتضح ارتباط ظهور المكتبات بمهنة أمين المكتبة الذي يحرص على ضمان حماية الكتب وتنظيمها وتسهيل الإفادة منها، ثاني خلافة برزت فيها المكتبات بدرجة أكبر هي الخلافة الفاطمية، إذ نجد الخلفاء الفاطميين قد أعطوا أهمية كبيرة لهذه المؤسسات بغية نشر تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، « أما الخلفاء الفاطميون فلقد اهتموا بالمكتبات اهتماما كبيرا فكان من أشهر خزائن القصور الفاطمية خزانة الكتب. واتخذوا منها أداة لنشر مبادئهم عن طريق التعليم والإقناع والتوجيه وبث الأفكار. [6]

في حين نجد أن الأندلس قد مثلت عبر الأزمنة في تاريخ المسلمين منارة يهتدي بها المسلمون وغير المسلمين لما لها من باع طويل في نشر تعاليم ديننا الحنيف «أما في الأندلس فلقد اهتم الخلفاء والأمراء اهتماما عظيما بالمكتبات والكتب واعتنوا بالأدب والعلم حتى أضحت الأندلس مركز الثقافة يفد إليه العلماء والأدباء من كل مكان.» [7] وهنا تبرز مكانة المكتبة كمكان ينهل منه العلماء العلم إذ يحجون إليها من مختلف ربوع الأرض، لطلب علم نافع سواء دنيوي أم ديني.

3. **مكانة مكتبات المساجد في دعم تعاليم الدين الإسلامي:** كما سبق ورأينا فإن المكتبات في الحضارة الإسلامية منذ البعثة النبوية إلى يومنا هذا قد عرفت تطورا كبيرا، غير أن جوهرها بقي ثابت المعالم وهو إمداد كل ذي حاجة من العلم بشيء منه، سواء كان علما دينيا أم دنيويا مع التركيز على الجانب الديني في مكتبات المساجد، وهو أمر إيجابي يدعم دور المساجد في المجتمع الإسلامي، إذ يقول سعود عبد الجابر في هذا السياق: « لقد كانت المساجد بالإضافة لكونها أماكن للعبادة مراكز ثقافية يلتفي بها المسلمون. وأماكن للدراسة ينهلون منها العلم والمعرفة. ولذلك ظهرت المكتبات في المساجد منذ أقدم عصور الإسلام. وجرت العادة أن يودع الناس عددا من نسخ القرآن الكريم وغيره من الكتب الدينية كوقف منفرد في خزانة بأسمائهم. وكان لهذه الخزائن مشرفون على شؤونها أغلبهم من العلماء. ويبدو أن هذا كان أمرا شائعا في تلك العصور حتى أن بعض الخلفاء

والأمراء والعلماء والأثرياء كانوا يوقفون أشياء كثيرة على المساجد ومن ذلك الكتب. وذكر المقريزي أن الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمي قد أنزل إلى الجامع العتيق – ألفا ومائتين وثمانية وتسعين مصحفا ما بين ختمات وربعات فيها ماهو مكتوب كله بالذهب، ومكن الناس من القراءة فيها–»[8] إذا فمكتبات المساجد ارتبطت بالقرآن الكريم والمصاحف وكتب التفسير والفقه، وهذا ما يلخص الدور الفعال المحوري لهذه المكتبات والذي لا يمكن الاستغناء عنه لأي سبب كان.

4. **الكتاتيب عبر مر العصور:** إن ثبات الأمة المحمدية على مبادئ الدين الإسلامي لم تأت عبثا وإنما بفضل جهود علماء أمتنا الإسلامية ومبادراتهم في شتى فروع الدين، وقد كانت الوسيلة لذلك هي الكتاتيب فرغم اختلاف تسميتها وأماكن تواجدها غير أن الغاية والهدف منها واحد وهو تعليم وتثقيف الأمة الإسلامية في تعاليم دينها، « ولذلك لاتعجب إذا رأينا الفاتحين في الأقطار المغربية يتحولون إلى معلمين للشعوب البربرية، يعلمونها مبادئ الإسلام والعربية، ويتجرد منهم كثيرون للجلوس في غرف ملحقة بالمساجد أو في المساجد نفسها لتعليم القرآن وسموها الكتاتيب، وكانوا يلقون عليهم فيها بعض الأحاديث النبوية وبعض الأشعار. وأخذ كثيرون يتجردون لإلقاء المواعظ في المساجد وتفسير بعض السور والآيات الكريمة وذكر بعض الأحاديث النبوية مع شيء من التعليق عليها وبعض الأحكام الفقهية. وبذلك نشأ التعليم في الأقطار المغربية – مثل بقية الأقطار العربية – معتمدا على الكتاتيب لتعليم الناشئة وعلى المساجد ليتلقى فيه من يكبرونهم دروسا في التفسير والحديث والفقه والعربية.» [9] وهنا يبرز مكانان لتعليم الدين الإسلامي واللذين يجب التمييز بينهما، المكان الأول وهو المساجد والمخصص لفئة الكبار والكتاتيب لفئة الصغار غير أنه وفي زمننا هذا وتحديدا في الجزائر فإننا نجد أن المساجد أصبحت تلعب دور الكتاتيب بطريقة غير مباشرة من خلال توفير القاعات المخصصة لتدريس الأطفال القرآن الكريم، إضافة إلى بعض أساسيات القراءة والكتابة وهي نقطة يجب أخذها بعين الاعتبار.

وإذا أردنا الخوض في السياق التاريخي لظهور وتطور الكتاتيب على عجالة فيجب أن نرجع إلى بدايات البعثة النبوية، ويقول في هذا السياق الأستاذ شوقي ضيف: « انتشرت الكتاتيب – منذ القرن الأول الهجري – في كل بلد وقرية كبيرة أو صغيرة في الوديان وعلى سفوح الجبال، ويقول ابن خلدون بمقدمته في الفصل الخاص بتعليم الناشئة في الكتاتيب: إن هذا التعليم شعار من شعائر الدين أخذ به المسلمون ودرجوا عليه في جميع أمصارهم، لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده عن طريق آيات القرآن وبعض متون الحديث، وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعد من الملكات.» [10] من هنا يمكن القول أن المدرسة في وقتنا الحالي تعلم وتربي في حين كانت الكتاتيب تلعب هذا الدور في زمن ليس ببعيد، وبقيت مبادئه قائمة إلى يومنا هذا لكن هنالك الكثير من الكلام يمكن أن يقال حول هذه النقطة، وهو ما سنستطرد فيه في النقاط الموالية.

5. **الكتاتيب وارتباطها بالمساجد:** لما كانت المساجد دورا للعبادة والخضوع لإرادة الله عز وجل ترسخت أهميتها ودورها في حياة المسلمين، فتوسعت أدوارها من مجرد العبادة إلى العبادة وتعلم مبادئ الدين الإسلامي الحنيف، فكانت البداية مع تعليم الأطفال وتثقيفهم في الدين الإسلامي لتتضح معالم الكتاتيب، « أصبح يطلق على المكان الذي يتعلم فيه الصبيان القراءة والكتابة أو القرآن والدين اسم " الكتاب " على أن الظاهر من الشواهد التاريخية أن كتاتيب حفظ القرآن في العهد المبكر للإسلام، فقد كان الأطفال يندسون بين الكبار في مجالسهم وحلقاتهم بالمساجد، وتلقى بعضهم القرآن من آبائهم وذويهم أو من مدرسين خصوصيين ولم تكن الكتاتيب في المساجد.» [11] إذا لم يقتصر دور الكتاتيب على تعليم الكبار فقط بل شمل فئة الأطفال غير أنه وفي الأساس كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم صحابته الكرام ويفقههم في الدين في حلقات الذكر بالمساجد فكما يقول شوقي ضيف: «كان المسجد في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم أول مدرسة لتعليم الكبار، وكان لصحابته عليه الصلاة والسلام معلما وكان الصحابة هم تلاميذه

العباقرة والأفذاذ فيها تعلموا كل أنواع العلم والمعرفة التي تفيد الإنسان في حياته وآخرته وتبني جميع جوانب شخصيته فيتخرج منها متكامل الشخصية.» [12] إذا لما نقول الكتاتيب والمساجد والمكتبات نقول حلقات الذكر ومنابع العلم والمعرفة كل يصب في بوتقة واحدة غايتها خدمة الإسلام والعلم والمعرفة، كيف لا وقد قال الله تعالى في كتابه الكريم في سورة العلق، بعد بسم الله الرحمان الرحيم: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (01) صدق الله العظيم.[13]

6. **مكتبات المساجد والكتاتيب علاقة تكاملية في بيئة إيمانية:** تكتسي المكتبات على اختلاف أنواعها أهمية بالغة في الحياة العلمية والدينية للمجتمعات وعلى وجه التحديد مجتمعنا الإسلامي، وتنبع هذه الأهمية من الدور الذي تلعبه هذه المؤسسات في توفير مختلف مصادر المعلومات وبمختلف الأوعية، وهو ما تحدثنا عليه سابقا في هذه الدراسة، « لاريب في أن المكتبات تعد أعظم المؤسسات العلمية إذ تحمل التراث العلمي والأدبي جميعه للأمة وتفتح أبوابها يوميا وتقدم كنوزها لطلاب العلم والأدب وشيوخهما، ولن أستطيع تصوير أهميتها في سطور معدودة ومعروف أنه كان بكل جامع في كل بلد مكتبة.» [14] وما كانت المكتبات لتكتسي هذه الأهمية لولا المصادر الثمينة التي كانت تضمها بين طياتها، والخدمات الجليلة التي تقدمها فيقول فرغلي جاد أحمد في هذا السياق: « روى المؤرخون عن مكتبات في معظم المساجد والجوامع والمدارس ودار الحكمة ودور العلم لتكون مرجعا للطلبة والعلماء والنساخ. وإذا أخذ بتقديرات المؤرخين فإننا نعجب للعدد الضخم الذي يسوقه المقريزي عن خزانة الكتب التي ألحقت بالمدرسة الفاضلية فهو يقدر الكتب بها بمائة ألف كتاب.» [15] وهذا مثال بسيط عن ضخامة المكتبات التي مرت عبر الحضارة الإسلامية ورصيدها الثري المتنوع، بالإضافة إلى أن هذا التنوع في مصادر المعلومات بمختلف المكتبات ومكتبات المساجد على وجه الخصوص، أدى إلى التنوع في أدوار المساجد والجوامع لتصبح مؤسسات تعليمية بامتياز تزودها المكتبات بمختلف كتب العلم النافع، « وعلى هذه القاعدة قامت

المساجد والجوامع بوظيفتها كمؤسسات تعليمية منذ نشوئها إلى جانب وظيفتها الأساسية كأماكن للعبادة. فكان الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه يعلمون الناس في جامع المدينة أمور دينهم ودنياهم. وكان تميم الداري (40 هـ / 660 م) يقصد هذا المسجد في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ويعظ الناس كل يوم جمعة، فلما استخلف عثمان استأذنه أن يقوم في الناس مرتين فأذن له.» [16] ولما أصبحت المساجد أماكن للذكر والحلقات أو بمعنى آخر أصبحت تؤدي جزءا من دور الكتاتيب أصبح لزاما توفير مختلف الكتب في الفقه والتفسير والحديث والتي بدورها تجمع وتنظم وتحفظ في أماكن مخصصة لذلك وهي مكتبات المساجد « وكانت تعقد بها حلقات للدراسة والمناظرة كما كان يجري في مساجد الكوفة وجامع بني أمية في دمشق، وفي جوامع مكة والمدينة، وفي جامع المنصورة في بغداد، وفي الجامع الأزهر في القاهرة، وجامع الزيتونة في تونس وفي جوامع طليطلة وغرناطة وأشبيلية وقرطبة في الأندلس. ولقد كان للحلقات التي تعقد في جامع طليطلة شهرتها وأهميتها، جذبت إليها الطلاب المسلمين والنصارى على السواء، حيث كان يقصدها الطلاب من جميع أنحاء أوروبا من أجل التعلم والحصول على المعرفة»،[17] إذا من خلال هذه النقطة تبرز أهمية مكتبات المساجد في دعم دور الكتاتيب التعليمي من خلال توفير الكتب في مختلف مجالات الدين والفقه لتثري حلقات الدراسة والذكر والمناظرة وحتى تعليم القرآن الكريم.

إن العلم الديني في ديننا الإسلامي الحنيف هو علم ينتفع به الصغير والكبير العالم والأمي، الرجل والمرأة، ولما كان العدل أساس الإسلام وجب تعليم القرآن وتفسره والحديث ولم يكن الملجأ في هذه الحالة سوى للمساجد والكتاتيب ومكتبات المساجد وهنا برزت العلاقة الثلاثية التكاملية والتي غايتها خدمة الدين الإسلامي من أجل ترسيخ قواعد سليمة تكبر عليها الأجيال لتنهض بمجتمعها وترسو به إلى بر الأمان.

الخاتمة: إن المكتبات والكتاتيب قد أدت دورا هاما عبر تاريخ الأمة الإسلامية خاصة والعالم أجمع عامة، فانطلاقا من تعليم الدين الإسلامي الحنيف وصولا إلى تدريس مختلف العلوم، فإن الكتاتيب قد اعتمدت في ذلك على مصادر المعلومات التي توفرها مكتبات المساجد، فبداية مفهوم الكتاتيب بدأت معالمه تتضح في بدايات البعثة النبوية الشريفة مثلما سبق ورأينا، أين كان النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته يلقنون الناس تعاليم الدين الإسلامي، إلى أن أصبح يعتمد في هذه الكتاتيب أو ما كانت في وقت مضى بمثابة حلقات للذكر في المساجد على مكتبات المساجد كخزان معرفي في المجال الديني، ومنه يمكن القول أن هذا التكامل أسهم بدرجة كبيرة في نشر تعاليم ديننا الإسلامي الحنيف على أوسع نطاق وهو ما ضمن نقله عبر أجيال الأمة المحمدية.

الهوامش:

[1] سعود، عبد الجابر. مدخل إلى علم المكتبات. عمان: دار المأمون للنشـــر والتوزيـــع، 2011 ص. 110

[2] حمادة، محمد ماهر. علم المكتبات والمعلومات. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1983، ص. 17-19

[3] القنديلجي، عامر. الكتب والمكتبات: المدخل إلى علم المكتبات والمعلومات، بغداد: دار الحرية 1979، ص.44

[4] فرغلي، جاد أحمد. الدور التربوي للمسجد، مجلة الفيصل، ع. 138، الرياض: مركز الفيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1988، ص. 37

[5] سعود، عبد الجابر. مرجع سابق، ص. 113

[6] سعود، عبد الجابر. مرجع سابق، ص 114

[7] سعود، عبد الجابر. مرجع سابق، ص 115

[8] سعود، عبد الجابر. مرجع سابق، ص. 112

[9] ضيف، شوقي. تاريخ الأدب العربي 10 عصر الدول والإمارات: الجزائر- المغرب الأقصى – موريتانيا – السودان. القاهرة: دار المعارف، 1995، ص. 329 330

[10] ضيف، شوقي. مرجع سابق، ص. 330

[11] فرغلي، جاد أحمد. مرجع سابق، 138 ص. 36

[12] فرغلي، جاد أحمد. مرجع سابق، ص. 38

[13] القرآن الكريم، سورة العلق الآية 01

[14] ضيف، شوقي. مرجع سابق، ص. 334

[15] فرغلي، جاد أحمد. مرجع سابق، ص. 36 ص.38

[16] دخل الله، أيوب. التربية المستمرة وتعليم الكبار رؤية إسلامية. بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع. ط. 02، 2017، ص. 115

[17] سعود، عبد الجابر. مرجع سابق، ص. 113

التكوين الأخلاقي واللغوي للكتاتيب في العالم الإسلامي

أ. سعد لخذاري

جامعة أكلي محند أولحاج بالبويرة

مقدمـــة: لقد كان الكُتّاب وما زال يحمل رسالة عظيمة وقيمة نبيلة في الحضارة الإسلامية منذ نشأتها إلى اللحظة الراهنة، جُعِل من طرف أصحاب العقول والعلماء والمثقفين كوسيلة لتحصين المجتمعات من الأمراض الفكرية التي قـد تفتـك بهـم وزرعوا في نفوس الأولياء فكرة المسارعة بإيداع أبنائهم لهذه المؤسسات التقليديـة بمجرد أن يبدأ الطفل بنطق الكلمات والتلفظ باللغة، ففي القديم القريـب لـم تكـن المدارس النظامية متوافرة في كل الأقطار الإسلامية، فكان الكُتّاب يتـولى مهمـة تعليم القراءة والكتابة والبلاغة والنحو والشعر والأخلاق وتوجيه سلوك المتعلمـين لفعل الخير وحبّه للإنسانية، وهذا ما وعاه الشيوخ عندما تتعرض الأمـة لهجـوم جائر من الأمم الكافرة، فقد كانوا يهرعون إلى فـتح الكتاتيـب وتعلـيم الصـبية وتكوينهم حتى لا يقعوا فريسة لإغراءات الغازي الغاشم، فكان هنـاك مجاهـدون كبار وأدباء ومفكّرون وعلماء شرارتهم الأولى هو القرآن الكريم وفهمـه وحفظـه على أيدي الشيوخ العلماء بالكتاتيب التي كانت أحيانا لا تتوافر إلاّ علـى الهـواء الطلق، لعدم وجود مكان آمن وضعف الإمكانات لتوفير مكانٍ لائق... وسـنحاول في هذه الصفحات المقبلة تسليط الضوء على الدور الذي يمارسه الكتّاب في صـقل اللغة العربية وصناعة الأخلاق والقيم الجميلة الخالدة.

أ) مفهوم الكتاتيب: هناك العديد من الباحثين من قدّموا مفـاهيم قيّمـة حـول (الكُتّاب) ومن ضمنها أنّه: «...عبارة عن حجرة أو حجرتين مجاورة للمسـجد، أو بعيدة عنه، أو غرفة في منزل، وقد يُبنى الكُتّاب خصيصا لتعلـيم القـرآن، يبنيـه صاحبه احتسابًا لله، وطلبًا لأجر الآخرة، كما قد يبنيه المعلّم أو يكتريه على مالكـه

ليعلّم فيه بأجرة يتقاضاها من أولياء التلاميذ. ولم يكن الكُتّاب منذ ظهوره حتى الآن مؤثثا بفاخر الفرش، وإنما أثاثه عبارة عن حصر مصنوعة من الحلفاء أو الدُّوم ومجموعة من الألواح الخشبية، وأقلام من قصب، وكمية من الصلصال والصمغ وجرار للماء وبعض الأواني البسيطة، ومجموعة مصاحف، وبعض الكتب الفقهية والنحوية والسير وغيرها. والتعليم بالكتّاب أوّلي، ومنه ينتقل التلاميذ إلى زوايا ومساجد كبرى لإنهاء دراستهم الثانوية...وقد عاش الكُتّاب على بساطته دهرًا طويلاً في الإسلام، يمثل من معالمه معهد التعليم الابتدائي والثانوي أحيانا، وهو محل رعاية القادة والمفكّرين...» [1]؛ فالكتّاب مكان لتعلّم الزهد والتقشّف من حيث مُتعِ الحياة، فهو يضم أثاثا بسيطا ويكتفي بما توفّر من وسائل، فالتلميذ ينأى عن البذخ في الحياة ونعيمها، إلى ذلك الكُتّاب لينهل منه القراءة والكتابة والحفظ وتعلّم علوم العربية والدين الإسلامي، كما أن صناعة الكتاتيب بابٌ من أبواب الخير للمحسنين الذين يريدون فعل الخير فيسهموا في إنشائها، فيكتسبوا الأجر ويتعلّمون صناعة الخير وبناء المجتمع ذي الأساس المتين المبني على ذلك الدستور الرباني الذي يعتني به الكُتّاب من كل جوانبه الشكلية والمضمونية.

ورد تعريف للكتّاب في كتاب (عبد اللطيف عبد الله بن دهيش) كالتالي: « الكتّاب جمعه كتاتيب، وهو موضع تعليم القراءة والكتابة، وهو من المؤسسات التعليمية الهامة التي وجدت في المجتمع الإسلامي لتثقيف الصغار، وتربيتهم التربية الإسلامية الجيدة...ويرى البلاذري أن الكتّاب كان معروفا قبل ظهور الإسلام، بدليل أنه كان في مكّة عدد لا بأس به ممن يعرفون القراءة والكتابة، نظرًا لأغراض التجارة ونحوها. ويذكر أيضا أن عدد القريشيين الذين كانوا يعرفون القراءة والكتابة عند ظهور الإسلام بلغ عددهم سبعة عشر رجلا، وهذا يدل على وجود أماكن لتعليم القراءة والكتابة عند ظهور الإسلام بلغ عددهم سبعة عشر رجلا، وهذا يدل على وجود أماكن لتعليم القراءة والكتابة في مكة قبل ظهور الإسلام» [2]؛ فلقد أوجد العرب والمسلمون هذه المؤسسات والأنظمة التعليمية

الصغيرة التي ندعوها الكتّاب بهدف تعليم الناشئة وتربيتهم التربية السّوية، وبعث فيهم الأخلاق الحميدة والسلوك الحسن، فالكتّاب أداة لتوجيه التلاميذ الصغار وحمايتهم من الفراغ ومن المخاطر التي تحدق بهم بسبب مخاطر الحياة اليومية التي تحمل رفقاء سيئين أحيانا. فالجهل وسوء التعلم عواقبه وخيمة وتأثيره خطير فلابد من حماية الطفل عن طريق الشيخ الذي يدير الكُتّاب لصقل اللغة وتثبيت الأخلاق الراقية وصناعة العقل السليم المفكّر الذي ينتقي من السبل أنجعها.

ب) مهمة الكُتّاب: لقد أخذت الكتاتيب على عاتقها مهمة تعليم اللغة العربية بدءًا من أبسط المستويات إلى أعلاها، إلى جانب تدريس بعض العلوم، فـ: «...في معظم الكتاتيب يجب على الطالب أن يجيد القراءة والكتابة، ومعرفة مبادئ الحساب (كالأعداد، ومسائل الجمع والطرح والضرب والقسمة)، بجانب حفظه للقرآن بكامله أو أجزاء منه، وتجويده، وتكون الدراسة في شكل جماعات أحيانا، أو في شكل أفراد...أما بالنسبة لتعليم الخط فإنه وجدت كتاتيب خاصة تقوم بتدريس الطفل الخط حتى يجيده إجادة تامة. ويقوم الطفل بالالتحاق بهذه الكتاتيب بعد أن يتم دراسة القرآن الكريم...وجدت كتاتيب وضعت ضمن مناهجها تدريس الطالب مادة تحسين الخط بجانب المواد الأخرى» [3]؛ فللكُتّاب دور بارز في صقل ملكة اللغة العربية وتطويرها فيتعلّم الطفل كتابة القرآن الكريم كتابةً سليمة، وهو تعلّمٌ جادٌّ للغة العربية، كما يتعلّم الطفل النطق السليم للحروف في مراحله الأولى، ثم بمرور الوقت يبدأ في فهم نظام الدلالة في اللغة العربية، لأن القرآن الكريم يعتبر مكمن اللغة العربية الراقية العالية المستوى، فالكُتّاب أداة لفهم نظام اللغة العربية نحوًا وصرفًا، تركيبًا ودلالة، وصورةً شكلية، إلى جانب الأثر الروحي للكُتّاب والقرآن الكريم الذي يعتبر حافزًا على التعلّم ومحبّة الاكتشاف والتفوّق والبروز، فهدف الموجهين والقائمين على الكُتّاب هم نساءٌ ورجالٌ لهم أهداف يعرفونها حق المعرفة بحكم الخبرة، وهو تكرار السور والنصوص القرآنية ليتم حفظها في الذاكرة ومن

ثمّ محاولة تفسيرها لفهم مقاصدها ومناسباتها وأغراضها البلاغية والدلالية، فالكُتّاب هو صانعٌ للطفل القارئ الناطق الكاتب السليم.

ج) شيخ الكتّاب وصناعة الأخلاق: لشيخ الكُتّاب دورٌ بارزٌ في تثبيت الأخلاق الحميدة على التلاميذ والتأثير فيهم وتربيتهم: « ومن ثمّ فإن حقائق نفسه سرعان ما تنطبع في تلامذته، وسيرته معهم سرعان ما تخلف أثرها في سيرهم فيعتادون على الأدب والحياء والتواضع، وترتسم شخصيته أمامهم في التصرف، وإذا هو قدوتهم في الحال والمآل. ولذلك يحرص العديد من مشايخ المحاضر وأساتيذ المقارئ على تكوين طلبتهم الذين يتوسّمون فيهم مخايل النجابة وبوادر الخير، فيقدمون إليهم تكوينا مزدوجا، يجمع بين العلم والعمل، فيحثونهم على التحلي بالآداب ومكارم الأخلاق ويربون فيهم مشاعر التقوى والصلاح والخوف من الله عز وجل ويدربونهم على الطاعات، والمحافظة على الصلوات والجماعات، ويعودونهم على الانضباط في مواقيت الأعمال، ويغرسون في أنفسهم حب التضحية براحة الجسم والصبر على شظف العيش، وعدم الإخلاد إلى الكسل» [4]؛ فدور شيخ الكُتّاب لا ينحصر فقط في العلم والكتابة والقراءة السليمة، بل هناك الدور الأخلاقي، فعليه أن يسعى إلى الكمال أي أن يكون عالما ربانيا، فيه كل خصال الكرم والجود والعفة والهمة والإرادة والتفاءل، والأخلاق الحميدة، وكل المعاني النبيلة حتى يكبر في عين تلامذته، وهذا ما فقهه الشيوخ عبر تاريخ الإسلام، سواءً في القديم أم الحديث فكمْ من تلميذ نبغ وتميّز وتفرّد بسبب أخلاق أستاذه وتوجيهه الجيد إيّاه.

د) مواصفات شيخ الكتّاب: إن صناعة الأخلاق بالكُتّاب تبدأ من الشيخ لتصل في النهاية إلى التلميذ، فقد: « اشترطت المصادر المعاصرة في مؤدّب الأطفال عدّة شروط منها؛ أن يكون صحيح العقيدة، وأوّل ما يتعيّن على الآباء الفحص عن عقيدة معلّم أبنائهم، قبل البحث عن دينه، لأنه كثيرا من الصبية ينشئون وعقيدتهم فاسدة كذلك اشترط فيه أن يكون متزوجا منعا لسوء الظن به، فالغالب اسراع سوء الظن به إذا ما كان غير متأهّل، فإذا كان متأهّلا انسدّ باب الكلام والوقيعة فيه...

وفي معاملته لأطفال المكتب فقد اشترطت كتب المعاصرين على المؤدّب ألاّ يفرق بين أبناء الأغنياء والفقراء في المعاملة، وأن يتولى تعليمهم بنفسه إن أمكنه ذلك فإن لم يمكنه ذلك فلا يغفل عنهم لحظة خوفا من وقوع بعض المفاسد، وأن يكون الصبيان عنده بمنزلة واحدة لا يميز بعضهم على بعض، كذلك لا يسمح لهم بأن يُحضروا معهم الأطعمة أو النقود لأن من هذا الباب ينكسر خاطر الصغير الفقير منهم والضعيف لما يرى من جدّة غيره بما ينبغي به ألاّ يدع أحدًا من الباعة يقف على باب المكتب ليبيع للصبيان خوفا مما قد يقع من ذلك من مفاسد»[5]؛ فشيخ الكُتّاب هو الحارس والموجّه الحقيقي الذي تقع على عاتقه مهمة صناعة الأخلاق والتوجيه اللغوي والنفسي والاجتماعي، لهذا حرص الناس على جعل أوصاف معينة للشيخ لإعطائه مسؤولية العناية بفلذة أكبادهم، لأن الشيخ هو الذي يقضي على الأحقاد التي قد تنشأ بين التلاميذ، ويعطي الشيخ الحنان والرعاية والاهتمام الكافي للصغار لأنهم بحاجة لذلك ولابد لهم من أن يكبر الشيخ عندهم في أعينهم بأن يروا منه الأمان والعدل والحكمة والتواضع، ويحرص الشيخ على العناية بسلوكه ظاهرًا وباطنًا حتى يصدق عمله ويثمر.

ه) الكُتّاب يعلّم الصرامة: لقد كان للكُتّاب الدور الكبير في صناعة الصرامة والجدية عبر مختلف العصور، وعلى نفس الكثير من الأعلام، فـ: «...قد يضطرّ المؤدّب في كتّابه، والطالب في محضرته إلى نوع من الصرامة التي تحفظ الهيبة وتصون الحُرمة، وربما احتاج معها إلى اتخاذ إجراءات زجرية، وسن عقوبات محددة تساعد على تحقيق قدرٍ كافٍ من الانضباط والاحترام، وتوفير مستوى من الجدية والاستقامة في السلوك، وتتناسب مع ما قد يبدُر من بعض العناصر التي تفتقر إلى الرعاية والتقويم، وهي عناصر لا يكاد يخلو منها زمان ولا مكان، و (إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن) كما جاء في الأثر عن سيدنا عثمان، من هنا كان لابد من غضّ الطرف، والتغاضي عن بعض ما اعتاد الناس أن يوجهوه إلى حياة المحضرة من انتقاد، وما يوسمونها به أو يوسمون

القائمين عليها بالقساوة وغلظة الأكباد...لهذا عني المنظرون من علمائنا منذ القديم بدراسة نظام التعزيزات، ووضعوا له ضوابط وتقديرات، فمنعوا من ذلك ما منعوا وسمحوا منه بما سمحوا وفق معيار تربوي...» [6]؛ ولهذا نجد أن أغلب الكتاتيب سواءً في الجزائر أم غيرها من الأقطار تعتمد على الصرامة والجدية لكي يكون للمربي الهيبة الكاملة التي تعينه على تنظيم الوقت وحفظ القرآن بانتظام، لأن التلميذ قد ينتابه الفتور والكسل والشغب أحيانا، ففترة الكُتّاب المخصصة له، لابد أن تكون ملؤها الجدية والنشاط والتركيز والتحصيل تحت وطأة الترغيب والترهيب لتحقيق المنافع والمقاصد وتهذيب الصبيان.

و) الكتّاب يعلّم اللغة العربية: كان الكتّاب عبر تاريخ الإسلام وفي أقطار العالم الإسلامي يتولى مهمة تدريس كل ما يتعلق باللغة العربية كتابةً ونطقًا وفهمًا فـ: «كان بعض الشيوخ يعلّمون فن تجويد القرآن ونصيبا من القراءات السبع المتواترة ذلك أن هؤلاء الشيوخ كانوا في الغالب من حفظة القرآن يحسنون تلاوته بإتقان وتجويد فيعلّمون التلاميذ المتقدّمين أحكام التجويد من إظهار وإدغام وإخفاء وأحكام النون الساكنة والتنوين وأحكام الميم الساكنة وأنواع المد ومخارج الحروف وقسميها شمسيا وقمريا، ولهذا كانت الكتاتيب تتفاوت شهرتها بتفاوت شهرة شيوخها وتخصصهم، فيقصدها الآباء بأبنائهم طلبا لناحية علمية بعينها كحسن الخط أو تلاوة القرآن وحفظه أو حفظ الحديث وروايته أو الميول الأدبية، كتحفيظ بعض القصائد المشهورة من المعلقات ولامية العرب ولامية العجم، أو المهارة في الحساب وتحويل أصناف العملة أو النقد بعضها إلى بعض، وأحيانا حساب الجمل والتأريخ به، وتعليم بحور الشعر وعلم القافية»[7]؛ فالكُتّاب حمل مسؤولية تثقيف الأجيال لغويا وفكريا منذ العصور الأولى للإسلام إلى اللحظة الراهنة، فهناك أقطار عديدة من الجزائر أو عبر العالم الإسلامي لم تكن لتتوفر على مراكز تعليم منظمة ومدارس حكومية، فتولى الكُتّاب دور تعليم اللغة العربية في أعلى مستوياتها، فكان هناك دقةٌ في نطق الحروف والكلمات والجمل، وجمالية الخط

العربي، إلى جانب إعطاء أهمية للعلوم الكونية الأخرى. لقد أسهم الكُتّاب في تفتيق الألسن والقرائح وصناعة الرجال المفوهين الذين وصلوا إلى الإمامة والخطابة وكتابة الدواوين الشعرية والنصوص الأدبية فالأدباء الكبار عبر التاريخ كانت انطلاقتهم الأولى عبر الكُتّاب وحفظ القرآن الكريم ونهل المعرفة من الشيخ والمتون التي كانت تقدّم للناشئة والرواد والمتعلّمين عبر هذه الكتاتيب.

ز) خصائص الكُتّاب: ينطوي التعليم في الكُتّاب على مجموعة من الخصائص الاقتصادية والتربوية واللغوية يمكن إيجازها فيما يلي:[8]

1- إشكالية التعليم الكتابي لجميع أفراد الفئات الاجتماعية بما فيها الغنية والفقيرة؛

2- شعبية التعليم الكُتّابي، معناه أن هذا التعليم مرتبط بمناطق ظهور التجمعات السكانية مهما كان مستواها الاقتصادي؛

3- التعليم الكتابي لا يتطلب نفقات تسيير هامة، فهو بذلك اقتصادي من ناحية التكاليف المادية ومن حيث التجهيز والتخطيط؛

4- إن التعليم الكتابي عاش برفقة الجماعات الرعوية، وهذه ميزة فريدة من نوعها؛

5- ارتكاز هذا النوع من التعليم على اتجاهات نفسية دينية لدى المعلم، وهذه الاتجاهات توفر جوًّا خاصا للعمل والفعالية؛

6- إن التعليم الكتابي نابعٌ من حاجات المجتمع المحلي، فهو بذلك نتاج مبادرات شعبية؛

7- ارتباط التعليم الكتابي في نشأته وتطوره بالمجتمعات العربية الإسلامية حيث كان الكُتّاب وسيلة حيوية من أهم وسائل تحفيظ القرآن؛

8- إن الكُتّاب مؤسسة متواضعة من حيث المظهر الخارجي، إلاّ أن الطريقة التربوية التعليمية بها عرفت نجاحًا كبيرًا، وخير دليل على ذلك ظهور العلماء

الأجلاء وحماة الوطن وحفظة القرآن الكريم؛ قد تلقوا تعليما بهذه المؤسسات الدينية.

فنحن نشاهد في المجتمع الذي نعيش فيه أن هناك أشخاصًا يقرءون ويكتبون ويفهمون اللغة العربية وقراءة المصحف من غير ولوجِ التعليم النظامي، بل السبب في ذلك ذهابهم للكتاتيب في صغرهم أو حتى في فترة متقدمة من العمر، نجد أن الأشخاص الذين ولجوا الكُتّاب لهم من الأخلاق والسلوك الحسن والعفة والتواضع والصلاح الاجتماعي بسبب البيئة البسيطة التي تعلّموا فيها وأخلاق المشايخ التي نهلوا منها، خاصة إذا كان الشيخ به مواصفات القائد فإنه سينتج فيما بعد قادة يقودون المجتمع.

ح) التكامل بين الكُتّاب والتعليم النظامي: إن نظام الكتاتيب متكاملٌ مع النظام التعليمي الحكومي، فهناك جوانبٌ تربوية في الكتاتيب قد لا يوفرها التعليم النظامي فـ: «...من خصائص الفكر التربوي الإسلامي متمثلة في الربانية، أي أنه فكرٌ رباني في الأصل والمنبع والغاية والمقصد، وابتعاده عن التناقض والضلال والانحراف والتوازن الوثيق بين الجسم والعقل والروح، والتكامل بين الوسائل والأهداف، وبين النظرية والتطبيق، وبين العلم والعمل، وبين مؤسسات التربية النظامية وغير النظامية والوظيفية، حيث لم يكن هذا الفكر منعزلاً عن المجتمع؛ بل هو يلبي حاجاته والعمومية والعالمية، فهو فكرٌ لكل إنسان في كل زمان ومكان وتميّزه بالقيم والمُثُل السامية التي تنطلق في المقام الأول من الإيمان بالله عز وجل والالتزام بتعاليمه وهدي نبيه صلى الله عليه وسلم، والإيجابية التي تعني أنه معطاءٌ ومصدر لكل خير يحدث آثارًا طيبة ملموسة في حياة معتنقيه، والثبات والاستمرارية والمرونة، والوضوح والواقعية...»[9] ؛ ولهذا نحن نلاحظ أن أغلب طلاب الكتاتيب متفوقون في الدراسة ولديهم همّة كبيرة وراحة نفسية وثقة وطاقات إيجابية بسبب صحّة الجانب الروحي وتخلّص مرتاد الكُتّاب من المشاكل النفسية واستقراره العاطفي، لأن القرآن شفاءٌ وأخلاق الدين الإسلامي التي يتمثلها الشيخ

والتلاميذ تجعل من تلميذ الكُتّاب كيانا سمحًا وخلوقًا وفيه كل صفات الإنسان الصالح الذي يحب الإيثار ولا يحمل الأحقاد تجاه البشر مهما كان انتماؤهم أو دينهم، بل تجد تلميذ الكُتّاب رقيق القلب ومتأدّبا ويحترم الآخرين، ويتخلّص من أخلاق السرقة والكذب والتواكُل والاحتقار، فالإنسان يجد في القرآن الشفاء والإجابة على مختلف الأسئلة التي تواجهه في الحياة.

ط) الكتاتيب والإقامات الداخليـــة: هناك قضية بالغة الأهمية في نظام الكتاتيب وهو تلك الكتاتيب التي تتبعها (إقامةٌ داخليةٌ)، ببرنامج سنوي أو برنامج مفتوح في العطل الموسمية لكل المتعلمين، ففي هذه الإقامة يتعلّم التلميذ العديد من الأمور التي تزيد من رصيده اللغوي والأخلاقي، فيتعرّف من خلالها على العلماء، ويحتك فيها التلاميذ من مختلف مناحي البلاد الإسلامية، في جو من الاحترام والسلوك الحسن وضوابط الدين الإسلامي:« ونعني بالإقامة الدراسية ما يعم الظرف الزماني وهو عبارة عن المدة التي يقضيها المتعلم في الكُتّاب وهو يتابع عملية الحفظ والتحصيل لكتاب الله، ويتلقن العلوم المرتبطة بتوثيق معارفه فيه، والفقه في المتون المساعدة على ترسيخ تلك المعارف في النفس، واكتساب الملكة العلمية التي يتجلى فيها وينعكس مقدار استيعابه للفن وفهمه لقواعده وضبطه لمسائله وقضاياه. كما نعني بالإقامة الدراسية أيضا ما يعم الظرف المكاني، ونعني به الفضاء التعليمي الذي يحتضنه أثناء مدة تعلمه، ويشمل المؤسسة التعليمية في الكُتّاب أو (المسيد) أو (المَعْمَرَةُ) أو (الحِضار) أو (المَحْضَرَة) أو (الجامع) أو (المكتب) أو غير ذلك مما يطلق على تلك المؤسسة بحسب الجهات والحواضر في الدول المغاربية، ولا سيما في المغرب الأقصى الذي ما يزال بالقياس إلى دول المغرب الأخرى كالجزائر وتونس وموريتانيا وليبيا يعتبر في الطليعة في عدد الكتاتيب ووفرة المتعلمين فيها والعناية الشعبية والرسمية بها وكثرة الحُفّاظ للقرآن في الحواضر والبوادي على السواء» [10]؛ ففي الإقامة هناك جو مغلق ملؤه الجانب الروحي، حيث يكون هناك فضاء خاص لتعلم اللغة والعبادة والابتعاد عن ملهيات الحياة، وتلقي رعاية خاصة

نفسية وروحية وفكرية، حيث يتوافد العلماء والخبراء والشيوخ على الكتاتيب حتى يفيدوا من علمهم وبلاغتهم وأخلاقهم، وقد شاهدت ذلك في جوامع وكتاتيب ولاية (تيزي وزو) بالجزائر خلال فترة الصيف، وقد حدّثني أصدقاء لي عن محاسن هذه الرحلة العلمية عن طريق الإقامة لمدة شهر أو شهرين لتعلم القراءات، مثل: (قراءة ورش وقالون) والاحتكاك بالعلماء وخيرة أبناء الجزائر في اللغة والنحو والبلاغة والفكر والدين، ففكرة الإقامة مع الكتّاب لها تأثير إيجابي كبير على التكوين الأخلاقي واللغوي والعلمي للتلاميذ والمتعلمين من الصغار والكبار.

ي) اهتمام الكتاتيب بتكوين الفتيات: كانت هناك كتاتيب تختص فقط بتعليم الفتيات، مثلما كان الأمر –على سبيل المثال– بالمملكة العربية السعودية، فـ: «...إلى جانب الكتاتيب المخصصة للأولاد كانت هناك كتاتيب مخصصة للفتيات لتعليمهن القراءة والكتابة، وحفظ سور من القرآن، وأحيانا القرآن كاملا، بالإضافة إلى ذلك يتعلمن أحكام الصلاة، والصيام، وغيرها من المواد والحساب، والسيرة النبوية والأشغال اليدوية والمنزلية، وكانت توجد كتاتيب مشتركة يتعلم فيها الأولاد الصغار مع البنات حتى (يفكوا الحرف)، وتستمر الفتاة في تلك الكتاتيب إلى سن الثامنة ثم بعد ذلك تدرس في كتاتيب مستقلة إن رغب أهلها مواصلة تعليمها، فيما يكتفي البعض منهم إلى هذا الحد، فهي قد عرفت سور الصلاة، وأحكامها، وأمور دينها وهو الهدف الذي يسعون إليه من تعليمهن. وتسمى معلمة (الكُتّاب) (معلمة الحارة) أو (الخوجة) مثل كُتّاب الخوجة (فاطمة هانم) الذي أنشأته في المدينة عام 1341ه وبلغ عدد الطالبات فيه أحد السنين (200 طالبة)...وهو عبارة عن غرفة في دار (الخوجة) المعلمة يجتمعن فيها الفتيات...» [11] ؛ فالفتاة هي أم المستقبل فتكوينها الأخلاقي واللغوي والديني ينعكس فيما بعد على الناشئة، إن المسلمين كرّموا المرأة التي كرّمها القرآن قبل ذلك، وبالتالي أي رصيد قرآني يقوم به الكتّاب على الفتيات سوف يعني ذلك زيادة فهمهم للدين الإسلامي وتحقيق في المستقبل لأسرة بمنهج سليم وأخلاق عالية، وسليمة من همزات شياطين الإنس

والجن، وقد فهمت ذلك نظارات الشؤون الدينية وكوّنت ووظفت مرشدات يقوم دورهم على التربية السليمة للعنصر الأنثوي صغارا وكبارا، فالمرأة هي روح وطهارة في الإسلام بعكس الحضارة الغربية التي جعلت منها بضاعة لإشباع النزوات والغرائز.

خاتمة: بعد التطرق لأهم النقاط المتعلقة بالتكوين الأخلاقي واللغوي للكتّاب يمكننا الخروج ببعض النتائج ندونها في نقاطٍ كالتالي:

– الكُتّاب معلِّمٌ وأداةٌ ناجعة لتعليم اللغة العربية نطقًا وكتابةً ودلالة وبلاغة ونظامًا؛

– يعتبر الكُتّاب حاملا لنسقٍ منظّمٍ من الثقافة الأخلاقية، فيجعل من المتعلّم مثاليا ومتكاملا واجتماعيا وفردًا صالحا فيه كل مواصفات القائد الذي يحب المساعدة للناس ولا يحمل أي ضغينة تجاه الآخرين؛

– يوفّر الكُتّاب التعليم للصغار والكبار، الذكور والإناث، فهو مكمّلٌ ولا يتناقض مع المدرسة الحكومية وأغلب رواد الكتاتيب من المتفوقين دراسيا واجتماعيا وعمليا؛

– يتعرّض المسلمون بالأمس واليوم وغدا لهجوم ثقافي ومادي شرس من الأفراد الحاقدة على الإسلام ولهذا كان الكتّاب الوسيلة الفضلى لتحصين الناشئة لغويا ودينيا وأخلاقيا وفكريا، وكل هذه الأنظمة العقلية والروحية يحملها شيخ الكتّاب ويسلمها بمنهجية وأمانة للتلاميذ المتكونين بالكُتّاب؛

– يعتبر الكُتّاب وقفا من أوقاف المسلمين وهو باب لفعل الخير للمجتمع، فيقوم عليه أناس محسنون ممن رزقهم الله من المال الطيب، فيكترون أو يبنون الكتاتيب ويجهّزونها ويوفّروا لها المشايخ الذين لهم سمات خاصة علمية وأخلاقية يتولون مهمة صقل إمكانات التلاميذ وتوجيهها وتفتيقها؛

– يعتبر الكُتّاب مؤسسة عظيمة مصغّرة لا يكلف أموالا كبيرةً وهو متاح في عجالة من الزمن، ولهذا يمكن توفيره موسميا أو بصفة دائمة بأوجز الطرق، وفي النهاية ستكون النتائج مثمرةً وباهرةً.

الهوامش

[1]- عبد الرحمن بن أحمد التجاني، الكتاتيب القرآنية بندرومة من 1900 إلى 1977، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص: 17، 18.

[2]- عبد اللطيف عبد الله بن دهيش، الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما، مطبعة النهضة الحديثة، ط1، مكة المكرمة، 1986، ص 11.

[3]- المرجع نفسه، ص 48.

[4]- عبد الهادي حميتو، حياة الكُتّاب وأدبيات المحضرة، صور من عناية المغاربة بالكتاتيب والمدارس القرآنية، ج2، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، المغرب، 2006م ص 894.

[5]- رمضان رشدان، "الكتاتيب في الحضارة الإسلامية"، موقع : البدر شين أونلاين 2011/08/13 الموقع الإلكتروني: www.badrashein.com

[6]- عبد الهادي حميتو، حياة الكتّاب وأدبيات المحضرة، ص: 896، 897.

[7]- عبد الكريم اليافي، "التعليم في بلاد الشام في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين" مجلة التراث العربي، اتحاد كتاب العرب، العدد 45، دمشق، أكتوبر 1991، ص 15.

[8]- مختارية تراري، "التعليم بالكتاتيب القرآنية في الجزائر في منظور الدراسات النفسية والتربوية المعاصرة"، مجلة إنسانيات، عدد خاص، أبحاث أولى، 2001، الموقع الإلكتروني: www.journals.openedition.org

[9]- خلفان بن ناصر بن خلفان الجابري، "مبادئ التعليم في الكتاتيب بسلطنة عمان في ضوء الفكر التربوي الإسلامي"، مجلة العلوم التربوية، العدد الثاني، ج1، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، أفريل 2015، ص 15.

[10]- عيسى بن ناصر الدريبي، "تعليم القرآن في المؤسسات القرآنية وأثره العلمي والتربوي الكتاتيب القرآنية في المغرب أنموذجا"، Musalparslan Universitesi، تركيا، أكتوبر 2012م، ص: 675، 676. الموقع الإلكتروني: www.alparslan.edu.tr

[11]- سعود بن بنيان بن عواد الصيدلاني الجهني، الدور التربوي للمسجد النبوي الشريف رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1419ه، ص 206.

دور الكتاتيب في حفظ الهوية العربية والجزائرية إبان الحقبة الاستعمارية

The role of battalions in preseerving the arab and algerian identity during the french colonial period

الباحثة. إلهام شافعي

جامعة، باتنة1

ملخص: عرف العالم الاسلامي في مختلف مراحله التاريخية أنظمة تعليمية متنوعة، ولعل الأساس الذي ارتكز عليه التعليم كان من خلال الكتاتيب التي كانت تعنى بتحفيظ القرآن الكريم وتدريس علومه، كالنحو والصرف وفقه اللغة...الخ.

وعلى غرار العالم الاسلامي، ارتبطت حركة التعليم في الجزائر بالكتاتيب والزوايا التي كان يشرف عليها علماء الدين، والأئمة، حيث مثلت هذه المؤسسات بأنظمتها التعليمية الهادفة تراثا علميا متواصلا بسبب قيامها على مقولات تربوية ونفسية وعلمية متميزة.

لقد لعبت الكتاتيب دورا بارزا في النهوض بالمجتمع الجزائري والحفاظ على هويته والعمل على تماسك قيمه والاعتزاز بلغته وتضاعفت هذه الجهود في الفترة الاستدمارية الفرنسية التي سعت –دون توان في كل مرة– إلى القضاء على الكتاتيب أو العمل على التحكم فيها واستمالتها إلى جانب الاحتلال الفرنسي من هنا جاء موضوع هذه الورقة البحثية:– دور الكتاتيب في حفظ الهوية العربية والجزائرية إبان الحقبة الاستعمارية، هذا الموضوع الذي قام وفق عدة إشكالات تحتم علينا إيجاد إجابات وافية لها ولعل من أبرزها–:

– ماهي ظروف نشأة الكتاتيب؟ وماهي أهم الإستراتيجيات التعليمية التي قامت عليها؟

– كيف تلخصت أدوار الكتاتيب ابان الحقبة الاستعمارية؟ وكيف كانت الردود الاستعمارية على ذلك؟ هل كانت كلها سياسات قمعية؟ أم استعانت أيضا بسياسة الاستمالة وكسب بعض المشاييخ إلى جانبها؟

– من خلال كل ذلك ماهي الإجراءات المتخذة من قبل الكتاتيب، في حفظ الهوية العربية والجزائرية؟

هي أسئلة وأخرى سنحاول في هذه الورقة البحثية الإجابة عنها، مستعينين في ذلك بالمنهج التاريخي حينما كنا بصدد تتبع مراحل نشأة الكتاتيب، ومدى تطورها من مرحلة لأخرى، وكذا الاستعانة بآلية الوصف وقتما تعمقنا في الكشف عن دور الكتاتيب في التوعية الاجتماعية والعمل على رفع المستوى التعليمي للفرد الجزائري.

الكلمات المفتاحية: علماء الدين، الزوايا، الاستعمار، التعليم، الهوية العربية القيم الجزائرية.

توطئة: المتتبع لتاريخ الجزائر، يظهر له اهتمام العلماء الجزائريين بالجانب العلمي، وسعيهم الحثيث إلى توفير الأرض الخصبة للنشئ الجديد لتلقي علوم مختلفة خاصة ما اتصل منها بالجانب العقدي، ولعلنا نجد هذا الاهتمام بالمجال العلمي قد بلغ أوجه في العهد الاستعماري الفرنسي، حيث زاد الإقبال والاهتمام بالتعليم من أجل هزم المخططات الاستعمارية الساعية لطمس الهوية الوطنية خاصة والعربية الإسلامية عامة، وكان ذلك من خلال عملها على محاربة دور التعليم الخاصة. هذا ما دفع الجزائريين أكثر فأكثر إلى تعلم اللغة العربية سواء في المدارس الخاصة كالكتاتيب والزوايا والمدارس القرآنية، أو في المدارس الحكومية، لكن سرعان ما ترك الجزائريون تلقي العلوم في المدارس الحكومية للسيطرة التامة عليها من قبل الفرنسيين بمناهجهم المغايرة لثقافتنا. فكانت المدارس الخاصة ملجأهم الوحيد والمفضل في نفس الوقت. ولعل من أبرز هذه المراكز التعليمية غير الحكومية نجد الكتاتيب، فماذا نقصد بها؟، وماهو نظام عملها؟ وكيف

قاومت الاستعمار الفرنسي وبقيت محافظة على رسالتها التعليمية في خضم حقبة استعمارية قاسية؟

إن أهم ميزة ميزت الحياة الثقافية في الجزائر هي كثرة الكتاتيب، حيث كانت من بين الركائز المهمة التي حافظت على تعليم القراءة والكتابة وتحفيظ القرآن الكريم، في خضم سياسة إستعمارية قمعية.

التعريف بالكتاتيب:

لغة: المكتب والكتاب: موضع تعلم الكتَّاب، وجمع كتّاب كتاتيب، والمكتب هو الموضع للتعليم القرأني. [1].

إصطلاحا: المقصود بالكتَّاب بضم الكاف المدارس الخاصة المخصصة لتعليم علوم القرآن، بحيث تتشكل غالبا من حجرة واحدة أو حجرتين مفتوحتين على بعضهما، تضم كل حجرة من (10) إلى (20) متتلمذا وقد تفوق ذلك في المناطق العمرانية ذات الكثافة السكانية الكبيرة، يجلس المتتلمذون على شكل حلقة يتوسطهم الإمام (الشيخ)، ويتدارسون القرآن بهدف حفظه من على المصحف أو كتابته على اللوحة الخشبية والأصماغ الطينية، ويكون الحفظ بكتابة السورة أو جزء منها على اللوحة يعرضها الطالب على شيخه، ليقومه ثم يقيمه، وتمحى السورة بعد حفظها ليشرع في كتابة السورة التي تليها وهكذا، ونجد أن هذا الأمر : « يخلق منافسة بين الأطفال في الحفظ ويتفاوتون في ذلك حسب استعداداتهم وظروفهم النفسية والاجتماعية» [2]

ومنه نصل إلى أن الكتاتيب هي دور تعليمية، تقدم دروسها على شكل حلقات يتعلم فيها المتتلمذ القراءة، والكتابة، وحفظ القرآن وتلاوته، إلا أنها تطورت لتشمل علوم اللغة واللسان العربي، إذأنها أصبحت جزءًا لا يتجزأ من الحياة الثقافية للمجتمعات، كونها منتشرة في مختلف المناطق خاصة القرى والمداشر.

الكتاتيب والتجاور المفاهيمي: ارتبط مصطلح الكتاتيب بعدة مصطلحات أخرى متقاربة معه ولعل من أهمها: الزوايا، المدرسة القرآنية، المعاهد، النوادي الدينية الدور التعليمية...الخ.

أولا الزوايا: تعرف الزوايا على أنها مؤسسات لرؤساء الطرق الصوفية، يجتمع فيها المريدون لتلقي الأوراد والذكر، وهي مأوى يجتمع فيه الطلاب بعلوم القرآن الكريم، كما أنها المكان الذي يتصالح فيه المتخاصمون، بحيث تشكل لجنة من الرجال الأخيار للتشاور في المشاكل الاجتماعية وإعطاء النصح والإرشاد، وهي ذات اللجنة التي تتدارس حوادث الاختلاف بين الناس وتعمل على حلها بجلسة مصالحة عرفية. عملا بالتقاليد المتعارف عليها.[3]

كما أن الزوايا في تعريفها الشائع والمتداول، هي مقام تركه أحد الصالحين، بعد وفاته،وقام أبناؤه بدفنه إلى جوار الزاوية، أو بداخلها، وتتم بعد ذلك زيارة المكان لأخذ البركات (كما يعتقد البعض)، إلا أنها شهدت عديدا من التغييرات حاليا، إذ زُودت بمرافق متعددة لتدارس علوم القرآن وكذا تحوي أقساما لتعليم القرأن حفظا وتلاوة وأخرى لتعلم فقه اللغة والحديث، والسيرة النبوية..الخ، في حين أن منها ما كان في العهد الاستعماري موطنا لتلقين الشعوذة وزرع الخرافات في عقول الناس بغرض إلهائهم عن الثورة والجهاد، ولكن سرعان ما تداركت بعض الجمعيات المثقفة ذلك وحاربت المنتسبين لهكذا زوايا وهم من موالي فرنسا، وسعت للقضاء عليهم، واستبدلت تلك النزعة الخاصة بالجهل، إلى أن تجعل من الزوايا منبرا لشحذ همم الشباب نحو الجهاد في سبيل الوطن والحرية، كما تجدر الإشارة إلى أن الزوايا قد ارتبط ظهورها بعاملي الجهل والفقر، فجاءت لمحاربة الأول والقضاء على الثاني، وكذا قد تعززت باحتضان «المجاهدين والفدائيين أيام الثورة التحريرية الكبرى ضد فرنسا»[4]

كما تجدر الاشارة إلى أن الزوايا لعبت دورا إيجابيا في تاريخ الجزائر، بحيث تمثل نشاطها في الاهتمام بالجانب التعليمي، الذي أسهم وبشكل كبير في الحفاظ

على استمرارية الهوية الجزائرية والحفاظ على وحدة الفرد الجزائري ضمن الفترة الاستعمارية التي كان هدفها تمزيق لحمة الشعب الجزائري، فالزوايا أسست لـــــ «قراءة القرآن الكريم وما إليه من العلوم ولذلك فقد حافظت على اللغة العربية من الزوال، والثقافة الإسلامية من الإندثار في الجزائر طيلة المرحلة الاستعمارية (1830/ 1962)»[5]

وفي هذا الصدد يذهب عبد الله ركيبي إلى القول أن الزوايا الدور البارز في الحفاظ على التعليم إذ يقول: «التعليم الخاص بالزوايا، والذي يرجع إليه الفضل في الخفاظ على اللغة العربية وعلومها، هو تعليم كان يسير على المناهج القديمة التي تعطي الأولوية لعلوم اللسان العربي»[6]

هو هنا يتحدث عن دور الزوايا في نشر التعليم والاهتمام باللغة العربية والهوية العربية، إلى جانب التمسك الدائم بتدريس القرأن الكريم، لتعزيز القومية الإسلاموية.

ولعل من أبرز الزوايا المناضلة في هذا الجانب نذكر:

-زاوية سيدي منصور (القبائل)؛

- زاوية الهامل (بوسعادة)؛

- زاوية ولاد جلال؛

- زاوية مازونة(معسكر)؛

- زاوية سيدي عبد الرحمن (تلاغمة).

ثانيا المدارس القرآنية:

المدرسة القرآنية هي مكان للدرس يقال : (هو من مدرسة فلان: أي على رأيه ومذهبه) [7]

وفي الاصطلاح: هي تلك المدارس التابعة للمؤسسات الدينية، يلتحق بها المتمدرسون، لتعلم العلوم الشرعية، وفهم القرآن الكريم لفظا ومعنى.

وتجدر الإشارة إلى أن المدارس القرآنية الجزائرية، هي مؤسسات دينية تسيرها مصلحة الشؤون الدينية وتسهم إسهاما حقيقيا في نشر العلوم والمعارف الخاصة بالدين والعلوم الشرعية، فقه اللغة، وعلوم اللسان كالنحو والصرف، وقد كان لها دور بارز هي الأخرى في محاربة الجهل والأمية فـــ «بفضل الدروس التي يقوم بها علماء أعلام في أغلب المساجد بكل المدن الجزائرية، انتشر العلم بين الطبقات الراقية وقلّت الأمية والجهل بين الطبقات الوسطى والعاملة» (8)

وقد عرفها الشيخ الإبراهيمي بقوله: «ذلك التعليم الذي تلتزم فيه كتب معينة في العلوم الدينية من تفسير وحديث وفقه وأصول وأخلاق والعلوم اللسانية من قواعد ولغة وأدب...ونسميه مسجدي لأنه كان من فجر الإسلام إلى الآن وما زال يلقى في المساجد...»(9)

ثالثا الرباط: الرباط من رابطة مرابطة، وكان قد أطلق هذا المصطلح على بعض الثكنات العسكرية التي تعمل على ترصد العدو ومجابهته، بحيث تحوي مجاهدين تكون مهمتهم حراسة الحدود الإسلامية، وهي مؤسسات تشبه الزاوية في مختلف ما تقدمه من خدمات ووظائف اجتماعية وثقافية، ولكن هذه المؤسسة يكون تواجدها بعيدا عن التجمعات السكانية، وقريبا من مراكز تواجد العدو، أي على الحدود، وهذه المؤسسة لا يقتصر دورها على تأمين الحماية والدفاع عن الحدود بل تسهم أيضا وبشكل كبير في التوعية التعليمية، والاهتمام بتدارس القرآن الكريم (10)

من هنا يمكننا القول أن هذه المصطلحات المتجاورة تلتقي في مجملها في زاوية الاهتمام بالتعليم، ولكن لكل منها خصوصيتها وتمركزها، وكذا اهتماماتها القصوى وأغراضها الأساسية.

في حين أن الكتاتيب تبقى في ذات هدف تعليمي بحت، بحيث تسعى إلى تقديم المعرفة الدينية أولا ثم تعرج بعدها في مستوى ثانٍ إلى تدارس العلوم المختلفة الأخرى ذات الجانب الفقهي، دون أن يكون مبرر تواجدها صوفيا ولا تعبديا بحتا

بل تميل إلى التوعية والتعليم والقضاء على الجهل والأمية، للنهوض بالفرد في المجتمع.

خصائص التعليم في الكتاتيب: تميز التعليم في الكتاتيب بعدة خصائص جعلته ينفرد عن بقية الفضاءات التعليمية، ومن أبرز هذه الخصائص نذكر:

- ❖ كان التعليم في الكتاتيب متاحا لكل الشعب الجزائري، خاصة وأنه قد خلق مراكز له في مختلف أقطار التراب الوطني؛
- ❖ يحق لأي شخص الالتحاق بالمكاتب مهما كانت حالتهم الاجتماعية؛
- ❖ تميز الكتاتيب بالشعبية؛
- ❖ الكتاتيب لا تتطلب نفقات ومصاريف كثيرة لعمله؛
- ❖ الاهتمام بالجانب النفسي والعقدي والديني بشكل كبير؛
- ❖ الالتحاق بالكتاتيب هي رغبة اجتماعية وإلحاح جماهيري نحو المواصلة ودعم من قبل الشعب لضمان الاستمرارية؛
- ❖ ارتباط الكتاتيب بالمنحى الإسلامي، لأنها تسعى إلى ترسيخ العقيدة وتحفيظ القرآن الكريم؛
- ❖ الأدوات والوسائل المستخدمة في الكاتيب (اللوحة/ الطين/ الأصماغ)، هي وسائل بسيطة مستقاة من الواقع المحلي، غير مكلفة ولا باهظة الثمن؛
- ❖ تحقيق نتائج جد إيجابية رغم قلة الوسائل وتواضع المقرات الخاصة بالتدريس.

وظيفة الكتاتيب: توفر الكتاتيب عدة وظائف مهمة، تسعى في جوهرها النهوض بالفرد والمجتمع وكانت تولى لها أهمية كبيرة من قبل المجتمع، وفيما يلي تصريح كان قد نشر في جريدة النجاح خلال سنة (1930) يتحدث فيه عن أهمية التعليم في الكتاتيب: «فعلى الأمة أن تقوم بواجبها في تعليم أبنائها لغة دينهم وأمتهم، وإلا فإنها تحمل أقساطا من المسؤولية إذْ جاء يوم يضيع فيه دينها وتتلاشى لغتها، لا قدر الله ذلك...»[11]

ولعل من أبرزها نذكر:

❖ تحفيظ القرآن الكريم، وتعليم المبادئ الإسلامية السمحة؛

❖ العمل على الحفاظ على المقومات العربية الإسلامية؛

❖ الحفاظ على الثقافة العربية والجزائرية؛

❖ ضمان إطلاع الفرد على ثقافته، لتحقيق استمرار الهوية ومختلف القضايا الاجتماعية؛

❖ الحفاظ على المجتمع الجزائري من سياسة الفرنسة المنتهجة من قبل المستعمر، وبالتالي حاولت غرس اللغة العربية في أرض خصبة لا تبور؛

❖ الوقوف في وجه المستعمر الفرنسي الذي يهدف إلى قبر الهوية الوطنية، من خلال الحفاظ على المقومات الوطنية.

السياسة الاستعمارية ضد الكتاتيب: سعت فرنسا إلى ممارسة كل أشكال السيطرة الفكرية والجغرافية على الجزائر، من خلال عدة سياسات عمدت فيها إلى نقل الجزائري من مركزية العالم إلى هامشيته، تلك المركزية التي كان يحظى بها قبل الاحتلال الفرنسي، وكيف كان يسيطر على البحر الأبيض المتوسط، وكذا مشاركتها الفعالة في المحافل الدولية في العهد العثماني، فجاء الاحتلال الفرنسي ليستصغر من قيمة الجزائري داخليا وخارجيا، كما سعت إلى سلبه الهوية الجزائرية وقوميته العربية وانتماءاته الاسلامية، وبالتالي تكون لها الهيمنة الكلية على الجزائر وشعبها ولكن في خضم ذلك برز صوت الكتاتيب مدويا رافضا لسياسة التنصير، التغريب التبشير والفرنسة، فالتف حولها الشعب الجزائري للتسلح بسلاح الكتابة والقراءة وحفظ القرأن الكريم، وهذا ما كان يوفره معلم القرآن، الذي كان الأهالي يرجعون إليه في كل كبيرة وصغيرة، لأخذ النصح والإرشاد منه.

لم تقف فرنسا مكتوفة الأيدي أمام الكتاتيب وكذا التعليم الحر وغير الحر في الجزائر، إذ عملت على تحطيم المدارس العربية ونفي المعلمين الأحرار، كما كانت تهدد الأهالي بالقتل والتهجير في حالة التحاق مؤسسات تعليمية، وأجبرتها على

الالتحاق بالمدارس الفرنسية، ليس حبا في تعليم الجزائريين، وإنما لأجل تقريب الثقافة الفرنسية إليهم وترسيخ فكرة أن الفرنسية هي لغتهم الأم، وأنها أساس التطور والتحضر، عكس العربية الميتة، إلى جانب هذه السياسة القمعية لجأت فرنسا إلى سياسة الإغراء، وذلك عن طريق تقديم مجموعة من التحفيزات للأسر التي يتردد أبناؤها على المدارس الفرنسية ويتجنبون الكتاتيب، فسعت إلى تقديم المنح والمساعدات الغذائية والملابس..الخ ، لكن الشعب الجزائري- والفضل يرجع إلى رجال الدين- قد أدرك أن المؤسسة التعليمية الفرنسية لم تأت بغرض التثقيف بل للاستغلال والقهر: « فمن كان يريد ارسال أولاده مسح هذه الفكرة من رأسه وقدم عدة أعذار، لكي يجنب أولاده التمدرس في هذه المدارس(يقصد المدارس الفرنسية) » [12]

كما نجد أن أغلب الأهالي ابعدوا أبناءهم عن المدارس الفرنسية، خوفا من اكتساب عادات سيئة كالتدخين والخمر، هذا إلى جانب عدم رغبتهم في الاندماج مع المعمرين بسبب الاختلاف العقدي، واختلاف العادات والتقاليد والتاريخ، زيادة إلى التمييز العنصري الذي يلاقيه الجزائري من قبل أبناء المعمرين، ومن جهة أخرى نجد أن المعمرين كانوا ضد الاندماج التعليمي مع الجزائريين، إذ لا يعتبرون أهل الجزائر إلا ذاك المجتمع الدوني الذي لا يليق لهم النزول إلى منزلتهم. لذلك عمد الجزائريون إلى إرسال أطفالهم إلى «الكتاتيب والزوايا التي ظلت منتشرة في البلاد» [13]

إلا أن فرنسا لم تهن عزيمتها وعملت دوما على التصدي للتعليم الحر يقول (لويس رون)

«في مجال التعليم، تهدف جهودنا منذ 1830 للحد من التعليم القرآني واستبداله تدريجيا بمجانية التعليم أكثر عقلانية، وأكثر ملاءمة، وفوق كل هذا يكون أكثر فرنسية» [14]

لأن هذه المؤسسات الاستعمارية تعتبر حاجزا أمام الاستعمار يحول دون تحقيق اطماعه الاستعمارية، بفضل ما يوفره من تنوير للأذهان وشحذ للهمم في سبيل المقاومة والجهاد. وبرغم من أن فرنسا استقطبت الكتاتيب إلى جانبها ووضعها تحت وصايتها إلا أنها لم تكن تمولها مثلما تمول بقية المؤسسات الدينية على اختلاف دياناتها، وهذا ما يمثله الجدول التالي:[15]

المذاهب عدد الأفراد (نسمة)	عدد الأفراد (نسمة)	قيمة الإنفاق الفرنسي	معدل الإنفاق (الفرنك)
الكاثوليك	310.000	920.100	2.93
البروتستانت	7.500	83.100	11.08
اليهود	35.665	26.100	0.731
المسلمين	2.842.497	216.340	0.076

كما تجدر الإشارة إلى أن هذا المبلغ التمويلي، هو مبلغ لتسديد رواتب العمال فحسب، فلم تولِ اهمية قط لجانب الهياكل القاعدية للكاتيب، كإعادة الترميم أو ابتياع وسائل جديدة، رغم المبالغ الباهظة التي تصل للاستعمار من قبل الضرائب التي تفرضها على الجزائريين عكس بقية المعمرين من مختلف الديانات.

هذا التضييق لم يتوقف عند الجانب المادي فحسب، بل تعداه إلى إخضاع الكتاتيب إلى الرقابة والتفتيش وكان ذلك بموجب قانون (30 أكتوبر 1886) واكده المرسوم الوزاري (15 ديسمبر 1906)، حيث جعلت الخضوع للرقابة يختص بالنظافة وعدم تقديم محتويات يرفضها الاستعمار، وعدم تجاهل الالتزامات المفروضة والمعلومات المقدمة، هذا إلى جانب رفض انشاء كتاتيب أخرى إلا بعد استلام الترخيص من قبل السلطات الفرنسية، كما شددت على عدم العمل في الفترة التي تتزامن مع تقديم الدروس في المدارس الفرنسية لصالح الأهالي. إلا أن الكتاتيب في غالبها لم ترضخ لهكذا ضغوط وبقيت تواصل عملها من أجل بناء جزائر الغد.

كما استعانت فرنسا بجذب بعض أشباه رجال الدين لها وإغرائهم بالهدايا والمال بغرض استمالتهم وتقديم يد العون لها بغرض تحقيق أغراضها بطريقة أسهل وكان هدفها نشر الجهل والأمية، والسحر والشعوذة، والانشغال بالأمور الخرافية والميتافيزيقية في أوساط الجزائريين، عن طريق أشباه رجال الدين، وبالتالي صرف اهتمامهم عن الأسس السليمة للعقيدة الإسلامية، كما عمدت فرنسا أيضا إلى نفي رجال الدين الصالحين خارج البلاد، لعدم انصياعهم للأوامر، كما كان الحال مع المفتي مصطفى [16]

بحيث شكل نفيه مشكلة عويصة، أدخلت الأطفال بعدها في دوامة الجهل والأمية وعدم التمكن من اللغة العربية السليمة.

كما كانت فرنسا تشن خرجات رقابية للمساجد والكتاتيب وتقتحمها دون وجه حق، وتدوس الكتب والمصاحف، وتنكل بمعلميها، مضطهدة طلابها، وهذا ما حدث مع الشيخ العقبي في جامع الجديد وفي نادي الترقي، بحيث اتهمته بنشر الجهل والخرافات[17]

كما لم تغفل فرنسا على إصدار قرارات قضائية لضرب الكتاتيب، وذلك مذ وطأت أرجلها القذرة الجزائر، بحيث وضعت يدها على الأوقاف الاسلامية في (8 سبتمبر 1830)، مستغلة في ذلك الكتاتيب والزوايا لما كانت تحويانه من كم هائل من المخطوطات التي تمثل أصالة وعراقة تاريخنا.

نصل إلى أن السياسات الفرنسية استمرت في محاولاتها إلى توجيه الكتاتيب لخدمتها، نظرا لما كانت تتمتع به من قوة ومكانة شعبية، فسعت إلى توجيهها لخدمتها عن طريق تسمية شيوخ كالتأنيب والتضييق عليهم، في حين استطاعت أن تستفيد من بعضها، وعجزت على إحكام قبضتها وسيطرتها على أغلبها، إذ لم ترضخ لها ولمضايقاتها مما أدى إلى تقلص وتراجع دورها.

المنهج التعليمي في الكتاتيب: إن المنهج المتبع في الكتاتيب كان يعتمد التعليم الشفوي بقراءة القرآن من طرف المعلم وتكراره من قبل المتعلمين، بداية من تعليم

الحروف. بحيث كان يجلس الطلاب على شكل حلقة يتوسطهم الشيخ، ليملي عليهم أجزاء من القرآن الكريم، يكتبونها على الألواح الخشبية، المطلية بالصلصال وأقلام من الخشب وصمغ مصنوع من الصوف المحترقة، وبعد كتابته وتصحيحه في الفترة الصباحية، يتم التمرن على حفظه في الفترة المسائية، إلى أن يحفظوه، ثم يمحونه ليكتوبوا جزءا جديدا وهكذا دواليك. حتى يأتوا على سور القرآن الكريم كلها. (18)

وقد كان لمعلم القرآن هيبة خاصة في نفوس متعلميه، إذ كان يتصف بحفظه للقرآن الكريم، واتقان اللغة العربية، وعلوم اللسان، ومحافظ على الهوية من خلال زيه التقليدي الإسلامي الذي يعبر به عن أصالة التاريخ، وما عمله هذا إلا تطوعا لخدمة الوطن والشريعة الإسلامية، ويصف لنا الناقد عامر مخلوف مسيرة التعليم في الكتاتيب بقوله: « كان الواحد من الحرس القديم (حفظة القرآن) ينهض باكرا بثيابه الرثة ومعدته الفارغة في حر الصيف كما في عز الشتاء، يتوجه إلى الكتاب وعيناه على عصى الفقيه وعواقب الفلقة، يذرع اللوحة من أعلاها إلى أدناها مندفعا بكامل جسده، في حركة دائمة إلى الأمام وإلى الوراء، يلجلج الآيات القرأنية وسط جلبة القناديز، وضجيجهم وهم من أعمار مختلفة وأصوات متفاوتة جلوسا ساعات على حصير أحرش بال، وكلما ختم حزبا أو نصفه، صلصل اللوحة وزينها بتعرجات السمق، وخرج على الناس مزهوا بشهادته التي لا تمنحه منصبا عال يدر عليه ربحا ماديا، إنما تمنحه تميزا ما يسعده من الاحترام والتقدير» (19)

أساليب تعلم اللغة العربية في الكتاتيب: إن تعلم اللغة العربية يكون باتباع أسلوب التدرج، إذ على الطالب أولا أن يتعرف على الحروف العربية وطريقة نطقها وكتابتها والجدول التالي يوضح لنا طريقة تلقين الحروف:– (20)

الحروف	النطق	تحفيظ للترسيخ	أوصاف الحرف	مجموعة الحرف
أ	ألف	لاشان عليه	مطيرق	1
ب	باء	وحدة من تحت	أثينة	3
ث	ثاء	ثلاثة من فوق	ثنية	2
ت	تاء	زوج من الفوق	ثنية	2
ج	جيم	وحدة من التحت	مخيطف	3
ح	حاء	لا شان عليه	مخيطف	21
خ	خاء	وحدة من فوق	مخيطف	1
د	دال	لا شان عليه	بوجناحين	2
ذ	ذال	وحدة من فوق	بوجناحين	1
ر	راء	لا شان عليه	معرق	2
ز	زاي	وحدة من فوق	معرق	1
ط	طاء	لا شان عليه	بوقرن	1
ظ	ظاء	وحدة من فوق	بو قرن	2
ك	كاف	لا شان عليه	بوجناح واحد	1
ل	لام	لا شان عليه	معرق	1
م	ميم	لا شان عليه	دويرة	1
ن	نون	وحدة من الفوق	معرفة	2
ص	صاد	لا شان عليه	مزود	12
ض	ضاد	وحدة من فوق	مزود	2
ع	عين	لا شان عليه	فم الديب	1
غ	غين	لا شان عليه	فم الديب	2
ف	فاء	وحدة من فوق	أم رقيبة	2

ق	قاف	زوج من فوق	بو رقيبة	2
س	سين	لا شان عليه	ثلاث سنينات	1
ش	شين	ثلاثة من فوق	ثلاث سنينات	1
و	واو	لا شان عليه	ام كرشتين	1
ه	هاء	لا شان عليه	معرق/ بوطيطة	1
لا	لام	لا شان عليه	بوقحيحة	1
ي	ياء	زوج من تحت	مكورة معرقة	3
ء	همزة	لا شان عليه	مردودة	1

-جدول الحروف العربية المتدارسة في الكتاتيب-

من خلال الجدول التالي نستشف مجموعة من الملاحظات:

أن الشيخ (معلم الكتاتيب) يتبع طريقة معينة في تعليمه الحروف لطلبته، وقد قسم الحروف العربية لثلاث أصناف:

- حروف لا يلحق بها أي شيء لا من الأسفل ولا من الأعلى وعددها 15 حرفا وهي تشمل نسبة 50% من حروف الهجاء. مجموعتها حسب الجول رقم(1)؛

- حروف ملحقة بنقاط من أعلاها، ويبلغ عددها 12 حرفا، ونسبتها هي 40% ومجموعتها(2)؛

- حروف ملحقة بالنقاط من الأسفل وهي 12 حرفا، تبلغ نسبتها من حروف الهجاء50% ، ومجموعتها رقم(3).

تلعب هذه المنهجية دورا بارزا في ترسيخ الحروف بأذهان المتعلمين بطريقة سهلة وتفصيلية. لأنها مستنبطة من واقعه بطريقة المحاكاة الصورية.

منهجية تلقين الحروف كتابيا: يقدم المتعلم إلى الكتاتيب حاملا معه لوحته وقلمه الخشبي، يسجل حروف الهجاء على اللوح الخشبي ويكررها يوميا حفظا ذهنيا لمدة شهر غالبا، والتي يمسحها حتى يحفظها عن ظهر قلب سورة وكتابة، أما

الجهة الثانية من اللوحة فيستهل المتعلم كتابة البسملة وسورة الفاتحة دون أن يعي الحروف في بادئ الأمر، فيبدأ حفظه شفويا بالتكرار فقط. لأنه لم يكتسب الحروف بعد.

إن المنهجية المتبعة في تحفيظ الحروف بطريقة صورية، لهي أنجح الطرق لأنها مستقاة من واقعه هو. إذ يقرأ الألف (ويقول ألف كي لعصا)، (الجيم كي لمخطاف)...الخ. وهذه أولى عمليات التلقين، ثم يعرج الشيخ بمتعلميه إلى مرحلة ثانية، وهي النطق السليم للحرف، بحيث يصحح الشيخ النطق ويحث على إخراج الحروف من مخارجها الصحيحة، لتحسن قراءة وترتيل القرآن الكريم، أما المرحلة الموالية فتتمثل في الكتابة بحيث يكتب الشيخ لمتعلميه على اللوح ويطلب منهم محاكاة ذلك متبعين مقاييس الحروف وشروطها، بغرض تحسين الكتابة.

ثم تأتي المرحلة الأخيرة وهي قراءة الكلمات، وتبتدئ بتهجئة الحروف رويدا رويدا حتى يصل للكلمة، ومع تكرار ذلك تتحسن مقدرته على القراءة. وتتخلل هذه المرحلة حصص الإملاء لمعرفة مدى اكتسابهم للحروف والكلمات.

الخاتمة: الكتاتيب إشعاع ديني وثقافي برز نورها مذ الأزمنة الغابرة، بحيث توافد عليها طلاب العلم بغاية تلقي العلوم الشرعية وحفظ القرآن الكريم، حققت نتائج إيجابية طيلة مسارها التكويني من قبل شيوخها وجهودهم الجبارة في تنوير أذهان الفرد والمجتمع، أثناء الثورة الاستعمارية وبعدها. ومن خلال ما تم عرضه في الورقة البحثية نصل إلى مجموعة من النتائج نذكر أهمها في النقاط التالية:

- التعليم في الجزائر كان منتشرا قبل الفترة الاستعمارية، من خلال الكتاتيب والزوايا والمساجد؛

- انحصر التعليم في الجزائر، خاصة الحكومي منه بسبب المضايقات الاستعمارية؛

– الكتاتيب هي مراكز تعليمية، ترتبط عادة بالمساجد، تقدم مضمونات دينية وتولي أهمية قصوى لتحفيظ القرآن وتلاوته، والإطلاع على سيرة خير خلق الله محمد صلى الله عليه وسلم؛

– تشابك مفهوم مصطلح الكتاتيب، بمصطلحات أخرى كالزوايا، والمدارس القرآنية، والرباط.. وهذا راجع إلى تشابكها الدلالي، والمجاورة في الأهداف والمحتويات التعليمية؛

– هدف الكتاتيب هو القضاء على الجهل والأمية من خلال، تعليم القراءة والكتابة؛

– انتشرت الكتاتيب في كل أقطار التراب الوطني، لتحقق أكبر استفادة من التعليم؛

– يدير الكتاتيب شيخ متمرس حافظ لكتاب الله، ومتمكن من علوم اللغة، واع بالسيرة النبوية، يمتاز بهدوء المنظر، وصراحة الرأي، وقوة الإيمان، معتزا بوطنيته وعفة لسانه ويكون بمنهى التواضع والوقار؛

– تقوم الكتاتيب من الناحية المالية، على تبرعات الأهالي كما أنها لا تتطلب مبالغ مالية كبيرة، بحيث تردها الصدقات والأوقاف، التي ترد من الأتباع ويقوم الشيخ متطوعا للتدريس؛

– لعبت الكتاتيب دورا مهما في الحفاظ على مقومات ووحدة الأمة الدينية والوطنية؛

– عانت الكتاب من السياسات القمعية الاستعمارية، التي كانت تقتحم دور التعليم وتخرب وسائله، تعتقل طلابه، وتنفي شيوخه، بتهمة نشر الخرافات والخزعبلات، والدعوة إلى تتبع طقوس السحر والشعوذة؛

– تمكنت المصالح الاستعمارية من استمالة بعض أشباه شيوخ الدين إلى جانبها واتخذتهم كمعينين لها في التنفير من التعلم في الكتاتيب، وترويضهم على المصالحة

مع الثقافة الفرنسية، لكن هذا التيار فشل في غالبه وتعرض لمعارضة شعبية ومقاومة الشيوخ المخلصين لوطنهم لها؛

– تعتبر الكتاتيب مركز الإشعاع العلمي ومنابع الهداية، وحصونا منيعة تحفظ هوية الأمة من جميع أشكال البدع والدمار؛

– احتضنت الكتاتيب اللغة العربيةــ وعملت على نشرها بشكل واسع ومكثف بحيث فتحت الكتاتيب أبوابها لطلبة العلم والمعرفة؛

– لم تتخل الكتاتيب عن دورها في مقاومة الاستعمار، أذ كانت تحث في كل مناسبة على الجهاد في سبيل الاستقلال، ورفض كل أشكال الاستعمار، من فرنسة وثقافة ودين..الخ؛

– كان الانتقام الفرنسي في حق الكتاتيب، بالقتل الجماعي والحرق لمراكز الكتاتيب، كما نفت أعيانا وشيوخ الكتاتيب إلى كاليدونيا الجديدة بعد أن حكمت عليهم بالإعدام.

في الختام نقول أن الكتاتيب منبر علمي مهم في المجتمعات المسلمة، لأنها تسهم دوما في تمسك الناس بعقيدتهم السمحة، و تقربهم من لغتهم العربية من خلال تعليمهم القراءة والكتابة، وفقه اللغة والنحو والصرف، وبالتالي يتوحد حفظ القرآن باللسان العربي، فينشئ جيل قرآني يحفظ هويته الإسلامية ويعتز بقوميته العربية محافظا على عاداته وتقاليده التي لا تتعارض مع أسس دينه القويمة.

قائمة المراجع:

- ابراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، دار الدعوة، 2010.
- أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، طبعة خاصة، دار البصائر الجزائر ج2، 2007.
- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي 1830/ 1954، دار البصائر الجزائر، ج1 2007.
- أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر- تاريخ الجزائر إلى يومنا هذا وجغرافيتها الطبيعية والسياسية وعناصر سكانها ومدنها- الجزائر1931.
- أحمد توفيق المدني: هذه الجزائر، طبعة خاصة من وزارة المجاهدين، علم المغرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2020.
- البشير الإبراهيمي: آثار البسير الإبراهيمي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ج3، 1982.
- بكراوي عبد العالي، مرشدي الشريف: دور المدارس القرآنية / الكتاتيب في الحد من ظاهرة العنف : مخبر الوقاية والأرغنوميا، ع 4، جامعة الجزائر2، 7/ 8 ديسمبر 2011.
- بوفلجة غياب: التربية ومتطلباتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984 .
- رابح تركي: التعليم القومي والشخصية الوطنية الجزائرية 1956/1931، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981.
- صالح فركوس: إدارة المكاتب العربية والإحتلال الفرنسي للجزائر، البصائر الجديدة الجزائر، 2013.
- عامر مخلوف الشروق: الكتاتيب القرآنية أنجبت أفذاذ الجزائر في عصر الاستعمار وحطمت حملات التجهيل والتنصير، جريدة الشروق اليومي، 13مارس 2015، ينظر الرابط www. Aljazaires.com
- عبد الحميد عومري: التعليم الإبتدائي في الجزائر بين المدرسة الفرنسية والكتاتيب القرآنية (1880_ 1914)، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، جامعة الجيلالي ليابس سيدي بالعباس، ع08.

- عبد الرحمن بن أحمد التيجاني: الكتاتيب القرآنية بندرومة من 1900 إلى 1977 ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر،1983.

- عبد الله ركيبي: الشعر الديني الجزائري الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1981.

- محفوظ سماتي: الأمة الجزائرية نشأتها وتطورها، تر: محمد الصغير بناني، عبد العزيز بوشعيب، منشورات دحلب.

- محمد بن سحنون: آداب المعلمين، مطبعة ش ون ت، الجزائر، 1972.

- مصطفى زائد: المؤسسات التربوية القديمة بالجلفة، مجلة ثقافة، ع93، شعبان رمضان 1406، ماي جوان1986، الجزائر.

- وزارة الشؤون الدينية والأوقاف: ظاهرة الغلو في التكفير-إشكالية العنف المصطلح والمفهوم-، مدونة الإقراء الجزائرية، الجزائر، ع5، نوفمبر2007.

- يحي بوعزيز: مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999.

- Luis Rinn, marabouts et khouans étude sur l'islamen en algérie, Adolphe Jourdan, alger.

الهوامش:

1. بتصرف: محمد بن سحنون: آداب المعلمين، مطبعة ش ون ت، الجزائـــر، 1972، ص 64.

2. وزارة الشؤون الدينية والأوقاف: ظاهرة الغلو في التكفير- إشكالية العنـــف، المصـــطلح والمفهوم-، مدونة الإقراء الجزائرية، الجزائر، ع5، نوفمبر2007، ص57.

3. ينظر: بكراوي عبد العالي، مرشدي الشريف: دور المدارس القرآنية / الكتاتيب في الحـــد من ظاهرة العنف : مخبر الوقاية والأرغنوميا، ع 4، جامعة الجزائـــر2، 7/ 8 ديســـمبر 2011 ص 3.

4. عبد الرحمن بن أحمد التيجاني: الكتاتيب القرآنية بندرومة من 1900 إلى 1977، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر ،1983، ص 80.

5. رابح تركي: التعليم القومي والشخصية الوطنية الجزائرية 1956/1931، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981، ص 239.

6. عبد الله ركيبي: الشعر الديني الجزائري الحديث، الشـــركة الوطنيـــة للنشـــر والتوزيـــع الجزائر 1981، ص 30

7. ابراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، دار الدعوة، 2010، ص 281

8. أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر- تاريخ الجزائر إلى يومنا هذا وجغرافيتها الطبيعيـــة والسياسية وعناصر سكانها ومدنها- الجزائر1931، ص 91

9. البشير الإبراهيمي: آثار البسير الإبراهيمي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيـــع، الجزائـــر ج3، 1982، ص23

10.ينظر: بوفلجة غياب: التربية ومتطلباتها، ديوان المطبوعات الجامعيـــة، الجزائـــر 1984 ص 27.

11.أحمد توفيق المدني: هذه الجزائر، طبعة خاصة من وزارة المجاهدين، علم المغرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2020، ص 385.

12.محفوظ سماتي: الأمة الجزائرية نشأتها وتطورها، تر: محمد الصغير بناني، عبـــدالعزيز بوشعيب، منشورات دحلب، 209- 210.

13.صالح فركوس: إدارة المكاتب العربية والإحتلال الفرنسي للجزائـــر، البصـــائر الجديـــدة الجزائر، 2013، ص256.

14.Luis Rinn, marabouts et khouans étude sur l'islamen en algérie, Adolphe Jourdan, alger, p50

15.عبد الحميد عومري: التعليم الإبتدائي في الجزائر بين المدرسة الفرنسية والكتاتيب القرآنية (1880_ 1914)، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، جامعة الجيلالي ليابس سيدي بالعباس، ع08، ص17.

16.ينظر: أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، طبعة خاصة، دار البصائر الجزائر، ج2، 2007، ص 25.

17.ينظر: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي 1830/ 1954، دار البصائر الجزائر ج1، 2007، ص43.

18.ينظر: يحي بوعزيز: مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص129.

19.عامر مخلوف الشروق: الكتاتيب القرآنية أنجبت أفذاذ الجزائر في عصر الإستعمار وحطمت حملات التجهيل والتنصير، جريدة الشروق اليومي، 13مارس 2015، ينظر الرابط: www. Aljazairess.com

20.مصطفى زائد: المؤسسات التربوية القديمة بالجلفة، مجلة ثقافة، ع93، شعبان رمضان 1406، ماي جوان1986، الجزائر، ص ص 125/ 129.

دور الكتاتيب في صون اللسان العربي وتعاليم الدين الإسلامي ندرومة "انموذجا"

داه. تراس عائشة

جامعة أحمد بن بلة 1، وهران

ملخص: لاشك بأن حرمان الشعب الجزائري من التعليم من قبل السلطات الاستعمارية جعلته يلتف حول المساجد والمدارس القرآنية والكتاتيب والزوايا لإشباع نهمه من مختلف المعارف التي رفعت عنه الجهل وحاربت البدع وحررت عقله، ولقد عرفت هذه المؤسسات التعليمية انتشارا واسعا بفضل جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وخاصة بالغرب الجزائري الذي عرف تواجد هذا النوع من التعليم الحر ونخص بالذكر كتاتيب ندرومة التي لازالت موجودة لتثبت الدور الذي لعبته هذه الكتاتيب في المحافظة على الثوابت الوطنية كصون عروبته وتوحيد لسانه وحماية مقدساته الإسلامية. فكيف تجسد دورها محليا؟ وما اثر ذلك على الصعيد السياسي والاجتماعي والثقافي؟ والى أي مدى أسهمت في صون الشخصية الإسلامية الوطنية؟ وما هي أهم العوائق التي تهدد هذا النوع من التعليم؟ وكيف يمكننا التصدي للتحديات التي تواجهه في ظل التطور التكنولوجي والغزو الثقافي؟

المقدمة: سعى المحتل الفرنسي إلى طمس هوية الشعب الجزائري بشتى الطرق والوسائل مستهدفا بالدرجة الأولى التعليم العربي الحر في الجزائر، منذ وطأت فيها أقدامه الجزائر اتجه إلى الإستلاء على المراكز التعليمية والدينية من مساجد ومدارس قرآنية وكتاتيب وحتى الزوايا لم تسلم من الإدارة الفرنسية، وحاولت هذه الأخيرة فرنسة التعليمي، مما أدى ذلك إلى تدهور وتدني المستوى التعليم أكثر مما كان عليه وانتشار الأمية والجهل والبدع والخرافات بين أوساط المجتمع الجزائري.

ومع بداية القرن العشرين شهدت الجزائر جملة من التغيرات على المستوى الثقافي، أسفرت عن بروز الحركات الإصلاحية من بينها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي سعت جاهدة من أجل تحسين الأوضاع والظروف التعليمية وتوعية الجزائريين ومحاربة السياسة الفرنسية دينيا وثقافيا بواسطة التعليم والقلم من أجل تحرير العقول والمحافظة على الهوية والشخصية الوطنية وإحياء اللغة العربية وغرس روح الانتماء في كل مواطن جزائري بتشجيع المساجد والكتاتيب القرآنية. ومن ثم قامت بتأسيس المدارس الجزائرية في ثلاث قطاعات من بينها القطاع الوهراني الذي استطاعت تغطيته بتوفير المعلمين ومكان الإقامة والدراسة كما وضعت برنامجا مسطرا ومنهجا دراسيا يعود بالفائدة على الطلبة في شتى المجلات، ومن بين المدن التي شدت إليها الرحال مدينة تلمسان حتى وصلت إلى نواحي ندرومة. قصد صون التعليم العربي الحر هناك وتطويق الجهل والأمية ومقاومة الاستعمار. فإلى أي مدى أسهمت كتاتيب ندرومة في صون اللسان العربي وحماية تعاليم الدين الإسلامي؟ وكيف تجسد دورها محليا خاصة على المستوى السياسي والاجتماعي التعليمي؟ وماهي أهم العوائق والتحديات التي تواجه هذا النوع من التعليم؟ وكيف يمكنا التصدي لهذه العوائق؟.

يروم هذا المقال للإجابة على هذه الإشكالية والتساؤلات المطروحة. بهدف التعريف بدور الكتاتيب في الماضي والحاضر وتشخيص المشاكل واقتراح بعض الحلول.

مفهوم الكتاتيب القرآنية: تمثل الكتاتيب أصغر مؤسسة للتعليم وأول مرحلة لها وهي مأخوذة من الكتاب وجمعها الكتاتيب، ووظيفتها الأساسية تحفيظ القرآن الكريم للأطفال وترتيله، ودعت الضرورة إلى تأسيسها منفصلة عن المسجد بغرض المحافظة عليه وعلى نظافته ووقاره، وتوفير للمصلين جو الخشوع المطلوب في أداء الصلوات الخمس[1].

إن طريقة التعيين في هذه الكتاتيب تتم على طريقة الألواح الخشبية، إذا كان لكل طالب أو تلميذ لوحة صغيرة خاصة به، وذلك لتسهيل عليه كتابة القرآن فيها ومحو الحروف منها[2]، وإذا كانت القراءة تتم بالصوت المرتفع. وله أن يحفظ التلميذ أو الطالب جزأه المكتوب على اللوح يقوم بعملية الترتيل على مسامع شيخه إذا كان الجميع يجلسون على الحصير ويشرع الطالب تلو الآخر لترتيل جزئه[3].

وكان الأطفال عندما ينتهون من حفظ القرآن الكريم كاملا يقدم لهم قطعة جميلة من القماش (الكتان أو الحرير) ليخيط ثوبا ليرتديه، أو يقدمون لهم الثوب جاهزا. ومن الملاحظ أن معظم الكتاتيب في القطر الجزائري تتسم بالبساطة في المبنى وفي الطابع العمراني كما عرفت بندرة الإمكانيات وقلتها[4].

وكانت الكتاتيب غالبا منتشرة في جميع الأحياء الجزائرية عبر التراب الوطني وكان الكثير منها عادة ما يحمل اسم الحي الواقع فيه أو اسم الزاوية أو الشارع...[5].

منهاج الكتاتيب في التعليمة: الكتاتيب في الغالب تقع في حجرة واحدة أو حجرات ملتصقات بالمسجد أو بالزاوية يضم ما بين عشرين إلى ثلاثين إناثا وذكورا إذ اعتبرنا أن متوسط عمر الإناث والذكور في الكتاب الواحد يبلغ 25 تلميذا أو طالبا، وهذا ما يفسر لنا ظاهرة انتشار حفظ القرآن الكريم في الجزائر[6].

التعليم في الكتاب اتسم بطابع البدائية التقليدية المعروفة عن الكتاتيب منذ قرون حيث كان يقتصر على تحفيظ القرآن وتلاوته من الذاكرة من أوله إلى آخره، بدون تفسير ولا فهم المعاني وهذه الظاهرة انتشرت في المغرب العربي الإسلامي منذ أيام ابن خلون وقد أشار إليها في مقدمته "فأما أهل المغرب فمنهم من اقتصر على تعليم القرآن فقط وأخذهم بالرسم ومسائله، واختلاف حملة القرآن فيه ولا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعلميهم مخافة أن يختلط القرآن الكريم بشيء من الشعر والفقه وكلام العرب..."[7].

وبالنسبة لطريقة التعلم فإن الأطفال يلتفون حول المعلم ويجلسون على الأرض في شكل دوائر، ويجلسون على الحصا صير والسجاجيد إلا أنها كانت تعتبر بمثابة مقاومة في وجه المستعمر وأساليبه لتغريب الجزائريين وعامة تتحد الكتاتيب في منهج التدريس وحلت محل المدرسة الابتدائية، "حيث لم يكن الاهتمام بتعليم الأطفال في مادون السادسة وكان تعليم المسجد يهتم بالفئة العمرية الصغيرة ونضرب مثالا على ذلك: مساجد قسنطينة كانت قاصرة على تعليم الكبار دون الصغار، فكانوا يوجهون إلى الكتاتيب القرآنية"[8].

موقف السلطات الاستعمارية من الكتاتيب: لم يتعرض رجال الاحتلال في السنوات الأولى لحركة التربية والتعليم التي وجدوها في الجزائر قبل دخولهم إليها بطريقة مباشرة لأنهم كانوا مشغولين عنها بعملية إخضاع نواحي البلاد وبسط نفوذهم فيها وسيطرتهم عليها[9].

ولم يكتف الاستعمار بالاستيلاء على البلاد وخيراتها بل تعداه إلى العبث في شؤونها الدينية والتدخل فيها، فأراد أن يتدخل بين علاقة المعبود وعباده وبين المسلم ومعتقداته. وكان المراد من ذلك القضاء على اللغة العربية والقرآن الكريم[10]. وفي هذا النص نذكر فيه على سبيل المثال لا الحصر القوانين التي فرضتها السلطات الاستعمارية قصد التضييق على التعليم العربي الحر. أصدر الجنرال يبرون "Debour Mont "قرارا ينص على وضع اليد على الأوقاف الإسلامية وفي السنة نفسها أصر الاحتلال الفرنسي على قانون يكمل القانون الذي قبله ينص على الحق في التصرف في الأملاك الدينية". ولما كانت الأوقاف المصدر الأساسي لتمويل التعليم العربي الحر، فإن التحكم فيها من قبل الإدارة الفرنسية يع ضربة قوية لهذا التعليم.

ومن نتاج هذه القوانين الجائرة التعسفية يعد إلى تقليص المدارس والكتاتيب والمساجد

وتدهور التعليم أكثر مما كان عليه وتفشي ظاهرة الأمية في أوساط الجزائريين وهذا ما يؤكده جينفور ميستير faumestance بقوله: "لقد فرطنا في تعليم الأهالي حتى نزل إلى مستوى أدنى بكثير مما كان عليه قبل الاحتلال"[11].

وقد خلفت هذه القوانين تأخر وعرقلة التعليم العربي الحر، وتحول الصراع بين جمعية علماء المسلمين والسلطات الفرنسية صراعا ثقافيا[12].

وكان القصد من تلك الحرب القضاء على اللغة العربية وبذلك محو وطمس الثقافة العربية الإسلامية واستبدال التعريب بالتغريب[13].وعبرت السلطات الفرنسية عن موقفها من الكتاتيب بزج العلماء في السجون التي امتلأت بهم وكأنهم مجرمين، وأغلقت في وجوههم آفاق التعليم، ناهيك عن الغرامات المالية التي فرضت عليهم. وكتب مصطفى الجيجلي أحد أساتذة التعليم الحر يشكو من ذلك بقوله: "في هذا الوقت وقت التقدم والنهوض وفي هذا العصر، عصر النور والمدنية والحضارة، وفي هذا الجو، الذي تتنسم فيه الشعوب، بنسيم الحرية وتتمتع بالاستقلال يساق المعلم الحر ويحاكم مع أصحاب الإجرام"[14].

ومن خلال ما سبق نستطيع القول أن القوانين التعسفية التي فرضتها السلطات الاستعمارية كانت لها نتائج وخيمة على المجتمع الجزائري، ونخص بالذكر الواقع الثقافي التعليمي الذي تكبد خسائر كبيرة وفي مستهلها نقص فاحش في نسبة المتعلمين وانتشار الأمية والجهل وانعدام التعليم وانتشار الخرافات والبدع

وليس هذا فحسب بل قابله نقص في الإمكانيات المادية والتجهيزات الراسية التي لم تتوفر على أدنى شروط التعليم، وعرقلة سير التقدم العلمي أسلوبا وأداء.

وأمام هذا كله وقفت جمعية علماء المسلمين ندا قويا للسلطات الاستعمارية فانتهجت منهاجا موحدا في جميع الكتاتيب والمدارس التي أطرتها عبر التراب الوطني أثناء الحقبة الاستعمارية.

وهذا ما سنتطرق إليه في هذا المقال الذي يظهر موقف جمعية علماء المسلمين من خلال دورها في نشر التعليم ومحاربة الأمية في القطاع الوهراني نرومة تحديدا.

التعريف بموقع مدينة ندرومة جغرافيا بإيجاز: تقع مينة ندرومة في ولاية تلمسان بالغرب الجزائري، وهي تبعد عن البحر الأبيض المتوسط بنحو 6 كلم يحدها شمالا مرسى الغزوات التجاري وشاطئ سيدنا يسوع عليه السلام وتبعد عنها بنحو 18 كلم وجنوبا جبل فلاوسن الذي يبلغ ارتفاعه 1136م، وشرقا مدينة تلمسان وتبعد عنها بنحو 60كلم، أما غربا مدينة وجدة المغربية وتبعد عنها بمسافة 60 كلم. وترتفع ندرومة عن سطح البحر بنحو 650م[15].

عدد سكان مدينة نرومة: بلغ عدد سكان مدينة تلمسان ونواحيها 22577 حسب إحصائية 1886م وعدد المنازل 3690 وعدد البيوتات 22477، أما مساحتها الإجمالية تقدر بنحو 63588 هكتار. وأما الإحصائية التي قامت بها بلدية ندرومة عام 1966م فكانت كالتالي: المساحة الإجمالية 140 كلم^2 وعدد سكان المدينة وحدها 13814 نسمة ونسبة النمو بها 3.5 مئوية وقد أصبحت ندرومة الآن بعد التقسيم الولائي الجديد دائرة وتشتمل على ثلاث بلديات:

1- بلدية ندرومة، ومقرها المدينة نفسها.
2- بلدية الجبالة، ومقرها الحوانت.
3- بلدية فلاوسن، ومقرها المهراز[16].

الكتاتيب ندرومةعددها ومساحتها: سجل الكاتب الفرنسي رينيي باست "renebasset" 118:" كتابا ومساجد توجد في مدينة ندرومة ونواحيها في مطلع القرن العشرين "وهي على النحو التالي[17]:

النواحي	المجموع
ندرومة المينة	10
سواحلية	13
زاوية الميرة	03
جبالة	06
مسيفة	07
العيون	07
زاوية اليعقوبي	02
بني منير	04
ولا سيهم	09
ولا حسنة	06
بني شعبان	05
ولا يشو	07
بني مسهل	12
السوامرية	10
بني خلا	13
بني عاب	04
المجموع	118

حجم الكتاتيب وعدد التلاميذ: مساحة الكتاب فيها تختلف بين الكتـــاب والآخـــر ذلك أن البعض منها يقوم بور التعليم فقط والبعض الآخر بتعليم الصلاة، والغالـــب

على الكتاب أنه يشتمل على أربع حجرات: واحدة لتعليم الصبيان، والثانية سكنا للطلبة الآفقين[18]، والثالثة للصلاة، والرابعة للمؤونة والأدوات.

عقب عب الرحمن طالب ابن أحمد التيجاني على قول تركي رابح عندما ذكر الكتاب وقال: "في الغالب يقع في حجرة واحدة أو حجرتين مفتوحتين إحداهما على الأخرى[19].

فأضحى يقول الكتاتيب التي ذكرها تركي رابح كتاتيب صغرى التي لا تقام فيها الصلاة ولا تستقبل الطلبة الآفقين. أما الكتاتيب الكبرى في المدن أو البادية فإنها تفوق الحجرتين[20].

التعليم في كتاتيب ندرومة: من النقاط التي يدور عنها الحديث بين الآباء والمعلمين، وبين إدارة التعليم والأولياء، عن السن المقررة للأطفال حتى يلتحقوا بالكتاتيب. وقد يرى الأولياء أن تسجيل أولادهم في سن مبكرة قد يرجع عليهم بالخير والسبق والتقدم، في حين يرى بعض المدربين والمؤطرين خلاف ذلك نذكر منهم محمد أسعد طراز: "وينبغي للطفل أن يمتثل في سنة غير مبكرة في الإقراء ودليله في ذلك أن السلف الماضين –رضي الله عنهم– إنما كانوا يقرءون أولادهم في سبع سنين، لأن في تلك السن يأمرون الصبي بالصلاة وبالآداب الشرعية فإذا كان الصبي في تلك السن يحتاج إلى تعليم أمور دينه فمن باب أولى أن يأتي به وليه إلى الكتاب في السنة نفسها.[21]

شروط قبول المعلم بالكتاب بمدينة ندرومة: المعلم الذي نصب نفسه لتربية الأجيال الصاعدة واختار مهنة التعليم لابد أن يكون قدوة حسنة لتلامذته لأن التلميذ يتأثر بمعلمه خلقيا وشكليا أي: من حيث هندامه، بل حتى المحيط الذي يعيش فيه.

فمن بين الشروط التي استقر عليها سكان مدينة ندرومة في اختيار المعلم الذي يدرس أبناءهم في الكتاتيب نذكر منها: أن يكون حافظا للقرآن الكريم كله، وعن ظهر قلب، ويعرف بعض الأحكام القرآنية التي تتعلق بالرسم القرآني والتجويد وبعض مبادئ الفقه، والأخلاق الحسنة... وثمة شرط آخر لا يقل أهمية عن باقي

الشروط المذكورة، ألا وهو الزواج فالمعلم الأعزب بالكتاتيب نادر الوجـود، إذ أن الزواج وسيلة من وسائل تحقيق العفة والطهارة ، كما اشترطوا العمر الذي لايقل أهمية لأنه يلعب دورا في تحقيق راحة البال لأولياء الطلبـة فـي نظـرهم كـأن يتجاوز الثلاثين من عمره[22].

كما أشار إلى تلك الشروط محمد بن سحنون فقال: "أن السلف الصالح –رضي الله عنهم–، كانوا يشترطون على المعلم أن يتخلى عن كل شيء من أجـل مهنتـه وأن يستغل أوقات فراغه في النظر في ما يعود على التلاميذ بالنفع والفائـدة فـي تعليمهم ومراقبة غدوهم ورواحهم، كما فرضوا عليه أن يساوي في التعلـيم بـين الأشراف والفقراء"[23].

;وفي الحقبة الاستعمارية فرضت على معلمي الكتاتيـب شـرطا آخـر وهـو الحصول على رخصة من الإدارة الفرنسية حتى يتسنى لـه التـدريس بالكتاتيـب والمدارس القرآنية قصد التضييق ومحاصرة التعليم العربي الحر في الجزائر، لأن القرآن يعد المصدر الأساسي للتعليم . وترى السلطات الفرنسية أنه المنبه الأعظـم لشعور الجزائريين وبذلك تسعى جاهدة لمنع تعليمه.[24]

الدور التعليمي لجمعية العلماء المسلمين في تلمسان: عملت جمعيـة العلمـاء المسلمين منذ دخولها إلى مدينة تلمسان مطلع الثلاثينات على محـورين أساسـين هما: نشر العلم والنشاط الإصلاحي الديني؟ من أجل المجابهة والتصدي للمـدارس الفرنسية ومحاربة سياستها التغريبية التي اعتمدت على فرنسـة التعلـيم وسياسـة التنصير على المستوى الديني، وربط المتعلمين بهويتهم العربية الإسـلامية ورفـع الجهل والتجهيل عن عامة الناس وبهذا المنهج تكون الجمعية قد تمكنت من تحصين المجتمع الجزائري والقطاع الوهراني فكريا ودينيا. وأسهمت في بلـورة الـوعي السياسي ونشر الوعي تحضيرا للاستقلال مستقبلا [25]

ومن بين الأسباب التي دفعتها من لإنشاء المدارس غيـر الأسـباب التربويـة الثقافية الإصلاحية مواجهة التمييز العنصري الذي شهده الجزائريون في المـدارس

الفرنسية رغم قلة الإمكانيات والظروف الصعبة الذي عرفته الجزائر آنذاك على كافة الأصعدة[26]؟

في ظل هذه المستجدات والمتغيرات تأسست دار الحديث بتلمسان سنة 1937م فكانت بدايتها الأولى إلقاء الدروس في النوادي والزوايا الموجودة في المدينة. واستمر الحال على هذا النحو ما يقارب أربع سنوات إلى غاية 12 فبراير 1936 م حيث تمّ وضع الحجر الأساس للمدرسة. وأهم ما أعتمد فيها كبرنامج تعلمي أن خصصوا مركزا للغة العربية يضم ثلة من الأساتذة في مقدمتهم " البشير الإبراهيمي"، " مولاي الحسن البغدادي[27]؟. وفيما يتعلق بالمواد التي درست فيها الحديث، الفقه، التفسير الآداب، الفرائض، التجويد، المنطق، البلاغة، النحو العقائد.... إلخ .

وبالرغم من الغلق الذي تعرضت له في 04 أوت 1939 م عادت لتفعيل دورها من" جديد بتاريخ 29 ماي 1956 [28]

إن التجربة التعليمية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالتراب الوطني هدفت إلى مواجهة الأمية بمدينة تلمسان على غرار باقي مدن القطاع الوهراني، فلقد أخذت على عاتقها التصدي للإدارة الفرنسية واستغلالها للطرق الصوفية وتشجيعها لهم في نشر البدع والخرافات التي نخرت عقول الجزائريين وشوهت الدين الإسلامي عن طريق الوسائل التي وفرتها السلطات الاستعمارية المادية والدعائية خدمة لمصالحها.[29]

الأهداف التي جسدتها كتاتيب ندرومة على المستوى التعليمي الثقافي والاجتماعي:

أولا: المستوى التعليمي الثقافي:

_ تحفيظ القرآن الكريم وتعليم مبادئ الدين الإسلامي وأسسه.

_ المحافظة على الشخصية الوطنية والمقومات الثابتة للشعب الجزائري.

_ محاربة البدع والخرافات التي ألحقتها الطرفية بالدين الإسلامي بتعليم عامة الناس والطلبة الفرائض وأصول العقيدة الصحيحة.

_ تعليم اللغة العربية باعتبارها أحد مقومات والثوابت الأساسية التي تعتبر من رموز التاريخية والهوية الثقافية للأمة العربية الإسلامية والمجتمع الجزائري[30]؟

المستوى السياسي: وجدت الكتاتيب بمدينة ندرومة إقبالا من طرف أهل المنطقة على مختلف التجمعات السكانية، نظرا للدور الذي لعبته على غرار المؤسسات الدينية الأخرى، حي بذلت قصارى جهدها في تحصين المجتمع الجزائري من السياسات الفرنسية الإغرائية في سبيل القضاء على خصوصيات الشعب الجزائري بشتى الطرق والوسائل.

من بين الانعكاسات الإيجابية التعليم في الجزائر تكوين نخبة مثقفة أسهمت في تغيير أوضاع المجتمع الجزائري. برزت هذه النخبة مع نهاية القرن التاسع عشر وتكونت في المدارس الثانوية وغيرها من المعاهد الفرنسية، حيث أن هذه النخبة نشأت على هامش مجتمعين متناقضين المجتمع الفرنسي الذي يرفضهم لعدم توفرهم على الشروط اللازمة ليكونوا كالإنسان الفرنسي في دينه وأخلاقه وعاداته، والمجتمع الجزائري الذي يعاني ويلات الاحتلال الفرنسي المتعددة[31] ومن بينها غلق المعابر الثقافية بين الجزائر ودول الجوار، مما اضطر هؤلاء إلى الانتقال ولو بصعوبة إلى المراكز الثقافية كالأزهر وجامع الزيتونة لإتمام دراستهم[32]، وبالفعل كان لهم ما يصبون إليه وأتمّ البعض منهم دراسته وقدر لهم أن يلعبوا دورا حيويا ليس في المنطقة فحسب ، بل تعداه إلى الإسهام في تشكيل الحركة الوطنية الجزائرية فيما بعد.؟ ومن بين هؤلاء النخب نذكر محمد بن رحال ولد بندرومة في 17 ماي 1857، وهو الوجه السياسي والثقافي الذي برز خلال الفترة الاستعمارية خاصة قبل تكوين الحركة الوطنية الجزائرية . قال جول فيري فيه:" ...أنه معبر ومستقل أيضا، وهو خصم شرس لسياسة الإدماج وكان مدافعا بليغا عن العرب والإسلام"[33]؟

من خلال ما سبق نخلص إن الاحتلال الفرنسي لم ينجح في تجريد المجتمع الجزائري من هويته ولغته ودينه وعروبته ووطنيته. بفضل انتشار الكتاتيب والمدارس والزوايا التي أبلت بلاء حسنا في مواجهة الاستعمار الفرنسي وتنبيه الجزائريين وتوعيتهم وكشف الوجه الحقيقي للإدارة الفرنسية

دور كتاتيب ندرومة في صون اللسان العربي من الاندثار والتغريب:

تسعى الكتاتيب في القطر الجزائري إلى حماية اللغة العربية والذود عنها وحمايتها من الطمس والاندثار عامة وندرومة خاصة. في ظل الظروف التي عرفتها الجزائر أثناء التواجد الاستعماري ومحاولته فرنسة المجتمع الجزائري والقضاء على مقوماته الشخصية وهويته العربية الإسلامية بكل الوسائل والطرق منها ما شملت الترغيب والترهيب، إلا أنه وجد مقاومة من قبل مؤطري كتاتيب والمدارس القرآنية الذين برمجوا اللغة العربية وحفظ القرآن الكريم كمواد يدرسونها لتلاميذهم رغم قلة الامكانيات. ومن بين المواد التي كانت تلقن لطلبة الكتاتيب ندرومة نذكر:

أولا:الخط: يراد به معرفة الحروف الهجائية التي تبدأ بالحرف الألف وتختم بحرف الهمزة، وهي عندهم ثلاثون حرفا بزيادة الهمزة ولام الألف وليس المقصود دراسة الخط معرفة الحروف الهجائية بأسمائها فقط، بل معرفتها مركبة مع الكلمات ومحللة منها، بحيث لا يتوقف قط في كتابة أي كلمة عرضت عليه حسب ما يقتضيه الرسم القرآني[34]؟

ثانيا القواعد: القواعد التي تدرس وتلقن بكتاتيب ندرومة هي: قواعد النحو والصرف وقواعد البلاغة بشيء من الاقتضاب والاختصار. أما قواعد الإملاء فيكتفي المعلم بالرسم القرآني، أما فيما يخص قواعد الحساب فهي نادرة قليلا ما تدرس في الكتاتيب، إلا إشارات بسيطة بطريقة بدائية.[35]

ثالثا الحفظ: محفوظات طلاب الكتاتيب تقتصر على القرآن الكريم في البداية حتى يحفظوا جزءا أو أجزاء منه، بل حتى يحفظ القرآن الكريم كله ويستظهره

كاملا عن ظهر قلب ثم بعد ذلك يسمح المعلم لطلابه بحفظ الأحاديث النبوية أو أبياتا من البردة المديح أو أبياتا في التجويد أو الفقه، أو حفظ فقرات من الآجرومية[36].

وطريقة حفظ القرآن بالنسبة للتلاميذ الصغار الذين لا يعرفون القراءة تكون سماعيا، المعلم يلقنهم جملة من القرآن يرددونها عدة مرات، ثم جملة أخرى وهكذا حتى يحفظوا السورة، ثم يعيدون الكرة حتى يقوموا بتثبيتها. وهذه الطريقة برغم قدمها إلا أنها تعد الأمثل في الحفظ والتثبيت، وهناك من المعلمين في عصرنا هذا من يحافظ عليها ويفضلها. أما الذين يتقنون القراءة ويعرفون حروف الهجاء فيحفظون بالسطر أولا، ويعرض على نفسه، ثم سطرين ثم ثلاثة وهكذا حتى يحفظ ما كتب فإذا ما شعر أنه قام بحفظها عن ظهر القلب، وله القدرة على عرضها على معلمه يطلب الإذن منه حتى يستمع له.[37]

دور كتاتيب ندرومة في صون والحفاظ على تعاليم الدين الإسلامي: تهدف الكتاتيب القرآنية أن تحفظ للناس دينهم من تحريف وأن لا تعتريه بعض الشبهات الدخيلة عليه بتعليهم فرائضه والإجابة على استشكالاتهم المتعلقة بأمور دينيهم وتلقين أولادهم دروسا في مجموعة من المواد الدينية نذكر منها:

أولا: تعليم الطلبة القراءات القرآنية: يقول محمد عبد العظيم الزرقاني:" القراءات علم بكيفية أداء الكلمات واختلافها... ثم قال إن المعول عليه في القرآن الكريم إنما هو التلقي والأخذ عن ثقة إماما عن إمام إلى النبي ﷺ[38]"؟ وكتاتيب ندرومة، بل جل الكتاتيب عبر التراب الوطني كلها تعتمد في قراءتها على رواية الإمام ورش عن نافع . فمن المعلوم بالضرورة أن يلقن المعلم طلبته هذه القراءة حتى يتعلم كيف ينطق أو يقول القرآن الكريم، ولا يقع في التحريف واللحن[39]؟

ثانيا الرسم القرآني:

يقول الزرقاني:" رسم المصحف يراد به الوضع الذي ارتضاه عثمان بن عفان رضي الله عنه في كتابة كلمات القرآن الكريم، وحروفه" [40]

فلذلك يقوم معلم الكتاب بتعليم الطلبة الرسم القرآني بطريقة إملاء الكلمات وتصحيح الكلمات وهكذا يتم تدريب وتعليم وتثبيت القرآن حفظا وكتابة

فعلى سبيل المثال لا حصر "فالهمزة تكتب محققة أيضا من جنس حركتها أو تسهل أو تحذف. مثل: الهمزة التي تكتب في السطر" ءآمنوا" والتي تكتب من جنس حركتها فمثلها:" سأل"، "سئل"، "تقرؤه " فإن الهمزة في الكلمات الثلاث كتبت على الألف مرة، وعلى الياء طورا وعلى الواو تارة أخرى. لأنها مفتوحة في الأولى ومكسورة في الثانية، ومهموزة في الأخيرة.[41]

ثالثا التجويد: يتعلم طلبة الكتاتيب فن التجويد بحيث يعطي القارئ للحروف حقها، من النطق ترقيقا وتفخيما ومدا متصلا ومنفصلا، ويجب عليه أن يخرج الحروف الهجائية من مخرجها الصحيح، والتجويد ليس هو الإفراط في المد ورفع الصوت مع إهمال مخارج الحروف وصفاتها، بل هو إعطاء القارئ وتوجيهه وتعلمه مطلوب أكيد.[42] وهذا ما يجده الطالب في الكتاتيب والمدارس القرآنية.

رابعا السير والتوحيد والعبادات: غالبا ما يدرس الطلبة في الكتاتيب على يدي معلميهم سيرة الرسول ﷺ، وبعض سير الرسل الآخرين الذين ذكرهم القرآن الكريم كما كانوا يتعلمون ما ينفعهم في المسائل العقائدية كتوحيد الله وتعليمهم بعض الفرائض كإقامة الصلاة.[43]

التحديات التي تواجه التعليم العربي الحر في الوطن العربي العولمة أنموذجا: تعتبر العولمة فلسفة شمولية تستغرق كل شيء وليست مجرد ظاهرة اقتصادية أو تكنولوجية، بل هي: "عولمة الزمان"، وبهذا تكون العولمة نظاما عالميا جديدا يهدف إلى خلق مجتمعات غير متكافئة، يقصد من خلالها الطرف الأقوى إخضاع الطرف الآخر للتبعية الاقتصادية والسياسية والعلمية الفكرية. ومما ساعده على ذلك قابلية الاستعمار الذي خلفه الاستعمار التقليدي، الذي حوله وضعف ثقته في نفسه فصار حمالا لكل مظاهر النقص والقصور والتخلف، وبذلك يمهد للتبعية اللامحدودة.[44]

ومن هذا المنطلق سنقف على أهم التحديات التي عرقلت صيرورة التعليم العربي الحر.

الجدير بالذكر أن هناك مجموعة من التحديات منها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتعليمية، فيروم هذا المقال تسليط الضوء على التحديات السياسية والتعليمية والحلول الممكنة لإعادة تفعيل دور الكتاتيب والمساجد القرآنية نظرا لوزنها الثقيل وقدرتها على التأثير على المجتمع العربي الإسلامي.

أولا التحديات السياسية: منذ أن استقلت الدول العربية عن الاستعمار حرص هذا الأخير قبل خروجه أن يترك طبقة محسوبة على المثقفين لرعاية مصالحه وموالية له، وهذه الأنظمة منذ إعلانها الاستقلال وهي غير مستقرة، فأقل ما يمكن القول عنها تابعة لجلاديها.

السياسة في الوطن العربي لها تأثير كبير على التربية والتعليم الديني خصوصا لأنه كثير ما يكون الواقع التربوي نتاج العمل السياسي، الذي يضبط التربية ويحددها ويرسم بنيتها ويبين اتجاهها.؟ وبذلك تكون العولمة قد ضيقت الخناق وفرضت تحديات حضارية جديدة خاصة بعد أحداث الحادي العشر من سبتمبر وما رافقها من تداعيات وتغيرات تلزم الحكومات العربية إعادة النظر وتحكيم العقل وتبني سياسات راشدة تمكنها من مواجهة كافة الصعوبات. فمن بين التحديات الكبرى التي تقف في وجه الحكومات العربية، هي محاولات الدول الكبرى التحكم في الشؤون الداخلية للدول وإملاء عليها ما وجب عليها القيام به وفق ما يتواءم مع المستجدات التي تطرأ على الساحة الدولية.[45]

والجدير بالذكر أن من ضحايا العولمة والتعليمات السياسية التعليم الديني الذي انعكس ثقله على المفكر العربي، وأثرت كذلك على العلاقات بين الدول العربية والدول الاستعمارية، بل تعداه إلى خلق فجوة بين الدول العربية. مما أدى إلى وجود مجموعة من العراقيل التي حالت بين الدول العربية والتعاون الفكري فيما

بينها. فتوتر العلاقات العربية انعكس سلبا على العلاقات الاقتصادية وقضت العولمة على فرصة وجود عمل مشترك بين الدول العربية.[46]

التحديات التعليمية: لا شك أن الطالب العربي لازال في حاجة إلى المؤسسات التعليمية والدينية على وجه الخصوص التي تساعده في تكوين نفسه، وتحدد له معالم الطريق حتى يصبح عضوا فعالا داخل الأسرة والمجتمع، ويستطيع أن يعيش حياة كريمة، ولهذا يتنافس الآباء على تسجيل أبنائهم في أحسن المراكز التعليمية وأجودها لأنهم على يقين أنها الملجأ الذي يحمي لهم لغتهم وديـنهم ويحسن من المستوى الخلقي عندهم ويحقق لهم التقدم العلمي المنشود.[47]

ومن الملاحظ في يومنا هذا أن المؤسسات التربوية الدينية تسعى جاهدة إلى تبني إستراتيجيات توسيع الرؤى ليكون التعليم الديني مطابقا لمعايير الجودة التربوية ومنفرا ومتميزا، إذ أن هذه الإستراتيجيات تسهم في ترقية التعليم العربي الحر، وتجعله منافسا للتعليم في مؤسسات التعليم الأخرى.[48]

يرتبط التعليم الحر بالمستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي، وكذا التغيرات الجديدة التي تحيط به تجعل القائمين عليه يعيدون التفكير في الطرق والسبل الممكنة التي من شأنها أن تتصدى للصعوبات التي تعترض وتعيق تطوره وتقدمه.

إذن ما هي أهم السبل الممكنة التي يمكن لها أن تعيد تفعيل هذا النوع من التعليم.؟

الحلول المقترحة التي يمكنها مجابهة التطور التكنولوجي وإعادة التعليم الحر في الوطن العربي إلى الواجهة:[49]

_ ضمان استقلالية التعليم العربي الحر عن الأجندة السياسية، فالقائمون عليه هم أعرف به والأحرص على ضمان سلامته، والوصول به إلى أعلى المراتب وتكييفيه بما يتوافق التطور والتكنولوجي. بدون التفريط في القوانين والسنن الشرعية، ومراعاتهم للمصالح العامة واستقلاله عن التدخلات الداخلية والخارجية؛

_لا بدى أن يواكب التعليم العربي الحر التطور والتقدم التكنولوجي، حتى يتمكن من تحقيق الأهداف المنشودة في ظرف وجيز مع المحافظة على أصالة التعليم؛

_ إن الحفاظ على الهوية والمقومات العربية الإسلامية، لا يعني الجمود في المناهج في اطار المورث العربي القديم، بل هو فرصة لفتح أفق الاجتهاد والبحث العلمي دون المساس بالثوابت ودون الانغماس في الحضارة الغربية المهلكة (الجانب السلبي منها)، بل الاستفادة من تجاربهم بما يتماشى مع أصول وأخلاق والتربية العربية الإسلامية؛

_ إعادة النظر في المقررات الدراسية بحيث يتم غربلتها من آثار المعارك الكلامية والسياسية وتحصينها من التطرف والغلو الفكري، حتى تلائم حاجيات المتلقي وتسهم في نشر التسامح والتعايش السلمي داخل المجتمع الواحد وتعزيز الروابط أوصال الوحدة العربية.

الخاتمة: لطالما كانت المؤسسات التعليمية في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي قبلة للطلبة من أجل التعلم وحفظ القرآن الكريم واللغة العربية والتمسك بالثوابت الوطنية والدينية والهوية العربية الإسلامية، بل تعداه إلى الجانب الديني كاستقبال تساؤلاتهم الفقهية والعقائدية. أما الجانب الاجتماعي فتمثل في استشارة معلمي الكتاتيب عندما يريدون تزويج أولادهم، كما عملت هذه الكتاتيب على مساعدة الأهالي ماديا ومعنويا متى تمكنت من ذلك.

ختاما يمكننا تلخيص الدور الكبير الذي لعبته الكتاتيب في مجموعة من النقاط أهمها:

_ أسهمت الكتاتيب في رفع الجهل ومحاربة الأمية وتذكير الشعب الجزائري بضرورة العودة إلى اللغة العربية والقرآن الكريم والتشبث بهما؛

_ تعد الكتاتيب من بين المؤسسات التعليمية التي جابهت الاستعمار الفرنسي وتصدت لمحاولاته لتجريد المجتمع الجزائري من تاريخه ودينه ولغته وعقيدته وفرنسته وتغريبه؛

_ دور جمعية العلماء المسلين في تغطية العجز الفكري والعلمي عبر التراب الوطني، حيث سعت لنشر التعليم وتحرير العقول وتخليص الدين الإسلامي من الشبهات التي ألحقت به. فمن أهم إنجازاتها أن أسست دار الحديث بتلمسان التي وصل صداها داخل تلمسان نذكر ندرومة أنموذجا والقطاع الوهراني عموما؛

_ إقبال سكان ندرومة على الكتاتيب قصد تعليم أولادهم وتحفيظهم القرآن الكريم رغم قسوة الظروف وندرة الإمكانيات، وثقتهم فيها وفي القائمين عليها ودعمها ماديا ومعنويا؛

_ ضرورة إعادة تفعيل وإحياء دور المؤسسات التعليمية بكل أنواعها وتطوير وسائلها ومنهجها المتبع أداء وأسلوبا حتى تستطيع مسايرة الركب الحضاري؛

_ فصل التعليم الديني الحر عن السياسة وتحريره حتى يتمكن من تحقيق الأهداف المنشودة والمرجوة.

التوصيات:

– به ودعمه وتأهيل القائمين. ربط التعليم الديني بخطط التنمية في البلاد العربية، وفتح فرص العمل ومراعاة احتياجات المفكر العربي؛

– ضرورة الرجوع إلى التعليم العربي الحر والنهوض به ودعمه وإعادة تأهيل وتكوين القائمين عليه؛

– ضرورة تطوير المناهج والوسائل التعليمية التي تساعد المتلقي على التحصيل العلمي؛

– استقلالية القرار في التعليم الديني من التبعية الخارجية، وأن يكون نابعا من ذوي الاختصاص.

قائمة المصادر والمراجع:

1إبراهيم مهديد، الدور الاصلاحي والنشاط السياسي للشيخ البشير الإبراهيمي على نهج جمعية العلماء المسلمين الجزائرين، دار القرطبة الجزائر

2أحمد الأزرق، الكتاتيب القرآنية في منطقة سيدي بلعباس، ملتقى وطني حول تاريخ منطقة سيدي بلعباس (1830–1954م)، مكتب الدار للنشر والتوزيع.

3أأحمد الأزرق، الكتاتيب القرآنية في الجزائر وروادها في المحافظة على وحة الأمة وأصالتها، تر الغرب للنشر والتوزيع الجزائر2002،.

4شارل أندري جوليان، إفرقيا الشمالية لتسير القوميات الاسلامية والسيادة الفرنسية تر: المنجي سليم وآخرون، الشركة الوطنية للكتاب الجزائر، الدار التونسية للنشر،ص27

5الشيخ عبد الحميد بن باديس، رائد الاصلاح الإسلامي، والتربية في الجزائر المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر،ط5 الجزائر 2011

6الحسن فضلاء، المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر، القطاع القسنطيني دار الأمة، الجزائر،ط1 1991،ج1

7رابح تركي، التعليم القومي والشخصية الوطنية، مطبعة الشركة الوطنية والتوزيع ط:1 الجزائر.

8الزرقاني، مناهل العرفان في القرآن، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، طبعة2 الثالثة ج1

9عبد القادر حليمي، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830م المطبعة العربية، ار الفكر الإسلامي، ط:1 الجزائر (1972م).

10عبد القادر فضيل وآخرون، إمام الجزائر عب الحميد بن باديس، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، (2010م).

11عبد القار بن هني، بركان الاستعمار البصائر، العدد 25، سنة2006

12عمر شكري، المدارس وموارها المالية، البصائر، العدد 93، السنة الثالثة تر: الغرب الإسلامي، بيروت، (2006م).

13عبدالكريم، جمعية العلماء المسلمين وعلاقتها بالحركات بوصفصاف الوطنية 1931 1945)

14عبد الرحمن طالب، بن أحمد التيجاني، ندرومة (1900–1977م)، ديوان المطبوعات الجزائرية الجامعية، الجزائر.

15عبد القادر جغلول، تاريخ الجزائر الجديث دراسة سوسيولوجية، دار الحداثة، طبعة الثالثة، الجزائر، 1983

16عبد الله العايش، التعليم الديني في الوطن العربي وتحديات العولمة، المجلة التربوية العدد الثالث، المجلد الرابع

17عبد الله العايش، التعليم الديني في الوطن العربي وتحديات العولمة، المجلة التربوية المتخصصة، العدد 3 مجلد 4 مارس 2015

18مصطفى الجيجلي، ماذا يلاقي التعليم الحر، البصائر، العدد 12، السنة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت 2006)، ط:1.

19مصطفى ماضي، النخبة والمسألة اللغوية في الجزائرمن القطبية اللغوية إلى الانتقاد، دار القطبية ،الجزائر

20نوال سقاي وعشيرة شريفة، الحياة الاجتماعية والثقافية في مدينة الجزائر أواخر العهد العثماني، مذكرة لنيل شهادة أستاذ التعليم الثانوي في التاريخ والجغرافيا، المدرسة العليا للأساتذة الآداب والعلوم الإنسانية بوزريعة،(2007-2008).

21ويليام شارل، مذكرة ويليام شارل قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824م) تق: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر الجزائر 1982.

22 mostafa-lachraf ;lalgerrenation et sosicete ;2eme dditiob ;alger

الاحالات:

[1]– أحمد الأزرق، الكتاتيب القرآنية في الجزائر ودورها في المحافظة على وحدة الأمة وأصالتها، تر الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر2002، ص20.

[2]– ويليام شالر، مذكرة ويليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816–1824م)، تق: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر 1982، ص82.

[3]– عبد القادر حليمي، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830م، المطبعة العربية، دار الفكر الإسلامي، ط:1 الجزائر (1972م)، ص272.

[4]– نوال سقاي وعشيرة شريفة، الحياة الاجتماعية والثقافية في مدينة الجزائر أواخر العهد العثماني، مذكرة لنيل شهاة أستاذ التعليم الثانوي في التاريخ والجغرافيا، المرسة العليا للأساتذة الآداب والعلوم الإنسانية بوزريعة، (2007–2008)، ص47.

[5]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الاسلامي، بيروت (1998م) ج1/ ص277.

[6]– أحمد الأزرق، الكتاتيب القرآنية في منطقة سيدي بلعباس، ملتقى وطني حول تاريخ منطقة سيدي بلعباس (1830–1954م)، مكتب الرشاد للنشر والتوزيع، ص293.

[7]– رابح تركي، التعليم القومي والشخصية الوطنية، مطبعة الشركة الوطنية والتوزيع، ط:1 الجزائر، ص ص236–237.

[8]– عبد القادر فضيل وآخرون، إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، (2010م)، ص42 ،ص43 بتصرف.

[9]– المصدر السابق، الشيخ عبد الحميد بن باديس دار الاصلاح الاسلامي والتربية في الجزائر ص350.

[10]– عبد القادر بن هني، بركان الاستعمار البصائر، العدد 25، سنة (1948م)، ص3.

[11] – mostafa–lachraf ;lalgerrenation et sosicete ;2eme dditiob ;alger ;send ;p24 .

[12]– عمر شكري، المارس وموارها المالية، البصائر، الع 93، السنة الثالثة، تر الغرب الإسلامي، بيروت، (2006م)، ط:1، ص10.

[13]– التعليم القومي والشخصية الوطنية، المصدر السابق، ص325.

[14]– مصطفى الجيجلي، ماذا يلاقي التعليم الحر، البصائر، الع 12، السنة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت 2006)، ط:1، ص7.

[15]– عبد الرحمن طالب، بن أحمد التيجاني، ندرومة (1900–1977م)، ديوان المطبوعات الجزائرية الجامعية، الجزائر، ص9.

[16]– المرجع نفسه، ص ص10 11.

[17]– المرجع نفسه، ص15.

[18]– كلمة الآفقين فإنها نسبة للأفاق، قال ابن منظور في لسان العرب: "رجل أفق بفتح الهمزة والفاء إذا كان من الآفاق الأرض أي نواحيها مادة أفق وتطلق في مدينة ندرومة الطلاب الذين ليسوا من سكان ندرومة .

[19]– تركي رابح التعليم القومي والشخصية الوطنية، المصدر السابق، ص236

[20]– عبد الرحمن طالب، كتاتيب ندرومة (1900–1977م)، المرجع السابق، ص20.

[21]– المرجع نفسه، ص25.

[22]– كتاتيب ندرومة (1900–1977م)، المرجع السابق، ص30.

[23] المرجع نفسه، ص 34

[24] المرجع نفسه، ص 39

بوصفصاف عبدالكريم، جمعية العلماء المسلمين وعلاقتها بالحركات

الوطنية (1931 1945

[25] المرجع نفسه،ص 151

ابراهيم مهديد، الدور الاصلاحي والنشاط السياسي للشيخ البشير الابراهيمي على نهج جمعية العلماء المسلمين الجزائرين، دار ، ص 2011،29

[26] الشيخ عبد الحميد ابن باديس، رائد الاصلاح الإسلامي، والتربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر، ط5 الجزائر 2011، ص 376

[27]المرجع نفسه، ص 376

22 محمد الحسن فضلاء، المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر، القطاع القسنطيني دار الأمة، الجزائر، ط1 1991،ج1،ص

[28]عبد الكريم بوالصفصاف، المرجع السابق، ص156

شارل أندريجوليان، إفرقيا الشمالية للتسيير القوميات الاسلامية والسيادة الفرنسية، تر: المنجي سليم وآخرون، الشركة الوطنية للكتاب الجزائر، الدار التونسية للنشر، ص27

محمد الحسن فضلاء، المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر، القطاع القسنطيني، دار الأمة، الجزائر، ط1 1991، ج1،ص 22

[29] المرجع السابق، عبد الكريم بوالصفصاف، ص157

[30] عبد القادر جغلول، تاريخ الجزائر الحديث دراسة سوسيولوجية، دار الحداثة، طبعة الثالثة الجزائر، ص، 621983

[31] مرجع نفسهً، ص62

[32]شارل أندري جوليان، إفرقيا الشمالية للتسير القوميات الاسلامية والسيادة الفرنسية، المرجع السابق، ص27

[33]مصطفى ماضي، النخبة والمسألة اللغوية في الجزائرمن القطبية اللغوية إلى الانتقاد، دار القطبية ،الجزائر، ص49

كتاتيب ندرومة (1900–1977م)، المرجع السابق، ص 60.

[34] المرجع نفسه، ص61

[35]المرجع نفسه،ص 63

[36]المرجع نفسه، ص64

[37]المرجع نفسه،ص66

[38]محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في القرآن، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه طبعة الثالثة،ج1، ص401

[39]كتاتيب ندرومة (1900–1977م)، المرجع السابق، ص 67

[40]محمد عبد العظيم الزرقاني، المصدر السابق، ص 262

[41]كتاتيب ندرومة (1900–1977م)، المرجع السابق، ص 70

[42]المرجع نفسه، ص72

[43]المرجع نفسه، ص74

[44]عبد الله العايش، التعليم الديني في الوطن العربي وتحديات العولمة، المجلة التربوية، العدد الثالث، المجلد الرابع،، 1052015

[45]المرجع نفسه،ص 109

[46] المرجع نفسه،ص111

[47] المرجع نفسه، ص 113

[48] المرجع نفسه،ص114

[49] المرجع نفسه،ص 115

تقرير الورشة العلميّة الأولى للملتقى الوطنيّ الموسوم: الكتاتيب ودورها في الرَّفاه اللغويّ

أ. راشدة بورابابة
المجلس الأعلى للغة العربيّة

بسم اللّه الرحمان الرحيم
والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، أيّها الحضور الكريم؛

يشرّفنيّ أن أحيطكم علما بتداولات أشغال الورشة العلميّة الأولى من فعاليات الملتقى الموسوم: "الكتاتيب ودورها في الرَّفاه اللغويّ"، التي انطلقت صبيحة يوم أمس الـ 19 من فبراير 2020 الموافق لـ 25 جمادى الثاني 1441 للهجري بالمكتبة الوطنية، الحامّة، على الساعة 10.00صباحاً إلى حدود 13.00 زوالاً. ترأستُ الورشة بمشاركة أساتذة وخبراء من مختلف ولايات الوطن، نذكر أسماءهم كالتاليّ:

- الأستاذة حياة كاسي، من جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف.
- الأستاذ قدور بن مسعود، من جامعة ابن خلدون، بتيارت.
- الأستاذة صليحة بردي؛ من جامعة الجيلالي بونعامة –بخميس مليانة.
- الأستاذة فاطمة سعدي؛ من مركز البحث التقني لتطوير اللغة العربية، من وحدة البحث بتلمسان.
- الأستاذة فيروز بن رمضان، من جامعة يحي فارس بالمدية.
- الأستاذة سوسن ابرادشة، من جامعة آكلي محند أولحاج ـــ بالبويرة.
- الأستاذة مسعودة معنصر؛ من جامعة وهران 02.

- الأستاذ مختار قديري، من جامعة الشهيد حمّه لخضر، بالوادي ومفتش مركزي بمديرية أملاك الدولة.
- والأستاذة نعيمة شلغوم والأستاذة جمعة مصاص، من جامعة عباس لغرور- بخنشلة.
- الأستاذ نورالدين بلعربي، من جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة.
- الأستاذة أم هاني حبيطة، من جامعة غرداية.
- الأستاذة بسمة سيليني والأستاذة ايمان بوشارب، من جامعة محمد الصديق بن يحي-جيجل.
- الأستاذة بوخاري مليكة، من المدرسة الوطنيّة العليا لعلوم الاعلام والصحافة بالجزائر.

لقد تمحورت مداخلاتهم حول أهميّة الكتاتيب في:

- تحفيظ القرآن الكريم وتعليم مبادئ وأسس الدين الإسلامي. أين أسهمت الكتاتيب بشكل جليّ في تربية الأجيال وإعدادها من أجل خوض مختلف مراحل الحياة، والمحافظة على طابع الهوية الإسلامية، وعمِلت على ترقية الفرد ثقافيا وتعليميا وأخلاقيا من خلال تشبُّعِهِ بالقيم والمبادئ الواردة في القرآن الكريم.
- للكتاتيب كذلك أهميّة بارزة في تعليم اللغة العربيّة ونشرها في أوساط المجتمع الجزائري إذ وُصفت بالنّواة الجنينيّة الأولى التي انبثقت عنها باقي مسارات السلّم التّربويّ والتّعليميّ بالجزائر ومَثّلت حقلاً خصباً لدراسة اللغة العربية وتعزيز مَلكةِ الحِفظِ واستقامة اللسان العربيّ.

كما أَردف المشاركون جملة من التّوصيات نذكر منها:

1. إرفاق كلّ مسجد بمدرسة قرآنية، مع ضرورة التّنسيق بينها؛ عملاً وإجراءً.
2. سنّ وزارة الشّؤون الدّينية، والأوقاف، قوانين صارمة وموحّدة، تخصّ تعليم القرآن في كلّ القرى، والأرياف، والمدن...وتأسيس جمعيات مكلّفة بالرّقابة المستمرّة.

3. إقامة دورات تدريبية لمعلّمي المدارس القرآنية، والكتاتيب لتعليمهم كيفية استثمار النّظريات، والمناهج الحديثة، خدمةً للّسان العربيّ، وتحفيظ القرآن الكريم.

4. عدم جعل إدماج الطّفل في مرحلة ما قبل التّمدرس إلى الكتاتيب والمدارس القرآنية إلزامي يُطبّقُ على كلّ طفل وصل أربع سنوات فما فوق.

5-ضرورة النّهوض بمستوى تعليم القرآن، واللّسان العربيّ، اللّذين يمثّلان هويّة المواطن العربيّ المسلم

6- ضرورة تنويع المدارس القرآنية بمختلف أشكالها، والعمل على رَسكلَتِها واستئنافها من جديد، وبصورة أفضل.

7- تعميم المسابقات للأطفال الدّارسين بالكتاتيب تشجيعاً لهم وتحفيزاً على حفظ القرآن والاستفادة من علوم العربيّة والعلوم الشرعيّة.

8- استمرار عقد مثل هذه الملتقيات الوطنية، والدورات العلمية، والمسابقات العلمية التي تدعو إلى تعزيز الأمن الفكري خاصة لدى طلاب المرحلة الجامعية.

وفي الختام لا يَسَعُنَا إلاّ أن نَشكُرَ الحضور الكريم على جهودِهم وعملهم الدؤوب ونُزْجِيَّ لهم عاطر الامتنان، شكراً لكم والسلام عليكم ورحمة اللّه.

تقرير الورشة العلميّة الثنيّة للملتقى الوطنيّ الموسوم: الكتاتيب ودورها في الرَّفاه اللغويّ

أ. مريم تواتي
المجلس الأعلى للغة العربيّة

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم والصّلاة والسّلام على أشرف المرسلين أمّا بعد:

بداية أرحّب بالحضور الكريم،

يشرّفني أن أطلعكم بتداولات أشغال الورشة العلميّة (الثّانية) من فعاليّات الملتقى الوطنيّ حول "الكتاتيب ودورها في الرّفاه اللغويّ ". المنعقدة بالمكتبة الوطنيّة الجزائريّة، الحامّة، من السّاعة التّاسعة صباحا ودامت الى غاية حدود السّاعة الثّانية عشر زوالا، بتاريخ 26 جمادى الثانية 1441 هجري الموافق لـــ 20 فبراير 2020، برئاسة المقرّرة النّاطقة مريم تواتي، وحضر الورشة ثلاثة عشر (13) أستاذا وباحثا من مختلف ولايات الوطن، نذكر أسماءهم كالآتي:

- أ. جميلة قماز، من جامعة محمد الصديق بن يحيى- جيجل
- أ. سعاد مأمون، من جامعة قاصدي مرباح- ورقلة.
- أ. سمية بن حليمة، من جامعة الجزائر 2
- أ. سوهة رومي من جامعة البويرة
- أ. حواء بيطام، من جامعة محمد الصديق بن يحيى- جيجل
- أ. مريم بن الاحرش، من جامعة زيان عاشور – الجلفة
- أ. وليد خنيش، من جامعة الأمير عبد القادر – قسنطينة
- أ. حنيسة كاسحي، المجلس الأعلى للّغة العربيّة
- د. هدى عماري، من جامعة أمحمد بوقرة بومرداس

- د. محمد بوقاسم و أ. فريزة لعزيزي من جامعة الجزائر 2
- د. سعد لخذاري، من جامعة أكلي محند أولحاج –البويرة
- أ. إلهام شافعي، من جامعة باتنة
- أ. عائشة تراس، من جامعة أحمد بن بلة – وهران–

لقد شملت مداخلاتهم ومناقشاتهم مواضيع مهمّة ومتنوّعة عالجت قضيّة الكتاتيب ودورها في الرّفاه اللغويّ، وقد انصبّت أبحاث السّادة المتدخّلين في موضوع الكتاتيب في الجزائر المتجذّر في تاريخ البلاد والذي ظهر إبّان الاستعمار الفرنسيّ وعلى أهميّتها ودورها في ترسيخ مَلَكَة اللغة العربيّة وتحسين أدائها.

ومن جملة ما توصّلت إليه هذه الورشة العلميّة من توصيات ما يلي:

– ضرورة الإسراع في رسم إستراتيجيّة ناجعة تُعنى بالكتاتيب والمدارس القرآنيّة وفق منظومة وطنيّة متكاملة الأدوار، تكون مبنيّة على أساس إعادة الاعتبار للدّين الإسلامي واللغة العربيّة ومقوّمات الهُويّة، وهذا لا يتأتّى إلاّ بتضافر جهود المسئولين، وبتنسيق المهامّ بينهم.

– ضرورة عقد دورات لرفع الحسّ لدى أولياء الأمور والتّعريف بدور الكتاتيب في تعليم وإتقان اللغة العربيّة.

– ضرورة الرّجوع إلى التّعليم العربيّ الحرّ والنّهوض به ودعمه وإعادة تأهيل وتكوين القائمين عليه.

– ضرورة توفير الدّعم المادّي للكتاتيب الّتي لا تتلقّى تمويلا إلاّ من المحسنين.

وفي الختام نشكركم على حسن إصغائكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة

رئاسة الجُمهُوريّة

المَجلِس الأَعْلَى للّغة العربيّة

إعلان عن جائزة المجلس للغة العربيّة 2022

يعلن المجلس الأعلى للغة العربيّة عن تنظيم (**جائزة المجلس للغة العربيّة لسنة 2022**) التيّ تهدف إلى تشجيع الباحثين من داخل الوطن، وتثمين منجزاتهم العلميّة والمعرفيّة والإبداعيّة، ذات المردود النوعيّ الهادف إلى إثراء اللغة العربيّة، والإسهام في نشرها وترقيّتها، سواء أكانت هذه الأعمال مؤلّفة باللغة العربيّة، أم مترجمة إليّها.

1. **شروط الترشح للجائزة:**

- أن يقدّم العمل باللغة العربيّة؛
- أن يتوفّر العمل على قواعد المنهجيّة العلميّة؛
- أن يكون العمل موثقّاً وأصيلاً، وفي مجال التّرجمة ترفق نسخة للنّص بلغته الأصليّة؛
- أن يكون العمل المقدّم لا يتجاوز خمسمائة (**500**) صفحة (مكتوبة بخطّ simplified arabic حجم **14**)؛
- ألاّ يكون العمل قد نال به صاحبه جائزة أو شهادة علميّة؛
- ألاّ يكون العمل قد نُشر، ويُصحب بتصريح شرفيّ، يحمّل من موقع المجلس؛
- أن يندرج العمل في أحد المجالات المذكورة أدناه؛

- قرارات لجنة التّحكيم غير قابلة للطعن؛
- لا ترّد الأعمال إلى أصحابها؛ سواء فازت أم لم تفز؛
- لا يحقّ للحائز على جائزة المجلس للغة العربيّة، أن يتقدّم بعمل آخر إلاّ بعد مرور دورتين من حصوله عليها.
- تعرض الأعمال المرشّحة على لجنة تحكيم؛ مكوّنة من ذويّ الاختصاص والذين لا يسمح لهم بالمشاركة في الجائزة.

2 ــ **مبلغ الجائزة:** حدّد مبلغ الجائزة بـ **2.000.000** دج، يوزّع بمقدار**500.000** دج لكلّ مجال من المجالات الأربعة التالية:

2 /1 - جائزة المجلس في علوم اللّسان.

2 /2 – جائزة المجلس في برمجيات الدّعم باللغة العربيّة.

2 /3 - جائزة المجلس في التّرجمة إلى العربيّة.

2 /4 – جائزة المجلس في وسائل الإعلام والاّتصال والتّواصل الاجتماعيّ باللّغة العربيّة.

في حالة وجود جائزتين: استحقاقيّة- تشجيعيّة؛ يوزّع المبلغ الماليّ في كلّ مجال من مجالات جائزة المجلس للغة العربيّة على النّحو التّالي:

- **70**% لجائزة الاستحقاق؛
- **30**% للجائزة التّشجيعيّة.

وفي حالة حجب جائزة في مجال من المجالات، يمكن للجنة التّحكيم أن تقترح جائزة تشجيعيّة، تقطتعها من المجال المحجوب إلى مجال آخر، على ألاّ تتجاوز قيمتها **50**% من مبلغ الجائزة الثّانية.

- تنشر الأعمال الفائزة، ضمن منشورات المجلس باستثناء الجائزة التّشجيعيّة التي تُحال على هيئتي تحرير مجلتي: اللغة العربيّة، ومجلة معالم للتّرجمة؛ للتّداول بشأن إمكانيّة نشرها في عدد من أعدادهما.
- تصبح الأعمال الفائزة بجائزة المجلس مِلْكا للمجلس، إلا أنّه يمكن لمؤلفّها استعادة حقوقه بعد انقضاء ثلاث (**03**) سنوات من نشر العمل.

3. **طلب التّرشّح**: يتكوّن طلب التّرشّح للجائزة من الوثائق الآتيّة:

- طلب خطيّ؛
- تصريح شرفيٌّ بعدم نشر هذا العمل، يحمّل من موقع المجلس؛
- نسخة من وثيقة الهوية (بطاقة التّعريف أو رخصة السّياقة)؛
- السيرة العلميّة للمشارك؛
- نسختين/**02** من البحث المقدّم لنيل الجائزة:

❖ النّسخة الأوّلى/ مسجّلة على قرص؛

❖ والنّسخة الثّانية /توجّه عن طريق البريد المسجّل، ويكون تاريخ الختم البريدي شاهداً على ذلك.

4. **للتّذكير**؛ إنّ باب التّرشّح مفتوح **إلى غاية 31 مارس 2022.**

للاستفسار: الاتّصال بالرّوابط: الهاتف: 09 07 23 021 / 99 88 23 021.

البريد الإلكتروني: jaizamajeless2022@gmail.com

5 ــ يوجّه ملّف التّرشّح إلى العنوان الآتي:

السّيد رئيس المجلس الأعلى للغة العربيّة

شارع فرانكلين روزفلت، الجزائر.

أوص.ب : 575 شارع ديدوش مراد الجزائر العاصمة

(جائزة المجلس للغة العربيّة 2022).

تم إخراج وطبع بـ :

الإنمـــاء
للطباعة والنشر والتوزيع

المنطقة الحضرية قطعة 1- عين النعجة رقم 1 جسر قسنطينة - الجزائر
ها : 07.71.52.50.50 /05.50.54.83.07

البريد الالكتروني: inma.book@yahoo.com